

غربتي وابنتي

جمال شاهين

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

روايات اجتماعية

جمال شاهين

غربتي وابنتي

كانت حياتي حياة شهوات وجنس ، والبحث عن الملذات من الأكل والشراب واللعب واللهو والمخدرات .. حياة مادية .. ورغم لذتها لكن زوالها سريع .. وكم من معارفنا هلك بالإيدز ؟.. بالموت بجرعة زائدة من المخدرات .. التعرض لحادث سير أثناء حالة سكر .. وأنت لك سنوات تعيشين بيننا ، ورأيت من المشاكل .. وكم عالجنا نساء حوامل يتعاطين الكحول والمخدرات وهن غير مباليات بحياة الأجنة ؟ ولماذا يقبلن بالحمل وهن راغبات بقتله؟! فجرت باسم الحب ، وامرأتي كانت تفجر باسم الحب والحرية الشخصية .. أليس هذا حمقا وسفاهة؟ ..

ـ عندكم العلم !

ـ هو هذا الذي يخفي عن أعين الناس حياتنا الماجنة .. عندنا التكنولوجيا والصواريخ .. فجرت أمريكا بطياراتنا .. فاخترعوا الإرهاب العالمي ليمنعوا الناس من الإسلام .. ولكن الناس أخذت تسأل عن الإسلام .. ولماذا جرى هذا الحادث بهدم الأبراج ؟

ـ إننا نحمل جنسية غربية .. ومع ذلك فنحن نعاني من هذا الحادث .. فأصولنا الإسلامية تطاردنا .. ويسخرون منا ويعتبروننا قنابل موقتة ..

ـ زوبعة في فنجان ..إنهم يريدون مسلمين بلا إسلام ، لهم الأسماء فقط ؛ ليقولوا بلادنا تجتمع فيها جميع ملل العالم ، وهي تعيش بسلام ووئام .. لا يريدون المزيد من المساجد ..والمراكز الإسلامية .. أما التبشير فمسموح به في بلاد المسلمين بالتطبيب بالتعليم بالأفلام ..

جمال شاهين



١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيتام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الشقق السوداء	١٠	حياتي قبل الحياة
١١	الحفل بالقط الأسود	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	

حفلة زواج

كان الطبيب البشري مجدي حسن يستقبل ضيوفه على مدخل صالة الفندق المخصصة لحفل زواجه ، وكان الأقارب والمدعون يتوافدون إلى القاعة لمشاركة الطبيب فرحه.

وكان يقف معه في الاستقبال والترحيب بعض إخوته وخاصة منهم شقيقه الأكبر عادل حسن وبعض أبنائهم ، وكانوا يشيرون للضيوف إلى الأماكن الخالية والموائد المناسبة.

فسلم عليه زميل له أيام الدراسة في كلية الطب الدكتور ماهر طه وعانقه وبارك له ، وهتف قائلا والفرح يغمره : أخيرا ! أخيرا استسلمت يا دكتور مجدي !

ضحك العريس وقال : نعم ، لقد استسلمت أخيرا للزواج .. يا مرحبا بك.. أهلا وسهلا بالعزيز ماهر

وحيا ورحب بزوجة الدكتور بهز رأسه ، فهو يعرفها حق المعرفة وقال مداعبا : كم طفلا عندكم اليوم ؟!

ضحكت الزوجة فاطمة وقالت : بفضل من الله وحده خمسة يا دكتور مجدي .. دكتور وعنده خمسة مواليد عقبال عندك .

تابع الطبيب العريس ضحكه وقال معقبا : واحد يكفي اليوم.

وقال ماهر وهو يشير لرجل قريبا منهم : أخي مروان .. أيضا طبيب.

حيا مروان مجديا وبارك له اقترانه ، وتابعوا الدخول للقاعة ، وتابع مجدي الترحيب بالضيوف واستمر الاستقبال والمداعبات البريئة والنكات الظريفة حتى انهمك المدعوون بتناول ما قدم إليهم من طعام وحلوى أعدها لهم الفندق .. وبعد ساعتين من الفرح والمرح المتواصل أخذ المشاركون بالحفل بالانصراف والمغادرة وهم من جديد يباركون للعروسين ، ويدعون لهم بالحياة السعيدة والذرية الصالحة.

وبقي بعض الأهل والأقارب للطرفين العريس مجدي ذو الأربعين عاما ، والعروس ذات الخمس والعشرين سنة السيدة هناء محمد ينتظرون مغادرة العروسين للمطار حيث سيغادران

البلاد إلى تركيا وبعض بلدان أوروبا لقضاء ما يسمى شهر العسل ، عادة انتشرت في العالم ، ومنه العالم العربي والإسلامي .

جاءت سيارة خاصة لتقلها للمطار الدولي للسفر لتركيا لقضاء عدة أيام فيها ، ومنها للنمسا وسويسرا حيث يستمتعون بالحياة في ربوع تلك البلدان ، وبالأيام الأولى من الزواج.

ولقد طلق الطبيب مجدي العزوبية من عهد قريب عندما التقى بالآنسة هناء محمد عن طريق أخته بسمة حسن التي كلفها بالبحث عن زوجة له بعد حسم أمره وقرر الزواج ودخول قفص الزوجية كما يقال ، وخاصة أنه شارف على الأربعين، ولم يخض تجربة الزواج والأطفال السيد مجدي عندما تخرج من كلية الطب كطبيب بشري عمل بعضا من السنين كطبيب في مشافي الحكومة ، ثم تعاقد للعمل في إحدى دول الخليج في أول فترة الطفرة النفطية والاستقلال ، وكان قد أخذ شهادة الاختصاص في طب وجراحة العظام فهو جراح عظام ، وأخذ كذلك يلمع اسمه على مستوى أقطار الخليج الستة حيث الثروة والمال وانتشار السيارات ، وما أدراك ما حوادث السيارات ؟!

وكان صاحبنا مجدي قد التقى بفتاة أثناء الدراسة الأولى وجرى بينهما استلطاف كاد أن يؤدي لزواج بعد التخرج ، ثم اكتشف الشاب أن الفتاة التي وثق بها تحب زميلا آخر فكرهها وكره جنس النساء من أجلها ، كما كان يزعم لرفاقه ، ثم هجر فكرة الزواج نهائيا حتى أشرف على الأربعين فغير رأيه فجأة ، وطلب من شقيقته بسمة السعي في اختيار زوجة مناسبة له ، رغم عمله في المستشفيات بضع سنوات والتقائه بالكثير من الموظفات والممرضات والطبيبات العزباوات لم يقترن بواحدة منهنّ ، وكان يصد كل فتاة تقترب منه صدا جميلا ، حتى كبر سنه وبلغ الأربعين ، وعلى أثر وفاة أمه بعد أبيه أخذ يفكر بالنكاح بشكل جدي ، وقد أخذت أخته الكبيرة بسمة حسن تكثر من الكتابة في رسائلها إليه حول سنه وحاجته للزواج ، وكذلك في مكالماتها الهاتفية معه فلان وكلفها بالسعي في تحقيق هذه الغاية الكبيرة من حاجات الإنسان البالغ العاقل ، فكانت ترسل إليه بصور الفتيات التي تراهن مناسبات

للزواج من شقيقها فبعد عدة محاولات أعجب بصورة واحده منهنّ ، وأخذ إجازة وعاد للبلد وقابل الفتاة هناء محمد ، واستحسنها وقبلها زوجة ، وهي فتاة عاملة في إحدى شركات القطاع العام تحمل شهادة علوم إدارية من إحدى الجامعات ؛ ولكنها بعد الاتفاق على الزواج ودعت الوظيفة ، واستسلمت لطلب زوجها بهجر العمل والاستعداد للزواج والسفر لخارج القطر ، وكتب عقد الزواج ، وها هو قدم في إجازة ؛ ليكون الزواج الذي تحدثنا عن في أول الكلام ، وسافر العروسان إلى تركيا ومنها لأوروبا لقضاء بضعة أسابيع قبل العودة للعمل .



الحياة منحة وهبة ربانية ، وحياتنا أسرارها عجيبة ، وسعادتها كما تعلمون قصيرة .. لا تخلو الحياة من منغصات وآلام تتفاوت بين الناس ، والسعيد من اتعظ بغيره ، قضى الطبيب المهاجر ثلاث سنوات من الزواج ولم يتمكن من الإنجاب ، كان الزوجان سعيدين ببعضهما ؛ ولما مضت السنة الثانية من حياتهما الزوجية دون تمكن من الإنجاب تسرب الخوف والانزعاج إلى قلبيهما ، فالخلفة أمر مهم في حياة الأسرة الشرقية كما هو معلوم وشائع ، أجرى الرجل فحصا طبيا خاصا بالقدرة على الإنجاب [١]، فتبين له رغم ضعفه الجنسي بسبب السن يمكنه الإنجاب ببعض المتابعة الطبية وفعلت الزوجة الفحوصات اللازمة للإخصاب والحمل ، فوجدت أنها سليمة مائة في المائة وتستطيع الحمل من غير عوائق مادية ، ولما مضت السنة الثالثة دون نجاح أي حمل وافق الطبيب مجدي وللهفة هناء على مولود وافق على أخذ أدوية

[١] - تبدأ هذه الفحوصات بتحليل السائل المنوي للزوج ثم بعد ذلك إجراء الفحوصات الخاصة بالزوجة مثل السونار للكشف عن المبايض والرحم والأشعة بالصبغة للتأكد من سلامة الأنابيب وعدم وجود انسداد .

منشطة للجهاز التناسلي ومقوية للحيوان المنوي ، وسيكون ذلك تحت إشراف مستشفى خاص بالعقم والولادة ، واستمر ذلك سنة ودون فائدة ، وقبل انقضاء السنة الخامسة لزواجهما جاء الفرج والحمل بدون أدوية وشاء المولى أن يكون حملا طبيعيا ، فعمت السعادة والبسمة البيت من جديد خاصة بعد أن ثبت الحمل ونجا من الإجهاض المتكرر ، وغمر الود والحب الأسرة من جديد بعد أن كادت تنتهي بسبب الحمل والذرية ، وحملت أسلاك الهاتف الخبر للبلد ، وغمرت الفرحة أم هناء ووالدها ، وكذلك أهل مجدي من أخوة وأشقاء فقد وصلتهم المعاناة التي يعاني منها الزوجان ، ففرحت خالاته وعماته بذلك ، وكان الكل يخشى الطلاق للزوجين ؛ لأن مجديا لو فشل زواجه فلن يكرر الزواج ثانية خاصة أنه اقترن بعدما وصل سنه الأربعين سنة .. سبحان الباري في علاه ! .. فالناس تفرح وتسعد للمواليد الجدد والأجيال الجديدة.

ولدت هناء بنتا جميلة كاملة وتامة أشهر الحمل ، فسميت زهيرة لأنها أزهرت عليهم حياتهم بعدما نغصت حياتهم قضية الحمل .. فحمد القوم الله المنعم الوهاب ، وتذكر مجدي ليلة زفافه عندما تمنت له الدكتورة فاطمة زوجه صديقه ماهر الذرية وأنها قد ولدت خمسة أبناء، فرد عليها يومها واحد يكفي اليوم تذكر ذلك الحوار القصير .. لقد كانت المعاناة شديدة من أجل هذا الواحد فقال لنفسه التي تستذكر تلك الثواني هل واحد يكفي يا ترى ؟! البنت ألا تريد أخا كما يقال عندنا ؟ ألا تريد أنت ؟ مضت خمس سنوات في انتظار زهيرة

التفت وهو يفكر في ذلك للبنت الرضيعة وحملها وعانقها وهو ينظر لعيني أمها التي انزعجت من طريقة حملها فقالت : مجدي إنها نائمة.

فأعادها للسرير الخاص بها وتنهد وقال : خمس سنوات انتظار يا هناء عشرات الساعات قضيناها من أجل أن نراها.. حياتنا الزوجية كانت على كف عفريت كما يقال قبل أن تطل علينا بطلعتها البهية .. نظرة الحياة والأمل.. لم أكن أدرك حب الأطفال أنه بهذه القوة لو عرفت ذلك لتزوجت قديما ؛ ولكنه القدر .. أنت أم هذه الطفلة ليست علا .. أتعرفين علا ؟

قالت : حدثتني عنها عندما سألتك لماذا لم تتزوج لليوم ؟ إنها زميلتك في الجامعة الزميلة التي غدرت بك وتعلقت بأعز أصحابك ، سمعت هذه القصة

ـ القدر !! ما هو القدر يا هناء ؟ أتفهمين في الدين؟

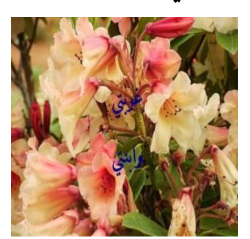
ـ بعض الشيء ربما ثقافة عامة

عانق الطبيب فتاته من جديد وأعادها ثانية للسرير وقال :إنها جميلة مثلك يا هناء رغم سمارها الجميل إني أحبها أحبها

ـ شد حيلك لتنجب لها أخا أو أختا

نظر إليها شزرا وقال : أمستعجلة على الحمل ؟!

قالت بجفاء : لم نعد صغارا يا دكتور مجدي.



كانت هناء محمد لديها أشد الرغبة بالحمل والولادة من جديد ، فكانت ترى أن السنين تتقدم بها سريعا ، فعليها أن تدرك نفسها بعدد من الولادات قبل فوات الوقت ، مع أنها تبلغ من العمر يومئذ الثلاثين عاما ، وما زال لديها الوقت للإباضة والحمل ، وكانت تلح بشدة على زوجها لمحاولة العلاج من ضعف وجودة حيواناته المنوية ، ويضطر الرجل لتذكيرها بفشل ذلك قبل إنجاب زهيرة ، وليترك الأمر لمشيئة الله ، فتحتج أن العلاج من مشيئة الله تعالى، فيثور ويقول كله من مشيئة الله بالتأكيد ؛ وإنما قصدي يا محترمة أن يكون طبيعيا دون هذه الوسائل .

ثم تبرر فتقول العمر يمضي يا مجدي .. اليوم عندي صحة لمزيد من الحمل

ـ دعِ الأمر لصاحب الأمر ، إذا وفقنا لتربية زهيرة وتنشئتها فهذا أكبر خير وأكبر فضل.

ـ أنت تكبر يا مجدي ، وتضعف قدرتك على الإنجاب، الأمومة لا تكون بمولود واحد

فحسب .. لو كل سنة أرزق بمولود سأكون أسعد الناس ، لا تحرمني من هذه النعمة .. ليتني ألد التوائم .

تنهد ضيقا وحزنا وقال : عجيب أمرك يا زهيرة ! ولماذا تأخر زواجك ما دمت بكل هذا العشق للذرية ؟!

ـ تأخر ابن الحلال .. كنت في القدر من نصيبك

فقال بسخط : أنا لا أحب الأبوة كثيرا ؛ لذلك كرهت الزواج وجنس النساء .. فتكفي زهيرة وسلمي أمر الإنجاب لله .. هل طلبت منك استخدام أي مانع للحمل رغم أنك وضعت من شهور ؟

ردت بنوع من الغضب : ربما أنت تستعمل الموانع يا حضرة الدكتور .. أليس هناك موانع ذكرية ؟ ! لنا ست سنوات زواج حتى أكرمنا المولى بزهيرة .. وها هي بدأت تحاول المشي يا مجدي .

ـ لتأخذ حقها في الرضاعة الطبيعية واللبن يا بنت الكرام .. الرضاعة سنتان .. أربعة وعشرون شهرا.

اعترفت قائلة : توقفت عن الرضاعة الطبيعية

قال دهشا : ماذا ؟! لمَ لم تخبريني يا هناء ؟ ألسنا شركاء ؟ فمن حق زهيرة أن ترضع حولين كاملين.

ـ أكمل لمن أراد أن يتم الرضاعة.. وقبل أن تثور فاعلم أنها هي التي تركت صدري .. لم تعد تحب الرضاعة ، وسألت طبيبة المركز الطبي قالت بعض المواليد يكرهون حليب الأمهات .. ويستلذون على اللبن الصناعي

ـ لابد أنك مقصرة في الرضاعة ، وأكثرت من رضاعتها بالقنينة والحليب الصناعي فأحبته .. الرضاعة دواء لك ولها يا جاهلة.. فالرضاعة الطبيعية تضعف أمراض السرطان عند النساء عندما يكبرن ويتركن الحمل والرضاعة ، وتقوي جهاز المناعة للمولود .. أنت الخاسرة قبل

زهيرة

ـ صدق أنها تخلت عن صدري بدون ضغط مني ، لم أفعل شيئا لأحرمها من لبني ، لا حليب لديّ.. أمي أخبرتني أنها هكذا .. سنة واحدة رضاعة فقط ، ثم يجف اللبن .

قال ساخطا : وراثة إذن هل هذا معقول أم أنّ هناك مرضا ؟!

فصاحت في وجهه غضبا : إنها ابنتي.. وأنا أحبها أكثر منك.. أنا لم احرمها من الحليب.. ضعف ثم انقطع .

فعاد يقول بصوت هادئ : اهدئي يا حبيبتي ولماذا انفعلت ؟

ـ إنك تثير الأعصاب يا مجدي! إنك تشعرني بكلامك ونظراتك كأنني ارتكبت جريمة بحقها أليس من حقي أن أنجب الأطفال ؟ فعندما أكلمك حول ذلك تكبر القضايا وتجعلها قضية مصيرية .. تردد على الأطباء خذ أدوية ومنشطات .. تنفعل وتقول دعي الأمر للخالق وحده وهل ينفع علاج بدون رضا الخالق وتيسيره؟ .. فالعلاج من الخالق

ـ الأمر لله يا بنت الناس! وأنت تعلمين أنني لست بحاجة لعلاج جنسي .. والهبة من الله وحده

فقالت بحدة خفيفة : ولماذا يتداوى الناس؟! ويذهبون لعيادة الطب يا حضرة الطبيب

ـ سألت كذا طبيب .. وكلهم يقول إنني سليم من ناحية الجهاز التناسلي.

ـ لديك بعض المشاكل في القلب والدم ربما يكون لها تأثير على نطفك ، وإنني يمكنني أن أنجب مرة وثانية وثالثة .. عمر زهيرة قريب من السنة ولم يحصل حمل!

ـ الرضاعة من موانع تأخير الحمل عند بعض النساء

فقالت بضجر : لا أدري لماذا أنت تكره الخلفة؟! كأنك أنت الذي سيحمل الجنين .

قهقهة الدكتور ، وتابعت هناء قائلة : وأنت الذي أخبرتني أن زوجة الدكتور ماهر الطبيبة أنجبت سبعة منذ زواجها قبل عشرين سنة

قال : نعم عندهم سبعة بنين يريدون بنتا ولم تأت البنت

ـ أريد أخا أو أختا لها يا مجدي لا سبعة

تبسم وقال : أنت ما زلت صغيرة تجاوزت الثلاثين بقليل .. فالأمل موجود .. وسأذهب إلى أفهم أخصائي عقم في المدينة ـ الطبيب بارود صاي ـ لتعلمي أنني لست المشكلة .. أتمنى أن تصبح هذه القضية قضية ثانوية يا عزيزتي وأن نسلم الأمر لله .

فقالت : وأنا مسلمة أمري لله.. والأخذ بالأسباب ليس ضد الدين كما أعرف وأسمع كثيرا.

نشأت زهيرة وأصبح عمرها خمس سنوات ، ولم يتحقق الحمل ثانية لهناء ، كانت في ضيق ونكد بسبب ذلك ، كان الألم يعصر قلبها لهفة لحمل آخر ، وكم تضيق نفسها عندما تسمع عن أخت لها أو لزوجها قد ولدت ! وتكاد أن تنفجر عندما تزور أهل زميل أو صديق لزوجها ولدت امرأته ، كانت تذهب مكرهة ؛ وكأنها ذاهبة لعزاء ليس لفرح ، كان ذا مما يثير شجونها ويهيج عواطفها ورغبتها بأن تكون هي التي وضعت المولود ، لديها لهفة وشوق لذلك ، وكلما سمعت المرأة عن طبيب نسائي وأخصائي علاج عقم تذهب إليه مسرعة ، وتضغط على مجدي ليعرض نفسه من جديد عليه ؛ ولكن دون جدوى ، فالكل يؤكد أنه يستطيع الإنجاب لا مشاكل تمنعه من الإخصاب ، لذلك كانت تكثر المنازعات بينهم قبل الذهاب لعيادة هؤلاء الأطباء وبعد العودة من عندهم ، فأخذ الدكتور بسبب هذه المنازعات المتكررة يكثر من المناوبات الليلية في المستشفى العامل في صرحه تخلصا من المضايقات التي تحصل له بسبب هذه القضية ، ثم في الأيام والليالي التي لم يكن لديه عمل يقضيها في الزيارات والسهر مع المعارف والأصدقاء ، ويعود للبيت بعد أنصاف الليل ، كان يرى الهرب من الجلوس والتناقش في أمر معها أمر عقيم

جاء ليلة متأخرا ، وكان قد نسي أخذ مفتاح الشقة عندما خرج ليسهر ، وبعد أن تأكدت من شخصه فتحت له الباب وكلها سخط وغضب ، فلما دخل البيت وأغلق الباب وراءه سمعها تصيح في وجهه لماذا عدت ؟ الفجر سيطلع لم يتكلم بل دفعها بقوة فوقعت على الأرض ، وكانت قد صرخت من الألم فقال صارخا: أصبحت الحياة معك لا تطاق .. جحيم

وزاد صراخها فقال صائحا : أفكر بإرجاعك لأهلك.. منذ تزوجنا وحياتنا نكد وعذاب بسبب الخلفة .. خلف خلف كأن الأمر بيدي .. ورغم عرض نفسي على عدد من أهل الاختصاص ، وعلى سمعك كلهم أكدوا سلامتي من هذه الناحية وعلى قدرتي على الإنجاب وأنت غير مصدقة .

فصاحت وقد جلست على إحدى الكنبات : كلهم كذابون إنهم متواطئون معك ..كلهم يعرفون عجزك عن الإنجاب .. أنت متفق معهم ليزعموا أمامي أنك سليم .

ضحك قليلا وقال بسخط : رائع ! أنا تعبت منك .. كما دخلنا بالمعروف فلنخرج بالمعروف أو تكفين الحديث عن الولادة ، وفلانة صار عندها ثلاثة والثانية عشرة .. علينا أن نرضى بقدر الله . . اختاري المناسب البقاء مع الصمت أو الفراق بالتي هي أحسن

هاجت وقالت بغضب : من الآن اختار لماذا ننتظر الصباح ؟ أبعد هذه الدفعة تريد مني البقاء والاختيار ؟! أنت وحش

ـ وحش وحش

وتركهامتضايقا ومتألما إلى حجرة ينام فيها أثناء غضبه ، ونام على أريكة فيها، ولما تبعته بعد حين يسير حيث ينام لتبلغه باختيارها الحاسم وجدته قد غفي سريعا فقالت بصوت مرتفع : الله اكبر ! نام إن شاء الله أن تكون آخر نومة لك يا مجدي

ولما خرجت من الحجرة وجدت زهيرة تقف عند باب غرفتها فقالت لها وهي تبكي : لماذا تدعين عليه يا أمي ؟! سمعتك .

ـ أنت صاحية يا زهيرة

ـ صحوت على صياحكم وعلى بكائك يا أمي.

ـ نامي تصبحين على خير يا زهيرة

ومشت إلى حجرة نومها لتنام ، ولم تعرف للنوم طعما ، فرجعت إلى حيث ينام مجدي وهزته وقد سيطر عليها الشيطان والهوى ، وهزته ثانية مع النداء فلم يستيقظ ، وأعادت التحريك

مرة ثالثة مجدي مجدي

لم يستيقظ مجدي ، ذعرت ، ثم أسرعت للهاتف المنزلي واتصلت بالمستشفى الذي يشتغل فيه ، فجاءت سيارة الإسعاف، ولما دخل طبيب الإسعاف لبيت المريض وفحصه التفت إليها وقال إنه ميت يا هناء!

كانت زهيرة تسمع فقالت للطبيب صديق والدها: ميت لن يعود للحياة معنا يا أمي!

توقفت هناء عن الصراخ وقالت : أجل يا زهيرة رحل أبوك إلى رحمة الله تعالى

مات الزوج مجدي حسن بعد عشر سنوات زواج .. تركها وترك لها زهيرة .



الوصي

عادت هناء وابنتها إلى البلد على أثر دفن زوجها حيث كان مهاجرا ، وكانت في غاية الحزن والألم ، عندما تتذكر الليلة الأخيرة لزوجها ، وكلما تخطر في مخيلتها تلك الدقائق تنفجر باكية ، ويلازمها الحزن القاتل من جديد ، قد رجعت بصحبة شقيق لها وشقيقين لزوجها عادل حسن ونبيل حسن ، وكلاهما أكبر سنا من زوجها مجدي ، هؤلاء من شارك في جنازة مجدي من أهله وأهلها.

ولما استقر عادل في البلاد فتح بيت عزاء عن شقيقه الميت لمدة أيام ثلاثة بلياليها كما هي عادة القوم في بلادنا ، وكان ذلك في منزله الكائن في حي الجبر القريب من وسط العاصمة والمطل عليها لأن عاصمتنا تتكون من عدد من الجبال ، والرجل قد عمل معلما في مدارس الدولة ، ثم كان مديرا عند أحداث هذه القصة ، وهو يكبر عن مجدي ببضع سنوات.

السيد الطبيب مجدي لم يكن يمتلك بيتا خاصا في وطنه ومسقط رأسه ، كان قبل وفاة والديه كلما يجيء في إجازة للبلد يسكن في منزل الوالد ، ويقضي الإجازة بينهم ، وبعد وفاتهما بيع البيت بحكم الميراث ؛ وذلك بعد نقل ملكيته للأم بعد تنازلهم عنه للأم أثر وفاة الأب.

فكان الطبيب يقضي إجازته بعد موتهما نزيلا في أحد فنادق المدينة إن كانت الإجازة قصيرة الأيام ، وأما إن كانت شهرا فأكثر فكان يستأجر شقة مفروشة.

ومع إمكانياته المادية ظل بغير عقار ، فسكنت هناء وابنتها في بيت والدها الكائن في حي مصعب ؛ وذلك بعد انتهاء أيام العزاء التي أقامها الشقيق الأكبر عادل في منزله الواسع في حي الجبر.

وكان على السيدة حسب الشرع الإسلامي أن تقضي عدة الوفاة البالغة أربعة أشهر وعشرة كما أمر الشرع ونظم في بيت الوالد محمد بكرم ، وكانت كما قلنا في غاية الحزن والندم عندما تستحضر الليلة الأخيرة من حياتها الزوجية ؛ فتشرق بالدموع والبكاء ، ويتألم المشاهد لها ، ويعتقد أنها كانت متعلقة بزوجها تعلقا كبيرا مع معرفتهم بالمنازعات التي شاعت بينهما ،

فيستغربون هذا الحزن الشديد فيسعون للتخفيف من وقع المصيبة عليها.



ثم انشغلت الأسرتان أسرتها وأسرة أشقاء مجدي بترتيب أمر ميراث الطبيب مجدي وترتيب أمر الولاية والوصاية ، وكانوا قد علموا أن السيد مجديا كان قد رغب بتكليف صديقه السيد ماهر طه زميله في الطب بالوصاية على ابنته ، فقد مرض قديما بعد ولادة الفتاة بشهر أو شهرين وطلب من ماهر أن يكون وصيا على ابنته إذا مات؛ ولكنه تعافى يومذاك ، وكان ماهر حينئذ قد طلب من محام زميل لهما بعمل عقد الوصية على الطفلة ، فلما تحققت الوفاة جدد المحامي عقد الوصية في المحكمة الشرعية وقبل القاضي الوصية ، وعين رسميا وشرعيا الدكتور ماهر وصيا على زهيرة مجدي حتى تبلغ السن القانوني لإنهاء الوصية عليها وتملك ثروتها الموروثة ، وعين عمها عادل وليا عليها بحسب القانون الشرعي أو ما يسمى بقانون الأحوال الشخصية التابع للمحاكم الشرعية ، وكانت الحاضنة لها طبعا الأم هناء حتى تتزوج فتنقل الحضانة لأمها إذا كانت على قيد الحياة.

وبعد حين يسير قام المحامي القانوني والشرعي للسيد ماهر طه بما يسمى بحصر الإرث الخاص للطبيب مجدي ، وبالتعاون مع أشقاء الميت تم حصر ثروة الرجل وتقسيمها حسب قانون الميراث الإسلامي ، فدفع للسيدة هناء ثمن التركة وكانت حصة زهيرة نصفها حولت إلى دائرة رعاية أموال الأيتام ، وتحت وصاية السيد ماهر حتى تبلغ الفتاة السن القانوني المالي ، وورث أشقاء مجدي وشقيقاته ما تبقى من التركة للذكر مثل حظ الأنثيين لأنهم عصبة الميت.

قضت هناء عدة الوفاة الشرعية في بيت والديها ، وكانت تفكر باستئجار شقة للحياة فيها مع ابنتها الوحيدة ، ولكن أهلها أقنعوها بالحياة في بيت الوالد محمد وأن البيت يسعهما في الوقت

الحالي ، وما زالت عقدة الليلة الأخيرة من حياتها الزوجية تؤرقها وتزعجها وتحسسها أنها كانت وراء موت زوجها بالسكتة القلبية ، ثم أخذ المشهد يتلاشى رويدا رويدا ، وتبقى الحياة أقوى من كل الأحداث ، ولو كانت محرقة ومحزنة ، فصار المشهد تتذكره بين الحين والآخر ، ثم اختفى تماما وهي تقول هل ستنساه زهيرة عندما تكبر كما أنا قد نسيته ؟ ! هل أدركت ما سببته لأبيها من موت ؟! هل رأت حقيقة تلك الليلة عندما دفعني الرجل غضبا ؟ هل سمعته وهو يلوح بطلاقي ؟ لكني كنت أريد المزيد من الذرية أريد أشقاء لها ؟ ولماذا تتزوج النساء ؟ أمن أجل قضاء الشهوة فقط ؟ من أجل اللذة فقط ؟ لا ، الأطفال أهم من تلك الغاية في هذه الدنيا ، البنون من زينة الحياة الدنيا ، الأطفال هم الحياة ، هم دوافع الحياة الزوجية من حقي الأولاد ؛ وكان يقول إن ذلك من حق الزوج فقط .. هل هذا صحيح ؟! .. الزوج هو صاحب الحق في الخلفة والمواليد .. وكم يجب أن يولد له !.. أمعقول هذا الفكر ؟! وبعد تفكير همست : هو لم يكن ضد الولادات لكنه غير مكترث بالعلاجات والأدوية والمقويات .. ها هو قد رحل يا هناء وترك لك زهيرة وحيدة لا أخ لها ولا أخت .. هل أعود للعمل والدوام ؟ وزهيرة طفلة وأمي عجوز .. أصبحت أرملة يا هناء .. إنما الأعمار بيد الله تعالى.



لقد أصبح الدكتور ماهر وصيا على زهيرة على حسب رغبة والدها الذي سعى لذلك قديما ، وأصبح عمها عادل وليا عليها بحكم الشرع ، فلما قضت هناء أشهر الحداد الشرعية تفاجأت بعد حين قليل أن والدها الشيخ يحدثها عن رغبة شقيق زوجها الراحل الأستاذ عادل بالزواج منها ، وقد طلب يدها من أبيها ، ودافعه لهذه الرغبة هو أن تحيا ابنة شقيقه مع أبنائه حتى لا تشعر باليتم ، وتتربى مع أسرته ، دهشت جدا هناء لهذا الطلب ، وبعد نظر قصير اعتذرت

لأبيها عن هذا الزواج ، وبدوره قدم السيد محمد اعتذاره للرجل، وأن ابنته اليوم لا تفكر بالزواج ، ويترك الأمر للزمن ، والسيد عادل وغيره كانوا يعلمون علما واضحا بالمشاكل الزوجية التي كانت ناشبة بينهم بسبب الحمل والولادات وتأخر الحمل بزهيرة ، ولولا الضغط المتتابع من أبيها وأمها لما صبرت خمس سنين حتى تحمل ، وليس عادل بجاهل أن شقيقه كان يتحدث عنها بعض الأيام ببغض وقهر ، والسيد عادل له عدد من المواليد ستة أولاد بعضهم دخل الجامعة ، وبعضهم ترك المدارس والتحق بسوق العمل والمهن ، وقد تجاوز الخمسين سنة من العمر ، فهناء لديها رغبة بتجديد حياتها الزوجية أملا بمزيد من الولادات ، فهي لم تكن زاهدة بالزواج ، ولكنها لم تره الرجل المناسب ، وكانت ترى أن تصبر سنة على الأقل قبل أن توافق على زواج جديد.

والغريب أن الرجل لم ييأس من رفضها ، فقال لوالدها لنصبر قليلا يا أبا فوزي لعلها توافق فلذلك بعد حين حاول عن طريق شقيقته بسمة التي طلبتها لأخيها من قبل زاعما أن ابنة أخيه يجب أن تعيش في أسرتها وبين أعمامها وعماتها ، وجاء الاعتذار هذه المرة مصحوبا بكلام شديد ورجاء حاد بالابتعاد عن طريقها وحياتها ؛ لذلك كان رد فعل الرجل على البهدلة الأدبية أن خطب امرأة أخرى ، وقد تزوج من امرأة قريبة لهناء ، والذي سعى له في ذلك والد هناء مما أسخطها على أبيها وعم ابنتها ، فلما سألت أباها عن سبب فعله ذلك قال من أجلك فعلت ذلك ، ليكف عن التطلع إليك .. والرجل راغب بالزواج ، فامرأته كما يقول مريضة ولا تصلح للمعاشرة الزوجية..

فذهبت هناء تتخيل أيام زواجها الأولى وسعادتها بالزواج من مجدي الطبيب المغترب الذي أغدق عليها المال والهدايا والأحلام التي تناجيا حولها ، وكيف قبلت الزواج من رجل يكبرها بخمس عشرة سنة ؟ .. آه ! لقد أغرتها الشهادة والغربة والمال .. وكان العمر يمضي والخطاب يقلون خاصة المتعلمين منهم ، والرجل عندما رغب بها لم يكن متزوجا من قبل .. وكان أهلها يحبون لها الزواج قبل دخولها في حال العنوسة وضعف الفرص .. رغم أن العنوسة في زمان

زواجها لم تكن تشكل مشكلة اجتماعية .. كان الأهل يرون أن الفتاة إذا تجاوزت العشرين من سني العمر قد لا تتزوج البتة.. لماذا ؟! لا تسمع جوابا وتعليلا لذلك .. لأن الكثير من الفتيات لا يكملن التعليم الجامعي بل يسرعن إلى الزواج والأمومة ، وهما خير وأفضل من متابعة المعاهد والجامعات .. تذكرت كل ذلك عندما علمت أن الرجل تزوج إحدى قريباتها العوانس .. ثم ذهب الفكر بها إلى المشاكل الحادة والخفيفة بينها وبين زوجها الميت حول الخلفة والولادة.. وأخذت تقارن بينه وبين شقيقه عادل الذي أنجب ستة مواليد وها هو يتزوج للمزيد من الأولاد ، ثم ختمت قائلة لماذا لم أتزوجه؟! إنه شقيق مجدي ـ وهذه عادة كما سمعت ـ يقولون أن يعرض أحد الإخوة الزواج على أرملة أخيه إذا كان عندها أطفال .. عادة ! ..أي عادة هذه ! أليس في هذه عيب ؟! .. الزواج حلال وهذا شائع بين الناس والأصهار .. لماذا رفضت ؟ هل تزعمين أنك تحبين مجديا لتبق بدون زواج ؟ ألم يكن الرجل في لحظاته الأخيرة قد قرر الانفصال والطلاق ؟ وأنا لم أرفض وأعترض كنت أميل لذلك .. ربما هذا دفعني لرفضه .. كان شقيقه يريد الابتعاد عني .. أكنت سببا في موت زوجي ؟! هل يستدعي الحمل كل تلك الصراخات والاحتجاجات ؟ عندما حصل الزواج كان ابن أربعين.. ويقولون الرجل يستطيع الإنجاب ولو كان ابن مائة .. النساء عندهن سن معين ثم ينقطع الحمل والحبل لديهن.. بنات اليوم يقللن من المواليد ليس كأمهاتنا هل لدراستهن في الجامعة تأثير ؟ ها هي أختي جميلة اكتفت بولدين كالأجانب لماذا لم أكن مثلها ؟ وأرضى بنصيبي ولكنني أحب الحمل .. ها هي أمي ولدت عشرة .. ألسنا عشرة أخوة وأخوات ؟! وعلمت أنها فقدت اثنين صغارا.. مسكينة زهيرة ستعيش بدون أخوة وأخوات .. وحيدة .. لماذا لم تقبلي شقيق مجدي ؟ فهو لديه ذرية كثيرة .. خجلت من الزواج منه قد يكون هذا هو السبب الحقيقي ..ولماذا هو لم يخجل من الاقتران بي ؟!

الغضب

كانت زهيرة تكبر وكانت هموم أمها تكبر ، فهي ترملت عن خمس وثلاثين سنة وما زال أمامها فرصة للزواج والإنجاب ، ولقد كانت والدتها تكثر عليها بهذا الحديث منذ قضت عدة الوفاة حسب الشريعة الإسلامية ، فقد طلبها بعض أقاربها بعدما شاع بينهم رفضها لشقيق زوجها ، وكل من تحدث عنها كان يريدها زوجة ثانية أو ثالثة ، فكل الذين يكبرونها متزوجين ، فالشباب الصغير يتزوج فتيات صغيرات ، فمن النادر أن يتزوج شاب صغير فتاة أكبر منه سنا ، كانت تأمل أن تتزوج رجلا مطلقا أو أرملا وأن تكون امرأة وحيده بدون ضرة فكانت ترى أن الحياة ستكون شاقة مع زوجة ثانية ولها أولاد.

دخلت زهيرة المدرسة والأم تقبع في بيت والدها ، وبين الفينة والأخرى تسمع وترى سعي عادل حسن ورغبته بأخذ ابنة أخيه للحياة مع أولاده ، ورغبته الشديدة بضم الفتاة لأسرته ؛ بل رحب بحياة الأم معهم في بيته الواسع في حي الجبر ، والأم ترفض بشدة وبكل قوة هذا العرض ، وتصر على بقاء البنت معها، وتشيع بأنها لو تزوجت ستصحبها معها ، وأن حق الحضانة لها قانونا وشرعا ، وحتى لو رفض زوجها ـ إذا تزوجت ـ ستبقى البنت عند جدتها أم هناء فهي ما زالت على قيد الحياة وكذلك بعض خالتها.

والدكتور ماهر الوصي ما زال مهتما برعايتها ماديا ومعنويا، وقد تابعها دراسيا منذ فترة ما قبل المدرسة ، ويهتم بشأن الأم ماليا وطبيا وفاء لصديقه ، وكانت زوجته الدكتورة فاطمة حمدي تقوم بزيارتهم والاطمئنان عليهم مباشرة بدون الهاتف.

ذات ليلة كانت مناسبة اجتماعية تجري في بيت السيد محمد فوزي ، وكان يسكن العمارة مع الوالد بعض من أبنائه ، وبعضهم الآخر يسكن في أماكن أخرى ، ومن عادة الأسر أن تلتقي وتتجمع في المناسبات والأزمات ، فأقبل الآباء بأبنائهم وبناتهم ونساءهم، وتجمعوا في بيت الوالدين حيث الطابق الأرضي للعمارة ، فانشغل الكبار بشرب القهوة والشاي والمرطبات بعد أن تناول الجميع ما قدم لهم من طعام ، وأخذوا بالسمر كعادة البشر في مثل هذه اللقاءات

وانشغل الأطفال باللعب والتنقل بين الأدوار ، ويرتفع صياحهم حينا ويخفت حينا آخر ، فهم أبناء عم وعمات وخالات ، فكان الصغار يركضون صعودا وهبوطا إلى الطوابق العليا ، فالعمارة تتكون من ثلاثة أدوار ، ولها درج طويل يصل بين الأدوار كما هو معلوم ـ وهو درج داخلي بالطبع ـ فكان الدرج وسيلة الصعود والنزول ومسرح اللعب ، وبينما هؤلاء الاطافيل يلهون ويتدافعون ويمرحون دفع أحدهم زهيرة بقوة فتدحرجت عن الدرج ، فوقعت ولم تتمالك نفسها ، فسقطت في الفاصل بين الدرجات حيث الالتفاف لطابق آخر، وأخذت بالصياح من الألم والوقعة ، وشاركها الأطفال ذلك ، ففزع الكبار وأدركوا أن حدثا قد حدث فوجدوا زهيرة أسفل السلم تصيح وتصرخ ، وهذا يقول وقعت وحدها ، وذاك يقول دفعها فلان أو فلانة ، فهرعت الأم فوجدت ابنتها ملقاة على الأرض ويدها تحت ظهرها ، فقال أحدهم : إن رجلها مكسورة فدعيها حتى تصل سيارة الإسعاف .

وذهب إلى حيث الهاتف وطلب سيارة الإسعاف الطبي ، وكانت هناء من غضبها تصيح في ابنتها وتدعوها لكف صراخها وتدعوها للصمت ، وأخذ بعضهم يحقق في الحادث ويبحث عن الجاني الصغير ، وكانت بعض الفتيات يبكين ويشاركن زهيرة البكاء ، ثم وصلت سيارة الإسعاف وتم نقل زهيرة إليها وذكر لهم المسعف اسم المستشفى الذي سيذهبون إليه ، فطلبت هناء منهم نقلها لمستشفى خاص ذكرت اسمه لهم ، وأنها ستتصل بالطبيب ماهر وقام أحد أشقاء هناء بالاتصال بالسيد عادل.

فقال ماهر لهناء : سأكون عند المستشفى ـ إن شاء الله ـ شكرا.

وبينما هم ينتظرون الانتهاء من تجبير يدها المكسورة وقدمها أقبل عمها عادل ومعه ابنه الكبير وأحد إخوته أيضا، وكان غاضبا من أمها وصاح في وجهها قائلا هذا إهمال يا هناء .. أين أنت عن مراقبتها ؟ هذه ابنة أخي الوحيدة .. لا يجب أن تبقى عندك .. نحن أولى بالمحافظة عليها ورعايتها .

وقبل أن يرد عليه أحد ممن سمع لهجته الحادة والساخطة صاحت في وجهه إنها ابنتي يا سيد

عادل قبل أن تكون ابنة أخيك.. فأنا أقرب إليها منك يا حضرة المدير وأنا لست مهملة في رعايتها .. أولاد ويحبون اللعب والركض .. وأنا حياتها وأمرها يهمني أكثر منك.. والزم حدودك

ـ لم لم تتصلي بي لتخبرينا بالحادث ؟.. الناس تتحدث معنا .. الحق ابنة أخيك وقعت عن الدرج.

ضحكت بضيق وسخرية وقالت : يا سيدي نحن الذين اتصلنا بكم.. أخي هو الذي اتصل ببيتك ولم يرد عليه أحد ثم اتصل بشقيقك منذر

فقال وقد خفت صوته : حتى الدكتور لم يتحدث معنا وها هو على رأس القوم !

فقالت : وليس من الضروري الاتصال بك يا حضرة العم .. هل سأنتظر حتى تأتي يا سيد عادل.. وننقلها للمستشفى ؟.. ونحن اخبرنا الدكتور ماهرا لأننا طلبنا من سيارة الإسعاف نقلها لمستشفى خاص.. فهو الذي سيدفع وليس العم الذي سيدفع .

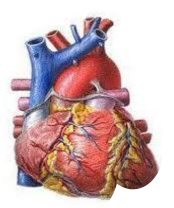
ـ ولماذا لا أدفع ألست عمها ؟!.. المال معنا والحمد لله .. وهل سيدفع حضرة الطبيب من جيبه الخاص ؟ إنها هي أموال أخي يا حضرة الأم

واحتد النقاش بينهم والمعايرة ، وحاول البعض التدخل ؛ ولكن هناء أشارت إليهم بالصمت حتى اضطرت هناء في النهاية إلى طرده وشتمه ، فاستشاط غضبا ونارا وحقدا وقال : يا بنت الأنذال يا حقيرة . وكان يرفع يده بين الحين والآخر لصفعها ثم ينزل يده متمتما بكلمات غير واضحة .

فقال أحد السامعين : يا رجل أعقل.. أنت مدير مدرسة مربي أطفال وشباب.. ولن تكون محروقا عليها مثل أمها .

ولكن الحمق والغضب وشيئا في النفس زاد من اشتعاله وهيجانه فزاد شتمه وتجريحه حتى تدخل رجل أمن ، وأخذه إلى مكان أخر، وأخذ بتهدئته ويعتذر له عن أم الفتاة ، ولما حاول الطبيب ماهر الوعظ والنصح صاح فيه متهما إياه بالطمع في أموال ابنة أخيه والطمع بالزواج

من أمها ، مما فاجأ السامعون بهذا الاتهام الصارخ ، وكانت هناء تبكي ، وأخذ بعض الأخوة والأخوات المرافقين يهدئن من روحها ويتعجبن من وقاحة هذا الرجل .. ولعلهم أدركوا أن سبب كل هذه الكلام هو رفض هناء الاقتران به بعد ترملها.



عند غروب الليل التالي زار ماهر وزوجته بيت السيد محمد حيث تعيش هناء وابنتها فبعدما اطمأنوا على الطفلة المكسورة انتقلوا لصالة البيت حيث كرر الوالد وأهله الترحيب مجددا بالضيوف ، وبينت أم هناء أن البنت صغيرة وسيجبر عظمها سريعا، قال ماهر لهناء بعد طمأنة الأم لهم على كسر ابنتها : لماذا فعل الرجل كل تلك المهاترات والملاسنات في المستشفى لماذا ؟!

انتبه الجميع لسؤال الطبيب ، وكلهم سمع عن مشاجرة هناء وعادل في المستشفى أثناء معالجة زهيرة ، فردت هناء وقد عاد إليها الذهول ، وكانت تحدق في وجه أبيها : أتريد أن تعرف يا حضرة الدكتور ؟ لماذا افتعل تلك المشاجرة أو الملاسنة ؟ لماذا كل هذا الحقد من رجل يعمل مدرسا ؟

همس ماهر : نعم أود معرفة ذلك !

قالت بحدة : لأنني رفضت الزواج منه بعد موت أخيه ، أرأيت يا سيدي وقاحته ؟ يزعم أنه مشفق على يتم ابنة أخيه من اليتم ، وأنه أحق الناس بالزواج مني من أين جاء بهذا القانون ؟ لست أدري يا حضرة الدكتور.. فإذا رغبت بالزواج ثانية فهو الأولى بي من أين جاء بهذه الأولية؟!

ضحك ماهر وقرينته وتابعت هناء كلامها الغاضب : تصوروا لما رفضته سعى للزواج من قريبة لنا ظن أنه بذلك يغيظني أو ينتقم مني.. فاعتقدت أنه مجنون .. وزعم للناس أنه فعل

ذلك ليبقى قريبا منا ومن عائلتنا.. وقبل الحادث لزهيرة عاود الكرة .

وعاد الدكتور للضحك والابتسام فقال والد هناء : يا دكتور ماهر هذه عادات قديمة .. كان إذا مات رجل عن أيتام يقوم أحد الأخوة بضمها لحريمه.. أظن أن هذه العادات سارية في الأرياف والقرى بزعم بقاء أموال الميت وميراثه في عائلته .. ويبدو أن الأستاذ عادل حسن مازال متشربا هذه العادات القروية .. فهناء مستهجنة من ذلك..

فقالت هناء وهي تترك كوب الشاي : هل لم يبق رجال في الدنيا إلا هو حتى أقبل به وأرمي نفسي عليه ؟!

قال ماهر بروية :كلام والدك صحيح يا أم زهيرة .. بعض عادات القرية ترحل إلى المدينة وتحتاج لزمن حتى تختفي .. فكنا نسمع أنه إذا تقدم شاب لفتاة ليس من أقاربها يذهب الأب ويعرض ابنته على أبناء إخوته وأقاربه .. فإذا سكتوا زوجت للغريب .. وكما يقال ابنة العم لابن العم .. وهناك أمثال شائعة بين الناس في ذلك (ابن العم بنزل بنت العم عن الفرس) ولكن المدينة مع الوقت تصهر هذه العادات والتقاليد

وقال محمد فوزي : وذا مثل يقول (البنت مثل مدقة الباب مين ما كان بدقها) وابتسم وقال ضاحكا وشارحا : يضرب هذا المثل في ضعف البنت أمام الأهل والأخوة والأعمام .

فقالت هناء عندما صمت الدكتور والأب : هذه الحكاية يا سيدي .. ونحن تحدثنا معه مخبرين عن الحادث منذ البداية ؛ ولكنه لم يكن في البيت ، ولما أخبر وصل متأخرا كما رأيت ، فأراد أن يزعم أمام الناس أنه حريص ومهتم بابنة أخيه أكثر منا ، ومبررا تأخره بالهجوم علينا

وقالت أم هناء : ويزعم أنه خائف على أموال زهيرة من أمها .. هذه هي القصة

فقالت الطبيبة : هذا هو مربط الفرس !

فقال ماهر : ستبقى الأموال تحت الوصاية حتى تبلغ زهيرة سن الرشد المالي ثماني عشرة سنة ، وهي كاملة الأهلية فحينئذ تنقل إليها الأموال ؛ كأنني سمعت المحامي يحدثني بذلك .. لا إلى عادل ولا لي ولا لأمها .. هو رجل مثقف .. واليوم في محاكم وأنظمة وصناديق حفظ أموال

الأيتام والقُصر .. وهناك أختام ووثائق وقد تحسنت الأحوال اليوم.. فكل شيء منظم ومدون حتى ولو صار بين عادل وهناء زواج سيبقى المال باسم البنت حتى تكبر وتملكه ملكا كاملا .

قالت أم هناء : هو يعلم ذلك يا دكتور .. ولكن بزواجه منها يظن أنها ستسحب أموال زهيرة من تحت الوصاية ليعمل مشروعا أو إنشاء مصنع هكذا نقلت لنا قريبتنا التي تزوجته .. هذا هو الكلام الفارغ .. يريد أن يعمل مشاريع بأموال اليتيمة .

فعلق ماهر باسما أو ساخرا : آ .. يريد أن يعمل مشاريع في أموال زهيرة .. حسب علمي فقد ورث حصة من تركة أخيه .. وهو مبلغ جيد لمشروع صغير .. فلماذا لم يتشارك مع إخوته وأخواته ؟!

رد والد هناء على سؤال الدكتور فقال : رفضوا يا سيدي ، فرغب في أموال هناء وابنتها .

قال الطبيب : مال القاصر لا يستثمر بشكل فوضوي ، فهو يخضع تحت حكم محكمة شرعية حتى يكبر القاصر ويستلمه وإلا لو استثمر ربما كبر اليتيم ولم يجد منه شيئا ، فهو يستثمر في حدود معينة حسب علمي .

فعاد محمد يقول : هذا لب المشكلة بيننا وبين السيد عادل .. يظن أننا نستثمر مال زهيرة ونصرفه على بيوتنا .. وسوسة .

قالت زوجته : طمع .. وأراد استغلال الحادث ليتهمنا بالتقصير وعدم الحنان والرعاية لابنة شقيقه .. يظن أنه أحن عليها من أمها ، فجعلنا أمام الناس مقصرين في حق اليتيمة .. يريد أن نحرمها من اللعب والركض مع أقاربها

قالت الطبيبة : تفكير غبي .. وهل إذا كانت في بيته لا تلعب مع أبنائه وأحفاده ؟!

قال والد هناء : أخته بسمة أحسن منه .. لامته وصفت معنا ضده .. حتى أن بعض أخوته سمعت أنهم لاموه على فعلته السوداء في المستشفى .. وأخته أم محمد دائما تتصل بنا قبل الحادث وتسأل عن البنت وأمها ، بل زارتنا عدة مرات وتجلب الهدايا لابنة أخيها من ألعاب وحلوى وفاكهة .

استأذن الدكتور بالانصراف لما طلبت الدكتورة فاطمة الحديث مع هناء على انفراد ، فودعه الرجل أبو فوزي حتى الباب المطل على الرصيف والشارع ، وانتقلت زوجة ماهر وهناء إلى حجرة خاصة ، فلما أغلقت هناء الباب قالت هناء باسمة ومرتبكة : ما الأمر يا أم جواد ؟

رسمت فاطمة ابتسامة صغيرة وخاطفة على وجهها وقالت : خير إن شاء الله يا سيدتي .. الموضوع باختصار ومباشرة .. زواج .

أدركت هناء ذلك منذ طلبت الخلوة بها، فليس بينهن مواضيع خاصة ، وإن ظنت للوهلة الأولى أن الدكتور يريد أن يدفع لهم مالا كهبة بسبب الحادث ؛ ولكنها أدركت سريعا أن ذلك لا يحتاج لخلوة خاصة .. فلو أراد تقديم مال لزهيرة فهو يعلم أن الكل سيعرف بذلك ، لذلك قالت محاولة الدهشة : زواج ممن ؟!

من شقيق ماهر الدكتور مروان طه .. لقد رأيته.. فقد كان يرافق ماهرا كلما نزلتم البلاد للسلام على مجدي رحمه الله .. فهم رفاق الجامعة

وهم ماهر ومجدي كانوا يسبقونه بعامين .. وأنت تعرفين زوجته مرام أجل .. ولماذا يسعى للزواج ؟!

الأخت مرام حسين ـ شفاها الله ـ مريضة منذ سنوات .. فبعد ولادتها لابنها الثالث وهي تعاني، ووضعها الصحي صعب .. ومروان لديه رغبة بالزواج ثانية وهي سمحت له بذلك ؛ لأنها عاجزة عن القيام بحق الزوج الشرعي .. فتحدث ماهر عنك لمروان فقال مروان لشقيقه إذا قبلتني فأنا موافق .. وهي في سن مناسبة لي .. وبيننا بعض المعرفة .. وابنتها ستكون معززة مكرمة .. وهي ابنة صديقنا مجدي ـ رحمه الله تعالى ـ وستكون في عيوننا .. فطلب مني ماهر الحديث معك في ذلك .. وهذا الأمر بيننا قبل حادثة المستشفى .. فكري جيدا في الموضوع وشاوري العم محمد وأم فوزي .. ليتكلم ماهر وشقيقه الأكبر محمود مع حضرة الوالد والأسرة الكريمة .. وأنت ما زلت شابة تصلحين للزواج لم تبلغي الأربعين بعد

تبسمت هناء وقالت : قريب منها .. أنا التقيت بالدكتور مروان فعلا وهو شخص محترم ..

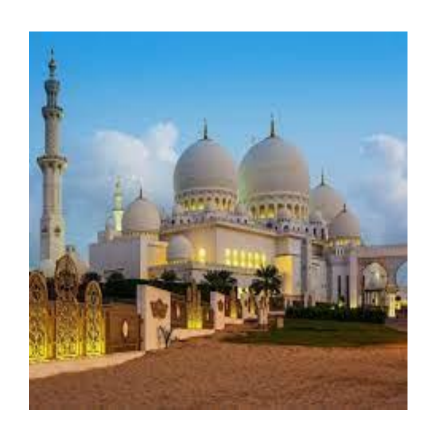
كلكم ناس طيبون .. وكان مجدي دائم الثناء عليكم.. وأنا لست ضد الزواج ثانية ؛ لأن هذه طبيعية الحياة .. وأنا أعرف أن فرصة الزواج من رجل متزوج فرصة جيدة .. والناس لا تستغني عن الزواج إلا إذا كان للشخص مهمة وغاية كبرى .. وزهيرة تكبر ولن تمانع في زواجي ثانية .. سأفكر جيدا

لا تخافي على البنت .. فالبنت في قلوبنا وعقولنا.. والأخ مروان شخص هادئ بطبعه .. والزواج فطرة

أشكرك ، ولا أنسى وقوفكم معي في هذه المحنة .. ونحن أهل وأصدقاء منذ اقترنت بوالد زهيرة

نهضت فاطمة حمدي مصافحة شاكرة قائلة تشاوري مع الأهل .. وأنا قريبا سأتصل بك من أجل ذلك.. وإذا صار نصيب سنقترب منكم أكثر ، ونصبح عائلة واحدة بفضل الله وحده .. فالمصاهرات تقرب الناس لبعض

تعانقت المرأتان وغادرت فاطمة .. وهمست هناء قائلة : سأتزوج طبيبا مرة أخرى! .. لم تقل لي ما هو مرض مرام حسين ؟!



الحمل من جديد

لما تعافت الفتاة الصغيرة من سقمها، وتمت إزالة الجبس الطبي عن ذراعها المكسورة وقدمها أعلن عن خطبة أمها على السيد مروان طه ، ولما وصل الخبر للسيد عادل حسن استشاط غضبا وحقدا من أرملة أخيه ، وكان يرى أنه أولى الناس بالعقد عليها ، فطار صوابه ، وسعى لنقل الوصاية عن ابنة أخيه لنفسه ؛ ولكنه لم يجد محاميا يقبل دعواه والسعي فيها ؛ لأن الوصي كامل الأهلية والعقل ؛ وأم الفتاة في صفه.

فأخذ يثير الإشاعات حول زواج أم زهيرة ، ورغم ذلك حدث الزواج وانتقلت هناء محمد إلى بيت الدكتور مروان ، واستقلت في جناح خاص بها في نفس البيت ، وكانت هناء قد التقت بمرام زوجة مروان ، وعلمت منها أنها موافقة على زواج الرجل عليها، ولا تمانع في اقترانهما ، وأنها رضيت بنصيبها وقدرها.

وبعد حين يسير عادت دوامة الحمل والوقت والكبر بين هناء ومروان ، والأخير له ثلاثة أبناء من قرينته الأولى ، ولما مضت السنة الأولى على زواجها جن جنونها في تأخر الحمل رغم مراجعتها عدة أخصائيين ، كانت متلهفة للحمل والولادة فأصابها الغم والنكد ، وبين لها مروان أن الحمل ليس عنده مشكلة ، ولترضى بنصيبها ، وأعلمها أنه قام ببعض الفحوص ، وليس لديه عائق ، ولتتوكل على الله وحده ، وعرضها مروان على أحد كبار أخصائيي النساء والعقم في المدينة ، وأكد لها أطباء العيادة أن صحتها الإنجابية جيدة ، وكذلك زوجها ، وأن هناك أملا كبيرا بالحمل ، وعليها أن تتخلص من التوتر والتعب النفسي ، والانتظار حتى يقدر الرحمن لها الحمل ، وإذا لم يحصل الحمل خلال فترة معينة قد تحتاج لحمل بمساعدة بعض الأدوية التي تنشط عملية الاخصاب .

كانت زهيرة تقترب من العاشرة ، وكانت تشعر بأن في البيت مشكلة بل مشكلة كبيرة ؛ ولكنها لم تعرف تحديدها ، ولما حاولت فهم سبب مراجعة الأطباء نصحتها أمها بعدم التدخل في مثل هكذا مواضيع ، وبعد فشل الحمل بأدوية معالجة العقم بعد ثلاث سنوات

زواج كبرت المشاكل ، وأخذت صور المشاكل التي كانت بينها وبين مجدي تتكرر ، وأخذ الدكتور مروان يهجرها بالأيام تخلصا من شكواها ورغبتها القاهرة بالحمل والبحث عن أطباء لهم دعاية وشهرة ، حتى تفاجأ أنها لاذت بالمشعوذين والحجابين ، فعاتبها عتابا حادا وساخطا على الجهل واللجوء إلى أمثال هؤلاء المعتوهين ، ورغم دفاعها عنهم ، وقد ذكرت قصصا نجحوا فيها كما سمعت طبعا.. قال هذا كلام فارغ ، الحمل والولادة بأمر الله ، ليس بأمر هؤلاء الكهان والدجالين .. إنهم مرضى يحتاجون لعيادات يتعالجون فيها ، لو ظل الطب على أيدي هؤلاء لظللنا في القرن المائة قبل الميلاد .. الطب علم وهو علم تجريبي أيضا ، قد يصلح دواء اليوم للناس لا يصلح غدا .. وليست مراجعة الأطباء كمراجعة أولئك .. عليك أن تفهمي ذلك .. وحتى الأطباء الذين ذهبنا إليهم ليسوا هم الذين يصنعون الأولاد.. هو أمر وخلق الله .. أرجو أن تفهمي ذلك .. وأنا إذا اكتشفت أي لعب أو تحايل أو سحر في البيت فالفراق بيننا أفضل وأحسن

فقالت بضيق : وبماذا تختلف يا دكتور زيارة الشيخ عن زيارة الطبيب والمختبر ؟!

ضحك ضحكة مغتصبة وقال : هناك فرق بل فروق يا بنت الناس .. هناك أدوية واختبارات وتحاليل وصور أشعة وفهم أسباب وموانع الحمل .. فالحجاب كيف يعرف عوائق الحمل وهو لا يعرف يقرأ اسمه أو يكتب كلمة صحيحة؟! الطب علم ومعرفة وتاريخ أجيال.. والحجابة جهل واستهبال واستغفال .

قالت كأنها هازئة: والطب يقول لا شيء يعيق حملنا ومع ذلك لم يحصل حمل !

قال : وهل الحجّاب سيمكننا من الحمل والإنجاب .. أنا لدي أبناء، وأنت خلفت زهيرة .. فلنترك شأننا لله.. فالذي يختاره ويقدره هو الخير لنا .. علينا أن نقبل بقدرنا .

فقالت : دعنا نجرب

فصاح متذمرا ألم تجربي قبل أن اكتشف هذا الجنون ؟ لك شهور تجربين.. عليك أن تتوبي من التردد على هؤلاء السحرة .. وعليك أن تراعي سمعتي .. دعي الأمر لله ؛ فإذا كان لنا نصيب

بالإنجاب سوف يحدث.. وهذه زهيرة عندك مثل الغزال والقمر .. والأولاد يحترمونك ويقدرون أنك زوجة لأبيهم ويحبونك

هزت رأسها وقالت : يحبونني ! أنا طمعت بالزواج من أجل الأولاد والذرية ليس فقط من أجل الأكل والشرب والنوم والجماع .

ـ هذا الحمل بإرادة الله يا سيدتي .. وأنا فعلت ما عليّ من تأكيد صحتي الإنجابية وبانت لك رغبتي بمزيد من الأطفال .. ولم أتزوجك من أجل الجنس فقط .. وقبلت محاولة الحمل بالأدوية من أجلك ، ومن أجل دوام حياتنا الزوجية ، وتحقيق رغبتك بالأمومة من جديد ، ولازدياد الترابط بيننا .. فالأولاد كبروا ودخلوا الجامعات ومع ذلك رضخت لطلباتك وقلت تستحقين المساعدة والقبول برغبتك للمواليد.. وإذا ترين أن الطلاق حل لحياتنا الزوجية أنا لا مانع لدي الطلاق !

ـ نعم ، أنا تزوجت لارتاح في البيت ، وأرتاح نفسيا.. فنحن في عملنا نتعرض لإغراءات كثيرة .. نتعامل مع نساء شتى .. فالعفة شعار وحياة.. يا سيدتي أرجو أن تفكري جيدا بحياتنا الخاصة .

فصاحت فجأة أريد أن اخلف ولدا منك يا مروان ثم خفت صوتها قائلة حتى يمتد بيتنا، ويمتد بيننا الوصل والحياة الهادئة

ـ لا اله إلا الله.. توكلي على الله، وأكثري من الاستغفار والدعاء لعل وعسى



لقد رفض الدكتور مروان لجوء زوجته هناء للمشعوذين والحجابين لمساعدتها في الحمل ، ولما جاءها بعد أيام استقبلته بالصياح والصراخ والصوت المرتفع والندم على زواجها منه ، فلما حاول معرفة سبب هذه الهياج والثورة والغضب والحسرة قالت : امرأتك تتهمنني بتسميمك

وإطعامك أشياء مضرة

قبض يدها وحدق في عينيها وقال : أو لم تفعلي ذلك؟! إنها تريد أن تنبهك أن أفعالك مكشوفة يا هناء

فقالت باستسلام للحقيقة : ومن أخبرك بأني فعلت ذلك ؟!

ـ المرأة التي تتعاملين معها ، هي التي كشفت وصفاتها لي ظانّة أنني لا أعرفك .. أنا حذرتك من أيام يا بنت الكرام ، جعلت البيت جحيما بالنسبة لي .. لابد أن صديقنا مجديا عانى مما أنا فيه اليوم

فزاد هيجانها وصراخها واحتجاجها، وأخذت تدافع عن نفسها، وأنها لم تفعل شيئا لمجدي ليموت ، بل هو الذي كان يضربها ويسقطها أرضا...

فقاطعها وقال :لا يهمني ذلك .. إنك متعبة يا هناء .. وأنا تزوجتك لعلة تعرفينها في زوجتي أم جهاد ، ولم يقدر لك الحمل مني لحتى الآن.. ولقد لجأنا بعد الله للطب وأهل الاختصاص دون فائدة.. وأما اللجوء لهؤلاء الدجالين فهذا في نظري جريمة .. وقد حذرتك من العودة لهؤلاء الناس؛ ولكنك رميت بتحذيري عرض الحائط .. واليوم جئت محاولا تهدئة الوضع والسلام ؛ ولكني أرى كل الشر هنا ..فالأفضل أن نفترق بالمعروف كما دخلنا بالمعروف .. وسأترك لماهر ترتيب أمر الانفصال ؛ لعلك تجدين الزوج الذي تحملين منه ما دامت هذه رغبتك الجامحة .

غيرت هناء من لهجتها وقالت بحزن : مناي أن أحمل منك يا مروان ..لا أدري لماذا حظي هكذا ؟!

ـ الولادة والذرية قسمة ونصيب .. ربما ليس النصيب عندي.. ظننتك الأنثى الصالحة .. ولكن مضت هذه السنوات بصعوبة وتعب وشقاء

قالت بحسرة : لا أستطيع التخلي عن فكرة الحمل .. حسنا افعل ما تراه مناسبا .. فإذا كان الطلاق هو الحل فلن أترجاك ، ولن أتوسل إليك للبقاء على ذمتك ، وكما قلت لعل فرصة

ثالثة تحقق لي رغبتي وحاجتي .. وهذا في علم الغيب .. وأنا لم أحاول تسميمك يا مروان .. إنما هي وصفات وأعشاب يبيعها هؤلاء العشابون ، يزعمون أنها تيسر الحمل .. كالأدوية التي يصرفها الأطباء .. وأنا تمزق قلبي لما مرضت بسبب تعاطيها وأكلها ، واعتقدت أنها سامة فعلا .. ولكن الحمد لله على سلامتك .. وأنا لن أنسى أن زهيرة أحبتك، وتعلقت بك ، فهي حسبتك والدها الحقيقي من حسن تعاملك معها ، فهي ـ كما تعلم ـ لم تدرك والدها جيدا .. وأم أولادك أساءت لي صباح اليوم ، وظنتني طفلة صغيرة وليس لي كرامة وكيان حر.. واتهمتني بالسعي لقتلك وتدمير بيت العائلة .. افعل المناسب يا سيد مروان لم يعد لي مكان في هذا البيت .. الصبر جميل

فقال بصوت حزين وعطف فيه مشهود : أنا مستعد لفتح صفحة جديدة معك حتى لا تظني أن أم جهاد أمرتني بتطليقك قبل القضاء عليّ .. وذلك إذا عاهدتيني على الصبر والرضا بالمقسوم .. فأنا مستعد لأنسى الطلاق .. أنا بحاجة لامرأة لطيفة فاضلة .. وإذا كنت تشعرين بالفراغ فمجال العمل مفتوح أمامك .. فربما الشغل والوظيفة يعوضانك عن المزيد من الأطفال.

وبعد أخذ ورد تعهدت هناء بالرضا بنصيبها وحظها ، ووعدت بالتفكير بالعودة للعمل من جديد .



هناء منذ تزوجت أول مرة لم تعد تفكر بالعمل والشغل ، ولم يطلب منها مجدي ذلك ، ومضت سنوات زواجها بمراجعة أطباء النساء حتى قضى الموت على مجدي ، ولما رجعت من بلاد الغربة في إحدى دول الخليج العربي لم تفكر بالعمل كذلك ، ولم تجد نفسها بحاجة للوظيفة ، فقد ورثت ثروة كبيرة عن زوجها ، فقد كان الرجل غنيا فمنذ تخرج طبيبا وهو يعمل ويجمع

المال ، فقد قضى شبابه أعزبا لا عائلة له ، ومضت سنوات الزواج الأولى بدون عائلة ، فتراكمت الثروة بين يديه ، لذلك قبلت هناء فكرة العودة للعمل لعلها تشغلها وتلهيها عن فكرة الحمل والأمومة .. الفكرة الطاغية على تفكيرها بشكل وسواس قهري.

فقبلت العمل في شركة تهتم بتوزيع الأدوية في البلاد وبعض الدول المجاورة بعد استيرادها أو شرائها من السوق المحلي ؛ ولكن أغلبها مستورد من خارج البلد ، وكان عملها قد تم بمساعدة من قبل زوجها مروان وشقيقه ماهر، ولعلاقتها الطيبة بمدير الشركة الذي هو طبيب مثلها ـ لما نجح عمله كتاجر ترك ممارسة مهنة الطب ـ ووظفت في قسم السكرتارية والمراسلات التجارية ، ووجدت صعوبة في أول أيام العمل ؛ لأنها تركت العمل منذ أكثر من عشر سنوات منذ زواجها الأول ، ثم ذهب الإرهاق والتعب مع الوقت ، وتأقلمت مع العمل بعد حين ، وأخذت تفكر بشراء سيارة خاصة ، وكان زوجها يشجعها على ذلك وأخذ يبحث لها عن مدرب خاص ، ونكاد نقول أن المشاكل البيتية خفت ، وعاد الهدوء والسكون لبيت العائلة ؛ وكأن المرأة استسلمت للمقدر من عدم الخلفة ، والرضا بأمر الله.

وكانت زهيرة تحت رعاية الخادمة الأجنبية ، فتذهب صباحا بحافلة المدرسة الأهلية ثم تستقبلها الخادمة مساء ، وترعاها وتقدم لها الطعام حتى تعود أمها في الخامسة أو السادسة مساء.

وكان مروان الطبيب يقسم وقته في البيت بين مرام وهناء ، ليلة هنا وليلة هناك حسب قانون الدين في التعدد ، وأحيانا تجلس هناء وابنتها في صالون مرام يسهرون ثم يفترقون ، ومضت سنتها الأولى في العمل وقد خيم الجو الهادي على البيتين ، ولم تكن أخطاء هناء في العمل خطيرة ، فكانت مشاكل العمل تحل بين هناء والإدارة ، والعمل لابد أن تقع فيه أخطاء من العاملين لظروفهم وأحوالهم النفسية ، فكانت أخطاء المراسلات تستدرك وتتم معالجتها ، وكان المدير يتغاضى عن كل أخطاء هناء لقوة الصداقة التي تجمعه بمروان وأشقائه خاصة السيد ماهر ، والمرأة تحمل شهادة جامعية بالسكرتارية والإدارة.

وفي أواخر السنة بدأت الأمور تتغير فقد أخذت هناء تطور من صداقاتها بالموظفين ذكورا وإناثا ، وحتى مع موظفين صغار ، وليس هذا المهم في الأمر ، المهم في الأمر أنها بدأت تقبل دعواتهم الخاصة للعشاء والسهر والسينما والمسرح مما صدم المدير ونائبه ، فهي امرأة صديقهم مروان ، وامرأة صاحبة بيت ، وأم فتاة مراهقة ، وكانت تقبل المشاركة في مناسباتهم الاجتماعية دون تردد ؛ لذلك كان الدكتور حازم حمدوز يتحدث مع ماهر بمثل هذا التغير وقال : أخشى أن تنزلق زوجة أخيك إلى أمور لا يحمد عقباها.

فاضطر ماهر لنقل هذه الأخبار لشقيقه لعله يجد عنده حلا لها، فمصاحبة امرأة من بيئتهم ووسطهم الاجتماعي المحافظ إلى حد ما لشبان عزاب ومتخرجين جدد من المعاهد والجامعات مربك لهم ، وذا مما دفع مروان لفتح الموضوع مع هناء قائلا : يا سيدتي الفاضلة لا يجب أن تتوسع علاقاتك بهؤلاء إلى هذا الحد .. فأنت زوجة محترمة ولك أسرة .

فأبدت ضيقها وتذمرها من تدخله بحياتها الخاصة ، ودافعت عن خياراتها ، وزعمت أنها تفعل ذلك طردا لمللها وفراغ البيت من الأصدقاء والزيارات فقال : ومن يمنعك من زيارة الأهل والأقارب والصديقات اللواتي من جيلك .. فأنت لديك اليوم سيارة وتستطيعين التنقل عند أخواتك وإخوتك .

ـ كلهن مشغولات ولا وقت لديهن مثلي .. وهل مشاهدة الأفلام حرام؟

ـ ليس المهم مشاهدة الأفلام ؛ لكن مع من تشاهدينها .. مع شبان وشابات عزاب .

ـ وماذا في تناول عشاء مع زملاء العمل ؟!

ـ وقد يدعى إليه زملاء ليسوا من زملاء العمل .

رفضت هناء التخفيف من السهر خارج البيت بعد انقضاء العمل ، ورفضت قطع علاقاتها معهم بدعوى الحرية الشخصية.

وكرر مروان النصح والإرشاد لها ؛ ولكن دون فائدة حتى أنها أخذت تأتي متأخرة للبيت بعد نصف الليل نتيجة السهر مع زميلاتها وأصحابها الجدد ، شكى مروان الأمر لأخيها فوزي

ويسري ، وبين لهم أن مثل هذه التصرفات لا تليق بزوجة طبيب مثله وكعائلة محافظة ، فغضبت هناء بشدة من تدخلهما في تصرفاتها الخاصة. وحاول ماهر معها ، فهددته بسحب الوصاية عن زهيرة زاعمة أن من حقها الوصاية على ابنتها.

واستمر الإرشاد ، واستمرت المناكفات دون نتيجة حتى تفاجأ مروان بعودتها من إحدى سهراتها عند الفجر عندما كان ذاهبا للمسجد للصلاة ، فكانت تركن سيارتها في موقفها أمام البيت ، فصعق ، وكان قد ظنها نائمة في شقتها مع ابنتها لأنه كان تلك الليلة مع زوجته الأولى وكان حازم يشكوها إليه مباشرة ، ويعلمه بأنه يفكر بفصلها من شركته لولا صداقتهم التاريخية ؛ لأن سمعتها بدأت تلوكها الألسن ، ولما اقترب منها مروان تلك اللحظة رأى أنها ثملة من المسكر فازداد نارا وغيظا فقال وهو يضغط على أعصابه : ألم تكتفي بسكرك في سهراتك فصرت تعودين مخمورة إلى البيت .. إنما اشرب جرعات قليلة .. ماذا افعل بك يا بنت الناس ؟! هذه هي نهاية إرخاء الحبل للنساء .

لم ترد عليه واصلت دخلوها البيت ، وصعدت إلى غرفة نومها ، ورمت نفسها على سريرها، وتبعها الرجل وسمعها تقول : إنني منهكة القوى يا دكتور في الصباح نتحدث

ـ يبدو أنك شربت الليلة كثيرا ، هذه أول مرة تعودين سكرانة للبيت .. ونحن في الصباح يا بنت الناس .. فالحال لم يعد يطاق غدا أو اليوم.. بعد ساعات سنذهب للمحكمة لإعلان الطلاق

ـ الطلاق ! أنا فعلا أريد الطلاق يا دكتور .. مللت منك .. وجدت زوجا خيرا منك .

في الصباح وبعد فتح المحاكم الشرعية أبوابها للناس ، كان الطلاق بعد هذه الحادثة أمام القاضي الشرعي لتلك المحكمة ، وأخذت هناء ابنتها والخادمة وعادت لبيت الأسرة بعد غياب بضع سنين عنه ، وسمعت من والدها كلاما جارحا ومهينا : أصبحت سكيرة آخر الزمن .. وتتعاطين المخدرات .. عليك الخروج من هذا البيت استأجري لك بيتا.

أخذ أحد الأشقاء أخته لبيته مستضيفا لها بعد طرد أبيها لها غضبا وألما ، وقضت باقي اليوم

باكية في بيت شقيقها سمير ، وفي الصباح التالي مشت للشركة التي عملت فيها فوجدت أن المدير قد فصلها ، ودفع لها أجر ثلاثة أشهر بدون عمل ، فأخذت الفلوس ، وبحثت عن صديق لها في الشركة ، فأخبرت من إحدى الزميلات بفصله هو الأخر من العمل في الشركة ، وانصرف من يوم أمس.

وهذا الصديق شاب فوق الثلاثين من العمر ، متزوج وقد تخلت عنه زوجته بعد سنة من الزواج لسوء أخلاقه ، ثم حصل بينهم الطلاق بعدما تنازلت عن متأخر صداقها الشرعي ، بعدما زعمت أمام القاضي أنها أخذته ، والرجل لم يوافق على الطلاق إلا بعد أن تخلت له عنه ولما لحقت هناء بالعمل كان من الشباب الذين اجتمعوا حولها ، ثم أصبح على رأس الأصدقاء الخاصين بها ، فعلمها الشراب والدخان وتعاطي الحبوب والاستهزاء بالحياة الجادة وأن الدنيا خلقت للهو والمتع والانبساط ، ثم وعدها بالزواج إن طلقت يوما ما ، يقول لها ذلك عندما تهمس له بخشيتها من أن يتخلص منها مروان.

لذلك فبعد مغادرتها الشركة وقفت أمام مطعم ، وتناولت رغيفا من الطعام ، وشربت كوب عصير ، ثم اتصلت به ، والتقيا وحدثته بطلاقها وطردها من الوظيفة وأنها مستعدة للاقتران به فضحك كثيرا وقال : بهذه السرعة !

فطلب منها أن تصبر حتى تنقضي عدة الطلاق ليتحدثوا بالموضوع ، فأخبرته أنها تملك ثروة ستسهل لهما الحياة معا ، فقد ورثت عن زوجها الأول وأخذت مؤخر طلاقها من زوجها الثاني كاملا ، فطلب منها رامي عدة طلبات ، التريث حتى تنتهي العدة ، ويخففان من اللقاءات حتى حين ، وحتى يرتب هو أمور حياته ، وأكد أنه راغب بالزواج منها ، ودعاها إلى كأس شراب ، فاعتذرت عن ذلك لأن والدها غاضب عليها، وهي تعيش في بيت شقيقها بعد أن طردها من بيته ، فودعها قائلا : لنبق على اتصال وقبلها قبلة الوداع ، وركبت سيارتها قافلة لبيت شقيقها سمير، فوجدت اجتماعا في البيت يناقش قصة طلاقها وحياتها فلما سألها أحد أشقائها المجتمعين : أين كانت ؟

ردت بحدة : فصلوني من شركة حازم

فقال سمير : الشركات كثيرة .. فهذه الشركة كما تعلمين قبلت فيها لعلاقة صاحبها بماهر ومروان .. والبنت زهيرة ماذا ستفعلين بها ؟

ـ لتبق عند أمي أعطيت المدرسة عنواننا القديم قبل الزواج من مروان.. فهم يعرفون عنوان دار أبي.

لم تقض هناء في بيت شقيقها سمير سوى ليال ثلاث ، فقد تم الصلح بينها وبين والدها ، فاستقرت في غرفتها التي عاشت فيها بعد ترملها ، وأخذت تفكر وتخطط باستئجار شقة أو شراء بيت خاص بها ، وجدت نفسها من جديد تعيش في عدة الطلاق الشرعي .. اتصلت برامي في بيته، وتحدثت معه أكثر من مرة ، وكانت تسعى للقاء به ، فرفض ذلك زاعما أن أهله يرفضون زواجه من امرأة تكبره بعشر سنوات ، فخلال هذه الشهور الثلاثة ضعفت علاقتها برامي ، وفشل مشروع الزواج الذي أملت به حقيقة ، وأدركت أنه كلام ليل يمحوه النهار، وأنه سخر منها لينال شهوته وفساده منها ، وحمدت الله أنها لم تستسلم له جسديا رغم كثرة ضغطه عليها ، فكانت حرمة زوجها تمنعها من الوقوع في ذلك.

وحتى شلة الشركة لم يعودوا يستجيبون للقاء بها ، ويتهربون من الرد عليها ، ولا يتصلون بها فأدركت إدراكا تاما أنها أضاعت حياتها وسعادتها أمام سراب ووهم بحياة حرة ، فأخذت تحاول العودة إلى مروان عن طريق الدكتور ماهر ، وأعلنت ندمها وتهورها ، فأعلمها الرجل بكل صدق أن شقيقه على وشك زواج ، فقد التقى بطبيبة مثله تعمل معه في المشفى الخاص ، وهم على وشك إشهار الزواج ، فلزمت الصمت ، وأما تعلقها بالشراب والدخان فلم يختف بعد ، وإنما تركت المخدرات ، ربما لم تعد تحصل عليها، ولا تعرف كيف تتحصل عليها.. ؟ .. وحاولت عن طريق رامي مجددا ، فشتمها وتظاهر على التلفون أنه لا علاقة له بالمخدرات والحشيش ، وطلب منها أن تنساه للأبد ، فهو سيتزوج خلال أشهر ، فقد خطب فتاة ، وكانت النهاية بالنسبة لها ، واستوعبت أنه كان يلهو بها هو والشلة والاستفادة من مالها

وتبذيرها. حتى أنها لاحظت استياء ابنتها زهيرة منها ، ومن شربها للدخان والخمر ، ولاحظت أنها تخرج من البيت لتناول الكحول في الخمارات والملاهي ، وكانت تتضايق من أخذها للدخان ، وتظهر ضيقها، فتنهرها أمها بشدة ، وتطلب منها عدم التدخل في حياتها ، وعليها أن تنشغل بدروسها ومدرستها ، وبعد شهور مضت على الطلاق همس أحدهم في أذنها برغبة السيد عادل بضمها لزوجتيه ، فتعجبت من إلحاح هذا الرجل ورغبته بالاقتران منها منذ ترملت ، وبعد تفكير وتردد أخبرت الوسيط برفضها الزواج منه شخصيا ، ولو لم يبق في الدنيا من الرجال إلا هو ما تزوجته ، فأرسل إليها زوجته الأولى ؛ لتأكد لها هذه الرغبة فأكدت لها كرهها وحقدها عليه.

ذهبت السنة الأولى بعد الطلاق ، ولم يتقدم إليها أحد سوى عادل حسن ، حتى أن الأب محمد حدث ابن أخ له بالزواج منها ، فاعتذر ابن أخيه ، وأخبره أنه ابنته لا تصلح له ، فهو رجل على قد الحال كما يقال ، وأن ابنته انحرفت عن الاستقامة والمحافظة على عادات العائلة ، ولا تصلي، ولا تصوم ، وتدخن ، وتشرب المنكر، فلما أنكر عمه ذلك ، وأنها عاهدته على ترك الشراب منذ عادت للبيت من بيت شقيقها سمير ، فأكد له ابن أخيه أنها ما زالت تتردد على الحانات والخمارات .



موت الشيخ

رجع محمد للبيت والغضب يملأ كيانه وقلبه، ولم يجد فتاته في البيت ، فقد خرجت زاعمة زيارة لصديقة ، فلما جرأت أم فوزي تسأله عن سبب كل هذا الحنق والغضب ، فأخبرها بما سمع من ابن أخيه، بأن ابنتهم ما زالت ترتاد الحانات والملاهي الليلية ، فأنكرت الأم التهمة ، ودافعت عن ابنتها وأخلاقها ، وكان يسري ابنهم يعيش معهم في نفس العمارة، وكان يسمع الحوار الدائر بين أمه وأبيه ، وسمع آخر الكلام ، وصاح وقال بضيق : يا أمي لا تدافعي عن انحراف هناء .. ادع لها بالهداية ، فقد وصلنا كلام كثير عن سوء سيرتها.. وخففوا من حدة صوتكم فإن زهيرة في غرفتها ، وتسمع صراخكم رغم إغلاقها باب الحجرة

فقال محمد وهو يتنهد بعمق وأسف : ماذا أفعل لهذه البنت ؟! فضحتني بعد أن بلغت هذا السن يا أولاد .. أخشى أن أسمح لها بالسكن خارج البيت أن تزيد وتكثر فضائحها.. ويتحول بيتها إلى بيت دعارة .

فقال يسري محاولا تهدئة الشيخ : لا سمح الله .. لم تصل الأمور إلى هذا الحد يا أبي .. خمر ومخدرات .. لم نسمع بشيء أسوأ من ذلك .. هي لم تطلق إلا من شهور

فقال الأب ساخطا حانقا على ابنته : لم نسمع ! هل ننتظر حتى نسمع ؟!

فقال : هل نقتلها حتى لا نسمع ؟ وهل هذا حل؟!

قال: تحدثت مع ابن عمك أبي صادر للاقتران بها على نسائه ؛ وليستر عليها ، فاخبرني أنها لا تصلح للزواج .. فهي منحرفة والأولاد شباب .. فإني حائر حائر

فقال يسري : علينا أن نعقد اجتماعا عائليا، ونتحدث جميعا في هذه المشاكل ، وإذا لم تستجب لتقاليد العائلة فعليها الابتعاد عنا ، ولتذهب لمدينة أخرى حتى لا نسمع قصصها ومغامراتها ، وإلا عليها احترام البيت وتقاليده .

واقترب من الهاتف ليتصل بإخوانه يدعوهم للاجتماع ، ومناقشة قضية هناء ، وتمردها على تقاليد الأسرة.

اجتمعت الأسرة بعد صلاة العشاء للنظر في المشكلة الكبيرة التي ألمت بالعائلة ، من خرق هناء لعادات وتقاليد الأسرة بدون مبرر ، فكانت مشكلتهم رهيبة ومرعبة في نظرهم ، فتحدثوا واقترحوا أشياء ، وبينما هم يتحدثون ويدبرون حضرت صاحبة الشأن من حيث كانت تسمر ، فظنت كما قالت ساخرة إن مصيبة قد أصابت البيت في غيابها لبضع ساعات!

فقال يسري : نعم ، نحن في كارثة .. بل زلزال نحن نتشاجر بشأنك يا أم زهيرة.

فنظرت إليه بضيق وقالت : شأني ! ما الأمر ؟!

لخص أحدهم لها الأمر والموقف ، فردت بغضب وصوت حاد : حياتي الخاصة ليس لكم دخل فيها .. أنا امرأة بالغة عاقلة وصلت الأربعين من العمر .

فقال أحد الأخوة : سمعتنا يا بنت الناس !

ردت باستهتار : أغلبكم يدخن .

فصاح يسري : لو وقفت على السجائر لهان الخطب ! لقد سمعنا أنك كنت على علاقة ـ اسمحي لي أن أقول ـ حميمة مع موظف بسيط في تلك الشركة ، وأنها السبب الأهم في طردك أو فصلك من الشركة ، ثم طلاقك.. فإذا الرجل راغب بك فليأت من الباب كعادة الناس .. أما السهر وشرب الخمر في النوادي الليلة والخمارات ليس من عاداتنا ، ولا يعني ذلك أننا ملائكة .

فصاحت هائجة : هذا كذب.. إشاعات أطلقها مروان لتبرير الخلاص مني .

فرد يسري بقوة وتحد : اسمعي يا بنت الناس ليست إشاعات .. تحدثت أنا شخصيا مع المدير حازم .. فقال لي على استحياء الأمور زادت عن حدها يا يسري .. ونحن كما نحب أن نحافظ على سمعتنا نحافظ على سمعة إخوتنا وأصدقائنا من آل طه .. الأمور ترتب هنا في الشركة والاجتماعات واللقاءات خارج الشركة .. والدكتور مروان قد خطب امرأة تعمل طبيبة مثله وهي أرملة حديثة .. فلماذا يطلع وينشر الإشاعات عليك ؟!

صاحت مرة أخرى : إشاعات ليتزوج من زميلته الأرملة .. فتآمر مع حازم لطردي وتشويه

سمعتي .

فقال أحدهم : ولكنك تسكرين، فهل تنكرين ذلك ؟

فقال يسري : الدخان والخمر والسهر والمسرح والسينما والمخدرات والحب .. لا شيء يخفى على الناس يا هناء هل هذا تعلمتيه من مروان ؟

فقالت بسخط : أوه !! هذه حياتي وأنا حرة فيها .. هذا بدني أنا حرة فيه

فنظر إليها أبوها بذل وانكسار : ونحن يا هناء

فنظرت إليه بسخط : ماذا نحن ؟ أنا سأرحل يا أبي ، لن أبقى في بيتك .. أنا عرفت الحرية عرفت الحياة.

هجم عليها يسري صافعا لها وصارخا : أي حياة مع الفساق ؟! أي حياة يا مجنونة في الحانات ونوادي القمار والزنا ؟!

كانت هناء منذ دخلت على الاجتماع وهي قائمة ، فوضعت يدها على خدها، وقد سالت دموعها غضبا وحقدا : تضربني يا مجرم .. تمد يدك عليّ !

فانهال عليها ضربا ورفسا وصياحا حتى خرت مغمى عليها ، وارتفع الصياح والبكاء في البيت ، فلما أفاقت من غشيتها قالت ستدفع الثمن غاليا يا يسري سأدمر حياتك .. لن أرحمك يا مجرم .. تضربني يا حقير

فصاح هائجا : سأقتلك .. فحياتك في القبر أفضل من حياتك فوق الأرض .. أنا أعلم أنك سبب موت الدكتور مجدي .. لقد كتب إليّ أكثر من رسالة للتشفع بينك وبينه من أجل الكف وعدم الإلحاح في مسألة الحمل والحبل .. أنت سبب قصف عمره .

فصاحت وهي ما زالت تجلس على الأرض : أنا سبب قصف عمره ، ولسوف اقصف عمرك لن أبقى الليلة هنا .

ونهضت متجهة نحو الباب الخارجي للبيت ، وخرجت لم يعترضها أحد ، وارتفع اللغط والنقد على تصرف يسري وانفعاله الحاد ، وبينما هم يتعاتبون ويصيحون على بعض وقع

السيد

محمد على الأرض فنقل للمستشفى بسيارة أحدهم .. وهناك ودع الحياة بعد أيام .

السيد محمد فوزي أبو فوزي لم يحتمل فؤاده النزاع القائم في بيته فوقع مريضا ، ثم مات ، فلما علمت هناء بما حدث لوالدها من الذبحة الصدرية والموت عادت للبيت ، وكانت ليلة الحادث قد خرجت غاضبة إلى إحدى بيوت شقيقاتها ؛ لأن البنات لم يحضرن الاجتماع؛ إنما كان اجتماعا ذكوريا كما يقال ؛ لذلك لما نقل الوالد للمستشفى ، وذهب في غيبوبة ، تذكرت ليلة موت مجدي عندما دفعها أرضا آخر ليلة كانت له في الدنيا ، فعادت إليها الذكريات ، وأخذت مشاهد الحياة المؤلمة تعود سريعا .. غضب منها بشدة ، ذهب لينام فما استيقظ .. وها هو أبوها يسقط مغمى عليه ولم يستيقظ .. مشاهد حياتها أخذت تتجسم أمامها .. وكانت تذرف الدمع الغزير .. لم تذهب للمستشفى ؛ لأن شقيقتها التي استضافتها أخبرتها أن الوالد في غيبوبة .. فاقد للوعي .. ثم مات .. وكانت تذرف الدمع الغزير وتقول هل أنا شؤم! ؟ هل تعلقي بحب الولادة شؤم ؟! لماذا لم أسلم أمري إلى الله راضية مطمئنة ككثير من النساء العواقر ؟ ! إني حفرت قبري بنفسي .. ها أنا عدت مطلقة بعد أرملة .. لا أمل في الحمل .. هل أنا قتلت أبي ؟ أو السبب في وفاته ؟ وهل أنا التي تسببت بموت مجدي ؟ يا إلهي لماذا تركني مروان ؟! أأنا متعبة ونكدية ؟! ولماذا أوقع بي رامي ودمر حياتي الزوجية ؟!.. وشجعني على الابتعاد عن حياة الدكتور .. لقد صدقت كلامه المعسول .. لقد نسيت الكيد والغدر .. لقد كان صديق عدد من الفتيات نسيت كل هذا .. يا لي من مغفلة.. !! كان يعبث بعدد من فتيات الشركة يعيش على كدهن ومالهن .. مسارح سينمات ثم تحشيش .. بل كانت بعضهنّ أحذر مني وأفطن لخداعه .. أنا الجريئة بينهن .. لماذا وقعت في حباله ؟ كنت الضعيفة بينهن .. نسيت ابنتي المراهقة في لهفتي للزواج من رامي الغادر ..

وعادت تفكر بعادل حسن لماذا المدعو عادل يسعى للزواج مني على نسائه ؟ أمن أجل أموال ابنة أخيه ؟ .. لم أنظر إليه منذ عرفت تلك الأسرة نظرة رضا واستلطاف ، بل كنت أخشى

عينيه الخبيثتين

عادت للتفكير بيسري ففكرت يسري يعلم بمشاكلي مع مجدي ، كان مجدي يراسله ليضغط عليّ ليته فعل يومذاك ، تبسمت للحظات ثم تابعت .. ها هو يجعلني السبب في وفاته وإزهاق روحه .. هل تكلمت زهيرة المسكينة بشيء أمامه ؟ .. لقد رأت أحداث تلك الليلة .. هل ما زالت تفتكرها وتتذكرها ؟ .. لكنه كان مريضا متعبا مرهقا من عمله .. كان يفحص قلبه باستمرار .. لكنه لم يأخذ علاجا خاصا بالقلب يا هناء .. ماذا أفعل ؟ مات أبي .. كان السند الحقيقي لي بعد ترملي .. غادر الدنيا ناقما مني .. يا الهي ! كثير من الخلق يدخنون.. الملاهي ملأ بالناس .. المستشفيات كذلك مليئة بالمرضى والمجانين .. ماذا أفعل ؟ ماذا تفعلين ؟ سأعود امرأة تحترم كيانها بعد هذا السقوط السريع والمؤلم .. هذا هو الحل السليم .. ليتني لم أعد للعمل مع الرجال.. لست بحاجة للمال .. ليتني قنعت بالحياة في ظل مروان .. ظننت نفسي فتاة صغيرة صبية مراهقة تتطلع إليها العيون العاشقة ..إنما هي عيون الشهوة .. عيون الزنا والفواحش.. كانوا يسعون لإيقاعي في الزنا والفحش .. في الحقيقة لولا تدخل السيد حازم ومراقبته لي ؛ لربما كنت صيدا سهلا لهم ولاستدراجهم .. لم أسمح لهم بالنظر لجسدي رغم سعيهم لذلك ، وقد حاولوا إثارتي وإغرائي لممارسة الفاحشة.. كنت على شفير السقوط في الهاوية .. كانوا يركضون للنيل من جسدي .. لقد مات أبي قبل أن يعرف شيئا من جنوني ولهوي .. كيف لو وصلت للفاحشة والتعري لهؤلاء الفتيان ؟! كيف سيكون موقفي أمام ابنتي لو فعلت ذلك ؟! هل مات أبي لاستيقظ من غفلتي ؟!

ها هم أبناء وبنات إخوتي يتخرجون من الجامعات والمعاهد المتوسطة.. وها هي زهيرة على وشك إنهاء المرحلة التعليمية الأولى.. يجب أن اتخذ من حادثة موت أبي نهاية لاستهتاري وسخفي .. عليّ أن أتوب توبة حقيقية .. نعم سأتوب يا الله ساعدني وصرخت بها !

فالتفت إليها أمها وقالت : مالك يا هناء تصرخين ؟!

نظرت إلى أمها طويلا ثم قالت : ارتفع صوتي يا أمي ..إنني استغيث بربي .. الله أغثني

وأدركني .. أمي أريد أن أتوب .. أريد أن أعود للصلاة والعبادة .. أبي مات وهو غاضب عليّ تابت هناء بعد تلك المناجاة ، دخلت الحمام واغتسلت ، وظلت تصلي طوال الليل حتى صلاة الفجر .



أنهت زهيرة مجدي فصلها الأخير في الدراسة ، وبذلك انتهت المرحلة الأساسية للدراسة الابتدائية والإعدادية ، وكانت من الفتيات المتفوقات جدا في المدرسة الأهلية ، وأخذت تستعد للانتقال للمرحلة الثانوية ، وكان ذلك في صيف ١٩٨١ م ، وقد بلغت خمسة عشر ربيعا ، وقبل ابتداء الفصل الدراسي الجديد زارتها امرأة عمها عادل السيدة جليلة أم حسن ، ولم تكن الزيارة الأولى لها ؛ لذلك كانت تظن أنها زيارة كالمعتاد ، ولم يصحبها في هذه الزيارة زوج أو ابن أو بنت ، ولما اطمأنت على صحتها وحياتها ، طلبت منها أن تسمح لها بالجلوس مع أمها ، فاستغربت هناء هذا الطلب النادر ، فتركت الفتاة حجرة الضيوف ـ وهي وأمها ما زالتا تعيشان في بيت والد هناء وأمها ـ ولما خلت الغرفة من زهيرة كاشفتها جليلة عن رغبتها بتزويج ابنها ميلاد من ابنة عمه زهيرة ، ولما أنهت المرأة غايتها وصمتت ، حدقت هناء بجليلة وقالت ببرود وجفاء البنت صغيرة يا جليلة على الزواج .. أنا تزوجت السيد مجديا ، وأنا بنت خمس وعشرين سنة ، وبعد تخرجي من الجامعة والعمل بضع سنوات

ردت جليلة ضروري تكميل التعليم .. نصف بنات البلد يتزوجن صغيرات .. أنا نفسي تزوجت دون العشرين ، ولو تقدم لي أحد في سن أبكر لزوجني أبي يا سيدة هناء .. فميلاد شاب صغير عمره عشرون عاما ، وراغب بالزواج وتأسيس أسرة ، وهو محب لابنة عمه

عادت هناء تنظر في عينيها بضيق ماذا يعمل هذا الميلاد ؟!

أنت لا تعرفينه ؟ .. لقد رافقني بضع مرات إلى هنا .. هو يعمل في تصليح السيارات ، فني

سيارات بعد الإعدادية تحول للعمل في سوق تصليح السيارات .. يسمونه ميكانيكي سيارات . وهو شاب معجب بابنة عمه المرحوم مجدي ، وهو راغب فيها يا هناء تذكرته بل اعرفه جيدا .. وهل هذا يستطيع فتح بيت وتكوين عائلة؟!

ـ هو يشتغل من خمس سنين ، ولما يتزوج يفتح ورشة لحسابه الخاص

ـ أيستطيع هذا تحمل مسؤولية يا أم حسن ؟ وهو كثير الدخان

ـ الشباب كلها تدخن اليوم يا هناء .. الدخان سوسة وبلاء

بعد فترة صمت طالت قليلا قالت هناء لم يحن وقت زواج البنت يا جليلة .. زهيرة ترغب بالدراسة ودخول كلية الطب على رغبة والدها العزيز قبل أن يموت .. تريد أن تعالج وتداوي الناس المرضى

قالت : رحلة طويلة وشاقة يا هناء ..الزواج خير لها

ـ هذا ما تحدثت به أمامي ، وأمام الوصي الدكتور ماهر طه ، ووعدها الرجل بمتابعة المسيرة ، وهي شاطرة وذكية ومتحمسة لتحقيق هدفها وهدف أبيها ، فابحثي له عن فتاة أمية أفضل له ولكم .. فابنتي غير مستعجلة على الزواج يا أم حسن



اتصل الدكتور ماهر بالسيدة هناء ، وأنبأها أن السيد عادلا اتصل به متشفعا بتزويج ابنتها من أحد أبنائه.

فتبسمت المرأة وقالت لقد زارتني زوجته جليلة أم الولد وطلبت ذلك ، واعتذرت لها يا دكتور بأن البنت راغبة بالدراسة ، والدخول في كلية الطب كأبيها ـ رحمه الله تعالى ـ وأيضا اعتذرت بأنها صغيرة على الزواج ، ولا تريده اليوم لا أدري لماذا لا يكفون عن ذلك؟! فقد تحدثوا مع شقيقي يسري الذي يعيش معنا في بيت الوالد

فقال ماهر: الرجل يقول إن ابنه صاحب صنعة جيدة ، ولما يتزوج تعمل له البنت ورشة خاصة به ، ولسوف يرد إليها كل قرش ساعدته به، وأنفقته على ورشته.

ضحكت المرأة رغم أنفها وقالت : أما عجيب أمر هذا العم ! فما دام ابنه فالحا ومعلم تصليح لماذا لا يفتح له هو محلا من ماله ؟! لقد ورث عن أخيه هو الآخر .

قلت له هذا يا أم زهيرة فقال : لو فتحت محلا لميلاد ـ اسم الولد ميلاد ـ سأضطر لفتح الجرة للآخرين .. الكل سيطالب بمال يا ماهر ، وثروته وتقاعده لا يغطي ذلك لهم.. أما إذا فتحت له زهيرة المصلحة فلن يطالبه أحد بشيء زوجة ساعدت زوجها وابن عمها .. وسيصمت الآخرون

صاحت هناء دون وعي مع من تتحدث : تفكير أحمق ! .. أنا آسفة لرفع صوتي يا دكتور .. هو منذ مات أخوه وهو طامع فيها ورثناه أنا والبنت .. المصيبة أنه رجل متعلم ، وصاحب ثروة.. لماذا كل هذا الطمع في أموالنا ؟ ! كما تعلم حاول الزواج بي أكثر من مرة ، وحتى عندما طلقني أخوك أعاد الكرة .. واليوم بدأت مطاردة زهيرة .. معتقدا أن زواجي منه يلغي وصايتك على زهيرة ، وتصبح أموال البنت لعبة في أيدينا.. هذا رجل يعيش في القرون الوسطى إذا كان هناك قرون وسطى

ابتسم الدكتور ماهر وعقب قائلا : القرون فقط في أوروبا .. على كل حال أنا آسف يا أم زهيرة .. فقط أحببت أن أبلغ الرسالة .. وسأنقل له الاعتذار ، وأبين له رغبة البنت بتكميل تعليمها ، وأن هواها في دراسة الجامعة ، ولا تفكر أبدا بترك المدرسة والزواج..

ـ شكرا لك يا أبا جواد .

ـ لا شكر على واجب يا سيدتي .. أنا من أحب الناس رغبة بمتابعتها دراستها وتعلمها

ترك الهاتف واستلقى على أريكة ، وقد شرب كوب ماء أثناء سماعه كلمات ورد هناء وقال :فعلا السيد عادل عجيب أمره مع أسرة شقيقه مجدي !.. أرسل زوجه خاطبة ، ثم شفع شقيقها ، وثم دار عليّ .. المال .. يلهث وراء مال اليتيمة .. والبنت ذكية ومجدة في مدرستها، ومعلماتها يثنين عليها خيرا وإعجابا بأدبها وتفوقها ، والبنت جادة في طلب العلم ، ولديها الرغبة في الوصول للجامعة .. التعليم سلاح مهم للبنات قبل الذكور .. ولكن الذي يحيرني

أن عادلا مدرس ومتعلم ، وعمل مديرا قبل تقاعده .. فالأولى أن يفرح ويتحمس لرغبتها في الدراسة ، والعمل كطبيبة في المستقبل ويشجعها.

دخلت زوجه فاطمة وألقت السلام .. وقالت : ستأتي القهوة .. هل أنهيت الحديث مع أم زهيرة ؟

ـ نعم ، وهي ترفض بشدة فكرة اقتران ابنتها بعادل وأسرته .. وأكدت لي رغبة البنت بالاستمرار في الدراسة ، ثم الجامعة في كلية الطب كأبيها .. وأنا أستغرب من أفعال وتصرفات عمها نحوهم .. ورغم مشاكله القديمة مع هناء ما زال يضايقها ؛ بل أخبرتني أنه حاول الزواج منها بعد طلاقها من مروان .. تخيلي هذا وأنا لم أنس الفضيحة التي عملها في المستشفى يوم كسرت يد وقدم زهيرة .. وها هو اليوم يخطط لزواج ابنه من ابنتها .. وكما تعلمين مديرة مدرستها أكدت لي ذكاءها وحسن خلقها وحبها للعلم والدراسة ، وشهاداتها المدرسية تؤكد تفوقها وتقدمها على أقرانها .. وأكدت لي استعدادها للاستمرار في التعلم ، وعدم التفكر بالزواج قبل إنهاء المرحلة الثانوية بسلام ونجاح.. وفرص الزواج أمامها كثيرة.

فلما سكت قالت زوجه : التعليم مهم اليوم للبنات كما قلت .. اليوم المهن والأعمال تحتاج لشهادات وكفاءات .. ماذا ستقول للسيد عادل؟

ـ سأتحدث معه في موضوع تعليمها وأهمية ذلك لها ولحياتها ، وأن تركها للمدرسة غير مناسب فهي مجدة وراغبة بالاستمرار، وتحلم أحلاما كبيرة ، وأن أموالها ستساعدها بتحقيق الدراسة ، ولن تحتاج لمساعدة مالية من أحد.. وهي غير مؤهلة للزواج وهمومه.

لما وضعت فنجان القهوة الفارغ قالت أم جواد أتصور لو لم يبق إلا عادل وهناء في الدنيا ما قبلت بالزواج منه .. ولا ابنتها من ابنه .. فهي تبغض الرجل بغضا لا حد له يا ماهر .

ـ أعرف هذا، وهو يعرف هذا .. ولكن رفضها له جعل عنده عقدة نحوها .. وربما فعلت له شيئا أثناء زواجها من أخيه، فظل حاقدا عليها، ويظن بزواجه منها أنه ينتقم منها .

ـ زهيرة فتاة طيبة وهادئة ، وتستحق كل خير وحماية .. فأيام خلاف أمها مع مروان كانت

مستاءة من أمها كثيرا .. وكانت تتعجب من شربها للخمر وتعاطيها للدخان والتبغ .

ـ الله وحده الذي لطف بتلك المرأة .. الحمد لله على أفضاله حدثني حازم

أنها عادت تتصرف كمراهقة .. خاصة وهي تتحدث مع الموظفين الشباب .. ربك لطيف بعباده فله الحمد والمنة.

ورغم فشل شفاعة الوصي ماهر تقدم بعض أعمام زهيرة ، وتحدثوا مع الأم في موضوع زواج البنت من ابن عمها ميلاد ، ورفضت الفتاة حتى التفكير بالزواج ، وأكدت لهم همتها لنيل شهادة الثانوية والالتحاق بالجامعة .

عندما دخلت زهيرة في السنة الأخيرة من الثانوية العامة تقدم رجل أرمل متقاعد من الجيش للزواج من أمها ، وكان أخ لها يضغط عليها للقبول به ، فهو قريب لزوجته وراغب بالزواج من امرأة لا تنجب ، وكبيرة في السن إلى حد ما ـ وقد ترمل منذ شهر واحد وكل أبنائه كبار وجلهم متزوج ـ وبعد تأمل وتشجيع من أمها وأخواتها وافقت على الزواج من جديد ، والرجل الأرمل يكبرها ببضع سنوات فقط ، لم يدخل على الستين بعد ، وانتقلت للحياة في داره وسكنه ، وتركت زهيرة في بيت أهلها حيث هي تعيش مع أمها العجوز ، وكانت زهيرة قد اعترضت في أول الأمر على زواج أمها الجديد ؛ ولكنها أمام حجج أخوالها وضغطهم رضخت للأمر الواقع كما يقال ، وقبلت بزواج أمها على مضض ، وتمنت من أعماق فؤادها أن ينجح زواج أمها من هذا الرجل المتقاعد من القوات العسكرية السيد رستم علي .

اجتهدت الفتاة اجتهادا كبيرا في المدرسة، ومع أنها التحقت بمدارس أهلية منذ بداية تعليمها وفر لها الوصي ماهر مدرسين خصوصيين لبعض المواد التعليمية المهمة ، وفي النهاية استطاعت النجاح في الثانوية العامة بنجاح كبير ومعدل درجات يسمح لها بدخول كلية الطب في داخل البلاد أو الصيدلة

فرحت أمها بنجاحها غاية الفرح والسعادة ، ورأت ذلك من توفيق الله سبحانه لقرة عينها الوحيدة ، وقد غمر الفرح كذلك الوصي ماهر وأسرته ، فهم كانوا يشعرون بعطف وحب

كبير للآنسة زهيرة ، وممن سعدوا بنجاحها أخوالها وخالاتها.

وسارع ماهر بتقديم أوراقها إلى كلية الطب في جامعة البلاد ليحقق رغبتها ورغبة أبيها المرحوم مجدي ، وقبلت أوراقها ، ووفقت لها الدراسة في الجامعة ، وبدأت تتهيأ لدراسة الطب أما عمها عادل فلم يسعد بنجاحها ، ولا بدخولها الجامعة ، وقاموا بتهنئتها على استحياء ، وبدأت عامها الأول في جامعة الطب عام ١٩٨٤ ، وعادة تبدأ الدراسة في البلاد في فصل الخريف (أيلول) وتستمر إلى مطلع الصيف (حزيران) فتنتهي الدراسة السنوية .

وقد سعى ذاك العم إلى تزويجها من ابنه ميلاد مرة أخرى مبينا لها أهمية الحياة الزوجية بالنسبة للأنثى ، وأن زواجها خير من تعلمها، وقضاء العمر في دراسة الطب ، وأن فرص الزواج تقل أمامها ، فتأسفت له ، وأكدت له إصرارها على نيل شهادة في الطب ، وأن الدراسة لديها أهم من الزواج ، وأنها تتعلم ليس من أجل المال ، فقد ترك لها والدها ثروة تغنيها عن العوز للآخرين، وإنها تتعلم مهنة إنسانية تساعد الضعفاء والفقراء من خلالها ، فلما عاد الرجل متأففا من لقائه بابنة أخيه قال لنسائه حيث كن في انتظاره : ترفض الزواج ، ومصرة على الجامعة والطب ، وتطلب منا بنت هناء البحث له عن زوجة غيرها أرأيتم تربية هناء محمد ؟! وبعد لحظة صمت قال : نعم ، ليبحث الفتى عن زوجة أخرى يا جليلة ، وليدع هذه المتكبرة فهي بنت من ؟! بنت هناء التي تبغضنا وتحقد علينا .. لا أدري كيف اقترن بها مجدي ؟ لابد أنها هي التي قصفت عمره بكرهها لعائلتنا .

فقال ميلاد الذي كان معتكفا في البيت منتظرا لعودة أبيه : لا تريد الزواج مني نهائيا

ضحك عادل عاليا وقال : إنها ترفضك وهي في المدرسة ، فهل ترضاك بعد شهادة الجامعة وفي كلية الطب ؟ .. هذه الدكتور ماهر راسم عليها لأحد أبنائه .. ألم يقنع أخاه بالزواج من أمها قبل سنوات ؟ لم تعد ابنة العم لابن العم .. هذه الشهادات تباعد بين الناس اليوم.. أصبحت تجعل فروقا بين الأخوة والعائلات .. دكتورة ستتزوج دكتور سيارات .. ابحث لك عن امرأة أفضل وخيرا منها يا ولدي .. لم تعد بنات العم الزوجات الملائمات

فعقبت أمه قائلة ساعية لإبعاده عنها : لا أدري لماذا أنت متعلق بها يا ميلاد ؟! منذ رفضتنا قبل سنوات قلنا لك دور عن أخرى .. بنات عماتك كثر .. بنات خالتك أكثر .. لم يخلق في الدنيا إلا زهيرة .. البنات تملأ الحي والدنيا

فصاح فيها محتدا : لن أتزوج إلا زهيرة بنت عمي مجدي .. لم أر في النساء إلا هي .. وسأتزوجها رغم أنفها .. ولو تزوجت غيري سأقتلها هي وزوجها

قال أبوه : لقد جن الولد يا جليلة! .. نحن أحببنا لك الزواج منها ، وشجعناك على ذلك ؛ لكن ليس بالغصب والقهر والقتل .. هذا كلام فارغ .. من باعك بعه .. ما الذي يعجبك فيها ؟.. فهي اليوم مثل السعدان تتكلم من رأس مناخيرها .

عاد الشاب الغاضب يتوعد : زهيرة لي يا أبي .. هل نسيتم تشجيعكم لي للزواج منها ؟ الآن تريدون أن تتنصلوا من الكلام .. لا .. لا .. سأتزوج منها رغم أنفها

ـ راحت أيام رغم أنفها .. اليوم القانون فوق العادات والتقاليد والأعراف

ـ سأصبر حتى تصير طبيبة.. وأتزوج الطبيبة .. إنها ابنة عمي .. وأنا أولى الناس بها .

قالت أمه : بنات أعمامك كثيرات .. نحن أحببنا أن تكون من نصيبك .. ولكن إرادة الله هي الغالبة.. كان الأمل كبيرا، وهي أصغر سنا .. أما بعد الشهادة والنجاح في التوجيهية فالأمل مات .

فقال الأب : يا ابني سعينا ووسطنا ـ كما تعلم ـ أخوة هناء ، ووسطنا الوصي على مال أبيها ورفضت .. ومصرة على الرفض .. وتدعوك للبحث عن غيرها .. وهي لليوم لم يتقدم لها أحد سواك .. كل الناس تعلم أن السيد ميلاد عادل يرغب بالاقتران بابنة عمه .. فدعها .. عليك بالبحث عن زوجة غيرها .. فهذه تربت في بيت أخوالها لا تصلح لك يا ولدي .. فقد تطبعت بطباعهم .. ورأيت فعل أمها وكيف لوثت سمعتها ؟ لولا لطف الله بها وبأهلها .. فقد مات أبوها قهرا من أفعالها الدنيئة.

تهديد

أخذت الأم ولدها إلى غرفة أخرى، وطلبت من إحدى بناتها عمل الشاي لأبيها وامرأة أبيها التي حضرت تلك الجلسة ولشقيقها ، ولما جلسا قالت الأم متظاهرة بالحزم والأمر : اسمع يا ميلاد أنا ووالدك كانت لنا رغبة شديدة أن تتزوج من زهيرة .. وكما قلت شجعناك على ذلك كان والدك حابّا لهذا.. ومشينا في هذا المسعى منذ سنوات ، وأنت تابعت تحركاتنا ؛ ولكن كما علمت رفضت البنت وأمها بشدة .. وقلنا لما تكبر الفتاة سنوات أخرى وتنضج قد تغير قولها ورغم همساتنا ، وإظهار رغبتنا بهذه المصاهرة استمر الرفض ، وظل اعتقاد أرملة عمك أننا طامعون في مال زهيرة حتى أن بعض أعمامك وعماتك يرددون هذا الكلام .. وما دامت زهيرة التحقت بالجامعة فعليك أن تتزوج من بنت أخرى.

ـ لن أتزوج يا أمي إلا منها .. ولو قضيت عمري كله بدون زوجة وأبناء .. زهيرة لي ، وأنا لها وأنا لولا حبي لها لما وافقتكم على طلب يدها .. هي المرأة الوحيدة في الدنيا التي يجب أن أكون زوجها .

دخلت أخته بالشاي الثقيل الذي يحبه ميلاد عادة ، وأشعل سيجارته ورشف شايا ، ولما أغلقت البنت الباب قال : تعلقت بها منذ سنوات وسنوات ، والأمر لأبي ، وليس لأمها ولا لها.

ـ يا ابني واحدة لا تريدك ، ولا تريد الزواج كيف ستعيش معها ؟

ـ أنا أريدها .. عليّ اللقاء بها بنفسي

ـ لقد حاولت أكثر من مرة ، ورفضت اللقاء بك حتى صارحتني مرة أنها تبغضك .. قالتها صراحة يا ميلاد .

ضحك ساخرا : تبغضني ! أكيد لها فارس أحلام كما نرى في مسلسلات التلفزيون .. زهيرة لي يا أمي ويجب أن تكون لي .

قالت بضجر وملل : كيف ستكون لك ؟ ! وكيف ستقبلك إذا صارت طبيبة ؟!

ـ ولماذا لا تقبل بي إذا أمست طبيبة ؟! .. هي تداوي البشر وأنا أداوي سيارات البشر

ـ دعنا نفرح بك اليوم .. الطب دراسته تحتاج لسنوات.. فأنت تكون أبا خلال هذه السنوات كف عنها

تنهد بعمق وقال : لن أكف عنها ، لم أحب وأرغب من هذه الدنيا إلا بها ، لو كنت أريد أي فتاة لتزوجت من سنوات .

نادت الأم على زوجها الذي أقبل غاضبا حانقا، وقد أدرك أن زوجته فشلت بإقناعه بنسيان زهيرة مجدي ، فأعلمته زوجه بإصرار الولد على الزواج منها مهما طال الزمن ، ولن يسمح لأحد بالزواج منها.

فقال عادل حسن : نحن رغبناك بها، وشجعناك حسب عاداتنا قبل أن نسكن ونعمل في هذه المدن

رد ميلاد بغضب : قبل أن تشجعني للزواج من ابنة أخيك كانت لدي الرغبة بالاقتران بها.. أنا أحببتها دون نساء العالمين .

ـ الزواج لا يكون بالقهر والعنف .. وهي رفضتك وهي طالبة صغيرة ، فكيف بعدما تصبح طبيبة؟! فهي تعتبرك أميا جاهلا لا يفك الخط

ـ هذا ليس بعيب يمنعني من زواجها .. لا أريد إلا زهيرة مجدي أو دعوني من الزواج قطعيا .. تعلقت بها صغيرا وأريدها كبيرا مهما طال الوقت بنا

ـ يا رجل تدخل أعمامك والوصي ماهر، وهي تأبى الموافقة.. فكيف سنجبرها على القبول بك؟! .. قد كان هذا قديما قبل دخول المدنية بلاد الناس .. اليوم المرأة لها كلمتها واختيارها .. كان هذا يستساغ قديما

قال ميلاد : سأسعى للقائها .. يجب أن تقابلني شخصيا وأتحدث معها .. أليست ابنة عمي؟.. لماذا لا أتحدث معها مباشرة ؟!

قالت الأم : شجعتها للقاء بك ، وإقناعك برفضها من فمها لفمك .. لا تريد هذا .. قل لي

كيف أدفعها لمقابلتك ؟ .. يا ولدي كبرت سنك إنك تقترب من الخمس والعشرين والطب يحتاج لسبع سنين .

قال بعناد : أصبر وأنتظر إذا وافقت .

نادى عادل ابنه الكبير حسنا ليقنع أخاه الصغير ميلاد بترك ابنة عمه في شأنها وجامعتها.



اتصل ميلاد ببيت أم فوزي جدة زهيرة ، فردت عليه الخادمة الأجنبية التي تقوم على خدمة زهيرة وجدتها بعد رحيل أمها ، فأخبرته بعربيتها الركيكة أنها لم ترجع من الجامعة ، فلما عادت الفتاة مساء من كلية الطب أخبرتها الخادمة (روجا) باتصال السيد ميلاد بها ، فانزعجت للاتصال وقال لنفسها ماذا يريد اللعين ؟

وما كادت تنهض عن طعامها حتى رن الهاتف ، وكان المتصل ميلاد عادل يطلب الحديث معها ، فقامت مثقلة وتناولت السماعة من الخادمة ، وبعد التحية والسلام أبدى الشاب رغبته باللقاء بها ، وزيارتها للحديث معها خمس دقائق فقط ، وبعد رفض وافقت على الحديث معه مباشرة.

وبعد صلاة العشاء ليلا كان الشاب يطرق الباب وبصحبته أمه ، وبعد المجاملات التقليدية والترحيب وأخبار الصحة والأسرة ، طلب ميلاد أن يسمحوا له بالحديث مع زهيرة على انفراد ، فتركت الأم والجدة الشابين في صالون البيت ، وترك الباب مواربا غير مغلق إغلاقا تاما .. فقال بانفعال بين : لماذا ترفضين الزواج مني يا آنسة ؟

فنظرت إليه بحدة وضيق واضحين وأجابت : لك سنوات تتحدث عني يا ميلاد .. ومنذ البداية علمت عدم رغبتي بالزواج منك وحتى من كل عائلة أبي .. أنت لا تناسبني لماذا لا تفهم ؟! لماذا أنت مصمم على الزواج مني ؟! لماذا؟! ألا يوجد بنات في الدنيا غيري ؟!

ـ هل لو كان والدك حيا ترفضين بهذا الإصرار ؟.. ألسنا أقارب وأبناء عم ؟

ـ الزواج لا أفكر فيه قبل شهادة الطب يا سيد ميلاد

ـ أصبر كما صبرت هذه السنوات

ـ لم يقل لك أحد اصبر.. أمي اعتذرت لكم قديما .. وأنت صحيح ابن عمي الكبير السيد عادل ؛ ولكن لا حق لك بالزواج مني رغم أنفي لهذه الصفة .. فأبناء العم كثر لماذا أنت دونهم ؟ وأيضا بنات أعمامك كثيرات

ـ لكني أريدك أنت وحدك ، وتقدمت لطلب يدك على حسب الأصول

ـ وأنا رفضتك حسب الأصول .. الزواج بالتراضي يا ميلاد .. فلنبق أبناء عم فحسب .. لا أصلح زوجة لك

ـ لأنني لم أدرس ، لم أبلغ الثانوية العامة ؟

ـ قد يكون هذا أحد الموانع ، ولكني رفضتك قبل دخول الجامعة ، وقبل الثانوية العامة .

ـ ولكني راغب بك زوجة

فصعقته بنظرات نارية وقالت بصوت ارتفع قليلا : عجيب أمرك ! .. هل الزواج بالغصب يا سيد ميلاد ؟ لا أريدك ، لا أريد الزواج نهائيا من أجلك .. ارحمني يا رجل.. سأبقى عذراء .

ضحك وقال : جميل !! تبقين عذراء .. هل يعقل هذا يا بنت الناس ؟ إذا كان فيّ عيب ومانع اذكريه

تبسمت غاضبة : بس لا أريدك .. هل الزواج بالعافية ؟

ـ هل هناك رجل آخر ؟

صاحت بغضب : وضيق حقير أنت ! .. هل هناك .. هل هناك رجل آخر ؟ أتراني فاجرة بائعة هوى ؟!

قال : اسمعي لن أتزوج إلا من زهيرة مجدي .. مهما طال الزمن.. أنت المرأة الوحيدة في الدنيا التي سأتزوجها شئت أم أبيت .. أعجبك هذا أو لم يعجبك .. لن تكوني لغيري يا زهيرة .. أنا

قلت لما تكبري تعقلي وتعرفي أن لا غنى عن الزواج .. لما تنضجي تقبلين بي

ـ أنت وقح وحقير.. وما أنت برجل !

قال : حقير نذل .. صنفيني بما شئت .. لن أسمح لأحد بالزواج منك وأنا حي يا زهيرة بنت مجدي

ـ لا أريد الزواج أيها الحيوان ! لما أتزوج تتكلم .. انصرف اغرب عني .. أرجوك لا تريني هذا الوجه ثانية

ـ سأنصرف يا زهيرة سأتزوجك غصبا عنك ، وعن كل العائلة .. لن أسمح لرجل أن يأخذك

ـ لولا الحياء لشكوتك للشرطة مع السلامة

وأخذت بالبكاء ، فدخلت جدتها وأمه ، وطلبت منه الجدة المغادرة وهي تقول : يا ابني الزواج بالتفاهم والقبول .. وليس بالتهديد والوعيد .. ابحث لك عن بنت غيرها البنات تملء البلد.

فقال وهو يغادر الغرفة : لن يتزوجها غيري .. أنا ابن عمها وأحق الناس بها .. لن أسمح أبدا لأحد الناس بالزواج منها إلا إذا قتلت أو مت

غادر الشاب وأمه منزل الحاج محمد فوزي وأمه تقول له: يا ابني دعك من وجع الرأس .. بنات أعمامك كثيرات، صاح في أمه وهو يركب في سيارة المحل الذي يعمل فيه : أنا قلت لن أتزوج إلا منها رضيت أم أبت .

ـ إنك تبحث عن الشقاء والتعاسة ، لم تحلَ في عينيك إلا زهيرة .. سخطها الله.

ـ نعم ، لم يحلُ في عيني إلا هي.

قضت هناء ساعات مع زهيرة وهي تهدئ من روعها ، وتخفف عنها جرح الكلمات والتهديدات التي أطلقها ميلاد ، وفي الصباح الباكر لما صلت الفجر قدمت إليها متابعة لصحة ابنتها ، بعد ساعات الليل التي قضتها مع زهيرة مخففة من آثار اللقاء الساخن بينها وبين ابن

عمها المجنون ، وأكدت لها من جديد أنها كلمات جوفاء ، وكلام فارغ ، ولن يستطيع فعل شيء من تهديده ووعيده ، فهو شاب أرعن لا يجد أحدا يربيه ، ويدعس على رأسه ، وأنها لما تنهي جامعتها ستجد أحسن عريس في الدنيا، وستكون طبيبة عظيمة ، وتختار العريس المناسب واللائق بها.

وكذلك بين لها خالها يسري أن الزواج لا يكون بالقوة والعضلات والتهديدات ، وما هو إلا شاب فارغ خائب ، وكلامه في الهواء.

وكلمة من هنا وأخرى من هناك خفتت دموع زهيرة ، ومضت إلى جامعتها ، ومع المحاضرات نسيت ميلادا وأهل ميلاد ، واختفى ذلك اللقاء العاصف واشتغلت بدروسها ومع الوقت زال كل أثر لذلك الكلام القاسي.

وكانت هناء قد تحدثت مع ماهر الوصي عن ذلك اللقاء ، فاستغرب الوصي مثل هذه الأفعال في مثل هذا الزمن ، ووعد بالحديث مع السيد عادل ، وفعلا لما انتهت المكالمة اتصل على الفور بالسيد عادل حسن ، فلم يجده في البيت وطلب منهم إخباره باتصاله ؛ ليتصل به عند عودته للبيت

ولما اتصل السيد بالدكتور سأله عن سبب تصرف ابنه مع زهيرة ابنة عمه بتلك الطريقة الصبيانية والتهديد والوعيد ، فقال السيد عادل : هذا الولد يا سيدي الدكتور متعلق بابنة عمه ويزعم أنه يحبها ، ولا يحب في الدنيا من النساء إلا هي ، وقد صدم برفضها الشديد ، وكان يظن أنها لما تكبر تتغير ، فهو منذ وعى وبلغ وهو يرى أنه أولى الناس بها .. وأنا في البداية شجعته على ذلك ، قلنا نحن أولى باليتيمة من غيرنا ، وسعيت له في ذلك.. وأنت تذكر ذلك ، ثم لما رأينا عدم رغبتها فينا كأمها العاقة طالبته بالكف عن الحلم بالزواج منها ، وليبحث عن حليلة خيرا منها ؛ ولكنه راكب رأسه ، ولا يريد إلا هي .. هو صبر على أمل .. وهذا الدراسة طويلة كما تعلم يا دكتور ، فهو يريد أن يتزوج وهي تدرس ولا مانع عنده ؛ ولكنها تأبى الزواج اليوم.

ـ يا أستاذ عادل.. البنت من البداية بينت لكم أنها تطمح لإكمال الجامعة والعمل كطبيبة .. ونصحت لك سابقا أن تزوج ابنك؛ لأنها تبغضه ولا تريده .. لكنك على ما يبدو لم تكترث بنصحي .. يا أستاذ الزواج إن لم يكن إيجاب وقبول عن طواعية سيفشل .. أنتم تحيون في عاصمة مدينة أفكار الريف والقرى لا تتناسب مع المدن .. فالتهديد والوعيد لا يجدي نفعا .. فأرجوك أن تكف ابنك عن إزعاج البنت .. طلبت مني أمها أن أتقدم بشكوى للشرطة عن طريق المحامي .. فاعتذرت لها وقلت أنتم أهل .. والإشكال يحل بالتفاهم.. أنت رجل عاقل ومربي أجيال يا أستاذ عادل.. فاضغط على الولد أن لا يتعرض لها مستقبلا بشيء مهما صغر إنها فتاة يتيمة ووحيدة أمها..

ـ صدق يا دكتور أني وأمه وأخوه الكبير حاولنا جادين صرفه عن هذا اللقاء ، وعن هذا التفكير الأعوج .. ولكن ماذا ستفعل لشاب بلغ الثلاث والعشرين سنة؟! .. لم يعد صغيرا

ـ والحل يا سيد عادل.

ـ أنا لا حل عندي.. الحل عندكم.

ـ عندنا ! .. يا رجل أنت عمها والولد ابنك

ـ قل لي ماذا أفعل ؟ هل أستطيع أن أخطب له فتاة بدون موافقته ؟ مَن مِن الناس سيقبل ؟! أنا في الأول قلت ابن عم يرغب بابنة عمه .. ولما رأيت رفضها قلت له ابحث عن غيرها أو اصبر حتى تنضج أكثر .. فلو لم يكن محبا لها لما صبر ، ولتزوج أخرى دون انتظار.. وأنا أضع السبب واللوم على أمها فهي تبغضنا ؛ كأننا لسنا أسرة واحدة ، وأنها زوجة المرحوم أخي .. وأن البنت بنتنا .. نشرت بين الناس أننا طامعون في ثروتها ومالها الذي ورثته عن أخي، وصدق الناس الكلام .. ولما تحدثنا عن البنت أخذت تنشر أننا طامعون بمال زهيرة .. كل الأولاد تزوجوا يا دكتور وأغلب البنات ، لم يبق إلا ميلاد وبنتان ما زالتا تتعلمان.. وأولادي من الزوجة الثانية وهم صغار بعد

ـ وهل الزواج بالقوة والعنف يا حضرة الأستاذ ؟

ـ القضية أن الشاب متعلق بها ومحب لها

ـ حب من طرف واحد لا يفلح .. وأمامها سنوات في الجامعة .. فأتمنى عليك أن تبعده عن طريقها .. لا أريد أن تصل الأمور لشرطة ومحاكم وأنتم أهل .

ـ ذكرت له عن فشل الحب إذا كان من طرف واحد ؛ ولكنه قال يأتي الحب بعد الزواج .. أكثر الناس يتزوجون بدون حب ، ويأتي الحب بعد الزواج

ـ صحيح هكذا نتزوج ؛ ولكن بقبول الطرفين لبعضهما .. لا برفض ولا بقوة تهديد .. لا يوجد إجبار وإكراه .. تقبل به المرأة ثم يأتي الانسجام والقبول .. هي ترفضه بقوة وشدة .. عليك بردع ابنك يا عادل.. هذه ابنة أخيك وأنت وليها الأول ، وهي أمانة في عنقك .. تتزوج بإرادتها ورغبتها ومن تقبله وتوافق عليه .. عليك بتزويجه قبل أن يتمادى معها .. فأنا دهشت من فعلته معها.. الزواج بالتفاهم والتراضي

عاد عادل يردد : ماذا أفعل ؟ هل أحمل له سيفا ؟! ذكرت له أنا وإخوته أن ينسى هذه الفتاة ، وأنها لا تصلح له ، وستجعل حياته جحيما وشقاء ، لو حصل زواج بالغصب والإجبار.



رقيب

شغلت قضية تهديد ميلاد لزهيرة عددا من الأسر ، فقد تضايق أفراد عائلة هناء محمد من هذا التصرف الأرعن ، وحتى زوجها رستم تضايق من فعل الشاب ، ورغب في التدخل في القضية ، لولا رجاء هناء ألا يتدخل خشية أن يكبر الأمر ، ورأينا أن أسرة الوصي ممن استاءوا من تصرف الشاب الغبي ، وحتى بعض أعمامها تحدث مع شقيقه الأكبر ، واحتج على هذا الفعل ، والكل يرى أن الحل أن يتزوج فتاة أخرى ، ويدع ابنة عمه تختار من تشاء لما ترغب بالزواج ؛ لذلك لما كلمه ماهر طه عبر الهاتف قال ميلاد بغضب مكتوم صرفت نظري عن الزواج .. سأظل أعزبا .. أنا حر

سعى ماهر للالتقاء به ، فاعتذر الشاب ، وطلب منه عدم الاتصال به ثانية ، تحدث ماهر مع زميل له في الطب النفسي ، فقال بعدما سمع تفاصيل القصة هو كلام لا يجب أن يؤخذ عن جد .. إنما هو علق بها صغيرا ـ في فترة المراهقة من تشجيع والديه له في التفكير فيها كزوجة ـ فأصبح مقتنعا أنه الذي يجب أن يتزوجها .. ولما كبر سنه ظل الوالدان يرغبانه في هذا الاتجاه، فاستقر في وجدانه كأنه حقيقة وواجب الاقتران بها ، ولم يستوعب رفضها القديم، وظن أن ذلك دلع بنات ، ولما تكبر البنت ، وتنضج جنسيا أكثر سيكون هو الرجل الأول في حياتها .. هو مقتنع أن الدراسة لا تصلح للبنات ، وأقصى أماني الفتاة أن تأخذ الثانوية ، وتتزوج قبل فوات الأوان .. وأعتقد أنه بتصرفه هذا أن تضعف وتستسلم للقبول به ، فهو يحاول إخافتها بأنه الزوج الأول والأخير لها ، وعليها أن تقنع نفسها به .. ونصيحتي لها يا دكتور ماهر غض الطرف عن تهديده ، وأن لا تهتم بكلامه .. وفي حالة الغضب والثورة النفسية يتكلم الناس بغير وعي وإدراك لما يقولونه هل ننتظر حتى يفعل شيئا مؤسفا؟

ـ ماذا سيفعل ؟! هل سيعتدي عليها بدنيا ؟ هل يقتلها ؟! لن يفعل شيئا .. سيظل متعلقا بها حتى تتزوج هي .. فهو سيظل مقنعا لنفسه أنها له ما دامت بغير زوج

ـ أهو مريض نفسيا؟

ـ هو تصرف تصرفا عدوانيا على غير عادة الناس في الزواج ، ويحتاج لعلاج نفسي إذا قبل أن يجلس في عيادة الطب النفسي ، ولكنه من الصعب أن يقبل هذا الاقتراح ويعترف بأنه مريض، وبحاجة لعلاج لأن أغلب الناس في بلادنا لا يعترفون بهذا الطب

ـ المشكلة يا دكتور أن والده طمعت نفسه قديما بالزواج من أم البنت بعدما ترملت بوفاة شقيقه .. وفسرنا ذلك طمعا بثروتها وميراثها من شقيقه .. وقد رفضته الأم ، ومع ذلك عاند وكرر الطلب حتى بعدما نكحت شقيقي مروان .. عاشت معه بضع سنوات ، ثم طلقها ، وطلبها الرجل من جديد .. وها هو ابنه يسعى بكل شدة للزواج من ابنتها .. أمر غريب فعلا يا دكتور عاطف !

ـ لا تخشى عليها .. سوف يختفي من حياتها ، وهي ستختفي من تفكيره .. وسوف يستسلم للواقع .. لا أتصور أن يؤذيها ماديا ما دام في تلك المقابلة لم يفعل ذلك .. قد تخرج منه ألفاظ بذيئة ، وشتم نحوها للتنفيس عن الكبت منها .. ومع الوقت وتقدمها في الجامعة سيدرك البون الذي يتكون بينهما ، وأنها لا تصلح أما لأولاده

ـ أتعتقد أنه سوف سيتزوج بعد حين ؟

ـ سيفعل ، ربما يتأخر ذلك بعض الزمن حتى يتخلص من رواسب السنين التي قضاها بالتفكير بأنها حليلة له

ـ أرجو ذلك ، فأنا تهمني سلامتها حتى تبلغ بر الأمان، وتتزوج وأخلص من رعايتها ، وأسلمها أموالها

ـ الحقيقة أن اللوم يقع على والديه أساسا ، فمنذ رفضته كان عليهما السعي لتزويجه بأسرع وقت لكن يبدو أنهما كانا يطمعان بتغيير رأيها .. وأخشى أن يبقى لديهما أمل بأن يتزوجها حتى بعد جامعتها .. فعليك أن تحثهما يا ماهر على السعي في زواجه في كل حين

ـ فعلت ، وسأبقى أفعل .. هذا الشاب ترك المدرسة صغيرا ، لم يصل للثانوية يا عاطف .. تعلم مهنة تصليح السيارات الصغيرة .. والفتاة سوف تلتقي بطلاب أطباء وطلاب جامعيين

لا أعتقد أنها ستغير رأيها أيها الصديق في يوم من الأيام .. فهو جاهل علميا بالنسبة لها .. فالفجوة ستكبر أكثر وأكثر

ـ أرجو لها السلامة أيها الصديق العزيز .. ولتهتم بدراستها ، وتنسى قدر الإمكان كل تصرفات ميلاد ومعاكساته .. هي تنفيس عن الفشل أيها الفاضل وصبره منتظرا تلك السنوات لعلها تغير رأيها نحوه .. لقد خاب أمله وانتظاره .

كان الشاب ميلاد يجلس أمام المحل الذي يملكه مع ابن عم له اسمه حميد نبيل حسن ، وكانا شريكين في المحل منذ سنتين مضتا ، فكلاهما تعلم مهنة تصليح السيارات الصغيرة والحافلات الصغيرة ، وكان حميد من جيل ميلاد سنا ، ولكنه متزوج منذ سنوات خلت ، ووهبه الوهاب حتى هذه الأحداث بنتين ، والمولود الثالث على الطريق كما حدث ميلادا ، وكان حميد يجلس في سيارة قابعة أمام المحل تنتظر التصليح والصيانة ، ومحلهما هو واحد من عدد كبير من المحلات التي تعمل على صيانة وتصليح السيارات في ذلك الحي والشارع .. هو سوق لتصليح السيارات الصغيرة والكبيرة ، وبيع القطع لها ، وبيع الإطارات والإكسسوارات الخاصة بالسيارات ، وتنجيد الكراسي ، ونفخ الإطارات وتبديلها ، ولا يخلو المكان من محلات تجارية وبقالات ومطاعم ومقاهي لتخدم رواد ذلك السوق الكبير ، وكان حميد يدخن ومثله ميلاد ، فكان حميد يعمل ويقول لميلاد : أنت عنيد .. لو تزوجت منذ رفضتك ؛ لكان عندك أولاد وبنات اليوم .. فلي زوجة وبنتان والأم حامل.. أنا متعجب من تعلقك الغريب بزهيرة .. فهي ليست بالفتاة البيضاء الحسناء .. هي فتاة عادية لديها مسحة جمال .. وهي ممتلئة الجسم مثل أمها ، وليست طويلة القائمة ونحيفة .

التفت إليه ميلاد وقال : ألا يقولون الحب أعمى ؟! .. أنا ألوم أمي وأبي اليوم .. ألومهما في تعلقي الكبير بها .. كانت البداية ابنة عمك يجب أن تستر عليها .. هذه اليتيمة نحن أولى الناس بالستر عليها .. معها قرشان أنت أولى بهما من غيرك .. فأحببتها ورغبت بها ، وظننت الأمر سهلا .. مالها يساعدك في فتح دكان تعمل فيها وحدك .. فصدقت كل هذا الكلام يا حميد ..

ولما رفضتني في آخر المرحلة الإعدادية قالوا صغيرة وغدا ستكبر .. وهكذا ضاع صبرنا وانتظارنا هباء منثورا . نادى على صبي يعمل لديهم ، وأعطاه كأس شاي فارغ قائلا له: املأ هذا الكوب ، ثم أشعل لفافة تبغ أخرى وقال : هل سيأتي شقيق صاحبك محمود ؟

ـ أمرك عجيب يا ابن عمي ! بنت تعقد حياتك .. يا رجل القصاص حدثونا بقصة عنتر بن شداد .. وفي النهاية لم نعرف أن البطل تزوج عبلة أم لا ! .. وماذا سيفعل لك السيد أحمد شقيق محمود ؟ .. هو مجرد طالب في الجامعة .. هل سيدع محاضراته ليراقب لك زهيرة ؟

ـ يلتقط أخبارها وأفعالها في الجامعة ..

ـ هل يترك دروسه ليهتم بفتاتك وابنة عمنا المرحوم مجدي ؟ العم الذي ظل هاجرا للزواج حتى صار عمره أربعين سنة ثم تزوج .. ربما في ابنته شيء من الوراثة .. أو أنت ستصير وريثه في العزوف عن الزواج .. ولما تكبر تتزوج .. تزوج بضع سنوات ، ثم سلم الروح لبارئها ..

ـ حياتي معقدة هذه الأيام

ـ عنادك عقّد حياتك .. كانوا يقولون لك عندما تتزوجها ستفتح لك محلا .. ها هو المحل لنا بدون أن تتزوجها .. استيقظ من عنادك يا ابن عمي .. زهيرة من درب ونحن من درب .

ـ ألها عاشق يا حميد يبعدها عني ؟!

ـ أمي تقول إنها فتاة جادة وحابة الدراسة وأن تصير دكتورة كأبيها .. تتداوى عندها الناس .. مهنة أبيها ..

قال : ولكنها في الجامعة !

ـ هو كل فتاة في الجامعة لها عشاق

قال : أصدقاء من الذكور ..

ـ وماذا يعني هذا لك ؟ اليوم هناك مدارس فيها من الجنسين .. وبحكم الدراسة لابد من التقاء وتصاحب الجنسين .. أنا لا أدري كيف تخرج كلمة عاشق من فمك نحو ابنة عمنا ؟

ـ الدنيا تتغير بسرعة يا إنسان

ـ لا أقصد المعنى الحرفي للكلمة .. هناك كما نسمع تتخذ الفتيات زملاء وأصدقاء وشلة يلهون مع بعض .. يدخنون يسخرون يمزحون

ـ صحيح ؛ ولكن ليس بالصورة البشعة التي نسمع عنها في جامعات أوروبا من حب الحرية الجنسية حتى أننا نسمع أن حرية زواج المثلين في تلك البلاد .. شيء مقرف !

ـ مقرف .. لأننا مجتمعات مسلمة .

ـ ابنة عمنا الدكتورة الصاعدة لابد أن تلتقي ببعض الشباب كغيرها من طلبة الجامعة

قال ميلاد وهو يرمي كوب الشاي الثاني على الأرض : تتعرف لكن أن تحب وتسهر ..

ـ لا يرضى أخوالها بذلك خاصة يسري الذي تشاطره البيت مع جدتها أم فوزي .. فهم مثلنا متمسكون بالإسلام والشرف

فضحك ميلاد وقال : لعلك نسيت .. ماذا فعلوا أيام أمها عندما تعلقت بشاب يصغرها بسنوات كثيرة ؟!

قال حميد : احترم امرأة عمك يا رجل .. ثم هي كانت عند الدكتور مروان .. والأخ يسري شقيقها لقد قام بضربها وتربيتها

ـ ولا اهتمت به .. الذي صحح اعوجاجها موت الحاج محمد والدها الذي هلك بسببها .. مات مصدوما

ـ أنا أعرف بغضك لها .. الله يستر على النساء .. عليك أن لا تنسى أنها كانت امرأة عمنا مجدي وأنها والدة زهيرة

ـ صح ؛ ولكنها تزوجت شقيق الوصي ، وفضحته .. قد طمعوا بثروتها

ضحك حميد وقال : سخف هذا .. هذه أقوال عمي عادل .. قضت ثلاث أو أربع سنوات عنده ما سمعنا أنهم أخذوا منها قرشا واحدا ، بل سيارتها كانت من زوجها وابنه الكبير كهدية .. العدل مطلوب يا أخ ميلاد .. هي زهيرة كم ورثت عن أبيها ؟

قال ميلاد : أنت تدافع عنها كثيرا يا حميد ..

ـ القضية ليست قضية دفاع .. إنما قضية احترام لأجل أنها كانت زوجة للعم مجدي .. وهي في حالها ولا تتدخل فينا ..

ـ كلام أبيك الذي يردده على مسامع أبي .. سمعت أن البنت ورثت ما يزيد عن المائة ألف دينار ثروة كبيرة .. شغل سنوات طويلة لعمي رحمه الله ..

ـ أوه ! مبلغ كبير .. مائة ألف يا منحوس .. عيناك على مائة ألف .. عمي عادل ملأ كيانك من زهيرة لتفوز بمائة ألف

ـ وأمها حصلت مبلغا جيدا .. عمك كان دكتور في إحدى دول البترول والنفط

ـ أعرف .. ووالدي ورث بعض المال عن شقيقه .. وهذا المشغل فيه حصة لأبي .. نعود لزهيرة التي أنت مصر على الزواج منها ولو طال الزمن

أشعل لفافة تبغ من جديد وقال : هي كما قلت ليست بالجميلة الفاتنة ، وهي مقبولة وابنة عم وثرية .. أريد أن أفهم السبب الحقيقي لرفضها لي .. لابد أن شخصا ما في حياتها .. فربما شقيق صاحبك السيد محمود يعرف لي أخبارها في الجامعة .. خاصة أنه في كلية التمريض .. قد يستطيع معرفة من هو هذا الفارس أو الصديق ؟

ضحك حميد وقال : مع سخف ما تطلب سأفعل .. فقد سألني السيد محمود عن سبب ضيقك ونكدك.. فقلت له الهوى تلاعب به ، ثم حكيت له بعض قصتك وغرامك الوهمي ، فذكر أن له أخا يدرس في الجامعة في كلية التمريض سنة ثانية فيمكنه معرفة أخبارها في الكلية ، وقد يتعرف عليها بحكم العمل في المستشفى التعليمي في المحاضرات العملية .. ولما تحدث مع أخيه عنها ، ذكر أنه لا يعرفها شخصيا ، ولم يلتق بها ، وربما يستطيع التعرف عليها وعلى أخبارها .. فهم يعيشون في مجتمع مختلط ، وسهل التعرف على أي شخص كمعرفة عابرة .. وإن لم يستطع بشخصه يستطيع عن طريق صاحباته الإناث ، فطلبت ـ حسب رغبتك الملحة ـ أن يأتينا بأخبار زهيرة في الجامعة ، وسوف يمر مساء هذا اليوم السيد أحمد ليتعرف عليك أكثر ، فهو يعرفنا كما يقول محمود ؛ ولكنها معرفة خفيفة بحكم مجيئه أحيانا مع محمود لتصليح السيارة .. فقد رافقه

مرة ، ولم يتحدث معنا سوى بالإشارة محييا لنا

قال ميلاد: أنا لا اذكره .. أما محمود فأعرفه جيدا .. وهو زبون يتردد علينا باستمرار ، وأصبح صديقا لنا ، وهو من نفس جلينا

ـ نعم ، وهو متزوج مثلي ، وعنده طفلان مثلي أيضا ، وأكثر من مرة شاركنا الغداء هنا ؛ لذلك هو راغب بجد خدمنا

ـ ولماذا سيقابلنا أخوه إذن ؟!

قال حميد : سيقابلنا يا سيدي ليتعرف علينا أولا ، ويعرف ما الذي تريده بالضبط وأنك تزعم أن رفضها لك بسبب تعلقها بشاب قد لعب بعقلها ورفضتك من أجله.. ألم تقل لابد أن صيادا من طلبة الكلية صادها ؟

ـ أنا هكذا خمنت .. أليس لكل شيء سبب ؟ ..أرغب من هذا الشاب المدعو أحمد أن يعرف ذلك لي

ـ والله يا ابن عمي لو تصرف نظر عن زهيرة وتتزوج أحسن لك

ـ أبعد كل هذه السنين من الانتظار ؟!

آخر النهار أقبل السيد محمود قائدا لسيارته القديمة ، ومعه شقيقه أحمد طالب كلية التمريض إلى محل تصليح السيارات الذي يملكه ميلاد وابن عمه حميد ، وبعد الترحيب وشرب الشاي خرج ميلاد وأحمد حيث تقف سيارة محمود ، وجلسا في مقعدها الخلفي وقد تركوا أبوابها الخلفية مشرعة يتحدثان ، فكان ميلاد يقول : لما بدأت أكبر سنا كان أبي يقول إننا سنزوجك ابنة أخي المرحوم مجدي ، فصرت كلما نذهب لزيارتها في بيت جديها والد أمها أرافقهما .. وهي وحيدة عمي مجدي الميت .. المهم تعلقت نفسي فيها ، واعتقدت أن المسألة مسالة وقت ، عندما نكبر ونصبح مؤهلين للزواج نتزوج ، وأن الأمر مسلم به ، ولما بلغت البنت خمسة عشر عاما تقدمنا للزواج منها ، فرفضت أمها في البداية ، وبينت لنا أن البنت لا ترغب بالزواج في مثل هذه السن ، وتريد أن تكمل المدرسة .. فتحرك أبي ، ووسط بعض الناس حتى رضينا بالصبر

وتأجيل موضوع الزواج ، وأنا طبعا تركت المدرسة في الإعدادية ، وتعلمت هذه الصنعة عند أهل الخبرة ، وكنت حقيقة ضعيفا في الحفظ والتحصيل ، ورأيت المهنة أفضل من المتابعة .. تحججوا بالصغر والمدرسة ، تزوج حميد ، وظللت منتظرا حتى تصل التوجيهي ، صبرت وأجلنا الزواج .. ووالديّ كان عندهم أمل أن تقبل زهيرة ابنة عمي بي عندما تنضج ، وترى أن مصلحتها هي الزواج المبكر .. كان عندهم أمل كبير أن تكون من نصيبي .. وأنا ظللت يا أخ أحمد متعلقا بالخيط الضعيف ، ولست مستعجلا على الزواج كحميد .. نجحت في الثانوية العامة ، وحصلت المعدل الكبير الذي يؤهلها للقبول في الجامعة والطب خاصة ، حصلت معدلا فوق التسعين في الفرع العلمي .. صدمت بعض الشيء .. كنت أتوقع أن لا تحصل المعدل الكبير الذي يؤهلها لكلية الطب .. فترى الزواج خيرا من دراسة الجامعة .. وكنا نسمع أن هذه رغبة عمي الميت أن تدرس زهيرة مجدي في كلية الطب ، وكان موته وهي ابنة ست سنوات أو سبع ..أنا أدركت سعة المسافة بيننا ولكن هواي معها .. تحرك أبي من جديد لكن دون جدوى كلمها أخوالها وبعض أعمامي ، رفضت بشدة فكرة الزواج مني ، واستمرت في الجامعة فاضطررت للالتقاء بها ، ومناقشة القضية فرفضتني بغضب وكره ، فاضطررت أن أحدثها بحدة وتهديد وسخط ونقمة ، وأنها لن تتزوج غيري ، ثم خرجت غاضبا مقهورا .. فهل رفضها لشخصي أم لأني ابن الرجل الذي سعى للزواج من أمها بعد وفاة والدها أم أن هناك رجلا أو شابا آخر في حياتها ؟ .. وهذه مهمتك أيها الأخ أن تعرف لي أخبارها في الجامعة ، مع من تمشي تجلس تأكل ؟ هل هناك صديق يرسم للزواج منها أم أنها فعلا لا ترغب بالزواج ؟.. فوالدها تزوج وهو ابن أربعين سنة .. فأمها تزعم أنها لا تفكر بجنس الرجال .. كرهت ذلك من حياة أمها.. قد تزوجت والدتها ثلاث مرات .. هل يوجد امرأة لا ترغب بالزواج والأمومة ؟! ولماذا خلقها الله ؟! وأنا لا أصدق ذلك ! .. حتى راهبات المعابد أشك بعدم رغبتهن بالزواج .

تبسم أحمد لميلاد وقال : يعني أنت ترى أن رجلا في حياتها يحجزها عن القبول بك رغم أن رفضها كان قبل وصولها للجامعة ..أنت تريد مني أن أعرف ألها صديق في الجامعة ؟ .. وهو

عائق أمام زواجك .. هي في السنة الأولى بعد فلا أعتقد أنها كونت صداقات مشبوهة يا سيد ميلاد .. ولكنني سأسعى للتعرف عليها وعلى من يجلسن أو يجلسون معها من أجلك أيها الأخ ومن أجل صداقة محمود معكم .

ولما ظل ميلاد صامتا تابع أحمد فقال : وأنا بحكم تقدمي سنة عليها أعرف شبابا وشابات في كلية التمريض والطب والصيدلة والأسنان ، وحتى من موظفي المستشفى الجامعي حيث التدريب والتطبيق ؛ ولكني أحب أن أنصحك ...

فقطع ميلاد الاسترسال ضائقا وقائلا: إذا كنت ناصحا بصرف نظري عن الزواج منها فلا تنصحني ، لن أتزوج غيرها ، ولو ظللت عمري كله بلا زواج

تبسم أحمد وقال : حسنا ! لكن يا أخي حبك من طرف واحد .. لم يكن بينكم علاقة عاطفية لتبني عليها أملا وحياة زوجية .. فمن كلامك وكلام السيد حميد فليس للبنت قصص مع فتيان الحي والمدرسة .. فليس لها سوابق بما يسمى حب المدارس والمراهقة

ـ نحن طبعا بحكم القرابة لم نسمع بمثل ذلك عن زهيرة ونحن بعيدون عن حيها وخصوصيتها رغم قرابتنا .. هل تصدق أنها منذ سنوات لم تدخل بيتنا بيت عمها عادل والدي ؟ .. حتى في ولائم شهر رمضان كانت تعتذر هي وأمها وأخوالها ، ربما لأنها عاشت فترة مع زوج أمها الغريب

ـ صفها لي أو هل تملك صورة لها ؟ دعني انظر إليها

ـ لا أحمل صورة لها .. كان لنا معها صور ونحن صغار وهي طفلة ، أما بعدما شبت فلا صورة لها عندي ؛ ولكني سأصفها لك بشكل تستطيع معرفتها بمجرد رؤيتها.. أرجو أن تهتم بأخبارها ونشاطها .. وركز على علاقاتها العاطفية وأرجو أن لا يكون لها مثل ذلك وتنهد وقال تعلقت بها تعلقا شديدا يا أحمد لا أدري هل هو خطئي أو خطأ والديّ ؟

ـ سمعت أنها غنية؟

ـ صدق أنني تعلقت بها ليس من أجل المال .. كنت صغيرا عندما اهتممت بها كشريكة حياة

قد يكون هذا دافع أبي لتحريضي للزواج منها ؛ لقد كانت الأنثى الوحيدة التي رغبت بالاقتران بها .. وكنت أرى أن الأمر سهل وميسور فبمجرد أن نتقدم لطلب يدها ، ستقبل ، وترحب بذلك ، وتسر ، وتعود لحضن عائلة أبيها ، وتعلن الأفراح .



لم يجد أحمد صعوبة في إلقاء نظرة على الآنسة زهيرة بعد أن كلفه ميلاد بمعرفة خطاها في الجامعة فهو لم ير في فعله هذا خساسة ، أو تدخل في شؤون الآخرين ، رآها خدمة لشقيقه محمود صديقهم الذي يتردد عليهم كثيرا لتصليح سيارته الأثرية ، لقد رآها أول مرة في مطعم (كافتيريا) كلية الطب ، كانت تجلس مع فتاتين وشاب ، وكانت الفتاتان تلبسان الملابس الشرعية الشائعة أو ما يسمى بالجلباب الإسلامي هذه الأيام .. وحتى زهيرة لم تكن متبرجة سافرة فقد كانت ترتدي ثيابا محتشمة ، وتضع على رأسها خمارا ، ولاحظ أن الشاب يتحدث معهم بحماس بدا له أنهم زملاء في نفس الفصل ، وكان يجلس مع أحمد في المطعم رفيق له فقال له بعد أن لاحظ كثرة نظره إلى تلك الطاولة فقال مداعبا : أراك تنظر كثيرا إلى تلك المائدة . وأشار إليها.

تبسم أحمد وقال : أعتقد أنهم من طلبة كلية الطب .

فرد صديقه : هذا ـ مشيرا للشاب ـ اسمه نزار من كلية الهندسة .

ـ أتعرفه ؟!

ـ ألا تعرفه أنت ؟ إنما هي معرفة جامعة يا محترم ، هو ناشط سياسي أو طلابي في الجامعة ألا تراه يتحدث معهن بحماس كأنه يخطب ، وأعتقد أنه سيرشح نفسه لانتخابات مجالس الطلبة عن كلية الهندسة عن شعبته التي لا أدري ما هي ..

ـ رائع يا سيد جميل! .. إنك تعرفه جيدا ، ظننته طالب طب جديد ..

قال جميل : أنا ظننتك تعرفه عندما لاحظت كثرة التفاتك ناحية تلك المائدة

ـ إنما كنت أنظر إلى تلك الفتاة السمراء الممتلئة .. فهي ابنة عم صديق لي ولأخي سنة أولى طب كما أعلم مستجدة في الكلية .. وطالب الهندسة لماذا يجلس معهن ؟ أمن أجل الانتخابات ؟ وهل بدأت الدعاية ؟

ـ أعتقد من أجل الانتخابات الطلابية .. الحملة تبدأ قبل الإعلان عن الحملة يا أحمد .. وهو صديق لهن حسب معلوماتي ، فكثيرا ما رأيتهم سوية هنا أو في الحدائق ، هل هذا يزعجك ؟

هز رأسه وقال باسما : ابدا يا جميل ! ولكني لما رأيتها تذكرت ابن عمها ، وتقدم لها خاطبا وطالبا للزواج .

ـ الزواج .. هو ليس بطالب

ـ لا ، ميكانيكي سيارات .. واعلم أنها غنية كما أخبرت ، ربما تملك ثروة تبلغ مائة ألف دينار .

ـ هي ؟!

ـ نعم ، هي ورثت ذلك عن أبيها ، وهو دكتور توفي في خارج البلاد ، وليس له إلا هي .

فابتسم جميل وقال : إذن صاحبك طماع ، هو يريد الزواج من مالها كما يبدو

سايره ضحكا وقال : تقريبا ؛ لكنه لا يصرح بذلك ، هو يزعم أنه أولى بها لأنها ابنة عمه ، وربيت عند أخوالها ، فبزواجها منه تعود لأعمامها للعائلة

ضحك جميل وقال : أفكار غريبة ! ألا يوجد لها ابن عم متعلم ؟ أتحب أن تتعرف على المهندس نزار ؟

ـ من نزار ؟

ـ الذي يجلس معها ، ومع الفتاتين الأخريين

تبسم ورد : لا أريد أن أتعرف عليه ، ولا عليها .. هيا ننصرف ولنتح لغيرنا الجلوس على هذه المائدة .

وعندما نهضا يبدو أن المهندس نزارا لمحهم، فحيا جميلا وأشار له بيده للانتظار فدهش أحمد ، وتقدم الشاب إليهما تاركا الفتيات بابتسامة صغيرة ، وسلم عليهما وصافحهما وقال : مرحبا أخ

جميل أتريد الانصراف ؟

ضحك جميل وقال : الانتخابات ؟!

- نعم ، كنت أتحدث مع الأخوات الزميلات عنها ، وحضهن على انتخاب كتلة (التيار الإسلامي)

وعادوا للجلوس بعد أن تعرف نزار على أحمد طالب كلية التمريض ، وذكر له اسم ممثل كلية التمريض في الكتلة ، ودار بينهم حديثا شيقا عن انتخابات مجلس الطلاب على مستوى الجامعة وأهميته للطلاب من مختلف الكليات ، وذكر لهم برنامج الكتلة التي يعمل معها ، ووعدوه خيرا

وقال أحمد : أراكم تعملون مبكرا هذه السنة ؟

ابتسم المدعو نزار وقال : لم يبق إلا القليل لإعلان الموعد ، وأحبت كتلة حقوق الطالب أن تعمل مبكرا ، والإدارة في الجامعة سمحت لنا بالنشاط والحركة مبكرا

فقال أحمد : وماذا سيستفيد الطالب مثلي من مجلس الطلبة ؟! ولا أدري ماذا يقدم هذا المجلس للطلاب ؟ لا أدري إلا أنكم تسجلون مواقف سياسية فقط ؟!

فقال نزار ضاحكا لجهل الطالب لمهام مجلس الطلاب : من المهم أن يتحدث الطلبة في السياسة فهم رجال الدولة في المستقبل القريب .. واعلم أن المجلس لا ينشأ من أجل السياسة ، هو قائم لتحقيق مصالح الطلاب وحقوقهم في تحصيل العلم ، وحل مشاكلهم مع الإدارة ، وعندما يسمح بالدعاية علنا سيوزع برنامج عمل كتلة حقوق الطلبة ، وهناك المساعدة في الخدمة الطبية ومساعدة الفقراء أو الذين يطرأ عليهم الفقر خلال سنوات الدراسة ، ونشاطات كثيرة يقوم بها مجلس الطلبة وهي تدريب للعمل الاجتماعي والسياسي بعد التخرج من خلال النقابات المهنية .. فللمهندسين نقابة وللممرضين نقابة .. فهي فترة تدريب

للعمل الجماعي .. تنمية روح الحوار وتبادل الأفكار وتعزيز الانتماء للأمة .

فقال جميل : المجلس مهم ، وقد لا يلمس كل طالب شخصيا أهميته ، لو حدثت مشكلة مع معيد أو عميد مدير أستاذ مع زميل .. فالمجلس يساعد على حل المشكلة والتخفيف من

أضرارها ؛ ولكن المواقف السياسية من قضايا الوطن تبرز أكثر لتسليط الإعلام الأضواء عليها أكثر من الأمور الأخرى.

فقال أحمد : على كل حال سوف نشارككم يا سيد نزار الانتخابات .. ونحن سعيدون بالتعرف على شاب محترم مثلك ، وعلى مهندس واعد

ـ شكرا يا سادة . وتفرقوا .

عاد أحمد وجميل في اليوم التالي لمطعم كلية الطب ، فوجدا الطالب نزارا يجلس مرة أخرى مع زهيرة وصاحبتيها ، فلما أخذا بالأكل قال أحمد : صاحبنا اليوم هنا .. هندسة طب !

قال جميل غامزا: ربما كان بينهم زيادة على ما سمعنا أمس

أحمد متشككا : أخشى أن تكون هنا مغامرة نسائية .. لا أرى ما يدل على أنهن فتيات لعوبات فملابسهن تدل على أنهن محافظات .

ولمحهما نزار فأرسل إليهما تحية بيده ، فردا التحية بمثلها ، ثم غادرا القاعة فور قضاء طعامهما حيث الحدائق التي تنتشر فيها الأرائك الخشبية ، فجلسا على واحدة خالية يتحدثان فقال جميل : أراك تتردد إلى هنا منذ فترة ؟ هل من جو جديد ؟

ـ جو ! ليس لدي جو جديد ولا قديم .. إسراء تركتني يا صديقي .. قد أصبحت صديقة لخالد

ـ خالد الذي أعرفه ؟!

ـ آ .. أصبح الصديق المفضل عندها

ـ أحسن .. بس لماذا ابتعدت عنك ؟!

ـ قالت إني ممل ، ومجالسي مملة ، تحب السهر والخروج إلى الأسواق والساحات والمسارح .. وأنا شبت منها قبل دخول الجامعة .. وأسواق الملابس تثير النفس وتغويها .. مرة خلتني اشتري لها قميصا

ـ بدون مقابل

ـ بدون مقابل ، ربما مسكت يدها مقابل ذاك القميص .. هي تحب الشباب والأصدقاء .. وتحب

أخذ الهدايا منهم .. تسميها ذكريات الجامعة .. وهي فرصة لن تتكرر في العمر أي الدراسة مع الشباب في الجامعة ومرافقتهم .. وهي لا تفرط بشيء من جسدها لهم لحد الآن وأنا لم أحاول لأني أكره الزنا .. ولي أقارب في الجامعة أخجل أن يسمعوا شيئا عني .

فقال جميل جذلا : الحمد لله .. لم اتخذ أي صديقة بمعنى الصديقة .. نعود لماذا تحب التردد على هذا المكان منذ عهد حديث لماذا ؟!

تبسم أحمد في وجه صديقه في الكلية وقال : لا لشيء ؛ ولكني ارتاح في مطعم كلية الطب ، ربما رأيته أنظفها .. وأكثر المعارف معارف عابرون يا سيدي .. وهل إذا جاء الشخص هنا لابد أن يكون له جو .. يرغب بالزواج من طبيبة واعدة ؟

ضحك جميل وقال : عادة الطالب يحب أن يتسكع مع طلاب كليته ؛ ليكون صداقات عرضية ودائمة .. ولما يتردد طالب مثلك لمطعم هذه الكلية لابد أن يكون هناك جو .. وإلا الفتيات أكثر من الذكور يخيل لي في الجامعة ..

ـ ها هو صاحبنا يخرج مع الفتيات

التفت جميل ناحية نزار وقال : إنك تبدي اهتماما في تلك المجموعة .. وخاصة تلك الفتاة التي أخبرتني أن صاحبك الميكانيكي طلبها للزواج

ـ نعم ، طلبها ابن عمها ورفضته ، بل مصرة على رفضه .. ثم أعاد على مسمعه قصة رفضها وتهديده لها بأنها لن تتزوج غيره .. وفي النهاية قال : الشاب مصمم على الاقتران بها ، ولو صار عمره مائة عام .. يا ترى لو رآها تأكل مع طالب كلية هندسة ، ربما ثار وانقض عليهما انقضاض البازي على فريسته ..

فقال جميل معقبا : صاحبك مجنون .. يا رجل ! طبيبة ستقبل به .. هو هدفه الفلوس وبس .

فقال أحمد : ألا تنكح المرأة لمالها ؟

ـ تنكح ، لكنها متعلمة ، وهو أمي .. يبدو لي من كلامك أن عقليته قروية .. أين محله ؟ كأنك ذكرت أن له محلا أو كراجا لتصليح سيارات أين ؟

ـ نعم ، في شارع البوصلة حيث أظن أنها أكبر منطقة لورشات تصليح السيارات الصغيرة والحافلات .. لقد اهتممنا بهم أكثر من اللازم

ضحك جميل وقال : اهتمامك بها واضح يا أحمد بالنسبة لي .. وصديقنا نزار مهتم بالحديث معها ، فلن تجرؤ على إفساد صداقتهما .

ـ هل تعتقد أنني أميل إليها ؟ .. وأحضر إلى هنا آملا في ذلك .. جعلتني نذلا يا جميل .. قلت لك ابن عمها طامع بها ، بل هددها أن تتزوج رجلا غيره ، ولسوف يفتك به

ـ هددها

ـ نعم ، قابلها وهددها بأنه لن يسمح لأحد أن يتزوجها ، وأنه انتظر ثلاث سنوات ، ويستطيع الانتظار عشر سنوات أخرى

ـ أمعقول هذا ؟! هذا مجنون وسخيف ويعيش في زمن عمرو بن كلثوم التغلبي .. وهذا يؤكد لك أنه يريد المال .. لو تعطيه بضعة آلاف لنصرف عنها لاختفى من حياتها

ضحك أحمد وقال : يا رجل ! أخي محمود الذي تعرفه قال رفض تدخل والديه وإخوانه وأعمامه وأخواله وحتى الوصي على ثروتها ، وأقسم لهم أن لا يتزوج إلا زهيرة .. وهذا هو اسمها .. هل يصرف عنها فكره ؟ لا أعتقد أنه مجنون بها كما قلت .. وهو حب من طرف واحد .. أعتقد أنه قد بقيت علينا محاضرة اليوم .. هيا يا جميل .



زار محمود بيت والده وجلس معهم بعض الوقت ، ثم مشى إلى غرفة أحمد غرفة نومه ، ومكتب دراسته ، وبعد التحية والعناق والسلام المعتاد قال : قال حميد ميلاد يسأل عن أحوال العروس غمر أحمد الضحك ملء فمه وقال : البنت محتشمة ، تلبس ثياب تكاد تكون كثياب بنات كلية الشريعة .

ـ ليست سافرة رغم كثرة المال الموروث !

ـ لأ ، ولا متبرجة ، تلبس ثيابا طويلة ساترة لكل البدن ، وتغطي شعر رأسها وهادئة .. وحرك رأسه يمينا ويسارا وتابع : إنها طبيبة يا حميد .. لا أدري كيف سترضى بصاحبك الولهان ؟!

ـ قلنا له ذلك أنا وحميد وغيرنا، ولفتنا نظره إلى ذلك أكثر من مرة ، وإلى الفارق الاجتماعي بينهم ؛ ولكنه يزعم أنه ابن عم لها

ضحك أحمد : كأنه ابن العم الوحيد

ـ أليس لها حركات مريبة ؟

ـ مريبة ! .. الجلوس مع الذكور في الكليات المختلطة لا يدل على الريبة .. وهو أمر شائع خاصة الطب .. لأنهم يكونون مجموعة من الطلاب مع مدرسهم أو مدرستهم في قاعة أو غرف المرضى يتجولون ويتعلمون .. ولكني شاهدتها أكثر من مرة في الكافتيريا مطعم كلية الطب تجلس مع شاب واحد باستمرار ، ومعهم فتاتان أخريتان .. والشاب من كلية الهندسة سنة ثانية .. وهو شاب ناشط شبابي طلابي ، يهيئ نفسه للترشيح الطلابي في المجلس ؛ فلذلك ينشط في التنقل بين الكليات المختلفة للدعاية .. وجلوسه معهن متكرر خاصة عند وقت وجبة الطعام الصباحية حوالي الساعة العاشرة والنصف .. وحتى ضحكاتهم مقتضبة ، بل ساروا يعرفوننا من ترددنا على مطعمهم ، أنا والسيد جميل زميل لي .. لا تظهر منهم تصرفات غير عادية في مجالس الناس لا تحس أن هناك علاقات عاطفية

ـ يعني البنت محترمة

ـ البنت بعدها سنة أولى

قال محمود : البنت اللعوب من أول يوم في الجامعة تصاحب

ضحك أحمد وقال : ممكن ، وقد التقيت بمثل هذه النماذج

ـ على كل حال تابع مهمتك البغيضة لبعض الوقت .. وأنا أدرك أن هذا تصرف سيء لك ولي بل وجدت نفسي أعرف أحد أبناء أخوال البنت

ـ جميل ! كيف؟!

ـ من حميد ابن عمها ، كنت أتحدث معه منذ أيام ، وعند محل تصليح بجواره توقفت سيارة نظرنا إليها كعادة البشر، فنزل منها كهل ، فلما رآه حميد قال أرأيت هذا الرجل الذي نزل من تلك السيارة ؟ قلت : نعم ، بل أعرفه ، والتقيت به عدة مرات ، وهو لم ينتبه لي ، وإلا سلم عليّ إنه المهندس خليل فوزي .. كان أستاذا في المدرسة الصناعية الكبرى فقال حميد : هو ابن خال ابنة عمي زهيرة فدهشت ، فتابع قائلا : عمل مدرسا كما قلت ، ثم سافر لا أدري السعودية أم الإمارات .. تعاقد مع شركة تعمل في الخليج ، وعاد منذ عهد قريب ، وهو يصلح سيارته بالعادة عند جارنا خضر ، قد يكون قريبه أو من طلابه قديما

قال أحمد : لا أحد مقتنع بزواج صاحبك ميلاد من الآنسة زهيرة .. فصاحبك سخيف ، ويمثل دورا ليس له فيه أمل

ـ يزعم أنه محب

ـ لما سمع صديقي وزميلي في الجامعة جميل الحكاية، ولمرافقته لي إلى كلية الطب أو مطعمها .. قال هذا ليس محبا ، بل هو طماع ، ولو أعطته بعض المال لاختفى من حياتها إلى الأبد .

ضحك محمود وقال : الحق يا أحمد على أبيه .. أبوه كان طامعا بالزواج من أمها بعدما ترملت وبثروتها وثروة زهيرة ؛ كأنه حز بنفسه أن تذهب أموال شقيقه إلى عائلة زهيرة .. مع أن حميدا ذكر لي أنه لم يسمع من أمه التي تزور امرأة عمه بعد ترملها ، وحتى بعد زواجها من شقيق الوصي ، ولليوم ، لم يسمع أن أحدا من أهلها استلف منها مالا ، بل سيارة الأم كانت من زوجها الثاني وابنه كهدية وعطية .. حاول أبوه أكثر من مرة الزواج منها ، وحتى بعد أن طلقها زوجها الثاني سعى لذلك ، وترفضه كل مرة .. فكأنه لم ييأس منها ، فاقنع ميلاد بالزواج من زهيرة ، فطمعت نفسه إليها ، القصة التي تعرفها .. فالسبب أسرته أمه وأبوه .. وأنا مثل صاحبك لا أعتقد أنها ستتزوج منه في يوم من الأيام .. وهو في دخيلة نفسه مقتنع بأنها لن تتزوجه ، فهي لم تقبل به وهي تلميذة مدرسة فهل تقبله وهي طبيبة ؟ .. رفضته في فترة لا حكم لها ، فكيف

عندما تكبر ويصبح القرار كله إليها ؟ .. أنا طلبت منك ذلك حتى يطمئن أن البنت لا تعرف شخصا معينا لترفضه .. فبعض أصحابه يوهمونه بأن سبب رفضها أنها متعلقة بآخر .. غباء غباء أليس كذلك ؟

ـ هو المال والطمع ، لما فشل الوالد بالصيد الثمين شجع الابن على البنت ، وصدق ميلاد أن زهيرة له

ـ هل تعلم أن والد ميلاد كان مدير مدرسة قبل تقاعده ، وهو اليوم يعمل في تجارة العقارات مع أحد أبنائه ، وهو ليس بحاجة لمال زهيرة وأمها .. فكل أولاده من زوجته الأولى كبروا وتزوجوا ، ولم يبق إلا ميلاد وبنت أو اثنتان وسوى أطفاله من الثانية

ـ على كل حال سأنهي مهمتي قريبا يا محمود .. وقل للرجل أن ابنة عمه محترمة .. والآن بعد سماع كلامك فأعتقد أن الشباب الذي يجلس معهن قريبا لها ، وللبنات الأخريات ، ربما ابن خال أو خالة ، وربما استطاع حميد معرفة ذلك من ذكرك لاسم المهندس نزار أمامه ، والله تعالى اعلم .

الشاب الذي كان يجالس الفتيات الثلاث في قاعة طعام كلية الطب ، هو الطالب نزار سعد الدين طالب كلية الهندسة في الجامعة ، وهو سنة ثانية هندسة مدنية ، فهو ابن خالة زهيرة مجدي وإحدى الفتاتين أخته اسمها لمياء سعد الدين ، وهي سنة أولى كلية الصيدلة في نفس الجامعة ، والأخوان من سكان مدينة ومحافظة أخرى ، والفتاة الثالثة هي بنت ابن شقيق هناء محمد المهندس خليل فوزي محمد ، وهي من سكان العاصمة في أحد أحياها العامر بأهله ، وهي سنة أولى صيدلة مثل ابنة عمة أبيها لمياء ، واسمها سمر خليل .

والمهندس نزار وأخته يعرفان زهيرة معرفة جيدة ، وقد التقيا بها كثيرا قبل دخولها الجامعة ، فكانا كلما زاروا جدتهم أم فوزي يصادفان زهيرة ، فيجلسون سوية ؛ لذلك كانت جلساتهم الجامعية امتدادا لتلك الجلسات ، ولم يكن بينهم اتصالات خاصة ، إنما هم أقارب فحسب ، وربما كانت لمياء تتحدث مع زهيرة بالهاتف في بعض الأوقات .

أما سمر فقد كانت أيضا ترافق والدها في زيارة جدته ، فالتقت بزهيرة وعمة أبيها هناء أثناء تلك الزيارات ، وكانت تتحدث معها بالتلفون ، ولم تكن بينهن زيارات خاصة قبل الالتحاق بالجامعة ، فوالدها يشارك العائلة مناسبتها الاجتماعية فحسب ، وغالبا ما يصحب زوجته معه في تلك المناسبات .

وكان الرجل مستاء من عمته عندما زاغت عن خط التقاليد عندما كانت زوجة للدكتور مروان طه ، وآلمه انحرافها ، وكان يقف بجانب عمه يسري في تشدده نحوها ، وسر جدا بتوبتها وأوبتها بعد موت والدها .

ولما التحقت زهيرة بالجامعة أصبح التقاؤها بأبناء خالتها ممكنا ومتكررا ، قد اتفقوا على اللقاء في كافتيريا كلية الطب لموقعها الوسط بين كلية الصيدلة وكلية الهندسة الأبعد شيئا ما ، وكان جلوسهم عائليا ووديا ، يتناولون إفطارا خفيفا أو يشربون القهوة وحدها ، ويسمعون أخبار بعض ونشاطهم في الكليات ، وأصبح الالتقاء عادة لهم ، قد يتخلف نزار عنه أحيانا أو أحدهم لعذر ما ، اجتمعوا ذات نهار كالعادة المشار إليها فقالت لمياء شقيقة نزار له ضاحكة أو متهكمة : أصحابك شباب كلية التمريض لهم عدة أيام لا يأتون هنا !

تبسم الجميع على كلمة أصحابك ثم هتفت سمر : وأنا مثلك لاحظت ذلك .. فما نكاد نجلس حتى يدخلون المطعم حتى وقع في نفسي أنهم مهتمون بنا .

قال نزار : خطر هذا في بالي مثلك يا سمر ؛ ولكن يبدو أننا كنا مخطئين .. فالشاب المدعو أحمد لم أعرفه إلا هنا في هذه القاعة ، أما زميله جميل فقد التقيت به أكثر من مرة ، وتعرفت عليه في انتخابات المجلس العام الماضي ، وهم سنة ثانية تمريض .. وتأكدت معرفتي به عند ترددي على أحد أقسام المستشفى ، كنت أرافق زميلا في العلاج ، فازداد تعارفنا وساعدنا في سرعة العلاج وهو جيد ويعمل بشكل جيد ونشيط .. وكانت كثرة نظراتهم إلى مائدتنا تثير الريب في نفسي ، ولم أفهم فعلهم هذا .. يبدو أنه قد كان لهم جو هنا واختفى .. فالشباب يحسن الصيد في مثل هذه الأماكن .. بالمزح والعيون وتقديم الشراب والشكولاتة ، فهنا يظهرون كرمهم وأموالهم .

فلما سكت نزار قالت زهيرة : أحسن ، لقد أزعجونا بعيونهم .

قالت سمر : هو السيد أحمد الأكثر نظرا ومراقبة لنا .. أما جميل فكان أحيانا يدير لنا ظهره ويغرق في شايه وطعامه .. فكان يخال لي أن أحمد سيهجم علينا .

فضحك نزار وقال : لا أعتقد أنه وقح لهذه الدرجة .. البداية تكون من البنات أنفسهم .. إذا تصرفت البنت تصرفا خاصا فيتجرأ الشباب على التقرب منها والحديث معها .. وأما إذا وجد صدا ورفضا وعدم مبالاة فسيختصر ويبتعد ويبحث عن أخرى ، ويعتقد أن الكثيرات يرغبن بمصاحبته والمشي معه بدون أن يضطر للوقاحة وقلة الأدب .

قالت زهيرة باسمة : رائع هذا التحليل منك يا نزار! .. هذا لمسناه ونحن في المدرسة الثانوية .. تفكير جيد يا نزار فعلا لو أرسلت الفتاة إشارة إيجابية للرجل أو الشاب لتقدم كما قلت ، أما إذا أهملته فلم تكترث بحركاته وعيونه فسيبحث عن غيرها .. ولا أعتقد أنهم جاءوا من كلية التمريض ليتأملوا وجوهنا .. فكلية التمريض أغلب طلابها من الفتيات .. ولا تنس الثياب التي ترتديها الفتيات ، فربما هي نوع من الرسائل للشباب ، وتشجعهم على المغامرات العاطفية فالفتاة المجلببة يفكر الشباب مليون مرة قبل أن يغازلها ويلاطفها .

هتفت لمياء : رائع جدا كلامك يا زهيرة !! لو نحن جيران لجعلتك تملين من زياراتي .. رغم قربك من سمر ، وقربها منك فزيارتكن لبعض ضعيفة تكتفين بلقاءات الجامعة .

ضحكت الفتاتان وقالت زهيرة : نحن بنات ، ومتى سنزور بعض ؟!

وقالت سمر : ورغم أن أبي مهندس ومثقف ، فهو لا يسمح لنا بالتأخر لليل خارج البيت، فمتى سنزور بعض يا لمياء ؟ .. ولولا تعلم أخواتي الأكبر في الجامعات لخشيت أن يحرمني أبي من الجامعة .. تعليم البنات متقبل لدى الكثير من العائلات .

قالت زهيرة : تخيلن أنني عندما أنهيت الإعدادية رغب ابن عمي ميلاد ابن عمي عادل الزواج بي ، وخشيت أن يوافق أهلي وأمي على ذلك تبعا للعادات والتقاليد بتزوج البنت صغيرة ، ولا داعي للمدارس ولا الجامعات

فقالت سمر : ولليوم ما زال متعلقا بك المذكور، ويرفض الزواج من أي بنت

فقال نزار متأملا : سمعنا القصة .. فأمر هذا الشاب غريب فعلا يا زهيرة ! وكيف جرؤ على تهديدك ؟!

فقالت بتمهل : مجنون ! أنا ظننت بمقابلتي له مباشرة أن يعقل ، ويصرف فكره .. ظننت بالرضا على الانفراد به أن أقنعه بصرف نظره عني ، وأن يبحث عن امرأة تناسبه ، وأن يدعني وشأني في هذه الدنيا ، ولكن قبل عرض أفكاري عليه حدثني عن تعلقه بي ، وأنه لن يتزوج إلا مني ، بل لن يسمح لأحد أن يقترن بي ، فصعقت لجنونه ووقاحته ، فبكيت ورعبت من حمقه وخرج غاضبا ناقما كالمجنون .

قالت سمر : تضايقنا جدا لما سمعنا ذلك الجنون وغضبنا .. وقال أبي معلقا على ذلك الخبر الحق على أبيه المربي عادل

فقالت زهيرة ورجفة خوف في صوتها : نعم ، الحق على عمي وامرأة عمي .. اللوم عليهم هم السبب .

بعد إلحاح شديد من ميلاد اتصل حميد بزبونهم الدائم وصاحبهم محمود شقيق طالب كلية التمريض السيد أحمد ، فرد محمود على الهاتف وبعد السلام والتحية والاطمئنان عن الصحة والحياة سأله عن أخبار العروس ، فضحك محمود ملء شدقيه لهذا الوصف وقال : ابنة عمكم فتاة محترمة يا صاحبي .

قال حميد : لا تجاملني لأنني ابن عم الاثنين .

ضحك محمود مجددا وقال : صدق ما أقول ، ويقول العم أحمد إنها تلبس ملابس محتشمة ، وإن لم تكن نحو ملابس طالبات كلية الشريعة ، وتضع على رأسها خمارا

ـ نعم ، منذ وعينا على الزينة واللباس ، لم نر زهيرة سافرة.. وذلك في مناسبات العيد والمناسبات الاجتماعية الأخرى ، كانت تخرج علينا بثياب محتشمة محافظة .. المهم هل هناك علاقات وإشاعات كالتي نسمع عنها بين طالبات الكليات والمعاهد اليوم ؟

ـ لا ، إنما هي تجلس مع فتاتين مثلها في اللباس ، ويجلس معهن الثلاث شاب باستمرار ، يعرفه أحمد ، وصديق له يقول له كأنه قريب لهن وجلساتهم في المطعم هادئة ومحترمة ولا تكاد تسمع لهم صوتا .

ـ شاب يجلس معهن جميعهن

ـ نعم ، معهن جميعهن .. لا خلوة

ـ الحمد لله، وشكرا لجهودكم ، وأنا مثل شقيقك أعتقد أنه أحد أقارب أمها، والله اعلم

ـ نعم ، هو طالب كلية هندسة

ـ آعرفته !.. هذا ابن خالتها ، سمعت أن ابن خالتها يدرس في كلية الهندسة ويتقدمها بسنة ، حدثت أمها أمي بذلك .

ـ نعم ، واسمه نزار

ـ عرفته جيدا ، وقد رأيته في بعض المناسبات

ـ دائما يجلسون سوية ، وهو شاب محترم ، وهو ناشط طلابي كما يخبر أحمد ، فهو يسعى لترشيح نفسه لمجلس طلبة الجامعة أو نادي الجامعة .. تحياتي القلبية للسيد ميلاد ، وانصحه بالبحث عن قرينة أخرى .. فهي ستكون طبيبة

ـ دائما انصحه بتركها وشأنها ، وأن يلتفت لدنياه ، وأن يدع أوهام الشيطان .. والدكتورة سوف تنكح دكتورا مثلها تلتقي به في مستشفى في مركز طبي .. لكن الفتى يوهم نفسه بالهوى والغرام.. مجنون حب كما تبث التلفزيونات والسينما .

ـ ذا حكي فاضي وفارغ يا حميد .. حتى لو تزوجها سيفشل زواجهما .. التكافؤ الفكري والثقافي مطلوب في الزواج خاصة هذه الأيام .. سلم ، أراكم قريبا بإذنه تعالى .

قال : شكرا لك سيدي ، وسلم لي على شقيقك أحمد ، واعلمه أن السيد ميلادا سيدعوكم إلى عشاء في أحد المطاعم الفاخرة .. السلام عليكم

ـ وعليكم ألف سلام ، والى اللقاء في ذاك المطعم .وضحكا وربما قهقها فرحا .

هجرة

كانت جالسة في حجرتها الخاصة في بيت جدتها أم فوزي ، وكانت تدرس وتستعد لاختبارات نهاية الفصل ، طرق الباب فقالت : من ؟

قالت أمها : أنا يا زهيرة .

ـ تفضلي يا أمي

فتحت هناء الباب وزلفت للغرفة ، وكانت زهيرة قد نهضت لتستقبل أمها وتعانقها كما تعودتا على فعل ذلك بعد زواج أمها الثالث ، وكانت حجرة زهيرة واسعة ، ففيها سريرها وخزانة ثيابها وخزانة كتبها ومكتب طالب وتلفزيون خاص بها وجهاز تسجيل أنيق وجميل كبير الحجم وبعض المقاعد وطاولات صغيرة ، وجلست الأم وسألتها عن حالها وصحتها وجامعتها ، ودخلت الخادمة بالقهوة التي طلبت الأم شربها مع ابنتها ، فقد دخلت هناء على أمها ، وجلست معها بعض الوقت قبل أن تنتقل لحجرة زهيرة ، شكرت زهيرة الخادمة على القهوة ، ولما خرجت وردت الباب وراءها عاد الحديث بين الأم وابنتها : كيف حالك يا زهيرة اليوم ؟ وكيف الجامعة ؟ علمت أنك مشغولة بالامتحانات

ـ فعلا أنا مشغولة بالامتحانات أهلا أمي الغالية .. أنا بخير وأنت

ـ بخير إن شاء الله

ـ الحمد لله الأمور جيدة وطيبة بفضل الله تعالى .. وأنا غارقة في حفظ مصطلحات الطب ، فهم كما تعلمين يعلموننا الطب باللغة الإنجليزية

ـ وحسب علمي (إنجليزيتك) ممتازة كما يقول صديقنا ماهر الدكتور

ـ نعم ، الجهود التي بذلتها في المدرسة أفادتني أثناء الجامعة ؛ ولكن دراسة المصطلحات الطبية غير دراسة الثانوية والمدرسة ، فهي أسماء كثيرة ومركبة وأشياء داخل الجسم ، وعلاجات ولكن الحمد لله الأمور ميسرة بفضل الله .. وأنت كيف مع السيد رستم ؟

قالت : مستورة ، تعودت عليه ورضيت بنصيبي .. كنت أحلم بأن يكون لك أخوة وأخوات؛

ولكن قدر الله وما شاء فعل يا بنتي

ابتسمت لأمها وقالت : أحلى عبارة يا أمي ! كله بأمره ، وهذه هي الحياة لا راحة فيها

ـ نعم ، يا بنيتي الحياة تعب وشقاء .. المهم أنك تسيرين كما تحبين وترغبين وتخططين .. وأنا مسرورة بسعادتك .. كيف نزار معك ؟

ـ نزار ابن أختك !

ـ آ ، قد وصيته عليك .

ضحكت زهيرة وقالت : جميل! .. شكرا أمي ، هو شاب محترم وكذلك شقيقته لمياء وابنة ابن خالي وكثيرا ما نلتقي في المطعم الجامعي .

ـ قال لي ذلك خليل فوزي

ـ وابنته محترمة ، وتفهم في الدين والإسلام والدفاع عنه أمام الفتيات المتغربات

ـ الأخ خليل منذ التزم وهو متمسك بالسنة والدين أكثر من أبيه فوزي ، يقرأ ويقرأ ، وأطلق لحيته قديما ، ويتردد على المساجد باستمرار ، فيه شدة ولكنه غير متعصب .

وبعد صمت قصير قالت : ألا نخرج نجلس مع جدتك ؟ فهي تقول إنك قليلة الجلوس معها

تبسمت زهيرة لعتاب أمها وقالت : ومتى أجلس معها يا أمي ؟ عندي محاضرات طول أيام الدراسة ، وعندما أعود أعود مرهقة من السماع والمشي، وهي تأكل وتشرب في حجرتها ، وكذلك امرأة خالي يسري وأولادهم وبناتهم دائما في حجرتها .

ـ تعذرت عنك ، وهي تحبك ، وتحب سماع صوتك والجلوس معها، فلو أطلت معها الجلوس والحديث في أيام العطل .. فالكبير يا زهيرة يحب الإنس والاهتمام به ؛ ليشعر أنه ما زال حيا يسعى ، وأنه مهم للعائلة .. فيقال إن الكبير الهرم يحب أن يعامل مثل الأطفال الصغار .. قومي نشرب الشاي معها

ـ حسنا، سأفعل ، لقد حاولت فعل ذلك ، وما أكاد أجلس حتى يقبل أولاد خالي وخالي يسهرون عندها ، فاضطر للخروج بعد حين يسير .. فالبيت لا يكاد يخلو منهم .

أخبرت الخادمة روجا سيدتها زهيرة أن عمها عادلا يتصل بها هاتفيا ، فغادرت الحجرة حيث الهاتف القابع في بهو الطابق وقالت بضجر : السلام عليكم .. نعم يا عمي .. الحمد لله أنا بخير عساك بخير ..كلكم بخير الحمد لله رب العالمين .. نعم، أنهيت الامتحانات بتوفيق من الله .. عندكم وليمة .. لو عذرتني يا عمي لست مغرمة بالولائم ..حاضر ، سأحضر ـ إن شاء الله ـ لست حاقدا على أحد .. ولكنه أساء لشخصي وتصرف بغير لباقة ونسي نفسه



قام ابن خالها موسى يسري بتوصيلها ظهر يوم الجمعة إلى بيت عمها عادل حسن للمشاركة في الوليمة والغداء القائم في بيته ، ورحب بها أعمامها الذين شاركوا في ذلك الغداء ، ودعوا لها بالنجاح والحياة الطيبة ، ثم انتقلت إلى قاعة النساء ، فسلمت على النساء والفتيات من أقاربها وأنسبائهم ، وهذه كانت أول دعوة تقبلها بعد حادثة ميلاد في بيت جدتها ، وبعد صلاة الجمعة تناول القوم الطعام والغذاء المعد لهذه الدعوة ، ثم شربوا القهوة المرة ، وأثناء جلسة شرب القهوة قالت امرأة عادل أم حسن لزهيرة : أخبرني ميلاد بأنه راغب بالحديث معك .

تطلعت في عيني أم حسن بحدة وقالت بنبرة غضب : ليس بيني وبينه أي حديث .. فليعقل يا امرأة عمي .

فأخذت المرأة تكيل المدح لابنها ، وتذكر مناقبه ومحاسنه ، وبأنه شاب عاقل وشجاع ، وصاحب مصلحة وأنه راغب بها قرة عين ، فاستاءت زهيرة ونهضت قائمة مستأذنة بالانصراف ، فأخذت نساء أعمامها بمعاتبة أم حسن على فتح موضوع ميلاد والزواج من جديد ، ولما رأت إصرار زهيرة على المغادرة قالت : انتظري سيوصلك ميلاد لبيت الحاجة أم فوزي

فصاحت هائجة : ميلاد ! .. هل جننت يا امرأة عمي ؟!

قالت : هو أخبرني أنه طلب من موسى ابن خالك ألا يعود .. سيعيدك للبيت بنفسه .

ـ يا سلام! ومن طلب منه فعل هذا ؟ .. سأعود بسيارة أجرة .. أنا جئت من أجل صلة الرحم حتى لا تقولوا زهيرة متكبرة ومتعجرفة كما أسمع وينقل .

وغادرت الحجرة مسرعة ، وامرأة عمها تدعوها للتريث ، ولكنها خرجت للشارع ناقمة ، فتبعها أحد أعمامها : أين يا زهيرة ؟

التفت إليه وقالت بضيق ظاهر : إلى البيت

قال : علمنا أن ميلادا سيوصلك

ـ ميلادا! ومن قال ذلك ؟

ـ أبوه

ـ لم يحصل شيء من هذا.. سأعود وحدي

ـ ما الخطب ؟

ـ لا شيء ؛ ولكنهم يتصرفون بحمق

وأشارت لتكسي أجرة قادم نحوها ، فتوقف وصعدت فيه ، ولم تسمع ماذا كان يقول عمها ، كان يطلب منها التمهل ليوصلها بنفسه ، ولكن السيارة قد انطلقت بعيدا عنه ، وكان عادل قد لحق بهم ، فلما وصل كانت الفتاة قد ابتعدت فقال : ما الأمر ؟

ـ زهيرة خرجت غاضبة من أم حسن ، حدثتني ابنتي بذلك ، فحاولت تخفيف الأمر .

فقال عادل : هذه البنت لم تحسن تربيتها

ـ لو لم تحسن تربيتها لم تلب دعوتك .. أنتم سيئون

فصاح عادل متفاجأ : نحن سيئون !

رد شقيقه بغضب وضيق : أجل ، ما صدقنا ونحن نخلص من مطاردتك لأمها حتى دخل ميلاد على الخط .. كأن جنس حواء انقطع لديكم إلا من زهيرة وأمها .. هل تظن لو بقي مجدي حيا سيزوجها من ابنك ؟

سمع ميلاد هذا الكلام ، وكان هو بدوره يخرج للشارع ساخطا على انصراف زهيرة فقال مخاطبا

عمه : لو كان مجدي حيا سيرفض زواجي منها !

فصاح عمه في وجهه : اغرب عن وجهي .. أنت فارس زمانك! .. بنت لا تريدك حتى صرت تكلف أولاد الناس يراقبونها في الجامعة

قبل أن يرد ميلاد قال عادل : ماذا قلت يا أدهم ؟

ـ قلت ما سمعت .. اسأل ابنك .. هكذا سمعت حميدا يتحدث مع زبون لهم ..

حملق عادل في ابنه وقال : ما الذي تفوه به عمك ؟!

ـ لم أراقبها، ولن تتزوج غيري

صاح في ولده وقال : اغرب عن وجهي

وقال شقيقه: يجب أن نضع حلا لهذه المهازل يا عادل .. يرسل الناس تتجسس على ابنة عمه .. بنت ستصير دكتورة تتزوج هذا الضائع

هاج ميلاد وصاح في عمه : عماه إنك تتمادى في كلامك عليّ

ـ ومن أنت حتى أتمادى عليك .. تعال اضربني

صاح عادل في ولده : ابتعد من هنا

وتحول الاجتماع العائلي إلى شجار وصراخ وصياح ، وأقسم السيد أدهم أمام إخوانه أن لا يدخل بيت عادل ، فرد ميلاد متحديا: لعمرك دخلت مع ألف سلامة

فقال أدهم : هذه تربية ابنك يا عادل أرأيت ؟!

فصاح عادل في وجهه شقيقه : فعلا تماديت علينا يا أدهم

واشتد الشجار والعتاب ، ولملم أدهم أسرته، وغادر المكان ، وما كادت زهيرة تصل البيت حتى تلقت اتصالا يتهمها بأنها سببت معركة بين أعمامها ؛ لانصرافها بطريقة غير لائقة ، فأغلقت السماعة قبل أن يكتمل الكلام ، وأجهشت بالبكاء .

في الليل اتصلت زهيرة بالدكتور ماهر طه الوصي المالي عليها ، وأخبرته بما حدث معها في بيت عمها ، ولما اطمأن عليها وعلى اختباراتها ، وأسف لها عما حدث من هذا الفعل غير اللائق قال

: لقد تحدثت مع عميد الكلية فأثنى عليك خيرا ، واعتبرك من النوادر في الكلية ، وسيسعى للقاء بك ، ليتعرف عليك شخصيا

ـ الشكر لك يا سيدي الدكتور .. بارك الله فيك

ـ هل تريدين شيئا لتتصلي بي ؟

ـ نعم ، أريد أن اشتري سيارة بسبب الموقف الذي صار لي عند بيت عمي .. لقد صرفوا ابن خالي ، ومنعوه من أن يعود لأخذي .

ـ لا حرج يا بنيتي .. إن شاء الله سأمر عليك وآخذك لمدرسة تدريب السواقين ولما تنتهي من الدورة ، وتأخذي رخصة القيادة سنشتري لك سيارة

ـ الشكر مرة أخرى

ـ متى تحبين أن أراك ؟

ـ في أقرب فرصة إذا لم يكن لديك شغل

ـ حسنا ، الشغل لا ينتهي.. غدا أو بعد غد سأمر عليك ومعي أم جواد .. نحن في خدمتك يا آنسة زهيرة أو حتى يا دكتورة زهيرة

ـ بارك الله فيكم .

لبى الدكتور ماهر وقرينته النداء ، ومرا على الآنسة ، وبعد الجلوس بعض الدقائق انتقلا بها إلى إحدى مدارس تعليم السواقة في المدينة ، وتعاقد مع مدير المركز التعليمي ، ودفع لهم مبلغا من المال ، ورتبوا أوقات التمرين والتدريب وانصرفوا مسرورين .

وفعلا باشرت الفتاة التدرب على سيارة التاكسي الصغيرة ، وكانت ترافقها أثناء الحصة التدريبية ابنة خالها يسري القائمين معها في العمارة ، وقبل أن تفتح الجامعة أبوابها للعام الدراسي الجديد كانت زهيرة قد أنهت حصص التدريب وبدأت تستعد لتقديم الاختبار لدى الجهات المعنية بإصدار رخص القيادة للسيارات ، وهي عادة دائرة تابعة لوزارة الداخلية والشرطة ، وعادة يتقدم المتقدم للرخصة بفحصين أحدهما يسمى الفحص النظري والكتابي أو الشفوي

حسب ثقافة وقدرات الطالب ، ويكون حول قواعد المرور في البلد والإشارات والأولويات، والفحص الثاني والمهم الفحص العملي بقيادة السيارة أمام فريق شرطي خاص بفحص السواقين ، فالنظري تقدمت فيه زهيرة سريعا ، فحفظها وقدرتها على الحفظ كبيرة ، فحققت النجاح من المرة الأولى ، والفحص العملي يحدد وقته بناء على نتيجة الفحص الأول .

واستطعت في المحاولة الثانية النجاح في الفحص العملي ، وأصبح لديها رخصة قيادة سيارة صغيرة صالون ، فالرخص فئات ودرجات ، ولما اتصل الدكتور ماهر سائلا عن النتيجة أخبرته بتحقيق النجاح، فهنأها وبارك لها وقال : جيد يا آنسة .. عندما تعودين من الجامعة عصر الغد إلى البيت سأقوم أنا وأم جواد بزيارتك لنذهب جميعا لمعرض سيارات لتختاري السيارة المناسبة واللون المناسب .

وما مضت بضعة أيام على أخذها لرخصة السيارة حتى كانت تملك سيارة من أحدث موديل في البلد ، وتذهب بها إلى الجامعة ، فقالت لمياء : تقدمت سريعا يا زهيرة .. جميلة سيارتك ولونها رائع .. ألف مبارك عليك .

ـ شكرا لمياء كان حادث دار عمي قد عجل لي بذلك ودافعا قويا لأخذ الرخصة وشراء السيارة خاصة أن المال كما تعلمين موجود لديّ بفضل الله وميراثي المعلوم .

واحتفلوا في مطعم الجامعة لهذه المناسبة ، والكل دعا لها بالتوفيق ، وأن يحفظها الله سبحانه من حوادث السيارات الشائعة في البلاد والعالم ، فتمنت لهم التوفيق لامتلاك سيارات خاصة بهم وكأن سمرا لم تعرف بالقصة التي كانت وراء شراء هذه السيارة وفعلا تذكروا أنها لم تسمع منها القصة لغيابها بضعة أيام في ابتداء الموسم الجديد لسفرها مع والدها إلى السعودية لأداء العمرة فقالت : ما القصة التي جرت لك عند دار عمك لتعجلي باقتناء هذه السيارة الجميلة ؟

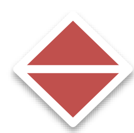
اختصرت القصة زهيرة وقالت : ولما خرجت متنكدة من امرأة عمي لم أدر ما حصل حقيقة بعدي ؛ ولكنني سمعت أن عمي أدهم غضب وتشاجر مع عمي عادل وابنه ميلاد بسبب خروجي ، وغادر هو الآخر غاضبا ومقسما أن لا يدخل بيت عمي عادل الأخ الأكبر ، وجعلوني

أنا سبب تلك المعركة التي انتشر خبرها بين العائلات

نزار : ولم ذهبت ؟

- يا ابن خالتي ذهبت حتى لا يقال عني متكبرة .. حتى لا يقال عني سوء .. أو تذهب لناس وناس .. أردت فتح صفحة جديدة معهم .. وبعض أعمامي وعماتي يحبونني ، وليس بيدهم شيء أمام الأخ الأكبر .. من أجل التقليد

ثم انصرفوا بعد احتفالهم السريع بتملك زميلتهم وقريبتهم سيارتها الخاصة ، وبينما هم يغادرون المطعم التقوا بصاحبيهم في العام الدراسي الماضي جميل وأحمد داخلين ، فابتسم لهم نزار محييا ومرحبا ومفسحا لهم الطريق لدخول المطعم ، ومشى كل واحد منهم حيث كليته .



ذهبت زهيرة إلى عميد كلية الطب، والتقت به شخصيا في مكتبه ، وهي فرصة لم تكن تتاح لأي طالب إلا بصعوبة ، فتعرف عليها الدكتور العميد ، وأثنى على همتها ونشاطها العلمي - وكان الرجل قد اطلع على نتائج مواد السنة الأولى لها في حاضرة الكلية - وحثها على الاستمرار على تلك الهمة والقدرة وعلى الاستمرار في تقدمها ، لربما تتحصل على بعثة خارجية بعد البكالوريوس العام في الطب ، فتسافر إلى أوروبا أو أمريكا أو كندا على نفقة الجامعة .

وقدمت الفتاة شكرها للعميد وعلى اهتمامه بها ، وقبوله على الالتقاء بها شخصيا ، وبين لها في نهاية اللقاء أن الدكتور ماهرا قريب له فوق الصداقة التي تجمعهما ، فخرجت الفتاة مسرورة من لقائها بسيادة العميد لقاء خاصا ؛ فلذلك عندما ذهبت لمطعم الكلية حيث تلتقي برفاقها كان الفرح والبشر واضحين على محياها ، فذكرت لهم قصة اللقاء والحوار مع سيادة العميد ، فعلق نزار : أمريكا مرة واحدة يا زهيرة ! .. يا سلام لو تسافرين هناك قد تأخذين جنسية تلك البلاد وتصبحين أمريكية ، وربما قضيت العمر كله هناك كما يفعل الكثير من أصحاب العقول العربية .. نحن نسمع أن الأمريكان متقدمون جدا في العلم والطب والصناعة العلمية والبحث

العلمي .

فقالت لمياء شقيقته : كل أوروبا مثل أمريكا في ذلك .. طبعا اقصد أوروبا الغربية ولكن أمريكا الشمالية تمتاز بالقوميات المتعددة والكثيرة ، الشرقية والغربية والصينية واليابانية .. بلاد عجيبة وحقوق الناس والإنسان يتغنى بها الذاهبون إليها .. وكذلك حرية النساء

فقالت سمر : نعم ، حرية الإباحية

فقال نزار : الجنس عندهم ليس كبلاد المسلمين .. هم يتقبلون الأبناء غير الشرعيين بغير حرج وهذا غير مقبول لدينا .. فالزنا حرام معناه حرام .. ورغم الحرية الشخصية الواسعة لديهم ، فجرائم الجنس والاغتصاب لا تنتهي وكثيرة عندهم ومخيفة كما نسمع ونقرأ .. فأنا قد سمعت أنه من النادر أن تبلغ البنت عندهم العشرين وتظل عذراء بكرا عفيفة .

فقالت لمياء : ولكنها بلاد كبيرة

فقالت سمر : ومليئة بالمافيا والعصابات والمخدرات .. قد سمعت أنها قضية تؤرق أمريكا كلها ورغم قوتهم العسكرية الهائلة ، فهم عاجزون عن منع عصابات المخدرات والتهريب

فعاد نزار يقول : الإجرام لا تخلو منه بلد ؛ ولكن العلم والطب هائل عندهم ومتطوران ، لا ينكر هذا ، وتذهب الناس إليهم للدراسة والعلاج من كل أنحاء العالم ، فكل البلاد أو أغلبها يسعون لإرسال بعثات علمية إليهم .

فقالت لمياء : أمريكا بلاد شاسعة ، وبكر يقولون .. هي عبارة عن خمسين دولة هم يقولون خمسون ولاية .. الولايات المتحدة .. أو إحدى وخمسون لا أدري بالضبط .. بل خمسون ولاية

فقالت زهيرة بعد صمت طويل وسماع كل هذه التعليقات عن أمريكا : محبو العلم يبحثون عن الأجود والأفضل .. ولا تنسوا اليابان فهي متقدمة طبا واقتصادا ، وإنما الناس يذهبون أمريكا لأن اللغة الإنجليزية هي الشائعة فيها، وهي أسهل لانتشارها اليوم في كل شيء وفي كل البلدان فهي لغة التجارة والثقافة العالمية

فقالت سمر : على قول مكره أخاك لا بطل

تبسم الجميع لمثل سمر وقال نزار : هذا المثل يتوقف أمامه علماء النحو لأن القياس أن يقال أخوك على الرفع بالواو لأنه من الأسماء الخمسة .. اللغة الإنجليزية الحاجة العالمية لها .. للضرورة أحكام .. أصبحت لغة التواصل عالميا .. لذلك أتصور أن ذهابك لأمريكا أفضل لو تيسر لك الابتعاث .. فهذا رائع يا زهيرة!.. ماذا تودين التخصص ؟ فتخصصات الطب تكثر وتتسع اليوم .. والنساء عادة تتجه للطب العام فحسب أو التخصصات النسائية أو الأسنان

قالت سمر : المناسب لزهيرة طب الأسرة

ردت لمياء : تذهب لهناك خمس أو ست سنوات لطب الأسرة، أعتقد أنه متوفر هنا .. قد يكون له مستقبل واعد في بلادنا

ـ تدرسه للعمل كطبيبة مدرسة ومحاضرة .. شهادة من أمريكا يا لمياء

قالت لمياء : صحيح اسم البلد مهم في الأكاديميات العلمية .. وصحيح أن الأعصاب والقلب وغيرها من التخصصات يحب الناس الذهاب للعلاج لدى الذكور .. أما العمل في المستشفيات فهو مرهق ولا يهتمون بالتخصص أو البلد المانحة للشهادة فكلهم سواء

قالت زهيرة : الحق أنني لم أفكر بنوع العمل الذي أحب أن أمارسه غير الطب العام .. الجراحة والاختصاص قلت عندما تنتهي الدراسة الأولى أفكر في التالي فيما بعد .. أمامي سنوات وسنوات ، مع العمل والتدريب يفتح على المرء بالاختيار الذي تحتاجه البلد والمناسب لقدراتي أيضا .. فكرت بالعمل الأكاديمي ولكن لابد من ممارسة الطب على أرض الواقع في المستشفيات والمرضى قبل العمل محاضرا .. احتاج للخبرة العملية مع النظرية أليس هذا الصحيح ؟

قال نزار : رائع ! هذا التفكير الصائب كل شيء في وقته أفضل ، لابد من التخصص يا زهيرة في فرع من فروع الطب.. فالطبيب الأخصائي أفضل من الطبيب العام .. فعليكِ الاهتمام بما ستختارين .. وما دام العميد عميدكم قريبا للدكتور ماهر صديق والدك المرحوم مجدي حسن فلابد أن يهتم بالسعي لبعثتك قبل مغادرته عمادة الكلية

فقالت سمر : ألا تريد الزواج ؟

فقالت لمياء : الزواج ! وهل أحد يستغني عن الزواج ؟ ستتزوج طبعا وبإذن الله .. فخلال مدة السنوات ستلتقي بالزوج المناسب

فقالت زهيرة ضاحكة : قد أتزوج ميلادا ابن عمي ، وآخذه لأمريكا معي

وغرقوا بالضحك على نكتة زهيرة وقال نزار : لا بأس ، وتفتحين له محل تصليح سيارات في أمريكا .. فهي صنعة رائجة في كل بلدان العالم ، لا تستغني سيارة عن الميكانيكي .. وصناعة السيارات من أهم الصناعات في دول العالم الكبرى والصناعية خاصة أمريكا أم السيارات .. الفورد والكاديلاك والبويك والبونتياك .. أليس كذلك يا لمياء ؟

استمر الضحك وردت لمياء : أكيد .. بس سيارة زهيرة كما رأينا يابانية

فضحكت زهيرة وعلقت قائلة : نعم ، يابانية كما رأيتها أنا كذلك

فقالت سمر : كيف قيادة السيارة يا زهيرة ؟

ـ ممتعة حقيقة ..وتحتاج لأعصاب هادئة .. وأحيانا مزعجة من أزمة الشوارع أو ضيقها .. لحتى الآن لم يخرب معي عجل أو ينفس .. الأمور سالكة بحمد الله

فقالت لمياء: ألا تزورينا ما دام قد أصبح لديك سيارة وتقودينها خارج العاصمة ؟



كانت الآنسة زهيرة بعد حادثة ميلاد الأولى معها قد تعقدت من فكرة الزواج ، ويظهر أن تهديده القاسي لها دفعها لصرف النظر عن التفكير الفطري بشريك الحياة ، والزواج سنة الله في خلقه ، وهل يمكن لتهديد من شاب متهور وغاضب أن يخفي من نفسها غريزة الأمومة والولادة ؟ وهل يترك الناس فتاة بدون أن يتقدم لها أحد للزواج كعادة الناس ؟ الحق أن زهيرة منذ رفضت ميلاد كزوج لها ، وهي لا تضع قضية الزواج كأولية لها في الحياة ، فهي تاركة الأمر لله ، ومن ثم للظروف والأحوال .. ويمكن لنا نقول أيضا أن كثرة زيجات أمها قد تكون تركت

أثرا في نفسها .. فزهيرة لم تشعر باليتم كمأساة ؛ لأنها عند وفاة أبيها كانت صغيرة دون الخمس ولا أعتقد أن الرضيع وابن السنة أو السنتين يحس بفقد الأب ، ربما يحس بفقد الأم في هذه الفترة وقد لا يشعر بذلك لتوفر المراضع واللبن ، ففي القديم كانت المراضع تقوم بدور الأم ، وقد يرضع الطفل بوجود الأم كما رأينا ذلك في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم عندما ارضع في بني سعد وباديتهم .. واليوم زجاجة الحليب الجاف أو المجفف تقوم بمقام الأم في مهمة الإرضاع ، ومع وجود الخادمة أو القريبة يستغنى عن الأم .. لكن مع تقدم الوقت بالطفل ويكبر ويعقل يفقه اليتم والحرمان من الأب والأم يعرف معنى الفقد لوالديه أحدهما أو كليهما .. فيدرك أنه يتيم ، فيدرك أن الحنان ناقص أو مفقود .. واليتم سنة الله في خلقه لبعض الخلق .. ومشاكل هناء شغلت زهيرة عن همومها ويتمها .

فلما ألمح لها العميد بأن بإمكانها السعي للدراسة في الغرب ، العالم الغربي إذا ظلت متقدمة في نتائجها ودروسها ، فازداد حماسها للعلم ، وهوسها في مغادرة الوطن بل رأت أن ذلك فيه خلاصها من عمها وابن عمها وملاحقتهم لها .. وبينما هي تحلم أحلاما سعيدة دخلت عليها أمها ، فنهضت تعانق أمها بفرح وسعادة ، ثم تحدثتا عن أخبار بعضهم بعضا، ودخلت روجا بالقهوة المغرمة بها هناء وزهيرة ، فقالت هناء وهي ترشف القهوة : كيف أنت والسيارة ؟

ـ الحمد لله تأقلمت وتكيفت معها ، وتحسنت قيادتي ، وربنا يسلم ، فبعض الشوارع تكون فيها الزحمة شديدة ومزعجة .. أنا تأخرت في تعلم القيادة لظروف حياتي ، فأبوك ـ رحمه الله ـ كانت لديه سيارة ، وزوج أمك الثاني كان لديه سيارة .. ولما اشتغلت في شركة الدواء اشتروا لي سيارة وها هي ما زالت معي، وزوجي هذا يملك سيارة

ـ ما رأيك يا أمي بالسفر للخارج ؟

ـ السفر ..!! والجامعة ؟!

ـ الدراسة في أمريكا

ـ لم أفهم ؟!

ـ أفكر بالسفر إلى أمريكا الشمالية

ـ أمريكا مرة واحدة يا زهيرة ؟!

ـ الطب هناك يقولون في غاية التقدم والحداثة

ـ وكيف ستسافرين ؟! هل ستتركين جامعتك هنا؟

ـ لا

روت لها مقابلتها للعميد وتشجيعه لها للاستمرار على تقدمها لتتمكن من الرحيل كبعثة للغرب على نفقة الجامعة ، فلما صمتت الفتاة قالت الأم : ألا تفكرين بالزواج ؟! ألا تحبين أن يكون لك أبناء ؟!

ـ أحب ، وهل يباع العرسان في المحلات والدكاكين ؟!

ـ الأزواج لا يباعون في الدكاكين ، ولدى السيد رستم قريب يبحث عن عروس ، فقد سألني منذ زمن عن عروس من أقاربي من بنات أخواتي وإخوتي فلم أرد عليه بشيء .. أنا مستعد للحديث عنك لرستم

ـ ألا تخافين عليه من ابن عمنا ميلاد؟!

فأخذت الأم تقذف الشاب بالسباب ، ثم فطنت إلى حرمة الشتم والسب فتوقفت فقالت زهيرة : أنسيت تهديده اللعين ؟ وهذا ولد مجنون .

ـ وهل يأمل بالزواج منك ؟ إنه أحمق ، دكتورة مثلك تتزوج من رجل مجنون .. أتعلمين أن سفرك إلى أمريكا يخلصك منه ومن جنونه؟ .. ما زال يرفض الاقتران بفتاة .. التقيت بامرأة عمك نبيل أم سالم فأخبرتني أن إحدى عماته عرضت عليه احدى بناتها عروسا ، فرفض وأخذ يستهزأ منها وبها فقال : يا عمتي لن أتزوج إلا بنتا واحدة في هذه الدنيا اسمها زهيرة مجدي حسن .. أرأيت هبله وحمقه ؟! .. ومع ذلك فأنت بحاجة لزوج وأولاد .. أنا في شوق لأرى ذريتك فأنت الوحيدة التي خرجت بها من هذه الدنيا .. على كل حال سلمي الأمر لله .. هل أتحدث مع رستم عن قريبه الباحث عن عروس ؟

ـ ماذا يعمل هذا العريس ؟

ـ لا أعرف بالضبط ، هو سألني مرة ، ولم يتكرر الحديث بيننا حول هذا العريس وإذا فتح الموضوع سأعرف بعض التفاصيل ومواصفات العريس

ـ لست مستعجلة يا أمي على الزواج ، فالدراسة طويلة كما تعلمين



مكالمة

ذات مساء دخلت الخادمة على زهيرة مخبرة لها بأن أحدهم على الهاتف يرغب بالحديث معها ، فلما سمعت اسمه جفلت لذكر الاسم ، وانزعجت وأصابها توتر عصبي ، وقالت لنفسها ماذا يريد هذا المجنون ؟! ولماذا يريد أن يتحدث معي المحروس ؟! أليس عنده ذرة من الحياء والخجل ؟!

وخرجت لصالة البيت متضايقة وأمسكت بالسماعة بحدة وقالت : نعم ، .. وعليكم السلام تريد اللقاء بي ولماذا تريد الالتقاء بي ؟!.. يا رجل ألا تريد أن تحل عني ؟ ما الذي بيني وبينك لتتصل بي ؟ .. أنت لك درب ، وأنا لي درب .. لا أحب أن أرى وجهك أو أسمع صوتك ، هو الزواج بالعافية .. فلنبق أولاد عم فقط .. لي عشرات أولاد العم لماذا تخصك نفسك دونهم؟ .. كلهم خير منك وأشرف .. أرجوك ألف رجاء لا تتصل بي ثانية لو سمحت .. لا يمكن الالتقاء بك مع السلامة .

ووضعت السماعة بحدة وغضب ، وعادت لحجرتها، وكلها نار وضيق ودموع ، ولما جلست على أحد المقاعد قالت : ماذا أفعل به ؟! ولمن ألجأ للخلاص من هذا الوقح ..

كانت قبل هذا الاتصال قد تلقت رسالة منه يتوسل إليها أن تقبل به زوجا ، ومزقتها شر ممزق وطلبت من الخادمة عدم استلام أي رسالة تخصها من أي أحد إلا من ساعي البريد الرسمي .

ولما هدأت روحها بعد حين قالت : ألا يمكن تكميل ودراسة الطب في أمريكا مباشرة ؟.. بكالوريوس طب من أمريكا .. سأتحدث مع الطبيب ماهر ليكلم لي العميد لعله يستطيع توفير بعثة لي أكمل دراستي هناك حتى ولو عدت من الصفر .. المهم أن يوفر لي قبول عندهم لأخلص من هذا المجنون .. الذي سيزداد جنونه يوما بعد يوم .

نفذت الفكرة سريعا ، تحدثت مع الدكتور ماهر عن رغبتها بالدراسة في الخارج خارج البلد ، فبين لها الرجل خطورة السفر وحدها إلى تلك البلاد الكبيرة ، وأن الخطر عليها هناك أكثر من الخطر من ميلاد وأبيه ، فعجبت من ذلك، فقال لها صحيح أن الطب متقدم عندهم كثيرا ،

ولديهم مراكز بحث ضخمة وعالمية ؛ ولكن العصابات منتشرة في بقاع البلاد ، وكذلك المشاكل الاجتماعية الكثيرة والمتعددة التي لا تنتهي عندهم ، ولما أدرك حجم معاناتها وضيقها ، وعدها بأن يبحث لها عن أسرة مهاجرة ترعاها وتعتني بها ، أو أن تقترن برجل راغبا بالدراسة مثلها هناك فقالت باسمة : ومن أين يأتي هذا الزوج الطالب ؟

فوعدها أن يهتم بالأمر ، وأعلمها برغبته بنقل أموالها إليها ؛ لينهي عهد الوصاية ، وتصبح مالكة لثروتها بعدما بلغت سن الرشد المالي حسب القوانين المحلية ، وبين لها أنها تستطيع المحافظة على ثروتها وميراثها

فقالت : افعل ما تراه مناسبا ، وأنا لست مستعجلة على إنهاء الوصاية

فشكرها على حسن أدبها وعاد يقول : أنا أعلم شدة انزعاجك من ابن عمك .. صدقي أني تحدثت مع عدد من أطباء النفس من أجله ، فهم لا يرون أنه يشكل خطرا عليك ، وإنما هي أفكار غرست فيه فتحتاج لوقت لتذهب عنه ومنه

ـ ولكنه ما زال عازبا يرفض الزواج ؛ كأن الأمل ما زال في قلبه ونفسه

ـ على كل حال سأفكر بمشروع الرحلة إلى أمريكا والغرب عامة ؛ لعل هذا يكون أحد الحلول المناسبة

ـ أشكرك يا دكتور

ـ لا شكر على واجب

وانتهى الاتصال بينهما ، وعادت لحجرتها وهي تردد : الزواج .. لابد من الزواج يا إلهي ! صرت أخشى هذا الكلمة ، فهي تلقي ظلالا مخيفة على نفسي .. أمي كانت تقرب من الخمسين واضطرت للزواج .. لماذا الناس يتزوجون ؟!.. أمن أجل الغريزة فقط ؟ .. تعلمنا أن الزواج يكون للاستمتاع الجنسي ، وحاجة للبالغين كالأكل والشرب .. وإذا استغنى الإنسان عن هذه النعمة .. هل يتزوج ؟! للولادة والمحافظة على النوع .. ملايين النساء تلد يوميا .. إنني أكره الزواج .. لست بحاجة لرجل أم أني معقدة من تهديد هذا الرجل المجنون !.. الزواج لماذا ؟

ليجد الإنسان الأنثى متعة في تحقيق غريزة الأمومة .. فهناك نساء متزوجات لا يمارسن الأمومة لكونهن عواقر فلأكن واحدة منهن ! دعيكي من هذه الأفكار السوداء .. ولنسلم أمرنا لله .. إن ثقافتي الدينية بسيطة ثقافة مدارس .



كان حميد نبيل شريك ميلاد في ورشة التصليح في مجمع تصليح السيارات في المدينة يشرب الشاي ويقضم الساندويتشات المكونة من الحمص المطحون والفلافل (الحمص المقلي) ، ويتحدث مع ميلاد الذي يشاركه شرب الشاي ، ويدخن السجائر بعضها تلو بعض ؛ كأنه ينتقم من بدنه فقال حميد: يا رجل! لا أدري آنت رجل ؟ ـ واتبع سؤاله ابتسامة بصوت ـ ألا تريد إنهاء ما أنت عليه وفيه ؟ لقد كبرت .. والفتاة بعد استقرارها في الجامعة لن تقبل بك زوجا وإنك تثير المشاكل بين أفراد العائلة .. عند صاحبنا خضر بنت جميلة ومناسبة لك ، وهو من طبقتنا البسيطة .

ضحك ميلاد وهو يدعس على السيجارة حيث انتهت وقال : تزوجها على أم محمد .. أليس الدين يحث على التعدد ؟

ـ أنا مرتاح مع أم محمد .. لست أعزبا مثلك .. أنت تركض وراء سراب

ـ صدق لن يتزوجها غيري

ـ كيف أصدق ؟ .. وأنا أسمع أنها تسعى للسفر والرحيل إلى أمريكا للخلاص منك .

تفاجأ ميلاد بهذا الخبر ، فجحر ابن عمه وشريكه طالبا المزيد من المعلومات : أمريكا! ومن قال لك ذلك ؟!

ـ سمعت أمي من أمها ؛ لأنهن ما زلن يتبادلن الحديث مباشرة أو على الهاتف

ـ أعرف أن أمك صديقة لهناء من أيام المرحوم مجدي ، وكذلك العمة بسمة .. وماذا ستفعل في أمريكا ؟

ـ تدرس تتعلم .. وإذا جنست قد يطيب لها البقاء هناك

ـ وحدها ؟! وحدها ستسافر ؟

ـ من سيسافر معها ؟ فهي عزباء مثلك .

ـ وهل يسمح لها أعمامها بالسفر وحدها ؟!

فقال حميد مستغربا لهذا الاستفهام : ولماذا لا يسمحون لها ؟! بل ربما يفرحون بسفرها للخلاص من صراعكم الخفي والمعلن .. حتى أنني سمعت أنك كتبت لها رسالة تتوسل إليها بقبولك زوجا لها

نظر ميلاد إلى الأرض وقال : لقد ذلتني .. عقدتني .. كرهتني جنس النساء والحريم.

فضحك حميد ضحكا مسموعا ، وهو يرمي كوب الشاي الكبير إلى الأرض : الحمد لله شبعنا وهل أصدق هذا يا عم ميلاد ؟ لا شيء يخفى .. الناس ما أن تصدق بسماع خبر أو قصة لتسعى لنشرها .. ولماذا يزورنا عند الغروب كل يوم سالم ؟! .. هل تظن أنني مغفل ؟!

ارتبك ميلاد للحظات وقال : ماذا قال لك سالم اللعين ؟

قال حميد بألم وحزن : أشياء لا أحب أن أصدقها .. قال إنك تشرب الخمر في حانة بوم .. وفي خمارة سان

ـ أريد أن أنسى

قهقهه حميد وقال : وهل الخمر تنسي ؟ .. انتبه لنفسك .. غدا تذهب صحتك .

ـ وهل قال اللعين غير ذلك ؟

كرر حميد الضحك المصحوب بألم وغصة وقال : أعط سالما سيجارة أو كأس شاي يتحدث بكل شيء وهو يدخن أو يشرب الشاي .. سالم لا يكتم شيئا قال إنكم تزنون تذهبون لأماكن الزنا والفجور لتمارسوا الزنا والخنا والعياذ بالله من الخذلان .. اصح يا ابن عمي .. ودعك من

سالم وشلته .. ألا تخاف أمراض الزنا ؟!.. تزوج وعف نفسك وأعقل.. لا تجعل عقدة زهيرة تفسد نفسك وحياتك .. سوف تسافر غدا ، وربما تتزوج هناك وتستقر هناك .

ـ لن تتزوج إلا ميلادا .. شاءت أم أبت

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. أنا خائف عليك يا أخ ميلاد من الضياع ، وستصبح منبوذا من العائلة وحتى من إخوتك الأكبر منك كلهم

ـ سأسافر وراءها إلى أمريكا

ضحك حميد على جهل ميلاد : تسافر! وكيف ستسافر ؟ وهل أمريكا بلد صغير.. أمريكا كبيرة يا رجل وعدد سكانها يزيد عن مائتي مليون من البشر .. كيف ستعثر عليها ؟ولا أظن أنهم سيذكرون مكان سكنها لأحد ، وربما تسافر لأوروبا

ـ أحمد شقيق محمود سيعرف عن طريق الجامعة

ـ ممكن ؛ ولكن اللقاء بها هناك مستحيل

ـ لا مستحيل .. سأبقى بدون زواج حتى أتزوج زهيرة

ـ غفر الله لعمي عادل وأمك الذين ورطاك في هذه القصة .. كيف صحة أبيك ؟ سمعت أنه متوعك ؟

ـ بل ذهبوا به للمستشفى ، وأعطي موعدا لإجراء عملية صغيرة

ـ لم اسمع أبي يتحدث بشيء

ـ قبل يوم ذهب للمستشفى فقط ، لم ينشر الخبر ، فربما العم نبيل لم يعرف بعد

ـ ألا تفكرون بالصلح مع العم أدهم ؟

ـ سوف نتصالح

زواج زهيرة

كانتا تأكلان في أحد المطاعم الكبيرة والمشهورة في المدينة ، فقد دعت زهيرة أمها وزوجها رستم للعشاء في ذلك المطعم الفاره ، واعتذر رستم لهما ، ولما فرغتا من الأكل ، وأخذتا تشربان ما بقي من العصير قالت البنت لأمها : هل نذهب لحديقة عامة نجلس فيها بعض الوقت؟ .. إني أحب الجلوس في الحدائق والاستمتاع برؤية الناس ، فأنا راغبة بقضاء بعض الوقت خارج البيت ، ونأكل البوظة والمثلجات

بعدما وافقت الأم دفعت زهيرة الحساب وخرجتا حيث تقف سيارة زهيرة ومشيا بها إلى إحدى حدائق العاصمة العربية الشابة ، وإلى حديقة تتردد عليها العائلات والأسر ، وعلى أحد المقاعد الخالية جلستا بعد أن اشترت زهيرة أوعية البوظة الشهية للعين ، وربما للمعدة ، وفجأة قالت هناء : لقد سألت رستما عن العريس الذي حدثني عنه ويبحث عن عروس .

انتبهت زهيرة إلى أمها وهزت رأسها فقالت هناء : هو ابن أخته ، ويعمل في صيدلية حكومية وعمره خمس وعشرون سنة ، كان خاطبا لفتاة قريبة له ثم فسخت الخطبة من قبل الفتاة ، فوافق الشاب وتركها ، وهو يبحث عن فتاة أخرى متعلمة أو حتى تتعلم بعد ، وسيساعد في أقساط تعليمها .. وإذا قبلت به فرستم مستعد للمشي في القضية .. المهم أن ترحبي أنت بالزواج.

فقالت زهيرة : لا داعي يا أمي فالدكتور ماهر حدثني عن عريس

رددت متفاجئة : ماهر الوصي ؟!

ابتسمت زهيرة وقالت : وهل هناك ماهر غيره ؟!

انقبضت الأم وقالت : ألم نخلص منه ؟!

ـ قبل زمن حدثني عن رغبته في إنهاء الوصاية عليّ ، ونقل الأموال لحساب خاص بي أو لنفس الحساب في نفس البنك الذي يضع لي به مصروفاتي وأقساطي .. ولما حدثته عن لقائي بالعميد ورغبتي بالسفر للدراسة في الخارج وإكمال التعليم في أمريكا

ـ إكمال التعليم .. ألم تخبريني أن ذلك بعد بكالوريوس الطب العام ؟!

ـ عدلت الخطة أرغب بالسفر والخروج من البلد .. فأولئك دار عمي يزعجونني ويضايقونني فصار السيد يكتب لي رسائل ، ويتصل على البيت .. وتحدثت مع الطبيب بهمومي ورغبتي ، فوعدني بالمساعدة في ذلك ، وسيكلم العميد بهذه الرغبة ، وبين لي مخاطر السفر إلى هناك ، وأن الحياة الاجتماعية هناك تختلف كثيرا عن الحياة الاجتماعية عندنا ، وذكر المخدرات والعصابات والإباحية .. ولكنها كما قال تتفاوت من بلد إلى بلد ، ومن مدينة إلى مدينة أخرى .. وربما يوفر لي الفرصة للحياة مع أسرة عربية لإتقان اللغة الأمريكية والرعاية لشخصي أو قال تتزوجين طالبا للعلم هناك مثلي .. فربما كما قال يجد لي القرين المناسب لنسافر معا .. أنا ضقت ذرعا يا أمي .. فهذا الرجل صعّب عليّ الحياة والحرية وأخشى أن يتهور بفعل شيء مؤلم .. وأعمامي يتشاجرون، ويجعلونني السبب ، ورغم ذلك لم يستطيعوا وقفه عند حده .. لا أريد أن تصل مشاكلنا للشرطة والمحاكم .. لعلي ارتاح هناك في الغربة المرة .

ظلت الأم تسمع هذه التفاصيل دون مقاطعة أو تعليق ، ولما طال صمت زهيرة قالت : الحياة صعبة عندهم ، لقد سمعنا عن أناس سافروا وفشلوا ، وبعضهم قتلوا في مخازنهم ومتاجرهم .

ـ الشر موجود في كل العالم ، والخطر لا يخلو منه مكان .. ها هو ابن عمنا يطاردنا ، ويشوه سمعتنا ، ويكتب لي الرسائل ، ويسأل عن الشاب الذي يجلس معي في مطعم الجامعة .. يشير إلى نزار ابن خالتي ابن أختك

ـ يا للوقاحة !

ـ أرأيت؟! يتجسس عليّ .

قالت الأم : حفظك الله يا ابنتي .. أنت أدرى وأعلم بمصلحتك وحياتك، وإن كان يعز عليّ فراقك ومغادرتك البلد .. لكن أحس وأشعر بالضيق الذي يصيبك من عمك وابنه .. والأفضل أن تتزوجي يا زهيرة قبل السفر .. حتى لا تشعري بالوحدة أثناء الغربة .. لو كان هناك أب أو أخ لكانت الحياة أحسن .. وأفهم من كلامك أن أنسى قريب رستم .

ـ أجل يا أمي .. هل ننصرف قبل أن يتضايق السيد رستم ؟

ولما بدأت بطلة قصتنا تستعد للعودة للجامعة في السنة الثانية الفصل الثاني مطلع عام ١٩٨٦ كانت تنتظر أخبارا طيبة من الدكتور ماهر حول الدراسة في أمريكا الشمالية أو كندا ، فقيل لها أن الفرصة في كندا أقوى لعلاقات خاصة للعميد مع جامعات كندا لدراسته هو فيها ، فمن خلال اتصال بينها وبين الدكتور ماهر أعلمها أن الرجل يبذل قصارى جهده لتنال بعثة هناك ، ويتصل العميد بمعارفه الأجانب لتسهيل مهمة سفرها وإكمال دراستها ، لذلك فما كاد ينقضي الشهر الأول في الجامعة حتى اتصل ماهر مخبرا أن الأمور تسير بشكل جيد ، وأنه قد وجد الشاب المناسب ؛ ليكون زوجا لها ، والمستعد لمرافقتها إلى كندا بعد زواجهما العاجل والضروري لكليهما ، وطلب اللقاء بها ليحدثها عن الشاب ؛ ليجري التعارف بينهم ، وقد أعطاها فكرة سريعة عنه ، وجلسا عندما التقيا في صالون البيت صالون جدتها بعض الدقائق ثم انتقلا إلى حجرتها الخاصة ، ولما استراح قال : هل أتحدث عن الدكتور سامر ؟

ابتسمت وقالت : اسمه سامر ودكتور .

ابتسم بدوره وقال : هو طبيب تخرج حديثا ، وهو يعمل في مستشفى حكومي ، ووالده دكتور جراح كبير في البلد .. وهو معرفة شخصية أقصد الوالد طبعا .. أما سامر عرفته حديثا فعادة الطبيب يعرف الأطباء من جيله الذين درس معهم أو عمل معهم في المشافي والعيادات فأنا أحببت خدمتك لمعرفتي بالضيق والإزعاج الذي يحيق بك من أقاربك ، ورأيتك تلحين ومصممة ، فسعيت مع قريبي العميد ولم يقصر الرجل لك ولسامر .. فالزواج هو الأفضل لك .. فلو كان لك أقارب هناك ، ربما فضلنا ذلك على الزواج ، وليأت الزواج على حينه .. ولو كنت ذكرا فلربما كان السفر أسهل معذرة .. أنت تعرفين نحن الشرقيون بالنسبة للنساء والعرض وعاداتنا .. أتفهمين عليّ ؟

ـ نعم ، أنا معك يا دكتور

ـ جميل .. جيد ! .. راقت لنا فكرة السفر أنا وزوجتي .. وأنت عزيزة علينا .. ففضلنا لك الزواج قبل السفر .. ولا أنسى صداقة المرحوم والدك وثقته الكبيرة بي عندما جعلني وصيا

ـ كنت نعم الأب الروحي لي يا سيدي .. شكرا لك .. لقد اطلعت على صورك مع الوالد ـ رحمه الله ـ أيام الجامعة

ـ نعم ، أيام الشباب .. المهم المناسب لك الزواج .. أنت تعرفين أهمية السمعة والشرف للرجل الشرقي .. وكذلك للفتاة الشرقية خاصة العربية .. حتى لا تسمعي قيل وقال

ـ أفهم مغزى كلامك يا عمي العزيز

ـ بواسطة الأصدقاء وصل الكلام للدكتور ماجد وولده سامر .. فالتقينا وتصارحنا بشأنك ، فرحب الشاب بفكرة الزواج والبعثة الكندية ، ووعدنا السيد ماجد بالسعي لتسهيل سفركم بأسرع وقت .. فعادة هؤلاء الجراحون لهم معارف وعلاقات على مستوى العالم ؛ لأنهم ينضمون لجمعيات علمية أو جراحية أو مؤسسات عالمية ليتبادلوا الخبرات والمعارف ، والمشاركة في الحملات الدولية في الكوارث والزلازل والأمراض المتفشية .. وتستمر بينهم المراسلات والندوات خاصة مؤسسات الصحة العالمية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة .. أو منظمة الصليب الأحمر ، فتتكون بينهم زمالات وصداقات .. جميل هذا ؟

ـ أجل يا سيدي

بعدما رشف الدكتور ما تبقى في فنجان القهوة الذي برد بعد هذا الحوار قال : المهم صاحبنا الدكتور ماجد شجع ابنه على هذا الزواج ، ولسوف يسعى له للعمل هناك ، والتخصص كذلك في جراحة العظام والكسور.. وفي نظري أنه شاب ممتاز وطموح كوالده كما بدا لي .. فهل نكمل المشروع ؟ وتلتقيان للتعارف ؟

أحمر طبعا وجه الفتاة حياء ، وبعد صمت قالت ردا على الأسئلة : أنا مثل ابنتك يا دكتور ماهر فأنا الابنة الوحيدة لك ؛ لأنك لا بنات لك كما أعلم ..

ولما لم يعقب الدكتور تابعت : أنا أثق بك لأنك ثقة والدي ـ رحمه الله ـ الذي اختارك وصيا دون أعمامي ، وكان ذلك بعد نظر منه .. فهو بدا لي أعرف الناس بشقيقه الكبير .. وأنا مستعدة لمقابلة هذا الشاب ، والتعرف عليه ولكن أين ؟

فكرت بذلك ، وكنت واثقا من قبولك للعلاقة الخاصة بيننا ، والأبوة الروحية التي جمعت بيننا وجزاك الله خير الجزاء .. سأرتب لغداء في بيتنا في نهار جمعة .. وأنا في مقام والدك يا زهيرة ..

مسحت زهيرة دمعات مؤثرة عن خديها ، وتابع الدكتور الكلام متظاهرا أنه لم ير تلك الدموع الحارة من ابنة صديقه مجدي : وعندما أتفق على جمعة معينة سأتصل بك .. وليبق الموضوع مكتوما إلى حد ما بيننا

ـ أحسن يا سيدي ..

ـ أنت تعرفين البيت بالسيارة ؟

ـ أعرف ، وقد مررت عليك مرة بها .. وزرتكم بسيارة أجره قبل ذلك .

ـ أهلا وسهلا بك أيتها الدكتورة الصاعدة إن شاء الله .. واعلمي أن إجراءات إنهاء الوصاية قائمة على قدم وساق وسوف نذهب معا للمحكمة الشرعية، وسوف يكون المحامي أمامنا .. فهو يقوم مع مكتب محاسبة بحساب ما انفق عليك ليخصم من الأصل وستأخذين ما تبقى

أمسكت الفتاة بيد الطبيب ولثمتها امتنانا وشكرا ، وقبل الرجل جبينها وغادر البيت مسرورا

التقت الآنسة زهيرة مع أقاربها في مطعم الجامعة يتناولون الساندويتشات والمشروبات اللذيذة وبعدما انتهوا من ذلك وأخذوا يتهيأون لمغادرة صالة الطعام قال نزار : ما أخبار أمريكا ؟ سمعت أمي تقول لأبي ليلة أمس أن الأمور تسير على ما يرام ، عندما سألها عن أخبار سفرك فالكل يتابع أخبار الدكتورة الراغبة في الهجرة .

تبسم الجميع وقالت لمياء لتظهر الاهتمام بسفرها : كل يوم تتصل أمي بأمك ، ولا حديث بينهم إلا الخوف على زهيرة من هذه السفرة المجهولة

قالت زهيرة : لست أول من يذهب لتلك البلاد ، وبالتأكيد لن أكون آخرهم .. فالبعثات العلمية وغيرها من أول وسائل تبادل العلم والطب والتاريخ بين الناس .. والقلق من المجهول والرحيل يبدو أنه فطرة وغريزة .. والتوفيق والسلامة من الله سبحانه .. وأمر الرحيل على وشك الانتهاء منه .. فحضرة العميد يبذل الجهد الكبير لسفري إلى هناك .. ويسعى أن أدرس على

حساب الحكومة الكندية .. لما لمس رغبتي بالبقاء هناك إلى حين طويل .. وقد دخل على الخط جراح أعصاب كبير اسمه ماجد عن طريق الدكتور ماهر طه جزاه الله خيرا

قالت لمياء : أسمعت به يا سمر ؟ أسمعت به يا نزار ؟

ردت سمر بابتسامة وهز رأس بالنفي وقال نزار : لم أسمع به ، ولا يعني أنني لم أسمع به أنه غير موجود .. الله يحفظنا من الأمراض الخطيرة .. آمين .. والإنسان كما تعلمين لا يستطيع معرفة كل الناس وكل الأسماء .. لو سألت هذا السؤال لمريض أعصاب قد يخبرك عنه الخبر اليقين

وضحك المهندس وتابع قائلا : ولو سألت طبيب عيون ، فهو يعرف عددا من أطباء العيون ويعرف أماكن عملهم وعياداتهم ، وربما مساكنهم وشوارع عياداتهم

لما صمت الشاب منتظرا تعقيبا على مرحه قالت سمر : المهم يا زهيرة أن القوم مهتمون بك ، والزواج تسربت إلينا معلومة صغيرة أن الدكتور ماهرا يسعى في أمر زواجك قبل السفر هل وجد لك القرين الصالح ؟

ابتسمت زهيرة وقالت ضاحكة : على ذمة الدكتور أن الزوج المناسب وجد

صاحت لمياء فرحا : ماذا ؟! هل تقولين ذلك حقا ؟!

ـ نعم ، وهو طبيب ابن الطبيب ماجد الذي تحدثت عنه قبل لحظات

ـ أرأيتم بعضكم ؟

ـ لا بعد ، لم أره لحتى الآن ، ونحن على موعد أيها الأعزاء .. يعني لا تنشروا الخبر قبل أن يتأكد الموضوع مائة في المائة .. وضحكت وقد أحمر وجهها وتابعت بعد التقاط نفس: هو طبيب متخرج حديثا ، ويعمل في أحد المشافي الحكومية، وعندما يكمل الحديث سأقول لكم أول الناس.. فأنتم من أعز الرفاق خلال هذه الشهور التي أمضيناها معا .

فقالت لمياء معبرة عن سعادتها لزهيرة : نحن سعيدون بسماع هذه الأخبار السارة.. أنت تستحقين كل خير وسعادة .. الحياة الأسرية جميلة يا زهيرة

فقالت سمر : إذن سنسمع قريبا خبر إشهار الخطبة بل الزواج

قالت زهيرة بابتسامة خجلاء : الزواج سيكون عند السفر .. إذا لم يحصل السفر سيؤجل الزواج إلى ما بعد الجامعة .. فالزواج مربوط بالسفر للدراسة .. هكذا تفاهمت مع الدكتور ماهر .. أنا قبلت الزواج كحل للسفر .. فزواج وجامعة هنا سيكون شاقا عليّ أتصور .. لأن الزواج سيتبعه حمل وولادة ورضاعة

قالت لمياء : نظرتك تشاؤمية للزواج يا زهيرة .. يبدو أن ابن عمك عقد حياتك

ـ قد يكون هو السبب .. ولكن لا تنسوا زيجات أمي أيضا

ضحكوا وقالت سمر : أوه ! صدقت عمتي تزوجت ثلاث مرات .. صدقي أن أمك طيبة ، ولا تتدخل في شأن أحد .. ولا حياة أحد .. لكن حظها مع الرجال لم يكن حظها طيبا .. كله قدر ونصيب

قال نزار : لا تنسوا أن والد زهيرة تزوج عندما أكمل الأربعين .. ولم تطل حياته رحمه الله

قالت زهيرة : عشر سنوات

فقال نزار : كأنهم عاشوا تلك السنوات فحسب .. كنت يا زهيرة صغيرة عند موته رحمه الله أقل من سنة ذكرت لنا ذلك ذات يوم ..

قالت : كنت بنت أربع سنوات ونصف يا نزار كنت في فترة ما قبل المدرسة ؛ ولكنني لم أرضع حولين للهفة أمي على المزيد من الحمل .. أنا أعرفه إلى حد ما ، وربما أتخيله من مشاهدة صوره ردد الزملاء ترحمهم على زوج خالتهم مجدي حسن ، وبينما هم مستغرقون بالحديث .. وقد نسوا المغادرة مع سماع أخبار زهيرة ، وقد طلب لهم نزار المزيد من القهوة والمشروبات ، دخل القاعة طالب كلية التمريض أحمد ، وكانت تصحبه فتاة ، فقالت سمر بدون شعور مخاطبة لنزار : صاحبك معه صبية جديدة !

شاهد نزار ما شاهدته الفتيات فابتسم لسمر وقال : هو ليس صاحبي ، وقد عرفته عن طريق جميل ، وقد أخبرني مرة أن رفيقه بطل حب ومغامرات نسائية في الجامعة

وقالت زهيرة بحدة : وجاسوس لميلاد

التفتوا إليها بدهشة ورددت سمر : جاسوس !

ـ نعم ، له أخ زبون عند ميلاد ، فطلبوا منه أن يتجسس عليّ

قال نزار : قد يكون هذا صحيحا ، فهو قد استلمنا فترة ، من قال لك ذلك ؟

ـ ميلاد .. كتب لي رسالة يتوسل فيها في أمر الزواج ، ثم اتبعها باتصال وزعم فيه أني أجلس مع الشباب في مطعم الجامعة ، وأضحك بصوت عال وقهقهة ، وذكرك ، وأنني أجلس مع شاب اسمه نزار .. وإنك قريب لي .. يتباهى أنه على معرفة واطلاع عليّ حتى ولو أنا في الجامعة

ضحك نزار وهتف : يا للسخف ! هزلت

ـ تكلمت مع ابن عمي حميد شريك ميلاد في المحل ، فأقر لي بجنون ميلاد ، وأنه ورط الشاب أحمد بتتبع أخباري .

فصاحت لمياء : هذا ابن عمك مجنون فعلا .. فعلا السفر أفضل لك من هذه الأشكال المريضة فعمك عادل ضعيف وعاجز عن وقفه عند حده .. وهذا الشاب سيء .. إذن يتردد على كافتيريا الطب من أجل هذه الغاية الدنيئة .

قالت سمر بامتعاض : هذا مؤلم !

قالت زهيرة: هذا كلام ابن عمي حميد نبيل ، ثم قال نصحته كثيرا أن يبتعد عن طريقك ، وأن يتزوج ويعقل ؛ ولكنه يزعم أنه محب ، ولا يستطيع الحياة بدون ابنة عمه زهيرة

قال نزار : صار يكتب رسائل ليزعم أنه يعرف عنك كل شيء .. إنه مريض نفسي وسخيف وفاشل .



وكانت زوجة الدكتور في استقبال زهيرة وعانقتها وهي ترحب بها في بيتها ، وهذه لم تكن أول مرة تدعى للغداء في منزل السيد ماهر ، التقت الآنسة زهيرة بالدكتور سامر ماجد في منزل

الوصي ماهر ، فعرفهم على بعض ، وتناولوا الغداء على مائدته ، وشاركتهم زوجه اللقاء ، فأولاد الدكتور كثر ، فقبل زواج مجدي من هناء كانت ولدت له خمسة مواليد ، وأغلبهم متزوج ويسكن خارج البيت الخاص بالدكتور ، أو يعمل خارج البلاد ، وتحدث الدكتور الشاب عن دراسته الطب في جامعة القاهرة في مصر ، فهو خريج طب القاهرة ، وأنه كان يفكر بالاختصاص في بريطانيا ، وللحصول على الزمالة الإنجليزية قبل دخول الدكتور ماهر على الخط ، وأخر سعيه بالسفر لبريطانيا للعمل في مستشفيات الدولة ليأخذ الخبرة العملية قبل الرحيل ، وتحدثت زهيرة عن نفسها ببضع كلمات وعبارات ، وفي نهاية اللقاء أبدى الدكتور سامر للدكتور ماهر وزوجته عن قبوله الزواج بالفتاة إذا قبلت به هي ، وقبله أهلها ، وأمهلها الدكتور ماهر بضعة أيام لتشاور من تحب أن تشاوره من أهلها وأقاربها ، وسمعوها تقول : أنا لديّ طموح فعلا للدراسة في أمريكا أو كندا كما قيل لي إن الفرصة فيها أكبر .. فالزواج يا دكتور سامر أمر ثانوي وطارئ ؛ ولعل الدكتور شرح لك شيئا من الأمر .. لا تتضايق من صراحتي .

ضحك سامر وماهر ورد سامر : أبدا يا آنسة زهيرة لست منزعجا من صراحتك ، وقد حدثني الدكتور عنك بالتفاصيل ، وعن بعض ظرفك مع أقاربك خاصة أعمامك .. وأعلم أن الظروف هي التي تدفعك للزواج ، وأنت تدرسين دراسة طويلة الشهادة الأولى .. وهذا الفعل من الحكمة والصواب إن شاء الله .. فالغرب خطر جدا على النساء بسبب الحرية الكبيرة في مجال الجنس والعلاقات العاطفية وعدم الاهتمام مثلنا بقضية العفة والبكارة .. ولا أقول هذا الكلام مجاملة ومسايرة بل أسمع وأقرأ .. ولي قريبة أصابها سوء هناك بسبب الجهل في عادات تلك الشعوب .. حدثني الدكتور ماهر جزاه الله كل الخير هو وأم جواد .. حدثني أن دافعك للدراسة هناك الهروب من مشاكسات ابن عمك ، ورغبة في تحصيل الشهادة العلمية الغربية ، وحداثة الطب وسرعة تطوره ، فهذا سبب تعجيلك للزواج ، وذلك بناء على نصيحة صادقة من والدنا الدكتور ماهر وأهله .

قالت زهيرة والحياء يغمرها : شكرا لك ، والشكر للدكتور وزوجته .. وأنا شرفت بالتعرف

عليك ، ومن حيث المبدأ .. الأمر لي شرعا وقانونا ، ومن حيث المبدأ أنا أقبل بالزواج من شخصك الكريم ، ولا أعتقد أن أحدا يهمه أمري من أهلي سيعترض .. ولكن لا بأس من التفكير كما اقترح الدكتور بضعة أيام لحسم الأمر والرد النهائي ؛ لأنه لن يكون بصراحة زواج إلا إذا كان هناك سفر .. وإذا لم يتحقق السفر فلن يتحقق الزواج بسبب الدراسة والحياة الزوجية

فقال ماهر : نحن بالطبع نتفهم ذلك ، فالأصل السفر، والدكتور سامر العزيز واضحة له الصورة يا زهيرة .. ستكون خطبة بدون عقد العقد الشرعي .. هذا فهمته للدكتور وأبيه وهو تقبل الأمر .. أليس كذلك يا بني ؟

ـ لقد استوعبت الظروف المحيطة بالآنسة ، وستكون خطبة ؛ فإذا تقرر سفرنا نهائيا ، سيكون الزواج، ثم السفر فورا بإذن الله تعالى ، ورحلنا إلى طلب العلم

قالت الفتاة بصوت هامس : شكرا يا دكتور سامر .. أرجو ألا تتضايق من هذا التصرف .. عليك أن تعذرني لأن الزواج طرح عليّ من أجل السفر إلى تلك البلاد

ـ لا حرج عليك .. وأنا أطمئنك أن الوالد يسعى جادا لتحقيق أهدافنا وسفرنا .. لكن قد تضطرين للدراسة من جديد بسبب اختلاف المناهج والترتيب عندهم .. رغم وجود مواد مشتركة في جميع كليات الطب عالميا .. لكن لكل بلد ترتيب خاص ، قد يتفق مع بعض البلدان، وقد يختلف كثيرا .. وربما يعتمدون بعض المواد لك وقد لا يعتمدونها

قالت : لا بأس ، لو عدت للبداية ودرست من جديد .. أنا كما يعلم العم ماهر راغبة بالخروج من هنا للدراسة وهربا من مضايقات ابن عمي الذي يعرف الدكتور عنه الكثير .. حتى وصل به الأمر أن يدفع أناسا ليتجسسوا عليّ في الجامعة .

فقال ماهر : ماذا ؟!

وبدت الدهشة على زوجته أيضا ، فذكرت لهم قصة رسالة ميلاد التي يعترف فيها بمعرفته مع من تجلس وتتحدث في الجامعة ليظهر لها اهتمامه بها زاعما ذلك فعلق ماهر : لا حول ولا قوة إلا بالله .. هذا ازداد جنونا

وأخذ يقص على الدكتور تهديده لزهيرة بقتل من يتزوجها أو إيذائه حتى لا تتزوج غيره ، فلما انتهى من تلخيص القصة قال سامر باستغراب : أمعقول هذا ؟! هو يريد أن يحقق المثل البائد ما ينزل العروس عن الفرس إلا ابن عمها.. أنا ظننت أن هذه الأقوال بادت في المدن وحتى الأرياف

ضحك ماهر وقال : ما دام أن هناك من يفكر بمثل هذه العقلية لم تنته إن شاء الله ستتزوجون ؟ وتقهرون هذه العادات والأقوال ، وتهاجرون بأمن الله ورعايته

وتشعب الحديث والنقد بينهم حول العادات والتقاليد ، ما ينفع للمجتمعات الحديثة ، وما لا ينفع ، ثم طلبت الإذن بالانصراف ، فودعتها الأسرة والدكتور سامر ، ولما ابتعدت سيارتها عادوا للجلوس ثانية ، وانصرفت المرأة الأخرى قال سامر : أمجنون ابن العم هذا ؟

ـ لا تقلق يا سامر .. هذه القصة لها مقدمات .. فزهيرة كما ذكرت لك سابقا قد مات والدها وهي صغيرة ، وجعلني وصيا عليها دون أعمامها ، وخاصة والد ميلاد هذا .. وهي قد ورثت مبلغا كبيرا من المال .. وكذلك أمها .. وطمع العم بثروتها ، فحاول الزواج من أمها ؛ ولكنه لم يوفق لرفض الأم .. ثم تزوجت الأم من شقيقي مروان ، ولم يوفقا بالزواج وانفصلا بعد سنوات ثم تزوجت من ضابط متقاعد ، وما زال الزواج صامدا .. ولما رأى الأب فشله أغرى ولده بالبنت التي شبت بزعم أنه ابن عمها وأولى بها من الآخرين .. فطلبها بعد المرحلة الإعدادية ، فاعتذروا بحجة الدراسة والتوجيهي ، ثم كرر الأمر بعد نجاحها بالثانوية .. ولما رأى قبولها بكلية الطب ، وأن هذه الدراسة قد تستغرق سبع سنوات ، وستصير طبيبة فجن جنونه وهددها بما تحدثنا لك عنه .. وهو شاب لا يحمل أي شهادة علمية ، يعمل مصلحا وفنيا للسيارات .. فهو يضايقها ويسيء إليها ، ولا أحد يردعه ويمنعه .. بل صار شجار في العائلة بسبب هذا الفعل .. وهي أهملته واشتغلت بجامعتها .. وأنا أتمنى لكما السعادة

وتصافحا للوداع وقال لسامر : سلم على الوالد والوالدة .. وإن شاء الله سنحتفل بكما قريبا

قامت السيدة هناء بالاتصال ببعض أعمام زهيرة مخبرة لهم بمشروع زواجها من الطبيب سامر ماجد ، وطلبت منهم إخبار شقيقهم الكبير عادل بذلك ، وكان أخوال زهيرة قد أخبرتهم هناء بالأمر ، وباركوا الزواج لها ولابنتها .

كانت العادة المتبعة في دكان حميد وميلاد لتصليح السيارات أن يصل ميلاد للمحل أول الفاتحين له ، فعندما يصل يفتح الباب الرئيسي للمحل بمساعدة الشغيل الوحيد معهم أو هو وحده ، فيفتح الباب الكبير ويبدأ بإخراج بعض أدوات العمل أمام المحل كبعض العدة ، والإطارات يعلق بعضها في أماكن مخصصة لها على جدران المحل الخارجية ، ويخرج أيضا بعض قطع التصليح ، ويأخذ بعمل إبريق الشاي الضخم ، ويبقى في عمل ترتيب العدة

وأدوات العمل حتى يصل بائع الكعك المحمص لقرب المحل ، فيتناول منه كعكات له ولحميد وللشغيل الثالث العامل معهم ، ويضع فيها البيض المسلوق أو المشوي أو الجبنة الصفراء أو الزعتر المدقوق أو الفلافل المعروف ، ويلتهي بالأكل وشرب الشاي حتى يصل شريكه أبو محمد حميد نبيل للمحل ويبدأن الشغل .

وصل حميد كعادته المحل ووجده مغلقا ـ وهذا من النادر ـ ولما يريد ميلاد التأخر لسبب ما يخبر حميدا بالهاتف أو في آخر نهار العمل ليأخذ باله ، فتعجب حميد من عدم فتح الدكان ذلك الصباح فهو لم يعتد على فتح المحل بنفسه من سنوات ، فعاد لسيارته القديمة يبحث عن مفاتيح الأقفال فحمد الله تعالى أن وجدها فيها ، ففتح المحل والسؤال لماذا لم يفتح ميلاد اليوم ؟!

ونشط في ترتيب المحل وإخراج ما يلزم إخراجه من المواد والأدوات الخاصة بالعمل واللحام ، ثم نادى على بائع الكعك القائم على رصيف الشارع ، واشترى ما يلزمه ، ونادى على بائع الشاي المتجول ، واشترى كوبا منه ، ولم يعمل الشاي في المحل ، وهو يردد لماذا لم يأت المعلم ميلاد ؟!

المكان تتوفر فيه المطاعم ومعامل الشاي والقهوة وحتى أن فيه مقهى للهو والمشروبات الباردة والساخنة ولجلوس الزبائن حتى تنقضي حاجاتهم من تصليح وصيانة ، وهناك محلات البقالة أيضا للمواد التموينية ، وإن كان غالب المحلات تتعلق بالسيارات صيانة وتجارة وبيعا .

وبينما هو منهمك بالأكل والشاي والحديث مع أصحاب المحلات المجاورة ، وهم يصبحون على بعضهم بصراخهم وهمومهم ، وأكثرهم يسأل عن ميلاد الذي يتصبّحون به أولا ، جاء الشاب الصغير الذي يعمل معهم فأرسله لبائع الكعك والشاي ، ولكن الفتى رغب بشراء ساندويتش فقال : اشترِ ما تريد .

وهؤلاء الشباب الصغار أغلبهم يترك المدرسة لعدم قدرته على التعليم، فيلتحق بمثل هذه المحلات ليتعلم حرفة يعيش من ورائها عندما يكبر ، فبعد أن اشترى الفتى طعام الفطور ، وعاد للدكان انتبه لعدم وجود السيد ميلاد وذلك عندما أخذ يلبس ملابس الشغل ، ظن في البداية أنه ذهب هنا أو هناك ، ولما رأى ثياب العمل معلقة على مشجب أدرك أنه لم يحضر فصاح دهشا : أيه يا معلم حميد .. أين المعلم ميلاد ؟ إني أرى ثيابه معلقة على المشجب !

ـ لم يحضر يا سماحة .. من سنوات لم أفتح المحل بنفسي إلا مرات معدودات .. أنظر إلى التلفون هل فيه حرارة ؟ لأتصل بدار العم عادل .. قد يكون مريضا .

ثم ضرب بيده على رأسه وهتف بصوت مسموع : آه ، لقد نسيت لقد كانت خطبة زهيرة ليلة أمس .. المجنون متعلق بحبل الهواء !

عاد الصبي يقول : الحرارة موجودة يا معلم حميد .. هل أرن عليه ؟

ـ لا ، بعد ساعة نتصل يا فهمان .. ربما راحت عليه نومة عميقة .. ما هو المعلم هذه الأيام صاحب سهر وشلل .

فعقب الشاب أسفا : حال لا تسر يا معلم .. يدخن كثيرا ، ويمشي مع شلة شباب سمعتهم أسوأ سمعة .. أهمل ناس يأتون في المساء ويذهب معهم .. كلهم أهل سوابق وأصحاب سكاكين وخناجر .

ـ ما شاء الله يا سماحة ! .. إنك تفهم يا منحوس بالشلل والهمل .. لأي صف درست يا ولد ؟

ـ السابع مرتان ونصف الثامن وهربت نهائيا .

ـ كيف ترى الشغل معنا يا معلم يا صغير ؟

ـ لماذا الإحراج يا معلم حميد ؟ أنا عملت حدادا أول ما تركت المدرسة مع قريب لأبي ، وبعد حين نصحني بأن أبحث عن مهنة أخرى .. فعملت بنصيحته ، وعملت في محطة تنظيف وغسيل سيارات ، ولما قابلت ميلادا بالمحطة عرض عليّ العمل معكم فوافقت .. وأنا مرتاح معكم فعلا يا معلم حميد .

ـ مرحبا بك يا معلم سماحة .. المهنة تحتاج لصبر وعين مفتحة .. وأنا لن أبخل عليك بخبرتي .

ـ أشكرك يا معلم حميد يا بطل أنت أصيل .

ـ كم سيارة عندنا اليوم ؟

أشار لسيارة تقف أمام المحل وقال : هذه السيارة فقط .. هناك زبون أخذ سيارته وقال سأعود غدا يعني اليوم والله أعلم .. وواحد سيعود لنكمل له تصليح سيارته .. لم يرغب بمبيتها هنا مع أن الخراب في ماتورها ..

ـ هو خراب بسيط يمكنها السير .. سوف يأتي هو زبون دائم .

مضت ساعة وأكثر ولم يظهر ميلاد ، فاتجه حميد نحو الهاتف القابع في آخر المشغل ، وضرب رقم بيت عمه حيث يقطن ميلاد ، فردت امرأة أحد أبناء عمه الأولى أم ميلاد .. فالسيد عادل يملك عمارة من عدة طوابق يسكن في الطابق الأول منها هو وزوجاته خاصة أم العيال ، وبجواره عمارة أخرى يعيش فيها أولاده المتزوجون ، فاستغرب ردها على الهاتف فقال : بيت أم حسن عرفته المرأة وأدركت دهشته فقالت : نعم يا حميد

ـ نعم ، حميد .. ظننت أني أخطأت النمرة .. ميلاد موجود .. هل ما زال راقدا ؟

ـ ميلاد لم ينم الليلة في البيت

ـ لم ينم في البيت ما الأمر ؟!

ضحكت كما سمع حميد وقالت مجيبة: يا سيدي عاد سكرانا للبيت ، وأخذ بالصياح والهدير أنه سيقتل زهيرة قبل أن يتزوجها غيره

ـ نعم ، نعم ، كانت ليلة أمس خطبة زهيرة .. نسيت حضورها المرأة مريضة كما تعلمين ذهبنا

للمستشفى



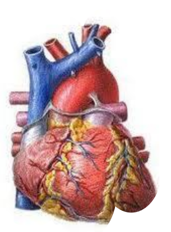
ـ المهم رجع في غاية السكر والصراخ والتهديد .. فتشاجر مع أبيه وإخوانه ، وطرده عمي من البيت .. وها أنت تقول لم يحضر إليك .. الله أعلم أين ذهب ؟!

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. لقد جن الفتى .. نعم ، لم يحضر فظننت أن النوم غلبه .. على كل حال سلمي لي على عمي وزوجك والجميع

ـ مع السلامة يا حميد إذا التقيت به طمأن أمه عليه

ـ إن شاء الله

ووضع السماعة وقال : لا اله إلا الله محمد رسول الله .. بدأ يجاهر بسكره وعربدته .. الله يهديك يا ابن عمي .



وافق جميع أعمام زهيرة بما فيهم عادل على زواجها من الدكتور سامر ابن الدكتور ماجد جراح الأعصاب والدماغ المشهور على مستوى العاصمة ، والمدن الكبيرة الأخرى ، فهو رجل الطب ورجل الجمعيات الخيرية ، واتفقوا على أن يكون الزواج وعقد عقده الرسمي عند رحيل الشابين إلى كندا للدراسة والعمل للسيد سامر مع التخصص في جراحة العظام والكسور .

وأما ميلاد ففي ليلة الخطبة قضى ساعات وساعات في إحدى الحانات يعاقر المسكر ، وعند الفجر قفل راجعا للبيت في سيارة أجرة ، وهو في غاية السكر ، ودخل هائجا صاخبا وإعياء السكر عليه واضحا للعيان ، فلما استيقظ والده على صياحه طار عقله ، وغضب غضبا قاتلا ،

وأخذ يرد على الصياح بصياح حتى أيقظ العائلة ، وربما الجيران ، وكان يقول لأمه التي استيقظت بدورها مرعوبة : ألم أقل لك أن ابنك صار سكيرا ، ويدخل يترنح كالسكارى ، وأنت تقولين أنه يترنح من التعب وكثرة النوم تحت السيارات لإصلاحها .

ثم انهال عليه ضربا ولطما ، فزاد الصياح والصراخ ، وشاركه أبناؤه ذلك الصفع والرفس ، وهو يصرخ ويسب عليهم ، ثم طرده عادل من البيت ، وطلب منه أن لا يعود للبيت حتى يترك السكر والفساد .

فمشى في الشارع وأخذ يبحث عن بيت يقضي فيه باقي ليلته ، وظل يترنح ويسب ويحبو في الشوارع والأحياء حتى وصل لأحد المنازل المعروفة له ، فلما شاهده الشاب بعد أن أدخله البيت ، قال مفزوعا : ويلك من فعل بك الأفاعيل ؟ هل تشاجرت مع عصابة ؟!

- مع أهلي ، مع الملاعين أهلي .

قال : يبدو أنك ثقلت العيار الليلة .. شربت أكثر من اللازم

- شربت حتى انفجرت .. لقد أفرغت الكثير .. اليوم أتعس يوم في حياتي ، حبيبتي الوحيدة في الكون الليلة خطبوها لرجل .. أرأيت الغدر ؟

قال الشاب متهكما : حبيبتك الدكتورة زهيرة ابنة عمك الميت خطبت الليلة .. يا مسكين راحت عليك !

- لم ترح عليّ .. أنا أقسمت مليون يمين ، فلن تتزوج غيري .. فلن تتزوج إلا أنا.. أنا ميلاد .. لن أسمح لها بالسفر إلى أمريكا وأنا حي .. سأتزوجها أنا فقط

- وهل ستسافر هي إلى أمريكا ؟ ما رأيك بكأس قهوة ؟

- لا قهوة ولا حليب .. أرأيت غدر النساء ؟ بعد صبر طويل رمتني في الشارع وأخذت غيري أنا لي عشر سنوات انتظر ليلة الزفاف ، ولما وصلت اللقمة الفم تركتني .. أنا عنتر بن شداد فارس الميدان .

- اسمع خفض صوتك بعد قليل سيؤذن للفجر ، ويستيقظ أهلي للصلاة .. لا أحب أن يعرفوا

أنك هنا .. خفض صوتك .

ـ أنت جبان .. أنا قبل قليل ضربت أبي وإخوتي كلهم

ـ الحمد لله أنني جبان يا بطل .. يا عنتر بن شداد .. يا زير سالم

ـ نعم ، أنت جبان .. أريد أن أنام .. ألديك سرير آخر ؟

ـ هذا ليس فندق يا عنتر .

بعد إعلان خطبة زهيرة بأسابيع قليلة أخبر والد ماجد ابنه سامرا بحصول الموافقة النهائية على قبولهم في إحدى جامعات كندا ، وعلى تعاقده للعمل في أحد مستشفياتها للاختصاص الطبي ، والعمل فيه كطبيب ودراسة الاختصاص في قسم العظام .

وعلى الفور نقل سامر الخبر لزهيرة وأن أوراق الدخول والقبول في الطريق ، وأن عليهم مراجعة السفارة الكندية الكائنة في المدينة الكبيرة ، وقد فرحت الفتاة لهذا الخبر فرحا قاتلا كما يقال ؛ وكأن باب الجنة فتح لها ، وقد ظهر الفرح على محياها لجميع أفراد العائلة في بيت جدها، والكل دعا لها بالتوفيق والنجاح ، ولما اتصلت بالدكتور ماهر الذي فرح لفرحها ، وأعلمها أن الدكتور سامرا تحدث معه في ذلك ، وأنهم بعد وصول الأوراق اللازمة سيسعون لتنظيم حفل عقد الزواج والزواج نفسه ، فشكرته الفتاة لاهتمامه الدائم ، وأخبرت أمها بعدئذ بموافقة السلطات الكندية نهائيا على التحاقها بإحدى جامعتها هي وسامر ، وإنها ستسعى للحصول على أوراق جامعتها اللازمة لها من كشوف علامات وشهادات تزكية وحسن سلوك ، ووثائق لازمة ، وكذلك مراجعة السفارة ووزارة الخارجية لتوثيق الأوراق .

وأخبرت رفاقها في الجامعة سواء من زميلات الدراسة أو أقاربها الذين تجالسهم ، وقد فرحوا لها فرحا كبيرا ، وتمنوا كلهم لها التوفيق وتحقيق الأماني التي تصبو إليها من هذه الهجرة لعالم الغرب ، ودعوا لها بحياة طيبة في كندا ، وأخبرتهم بقرب اقترانها بسامر ، وهي تدعوهم للحفل فوعدوها خيرا .

وخلال أيام يسيرة حصلت على كل الأوراق الجامعية اللازمة للدراسة هناك ، ودفع لها العميد

عميد كلية الطب برسالة خاصة لأحد زملائه في تلك الجامعة ولجامعتها تلك ، وطلب منها أن يتصل به ماهر عندما تستقر في تلك البلاد ؛ ليتحدث شخصيا مع ذلك الدكتور ، وأثنى عليها خير الثناء ، وتمنى لها التوفيق والعودة إلى للبلد والعمل فيها .

أعلن عن حفل الزفاف الذي سيكون في قاعة خاصة للحفلات ، وهي قاعة ممتازة ومهيئة للأعراس الفخمة والمناسبات الكبيرة ، وزعت بطاقات الدعوة ، وتقرر بقاؤهم شهرا واحدا في ربوع الوطن قبل الرحيل النهائي ، فاستأجر سامر شقة مفروشة في حي كبير من أحياء المدينة ، وهذا الحي حي فخم يسكنه الشخصيات الغنية والمهمة في البلاد من رجال أعمال وضيوف زائرين لزمن محدد .

وكانت الشقة المستأجرة تقع في الطابق الثالث من تلك العمارة التي تؤجر شققا مفروشة ، وتجهزت الشقة لتكون مخدع وعش زوجين لمدة شهر واحد .

وشارك أعمام وأخوال زهيرة في حفل زواجهم في قاعة اللؤلؤ الأزرق ، وقضى الناس سهرة طيبة لمدة ثلاث ساعات ، ثم ركبت العروس والعريس في سيارة خاصة في المقعد الخلفي ، وجلست أم زهيرة بجوار السائق الذي هو ابن عم للعريس ، وانطلقت السيارات المرافقة لسيارة العروسين إلى حيث تقع شقة سامر وزهيرة في الحي الموصوف آنفا ، وقد زينت الشقة بالورود والأعلام الملونة ، وانتقلت زهيرة للحياة في شقة خاصة بها لمدة يسيرة ، ثم السفر وشهر العسل في ربوع كندا في شمال القارة الأمريكية الشمالية ، وكندا بلاد كبيرة فيها جزء كبير من القطب الشمالي للأرض ، ومع كبر أرضها فهي قليلة البشر .

وعندما نهض العروسان لصلاة الفجر ، وبعد الصلاة بقليل رن جرس الهاتف عليهما ، فقال سامر وهو يترك سجادة الصلاة متجها للهاتف ومستغربا: من ؟ أمي أم أمك ؟!

هزت رأسها كأنها تقول لا أدري !

وكانت هي أقرب للسماعة منه فرفعتها قائلة نعم

ثم وضعتها بغضب وسرعة ؛ كأن أفعى أو عقرب لسعها ، فقال سامر منزعجا قلقا : من ؟!

ردت بانفعال : الشيطان

فهمس وقد فطن لشيء : ميلاد ؟! أليس كذلك ؟

ـ بلى .. ويبارك لي ويسخر مني

رن الجرس ثانية ، فرفع سامر الهاتف وقال بتوتر : نعم ، ماذا تريد ؟

ـ بارك الله فيك عقبال عندك .. لن تتزوج إلا زهيرة .. زهيرة تزوجتني أنا .. وسنغادر البلاد قريبا .. ما تبحث لك عن بنت حلال .. ستقتلنا أنت عاقل يا رجل

ووضع السماعة واستدار بجسمه كله نحو الفتاة وقال : أحمق فعلا هذا الشاب .. يهددنا بالقتل!

فقالت بخوف ظاهر : إن شاء الله أن يمشي هذا الشهر على خير .. هو أحمق ومجنون كما قلت .. وأخشى أن يتصرف بحمق وجنون

فقال سامر مشجعا لها ومحاولا رفع القلق : توكلي على الله ما هي إلا أيام .. وربما اتصل لينفس عن نفسه .. هل صليت ؟

ـ نعم ، قد صليت .. لكني خائفة حقيقة يا سامر

ـ هل نخبر الشرطة ؟

ـ الشرطة ! وما سيفعلون ؟ هل يحبسونه ؟

ـ يوقفونه بعضا من الأيام ، أو يحذرونه من فعل شيء ضدنا

ـ وهل هذا يحقق لنا الأمان ؟ أنا لا أدري ماذا أفعل له ؟ كيف يفكر أن يتزوجني بعدما تزوجت هو أمي جاهل وأنا متعلمة ؟

ـ عادات قديمة .. والتعليم ليس له قيمة عندهم .

أدرك سامر الخوف الذي أحاط بزوجته على أثر الاتصال المزعج في أول ليلة للزفاف ، وقضى النهار يشجعها ويدعوها ألا تكترث بما سمعت فقالت : المشكلة أن عمي والده لا يستطيع للأسف فعل أي شيء معه .. فقد ساءت سمعة ميلاد ، فأخذ بالسكر والعربدة والانحراف وإهمال العمل .. فليلة خطبتنا عاد للبيت في غاية السكر والشرب والصياح ، فتشاجر مع والده

وإخوانه زاعما أنني السبب في انحرافه وفجوره ، أرأيت جنونه ؟! .. فأنا فعلا خائفة من فعله لشيء لنا .

ضحك سامر وقال مشجعا : ينفذ تهديده ويقتلنا .. لا تخشيه .. فبعد سفرنا القريب ـ إن شاء الله ـ سيعود له الهدوء ، ويبحث عن فتاة تناسبه .. فشرب الخمر لا يحل المشاكل كما يتوهم هو وغيره .. فأصدقاء السوء هم الذين يشجعونه على شربها زاعمين أنها تنسي الهموم والغموم .. وماذا بعد عودة العقل حال انتهاء السكر ؟!.. سخافة وجهالة .. فالشرب لا يحل مشكلة ، بل يضاعفها ويزيدها .. فمن العادات السيئة عند بعض الناس شرب الخمر ليلة الزفاف بزعم القوة الجنسية في تلك الليلة .. فهذا غير صحيح ؛ إنما هو من تسويل وتزيين إبليس اللعين .. ربما الصحيح أنها تضعف القوة والطاقة الجنسية ؛ لأنها تؤثر على العقل وعملية الجماع رغم ما فيها من عاطفة وإثارة هي عملية أعصاب وعقل ودماغ .. وأعتقد أن الشاب شريب قديم .. وأعتقد أن انحرافه قديم .. فهذه الأماكن التي يعمل فيها يتردد عليها الفساق والحشاشون ، فمثل هؤلاء الفنيين يتلقون المهنة والحرفة بالعمل داخل هذه المحلات ، فالقليل من يدرسها ويتعلمها من معاهد متخصصة بالتدريب المهني ، فيتعلمون الحرفة عمليا فقط ، ومع الوقت يتحسن أداؤهم .. فتتكون الشلل والمجموعات خلال تلك السنوات ، وواحد منحرف يفسد بلدا .. ولا أعني أنه لا يوجد أناس محترمون جيدون بينهم .. بالتأكيد يوجد .. فعندما نذهب لتصليح سيارة نسمع هناك من الألفاظ القبيحة والنابية ما تقشعر له الأبدان .. لذلك يكثر تعاطي التدخين بينهم والمسكرات ، وبعضهم يتعاطى المخدرات والحشيشة .. فهي بيئة صالحة لهذا الانحراف .. عملت في قسم الطوارئ مدة ، فرأيت من هذه الحالات الفاسدة والتسممات وضرب الأمواس والأدوات الحادة .. فلست أنت سبب تعلقه بالشراب ، وربما لا تخلو حياته من النساء وبنات الهوى .. فخلال عملي سمعت قصصا لهم تذهل الأسماع .. نسأل الله العافية هوني على نفسك .. فسلبيات كثيرة تطرقهم في مثل هذه الأماكن .

فقالت بانقباض : وأنا مثلك مقتنعة بانحرافه قديما ؛ ولكنه اتخذني سلما أو شماعة يعلق عليها

فساده وزيغانه وأعماله القذرة .. لأبدو أمام العائلة والناس أنني أنا الذي أوردته المهالك والمفاسد ، وقد سمعت بعض هذه الكلام من قريباتنا .. وكما قلت لك للأسف فعمي عادل كبير في السن اليوم وعليل ، فلن يستطيع منعه وخاصة أنه منذ أسابيع يعيش خارج البيت .. فأخشى أن تأتيه ساعة جنون ويرتكب فعلا مؤلما ليمنعنا من السفر ..

قال سامر : أين ستتعشى الليلة ؟ أتحبين مكانا معينا ؟ مكانا لك فيه ذكريات ؟

تبسمت زهيرة : قد تستغرب إذا قلت لك إنني لم أكن مغرما بالسهر خارج البيت أو النزهات الكثيرة .. كنت أحب أحيانا أن أجلس في حديقة عامة لتناول العصير أو البوظة .. ربما مشاركاتي لرحلات المدرسة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة .. حبب إليّ القراءة بالعربية والإنجليزية ، وكنت أحب أن أكون متقدمة في المدرسة في جميع المواد .. فوقتي كله في البيت ، لم أكن اجتماعية بشكل كبير ؛ لكن لما تملكت السيارة تغير الوضع شيئا ما ، فبدأت أتردد على بعض الزميلات وأحيانا آخذ أمي في جولة في شوارع المدينة ، وندخل مطعما مشهورا أو نجلس في حديقة لأكل المكسرات .. فأي مطعم تختاره أقبله .. الخادمة روجا ستتردد علينا خلال هذا الشهر في فترات الصباح لتنظيف البيت وخدمتنا .

ـ لا نحتاج لطهو هنا ، سيكون طعامنا كله من الخارج من الطعام الجاهز.. ما هو إلا شهر .. وسيمضي كما مضت غيره من الشهور .. ربما نحتاج فقط لقهوة وشاي وحليب فواكه طازجة وأمامنا جولات ودعوات هنا وهناك ، فأمامنا برنامج طعام حافل من الأخوة والأخوات يا قرة العين .. أنت رائعة يا زهيرة وإنسانة مسالمة وطيبة وقليلة الكلام على غير عادة النساء .. يحببن الثرثرة والرغي !

ـ شكرا .. الحمد لله الذي أكرمني بك زوجا وسيدا .. وعسى أن أكون الزوجة الصالحة اللائقة بالدكتور سامر ماجد .

استقبل العروسان أصيل ذلك النهار السيدة هناء وشقيقها يسري وزوجته ، وكانت روجا بصحبتهم ، وقد جاءت هناء تبارك للعروسين في أول أيام زواجها ، وكانت تحمل لهم الحلوى

والفواكه الطازجة ، واحتضنت الأم ابنتها مهنئة وداعية لها بالخير والذرية الصالحة ، ثم صافحت زوج ابنتها الذي كان يقف مرحبا بهم ، وقد تلقى التهاني من خال زهيرة ، وعانقه كعادة أهل المدينة هنا ، ولما انتهت هناء من معانقة ابنتها وتحولت لصهرها ، صافح يسري زهيرة وقبلها من خديها ، وبارك لها ، ودعا لها ، وكذلك فعلت زوجته ـ فهم كانوا لها الأهل ، كانوا يقدمون لها الطعام والفواكه كلما أرسلوا منهما شيئا لأمه ، فكانت من ضمن العائلة رغم استقلاليتها، وكانت زهيرة أيضا تحب خالها يسري وشدته وصرامته ، ولا تنسى موقفه الحاد من انفلات أمها في يوم من الأيام ـ وجلسوا في صالة الشقة بعدما باركت روجا لسيدتها ، وأدخلت الأغراض للمطبخ ، وأخذت تهيئ لهم الشراب والحلوى التي احضروها معهم ، وغمر الابتسام والضحك زهيرة وقرينها ، وقالت زهيرة لأمها : ها أنت تريني عروسا يا أمي .

قالت هناء : أنا أسعد الناس بزواجك يا عزيزتي الغالية.. فأنت حياتي وقرة عيني .. ومن أعماق القلب أتمنى لك الخير والسعادة .. فمبارك عليك سامر وأنت مباركة عليه .

تمتم سامر : شكرا لك يا حماتي الطيبة .. زهيرة في عيناي وقلبي . وأشار بسبابته لعينيه وصدره وبينما هم مسرورون بالحديث رن الجرس من جديد ، فنهض سامر لفتح باب الشقة ثانية وهو يقول للضيوف: لابد أنها أمي .

ومشى إلى الباب تتبعه زهيرة ، وفعلا كان القادمان الدكتور ماجد وقرينته قادمين للتهنئة والتبريك ، وتعانق ماجد وابنه وهنأه بالزواج ، ثم تحول معانقا لزهيرة ، وتحول سامر مقبلا لأمه، ورادا على تهنئتها ، واحتضنت الأم كنتها الجديدة ، ومشوا إلى الصالون حيث رحب الضيوف بعضهم ببعض ، والكل يهنئ الآخر ويشكرون الله تعالى الذي جمعهم ، وألف بين قلوبهم ، وأصبحوا أسرة واحدة بهذه المصاهرة .

ولما تناولوا شيئا من المطعومات والمشروبات استأذنت هناء وشقيقها من الدكتور ماجد وقرينته ومن الدكتور سامر وقرينته، وأوصلوهم لباب الشقة مودعين وشاكرين .. وبعد حين يسير استأذن ماجد وزوجته رغم إلحاح العروسين لهم بالبقاء والعشاء معهم ؛ ولكنهم أصروا على

الانصراف ، وأنهم سيدعونهم للعشاء معهم خلال أيام ، فقدم سامر الشكر الجزيل لوالديه ، وفعلت زهيرة مثله ، وتعانقتا ، وغادر الضيوف البيت ، وأغلق سامر الباب بالمفتاح وقال لزهيرة : انتهت زيارة اليوم ، فهذه زيارات تقليدية واجتماعية اعتاد عليها الناس والآن متى سنخرج للعشاء والسمر ؟

ـ نهار الشتاء قصير في بلادنا فلننتظر حتى نصلي العشاء ، ثم نخرج لأي مطعم تراه مناسبا لعروسين جديدين مثلنا .

قبل الرجل امرأته وقال : أنا سعيد بحبك وقلبك يا زهيرة .

ـ وأنا مثلك ، فأنت الرجل الأول في حياتي .. لم أعرف عبث الفتيات أيام المدارس ، بل كنت أتضايق من قصصهن ومغامرتهن .. ستر الله عليهن .

ـ أنت فاضلة يا زهيرة .. لقد عشت في بيئة جيدة وسليمة ..

ـ صدقت .. فمنذ عدنا من الخليج عشت مع دار جدي .. وخالي يسري الذي غادرنا قبل قليل فهم قوم يخافون الله .. فجدي فلم يكن يقطع فرضا من الصلاة دون الجامع وكذلك خالي يسري وأولاده .. فالصلاة عمود الدين وعمود البيت فعلا .. كان لا يتهاون مع الأولاد في الصلاة .. وكذلك البنات .. وأمهم كذلك إنها معلمة متقاعدة ومربية محترمة .

صلى الزوجان المغرب جماعة بعد مغادرة ضيوفهم ، وأخذوا يستعدون لصلاة العشاء الذي أزف ونهضت زهيرة للوضوء ، ولما انتهى المؤذن من آذانه آخذا بالصلاة معا مرة أخرى ، ثم غيرت الفتاة ملابسها ولبست ملابس الخروج ، ولبس سامر بذلته أو جاكيت البذلة حيث كان لابسا بنطال البذلة أثناء استقبال الزوار وقبل أن يفتح سامر الباب للخروج ، وقد تفقد مفاتيح سيارته قال وهو ينظر لثياب زهيرة : لماذا لا تلبسين الجلباب الشائع لدى الفتيات المتدينات اليوم ؟

ضحكت وقالت : لبسته مرة ، ولم ارتح للمشي والخروج فيه .. وهذه ملابس شرعية ، فالثياب الطويلة والساترة للجسم هي ثياب شرعية كما سألت عنها بعض الفاضلات ، فهي واسعة ولونها سادة يا سيدي ، وتعجبني العباءة الخليجية ولكنها غير شائعة في بلادنا كما ترى ..

القليلات من يفعلن ذلك ، ربما تعودن عليها هناك أثناء حياتهن في السعودية أو الكويت .. هيا واعلم أن هذه الثياب افصلها تفصيلا حتى تكون واسعة وغير ضاغطة على البدن .. فأنا ممتلئة البدن كما ترى ، وأراعي شروط اللباس الإسلامي قدر الإمكان .

ابتسم لها وقال : جميل ! إذن أنت مثقفة دينيا.

ضحكت وقالت وهما يغلقان باب الشقة ليهبطا الدرج : الحقيقة لا .. لكن أقرأ واتصل بالهاتف مع بعض المثقفات والناشطات دينيا .. قراءة سريعة وعسى أن يتيسر لي التوسع في الثقافة الإسلامية .. وقد لمست أنا ثقافتك الدينية والعلمية صباح اليوم خاصة عندما تحدثت عن مساوئ الخمر ، وأسباب الانحراف، وذكرك المزاعم التي تلصق بالخمر تدل على اطلاع جيد .

ـ لا أعتبر نفسي متدينا كالشباب الملتزم .. كان معي في الجامعة في مصر فريق من الشباب المتحمس دينيا والملتزم بمعنى الكلمة .. التيارات الإسلامية في الجامعات العربية تيارات قوية ونشاطهم دائم ومستمر .. فأتيح لي الجلوس معهم ومجاورتهم وسماع مناظراتهم .. وطلبة الطب يملكون الكثير من الثقافة الفكرية الإسلامية .. ثقافة ممتازة فاستفدت منهم ، واضطررت للقراءة لمعرفة أفكار الجهاديين وغيرهم .. فنشاطهم قوي رغم كثرة رجال المباحث والمخابرات في الجامعة .

وصلا الشارع الذي يمر من أمام العمارة وهو شارع فرعي ، وكانت تقف في موقف العمارة سيارة كل من سامر وزهيرة من قبل يوم العرس ، وقفت زهيرة على رصيف العمارة ريثما يخرج سامر سيارته من موقفها الخاص بجوار العمارة حيث يوجد لكل شقة موقفا للسيارات ولما ركبت زهيرة بجانبه انطلقت بهما السيارة للعشاء في أحد المطاعم المعروفة لسامر ، ولما تجولا في الحي والمنطقة عدة جولات خرجا للشارع العام حيث الأماكن السياحية من المقاهي والنوادي والمطاعم ، فدخلا أحدها وفي قسم العائلات وجدا مائدة فارغة ، فجلسا إليها ، وقدم لهما الطعام الذي طلباه ، وبعد تناولهما ما قدم لهما من أكل وشراب غادرا المطعم مسرورين ، ويغمرهما الفرح والشبع، فلما جلسا في السيارة قال سامر : الآن إلى المنتزه نجلس فيه ساعة ما دمت تحبين

الجلوس في الحدائق العامة

ـ شكرا لك ، وهذا لطف منك يا سامر

وانطلق إلى الحديقة الوطنية وهي من الحدائق الواسعة في المدينة ، وركن السيارة قرب الحديقة وزلفا للحديقة ، وبعد مشي استغرق عدة دقائق وجدا مقعدا خاليا ، فجلسا يستريحان عليه، وذهب سامر بعد قليل واشترى لبا ومرطبات وبعض الترمس اللؤلؤ الأصفر وأخذا يقزقزان ويشربان ويتسامران ويعلقان ، ولما انتهيا قال سامر مداعبا لزهيرة وهو يقف : أرجو أن تكوني قد نسيت بعد هذه الجولة تلفون الصباح .

ـ أحاول أن أنسى .. إنه هاتف مزعج ومخيف ، احتاج لأيام حتى أنسى .. عندما تشاجرنا مرة وأعلنت رفضي الصريح له هددني ، فظللت أشهرا حتى نسيت تلك الدقائق المرعبة في حياتي .. يومها أحسست باليتم والضعف ؛ لأن أخوالي رغم حبهم لي لا يستطيعون التدخل بشكل جاد فأولئك أعمامي .. خاصة أن المشكلة مع عمي وابنه .. عمي الولي شرعا عليّ كما قيل .. وحمدت ربي كثيرا أن أبي لم يجعله وصيا عليّ وعلى ميراثي .. كنت أتخيل لو كان هو الوصي عليّ ما تعلمت لأخرجني من المدرسة صغيرة بحجة لماذا تتعلم المرأة وهي مصيرها الزواج والخلفة يعني الإنجاب .. وقلت ولربما لو طلبت مالا لعمل لي قصة وحكاية

فعلق سامر متأملا وهما يغادران المكان : رحم الله أباك كان يعرف أخاه الكبير معرفة جيدة ، يعرفه حق المعرفة .. والغريب أنه اختار الدكتور ماهر طه

ـ هم أصدقاء من أيام الجامعة ، وظلت العلاقات متصلة رغم هجرة والدي للعمل في الخارج

لقد كان حفل زواج زهيرة حفلا بهيجا لحاضريه ، ولم يكن حفلا إسلاميا إذا صح التعبير بذلك لقد تخلله موسيقى حديثة ، واختلاط نساء ورجال أو كل عائلة على مائدة خاصة بهم ، ولقد كان الحفل يوم الجمعة ليلة السبت ، وذكرنا أن ميلاد عادل اتصل مع صلاة الفجر مهددا ومتوعدا للزوجين ، هو لم يذهب للحفل كباقي أفراد الأسرة مشاركا مباركا ، بل نهاه والده عن

الذهاب إلى الحفلة خشية أن يرتكب حماقة كبيرة أمام الحاضرين والمدعوين من العائلات والأسر الأخرى .

وكان الشاب بعد الخطبة بزمن يسير قد تصالح مع العائلة بشفاعة حميد نبيل شريكه في المحل ، ولكنه لم يهجر السكر والخنا ، وكان يتحاشى أن يعود للبيت والسكر غالب عليه ، فكان يقضي فترة سكره عند رفاق السوء والعصبة التي ترافق معها أو في المقاهي والشوارع ، ويتسلل للبيت تسللا آخر الليل أو عند نصفه .. فقد خصصت له حجرة في البيت الكبير منذ عهد ، فالعمارة تتكون من عدة طوابق أنشاها الوالد وبعض الأخوة الكبار لميلاد .. فكان الطابق الأول أو الأرضي لعادل وزوجتيه أم ميلاد وضرتها ، وهو يتبادل المبيت بينهنّ حسب أوامر الدين والقسمة بين الزوجات، وكل أبنائه من زوجته الأولى تزوجوا ، ولم يبق إلا السيد ميلاد في البيت بغير زواج وأبناء السيد من المرأة الأخرى .

كان يتسلل للبيت بعد منتصف الليل كاللصوص، أحيانا يلتقي بأمه ، وأكثر الليالي لا يلتقي بأحد ؛ لأنه يأكل الغداء والعشاء في العمل والشغل .

لم يذهب السيد للحفل مع الأسرة ، فذهب للخمارة وقضى شهوته من الشراب المحرم ، وقد رافقه أحد أفراد شلته الفاسدة ، وجلسا بعد تعاطيهم الخمر في أحد المقاهي التي يرتادها الناس للعب أوراق اللعب التي تسمى الشدة ، ثم تعشى في مطعم قريب بجوار المقهى ، وهو لم يأكل سوى لقيمات ، وغادر ورفيقه بسيارة أجرة يعرف صاحبها ، أخذه إلى صالة العرس عرس زهيرة ، ووقفا في مكان يريان منه الصالة ، وربما سمعا صوت الموسيقى والحفل الذي أقامه العريس ووالده ماجد ، وكان يرى الداخلين والخارجين من الحفل الذي كان يحلم أن يكون حفله ، وشاهد الناس وهي تخرج جماعات وأفرادا في نهاية الحفل ، وشاهد سيارة العروس المزينة بالورود والأزهار والزينة ، ورأى كيف خرج العرسان على أصوات الموسيقى والطبول الصغيرة والدفوف ؟ وفرقة غناء تزف العروسين ، فكان يقول لصاحب السيارة : كان يجب أن يكون هذا الحفل لي ، لولا غدر النساء .. آه ما أغدرهن! .. عمرك أن تُؤمن لامرأة .. تنتظر

سنينا ثم تأخذ غيرك .. هذا ما فعلته ابنة عمي .. اصبر .. اصبر حتى أنتهي من التوجيهي اصبر حتى أنتهي من الجامعة .. وقبل أن تنهي الجامعة وجدت فارسا جديدا سترى وتسمع ماذا سأفعل بها ؟

وظل يراقب المكان حتى تحركت سيارة العروس ، وأخذ الناس بالتلاشي رويدا رويدا فقال للسائق : اتبعهم ، وتبعهم حتى وصلوا العمارة التي يسكنها الزوجان ، ونزل من السيارة وتمشى أمام العمارة عدة أشواط على قدميه حتى تحدث معه البواب وسأله عن سبب تمشيه في هذا الوقت من الليل ، فابتعد من غير أن يرد بكلمة ، ثم عاد للحانة برفقة سائقه وصاحبه ، وجلس يعاقر الخمر بعد انصراف صاحبه والسائق الذي أخذ منه عددا من الدنانير ، وأخذت الخيالات السوداء تتأرجح في رأسه ويقول لنفسه تحسرا وألما أصبح لك زوج يا زهيرة .. يا خائنة !.. غدرت بحبي الكبير لك !.. لم أستطع فعل شيء .. أنا جبان .. جبان وصرخ بها فسمعه الخمار ومن يجلس في المكان فالتفتوا إليه فقال له الخمار : إيه يا معلم من تخاطب ؟!

فصاح : أخاطب نفسي يا معلم ...

وعاد يردد لنفسه ضيعت عمري وراء السراب .. لقد حلمت بك كثيرا يا زهيرة بين ذراعي حلمت بك زوجة وحبيبة .. لماذا غدرت بي ؟! .. ها هو قد اختطفك مني ..الحبيب الجديد

وغادر الحانة مع الفجر ، ولكنه قبل المغادرة اتصل بشقة زهيرة متوعدا ، وكان قد حصل على الرقم بواسطة رفيق له زعم للبواب أنه يرغب باستئجار شقة ، فأخذ رقم البواب ، فاتصل بالبواب طالبا رقم تلفون الشقة التي نزل بها الدكتور سامر زاعما أنه يتعالج عنده ، ويريد أن يسأله سؤالا طبيا ، فذكر البواب الرقم الخاص بالشقة ، وذكر له عند الاتصال أن الطبيب في حفل زواجه.

رجع ميلاد للبيت وهو سكران ، وتسلل لحجرته وطرح نفسه على سريره ، وهو في غاية التعب والألم والحسرة ، ولم يذهب للعمل يومها كما حصل له ليلة الخطبة منذ أسابيع مضت ، ولما انتصف النهار تحدث حميد مع بيت عمه سائلا عن شريكه ، وقد أدرك أن الرجل قضى ليلة

سوداء في الحانات والمقاهي ، فدخلت أمه حجرته موقظة له ، وهي تتمتم الله يسامحك يا زهيرة فرطت في ابن عمك .. كان يجب أن تكون ليلتك يا ولدي

ولما أخذت بإيقاظه ثرثرت قائلة : يا الهي عفوك ورضاك ! اللهم اهده وتب عليه .. رائحة الخمر تملأ الحجرة .. حتى سكر مثل السكارى لا يعرف يسكر

وكان يسمعها بتثاقل فتابعت بضيق ألا تفكر بترك الشيطان والمنكر يا ولد ؟

جلس على حافة السرير وأشعل سيجارة وقال : ألا لعنة الله على النساء !

قالت أمه : حرام عليك .. فالنساء أمك وأختك وعمتك وخالتك

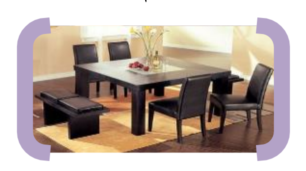
فقطع عليها قائلا : رأيت زهيرة تزف لرجل غيري .. اليوم أصبحت امرأة لغيري .. ذهبت بكارتها .

ـ من زمان قلنا لك انسَ وقلنا انتهينا من ابنة هناء .. انتبه لحالك .. ها هو حميد لديه ثلاثة أطفال وامرأته حامل في الرابع .. وها هو يسأل عنك لولا هاتفه لظننّا أنك في الورشة

فصاح ناقما : أنتم السبب في تعلقي بها .. زهيرة لك .. أول ما تكبر سنطلبها لك .. زهيرة لك حتى صدقت ذلك

ـ كلام فارغ .. كل شيء قسمة ونصيب .. ناس تخطب وتكتب العقد ثم يحكم النصيب والقدر فيفترقان .. نحن كان لنا رغبة بأن تتزوجها ؛ ولكنها رفضت الزواج .. وكان عليك أن تبحث عن غيرها .. وبعد سنين كررت الرفض وأنت المصر على الزواج منها

خرج للحمام واغتسل بالماء البارد كعادته رغم فصل الشتاء ، ثم اتصل بحميد واعتذر عن الشغل والدوام ، ودخل المطبخ وأكل ما وجد من طعام في البراد (الثلاجة تسمى في بلادنا) ، وشرب قهوة صنعتها له أمه ، وعاد لحجرته لينام ويخطط ويدبر كيف ينتقم ؟



عبث

رن هاتف الشقة عند فجر يوم الأحد ، فتطلع الشابان بعيون بعضهم ، وابتسم سامر لها وهمس : إزعاج ثاني ؟!

فقالت وهي متأكدة من الإجابة : أتظن أنه هو ؟ عبث صبيان .

رفع السماعة وقال نعم فسمع صوت لعن وسب فأغلق السماعة وقال : لابد أنه هو .

ـ ماذا قال ؟

ـ لعن وشتم وكأنه بصق على التلفون

فصاحت بتوتر : يا له من حقير!

ـ لا تهتمي ولا تكترثي عندما نرحل سينتهي من حياتنا .. هل صليت الفجر ؟

ـ نعم ، ولي رغبة بالنوم ، فسيأتي بعض الأقارب كخالاتي أو بعضهن للمباركة والتهنئة .

ـ يا أهلا بالجميع .. وقد تمر أيضا بعض أخواتي كما أشارت أمي أمس .. سأتصل بالمطعم ليرسل لنا الطعام حسب الاتفاق بيني وبينهم .. وسأوصي على الحلوى الكنافة .. وقد أنزل لشراء علب العصير والمثلجات .

ـ روجا ستأتي هذا النهار لتقوم على خدمة الضيوف ..

وغمر الصمت المكان حتى قالت : أليس هناك فكرة للخلاص من إزعاج هذا الشرير ؟.. أخشى أن يستلمنا طول المدة

ضحك سامر : تصرفات صبيانية .. ونحن بحاجة لبقاء التلفون .. الطفل عندما يفقد لعبة يبدأ بالمشاكسة لاسترداد اللعبة .. فالشاب الذي أقنع نفسه كل هذه السنوات بأن يتزوج منك يتصرف في رأيي مثل ذاك الطفل الغرير .. هو مجرد تشويش .. هداه الله صدقا من قلبي .. أراك ناعسة فعودي للنوم .. سأقرأ بعض الصفحات من كتاب الله العظيم ، لي أيام لم أقرأ منه ما تعودت على قراءته

قالت وهي تنهض : أتحب أن أعمل لك القهوة ؟ أو نسكافيه ؟

ـ شكرا ، لما تستيقظي نشربها سوية

دخلت غرفة النوم لعلها تنام ، وأخذ سامر يقرأ القرآن الكريم بصوت مسموع وإن لم يكن عاليا فرن الهاتف من جديد فلم يرد عليه وتجاهله .. وخرجت زهيرة تقول : إنه يرن .

فنظر إليها باسما وقال : دعيه يرن .. فالإهمال أحيانا يكون دواء ناجعا

ـ قد لا يكون الشرير !

ـ ليس مهما .. فليس من المعتاد الاتصال بي باكرا إلا لأمر ضروري ومهم

ـ حسنا ، سأذهب للمطبخ ، لقد طار النوم .. قهوة أم نسكافيه ؟

ـ قهوة لننشط أعصابنا بعد هذا التوتر

بعد دقائق عادت بالقهوة والفناجين ، ولما جلست أخذت تملأها بالقهوة وتقول : ما زلت خائفة من جنونه يا سامر !

ـ إنه لن يفعل شيئا .. فنحن نعرف بعضنا أكثر من شهرين.. هو من سني

ـ تقريبا عمره حوالي ست وعشرون سنة

ـ ولم يتزوج بعد ؟

ضحكت وقالت : يتزوج كيف؟! وهو كان يأمل بالاقتران بي

ـ أضاع الكثير من سنوات العمر في الوهم ؟

وصل ميلاد مكان العمل متأخرا ، وكان غاضبا ومتوترا لفشله بإسماع صوته لزهيرة ، فلما سلم على حميد وسماحة العامل الصغير معهم ، وكان هناك زبون يصلحون سيارته يقف مع حميد ، وكان حميد ساخطا على تأخره ؛ لذلك ما أن سمع ميلاد يقول معذرة يا حميد على تأخري .. تعرف ما أنا فيه من هم وغم حتى ثار حميد وقال بحدة ظاهرة للسامعين : أنت ضيعت نفسك يا ابن عمي .. أنت أوهمت نفسك بما تسمونه الحب .. حب من طرف واحد ، هل هذا حب؟! ها هي قد تزوجت المحبوبة ، وستسافر خلال أيام أو أسابيع ، وننتهي من

زهيرة وحكايات زهيرة .. فعليك أن تهتم بصحتك ونفسك ، وتهتم بعملك يا عم ميلاد

فصاح ميلاد بعد صفون : محاضرة على الصبح يا حميد

- يا رجل أي صبح ؟! قربت الشمس تغرب ..وثانيا لم تعد المحاضرات تجدي، ولم تعد تنفع مع حضرتك .. إنك تهمل كثيرا العمل وتنصرف مبكرا

فصاح ميلاد : أتريد أن تفك الشركة ؟

ـ إذا استمر هذا الحال فستنفك الشركة .. ذلك أفضل .. المحل يعيش على السمعة الحسنة يا معلم .. سمعتك تسوء في (الكراجات).. وهذا يؤثر على العمل هنا

فصرخ ميلاد غضبا : خلاص سنفرط الشراكة التي تؤثر على العمل .. أنت منذ زمن تسعى للانسحاب .

ضحك حميد سخرية وقال : لماذا أنسحب ؟! .. أنا أعطيك حصتك ، وابحث لك عن مكان آخر .. أنت لم تعد ميلاد الذي شاركته الرزقة والعيشة .. قل لي منذ شهر .. منذ خطبت زهيرة ماذا فعلت؟ ماذا اشتغلت ؟ بل من قبل ذلك .. تفك برغي أو برغيين.. تعال يا معلم سماحة كمل الشغل ـ ورمى بعصبية (زردية) على الأرض ـ وأخطاء كثيرة حصلت وأنت تصلح يا معلم ميلاد .. كم شخص شكى منك ؟

ـ ألا تريد أن تتركني في حالي حتى تهدأ نفسك ؟

ـ يا رجل .. البنت ربك ستر عليها ، وتزوجت طبيبا وهي ستصير طبيبة مثله .. ووالده وأسرته أغلبها أطباء .. أنا سأمهلك أسبوعا واحدا لتعود إلى ميلاد الذي عرفته وشاركته الورشة .. دعك من الخمر والزنا .. أنا صابر عليك .. فالإشاعات الدنيئة تحوم حولي من وراءك .. وكل أعمامك وأقاربك يعرفون سيرتك السيئة ، وإنك تقضي آخر يومك في الخمارات والملاهي

صاح ميلاد في الولد الذي كان يسمع العراك الكلامي بين صاحبي المصلحة : اذهب يا ولد واعمل قهوة.

وكان خلال هذه المشاجرة الكلامية يدخن سيجارة تلو سيجارة ، فحجته للدفاع عن نفسه أمام

حميد ضعيفة ، فقال في النهاية مستسلما : أمهلني بضعة أيام يا معلم حميد لعلي أعود لنفسي ، لم أكن أرى ابنة عمي إلا زوجة لي .. كنت مجنونا .. كنت غبيا

ـ سأتحملك أسبوعا واحدا ؛ فإذا لم يتحسن وضعك في العمل والدوام فليس لنا إلا الفراق ، وأنا تحدثت مع والدك بهذا الأمر فقال افعل ما تراه مناسبا ، فلم يعد ميلاد الابن الذي نفتخر به أوقف حياته على وهم ، على امرأة رفضته وهي طفلة .. يزعم أنه محب لها ولهان بها

ـ أبي قال كل هذا ؟

ـ أبوك .. وكل الناس .. أنت لا تصحا إلا ساعة من الزمن عندما تأتي إلى هنا لتدور وتلف بين السيارات والمحلات ، ثم يأتيك الفرسان .. يا حميد سامحني إني تعبان سأذهب مع الرفاق

ـ قلبك حامل عليّ

ـ قلبي ليس حاملا عليك .. هذا عمل وشغل يا ميلاد لا أنا أعتمد عليك ، ولا أنت تعتمد عليّ .. العمل يحتاج لجهد ونصب ووعي

ـ حسنا ، أسبوع واحد ، وإما أن نستمر سوية ، وإما نتفاهم على قسم المصلحة

جاءت القهوة وسكبت في الأكواب وقدمت للجميع وقال حميد : عليّ أن أصبر أسبوعا يا ابن عمي الذي كان الأخ والصديق .. إننا أناس نعيش على سمعتنا يا رجل .. البنت تزوجت فعليك أن تعود لعقلك ، وتتزوج وتترك الفواحش والخمور وحتى الدخان

قضت زهيرة وزوجها سامر أياما في المشاركة في تلبية دعوات غداء أو عشاء عند أشقاء وشقيقات سامر ، ودعتها أمها للغداء في بيت جدتها أم فوزي ، ووالد سمر زميلتها في الجامعة ابن شقيق أمها دعاها كذلك لوليمة صغيرة ، وأخوالها فعلوا ذلك ، واعتذرت عن جميع دعوات أعمامها لضيق الوقت ، وهذا من التقاليد الاجتماعية دعوة العرسان لتناول الطعام عند المقربين من الأخوة والأخوات .

وذات ليلة وهم راجعون من تلك السهرات ، وقد دخلوا الشارع المؤدي لعمارتهم اندفعت نحوهم سيارة مسرعة صدمت الجهة التي تجلس فيها زهيرة ، وظلت مستمرة في سيرها ومبتعدة

عنهم ، وكان سامر لمح في اللحظة الأخيرة اندفاع السيارة نحوهم فأبعدها ناحية الرصيف ، فخفف من صدمها للباب الأمامي حيث زهيرة تجلس ،ومتقدما للأمام فجاءت الضربة في الباب الخلفي أكثر من الأمامي ، وأوقف السيارة ، ولكن السيارة المتهورة قد اختفت لم تتوقف والشارع عادة قليل السيارات لأنه شارع جانبي أمام العمارات ، وليس بشارع عام ورئيسي ، وسامر كان على يسار الشارع ليتوقف أمام رصيف مدخل العمارة ، فتوقفت سيارة كانت خلف سامر ، ونزل سائقها يقول لسامر الذي خرج من سيارته بدوره : الحمد لله على السلامة .. هل حدث ضرر ؟ يبدو أنه متعاطي أو سكران .. فكانت سرعته في هذا الشارع سريعة مثل الصاروخ .

قبل أن يرد سامر على الرجل فتح الباب من جهة زهيرة ، ورغم تعرضه للصدم فقد فتح وقال لها : الحمد لله على السلامة .

بالطبع كان الرعب والخوف يغمرانها وظاهران على وجهها ، والصفار واضح على نور الأعمدة الكهربائية المتوفرة في الشارع ، ثم استدار سامر للرجل وقال : الحمد لله ، لم تصب المرأة بشيء إنما جاءت الضربة في الحديد .

ـ هل تحتاج لمساعدة ؟

ـ شكرا .. البيت هنا . وأشار للعمارة التي يسكنان فيها ، وعاد للسيارة بعد أن أغلق باب زهيرة الصامتة وقال : سائق طائش سكير على رأي الرجل .. الحمد لله على السلامة يا عزيزتي !

وشغل المحرك وتقدم نحو عمارتهم ، وكان البواب يقف على الرصيف أمام العمارة ؛ وكأنه خرج من شقته على صوت الضربة ، ولما رأى سامرا قال : هو أنت .. هو الحادث معك .. الحمد لله على السلامة يا دكتور سامر

ـ شكرا يا عم مخلد .. شباب طائش

ـ له أكثر من مرة يدور في هذا الشارع .. يذهب ويأتي .. مشعوط .. الحمد لله على السلامة يا مدام .

وكانت تنزل من السيارة وهي مصدومة مذهولة ، فهزت رأسها للبواب ، وكانت ترتجف رعبا وأدرك سامر ذلك فقال وهو يمسك بيدها : هل أذهب بك للمستشفى ؟

هزت رأسها بلا فتابع : نطمئن يا زهيرة

وقال البواب : ألا تريد إدخال السيارة للموقف ؟

التفت إليه وقال : فلتبق في الشارع للغد .. شكرا يا عم مخلد

ودخلا العمارة حيث المصعد وما زالت ترتعب وممتقعة الوجه ، ولما غادرا المصعد قالت : أهو شاب طائش أم ... ؟

ـ أم ميلاد ؟!

ـ حسب معلوماتي أنه لا يملك سيارة .. من أين سيجمع ثمن سيارة ؟ من سيسمح له بسيارته ليرتكب بها جريمة ؟ أو يصدمها ؟

ـ قد يأخذ سيارة من مكان التصليح يستخدمها ، ويزعم لصاحبها أنه خرج بمشوار خاص لشراء قطعة .. وشباب الكراجات والمحطات يفعلون ذلك .

وبعد صمت عاد يقول : أعتقد أنه شاب طائش سكران ، كما قال ذلك الرجل الذي شاهد الحادث .

فقالت : وقول البواب إن له فترة يدور في الشارع .

ـ ومن أعلمه عن ساعة عودتنا للتربص بنا أو أننا في الخارج

ـ الشيطان !

ضحك سامر رغم الألم والحزن المرتسمين على وجه زوجته ، وكانا قد انتهيا من تغيير ثيابهما : الشيطان .. على كل حال الحمد لله على سلامتك .. وإذا لك رغبة بالذهاب للمستشفى فهيا بنا واعلمي أن مجمعا طبيا قريب من هنا بعد أربع شوارع

ـ سأبلع حبة أسبرين أو اثنتين وينتهي الأمر .. الضربة أصابت السيارة .. إنما أصابني الرعب والخوف .. أرجو أن لا يكون هذا العمل من فعل المجنون .

ـ لم أتمكن من أخذ رقم السيارة للمفاجأة .. اندفع جهتنا بسرعة ، وضرب الباب وتابع اندفاعه اللعين .. وإذا فعلها ميلاد فلسوف يتبجح بفعلته أمام الآخرين وسينتشر الخبر .



لقد كان من عادة الزوجين منذ سكنا هذه الشقة أن لا يخرجا من البيت إلا بعد الظهر ، فيذهبان للمشاركة في غداء دعو إليه ، وإن لم يخرجا تأتي سيارة المطعم إليهم ، والعشاء إذا لم تكن لديهم دعوة إليه يخرجان للعشاء في أحد المطاعم ، ويتجولان في شوارع المدينة ساعة أو أكثر ، ثم يعودون للسهر في الشقة ، وقد جلبوا معهم المكسرات والعصير والفواكه الطيبة ، لم يبق الكثير لانتهاء الشهر ، وقد ابتاعوا التذاكر للسفر ، وأعدت الحقائب ، وقد أثار الحادث الأخير الرعب والقلق في نفسيهما ، وإن حاول الطبيب نسيان العمد في الحادث ، لذلك لما بزغ الفجر وصليا الصبح قالت بقلق بين: لا زلت أعتقد أن هذا الحادث من فعل ذاك الأحمق ، وأنه قد فقد صوابه فقال بعد صمت : ألست أخبرتيني أو تحدثت أمامي أن له شريكا في المحل ؟ وهو الآخر ابن عم لك .. فتحدثي معه عن تصليح السيارة ، وأنها تعرضت لحادث .. ومن خلال الحديث اسأليه عن أخبار ميلاد .. هل تزوج ؟ وهل ترك السكر والخمر ؟

ـ سأتحدث مع أمه أم سالم أولا ، فهي صديقة لأمي منذ تزوج أبي أمي ..

ـ نعم ، لابد أن تطمئني من ناحيته ؛ لأنك تعيشين في خوف واضح من نبرات صوتك ووجهك المصفر منذ الليل .. وفي النهاية ما هي إلا أيام ، ونغادر هذه المدينة .. أقل من أسبوع فالتذاكر قد جهزت كما أعلمتني أختي مريم .. ولسوف نسافر أوروبا ، ومنها إلى نيويورك الأمريكية ، ومنها لكندا .. هي جولة قصيرة في الغرب ، فالرحلة لن تكون مباشرة إلى أوتاوا ومريم كما تعلمين طبيبة تعمل في المطار الدولي للبلد .

ـ أعلم ، وهي أخت كريمة .. وفقها الله

اتصلت زهيرة عند الظهر بامرأة عمها أم حميد ، وسألتها عن موقع مشغل تصليح حميد ابنها لتصليح سيارة زوجها التي تعرضت لحادث صدم ليلة أمس ، فذكرت لها المرأة المكان ، وسألتها عن حميد وميلاد خلال الكلام ، فأخبرتها امرأة عمها أن ميلادا انفصل عن حميد ، وفتح محلا خاصا به ، وعقبت المرأة : أنت تعرفين ابن عمك ميلاد ، فقد انحرف عن الخط المستقيم ، وصار سكيرا وفاسقا ، فمنذ أسبوع أو أكثر ترك العمل مع ميلاد ، دفع له أبو محمد مبلغا من المال ، ورحل الرجل لمكان آخر ؛ ولكن في نفس المنطقة والشارع .. سأعطيك رقم محل حميد وتتصلين به .

ثم تبادلا الحديث حول الصحة والحياة الزوجية والسفر ، وأغلقت زهيرة السماعة ، وأخذت تمسح العرق عن وجهها فقد طال الحوار .. وكان سامر الذي يتابع الحديث ينتظر أن تتكلم ، ورأى الجهد الذي بذلته مع امرأة عمها ، فلما رآها متعبة ضحك وقال : إنك متعبة يا زهيرة .. سأتحدث مع طبيب نفسي لنذهب لمقابلته الليلة أو عصرا .

ضحكت هي الأخرى وقالت : طبيب نفسي ؟!

ـ طبيبة !!

ـ أيام ونسافر .. فميلاد هذا قد انفصل عن حميد منذ عهد قريب

فقال : إذن لن نستفيد من حميد حول الحادث الغادر .. ولو شكونا للشرطة قد يكون بريئا ، ولا يد له في هذا العنف القاتل .. هذه محاولة شروع في القتل يا زهيرة

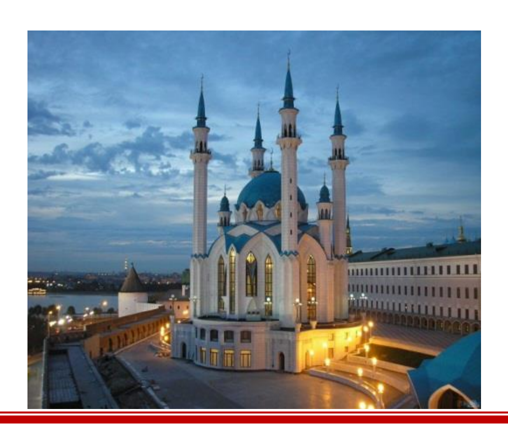
ـ ما العمل ؟

فقال بعد تفكير يسير : ننسى الأمر .. وسنستخدم سيارتك هذه الأيام الباقية .. ولما نسافر سأطلب من شقيقي أن يصلحها ويبيعها، ويحول لي ثمنها إلى حساب سنفتحه في أحد بنوك كندا .. سيكون لك حساب خاص بك وآخر لي .. وسيارتك ما مصيرها ؟

ـ طلبت من أمي أن تتخلص من سيارتها، وسأعطيها لأمي إن شاء الله ..

طلبت مني بيعها والاستفادة من مالها .. فقلت لتبق ذكرى بيننا يا أمي فقبلت .

واعتبر القوم الحادث عرضيا ، وانتهوا من التفكير بالجاني والفاعل ، ومضت الأيام الباقية دون حوادث تذكر ، وتم تسليم الشقة عصرا ، وجاءت سيارة لأحد أشقاء سامر ، ونقلتهم للمطار الدولي .. وفي منتصف الليل غادرت الطائرة الأمريكية إلى لندن .



هالي فاكس

نزلت الطائرة في مطار أوتاوا الكندي حيث العاصمة الفدرالية للدولة الكندية بعد رحلتها من مطار جون اف كنيدي بمدينة نيويورك على الساحل الشرقي للولايات المتحدة الأمريكية ، وطلبا من السائق الذي ركبا معه بعد إنهاء إجراءات الخروج أن يذهب بهم إلى فندق في وسط المدينة وفي مركزها الرئيسي ، فعليهم البقاء في العاصمة لإجراء بعض المعاملات والحصول على بعض الأوراق قبل الانتقال لمقاطعة نوفا سكوشا حيث مدينة هاليفاكس عاصمة تلك المقاطعة ؛ لتلتحق بجامعتها دالهاوسي .

ويحيط بكندا ثلاثة محيطات الأطلسي من الشرق ، والهادي من الغرب، والقطب الشمالي من الشمال . وهي ملكية دستورية اتحادية وفدرالية وديمقراطية تمثيلية ، تابعة للتاج البريطاني اسميا ، كندا تتألف من عشر مقاطعات وثلاثة أقاليم ، تقع في القسم الشمالي من القارة الأمريكية ، وهي البلد الثاني عالمياً من حيث المساحة الكلية بعد روسيا ، كما أن حدود كندا المشتركة مع الولايات المتحدة من الجنوب والشمال الغربي هي الأطول في العالم.

أراضي كندا مأهولة منذ آلاف السنين من قبل مجموعات مختلفة من السكان الأصليين الأسكيمو ، وبمن سموا بالهنود الحمر ، مع حلول آواخر القرن الخامس عشر بدأت الحملات البريطانية والفرنسية استكشاف المنطقة ، ومن ثم استوطنتها على طول ساحل المحيط الأطلسي تنازلت فرنسا عن جميع مستعمراتها في أمريكا الشمالية في عام ١٧٦٣ بعد حرب ما يسمى السنوات السبع ، وكونت المستعمرات البريطانية اتحادا ، وفي عام ١٨٦٧، اتحدت معها ثلاثة مستعمرات فرنسية ، وعبر كونفدرالية تشكلت كندا باعتبارها كيانًا فدراليًا ذا سيادة يضم أربع مقاطعات ، بعد ذلك اتسعت مساحة كندا ، وتوسع حكمها الذاتي عن المملكة المتحدة ، تجلت هذه الاستقلالية من خلال تشريع وستمنستر عام ١٩٣١ ، وبلغت ذروتها في صورة قانون كندا عام ١٩٨٢ والذي قطع الاعتماد القانوني لكندا على البرلمان البريطاني .

ذكرنا أن كندا دولة فيدرالية يحكمها نظام ديمقراطي تمثيلي وملكية دستورية حيث

الملكة إليزابيث الثانية قائدة للدولة ، واعلم أن الأمة الكندية أمة ثنائية اللغة حيث الإنكليزية والفرنسية لغتان رسميتان على المستوى الاتحادي.

تعد كندا واحدة من أكثر دول العالم تطوراً وحداثة ، حيث تمتلك اقتصاداً متنوعاً ، وتعتمد على مواردها الطبيعية الوفيرة، وعلى التجارة وبخاصة مع الولايات المتحدة اللتان تربطهما علاقة طويلة ومعقدة وحدود طويلة .

كندا على مستوى العالم عضو في مجموعة الدول الصناعية السبع ، ومجموعة الثماني ، ومجموعة العشرين ، وحلف شمال الأطلسي، ومنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية ، ومنظمة التجارة العالمية ، ودول الكومنولث ، والفرنكوفونية ، ومنظمة الدول الأمريكية، والايبك ، والأمم المتحدة . تمتلك كندا واحداً من أعلى مستويات المعيشة في العالم حيث مؤشر التنمية البشرية يضعها في المرتبة الثامنة عالمياً .



تعود كلمة كندا في الأصل إلى كنتا ، وهي كلمة ترجع إلى لغة الإيروكواس في سانت لورانس وتعني قرية أو مستوطنة ، في عام ١٥٣٥ استخدم السكان الأصليون لمنطقة مدينة كيبك الحالية هذه الكلمة لإرشاد المستكشف الفرنسي جاك كارتييه إلى قرية ستادا كونا ، ثم استخدم كارتييه فيما بعد كلمة كندا ليس للإشارة لتلك القرية بعينها فقط ، بل ولكامل المنطقة التي تقع تحت حكم الزعيم دونا كونا (زعيم قرية ستادا كونا).

في القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر، أطلق الاسم كندا على شطر من فرنسا

الجديدة والذي يقع بمحاذاة نهر سانت لورانس وعلى السواحل الشمالية للبحيرات العظمى .
ومع تشكيل الاتحاد الكونفدرالي عام ١٨٦٧، تم إطلاق الاسم كندا اسماً رسمياً للدولة الجديدة ، وكما ذكرنا آنفا أن كندا عبارة عن اتحاد يتألف من عشر مقاطعات وثلاثة أقاليم ، يمكنك توزيع تلك إلى مناطق: كندا الغربية وكندا الوسطى وكندا الأطلسي وكندا الشمالية .
تمتلك المقاطعات الكندية حكماً ذاتياً أوسع من الأقاليم ، تعتبر المقاطعات المسؤولة عن معظم برامج كندا الاجتماعية (مثل الرعاية الصحية والتعليم والرعاية الاجتماعية) ، وتجمع سوية إيرادات أكثر من الحكومة الاتحادية ، وهي بنية فريدة من نوعها تقريباً بين الاتحادات في العالم ، تستطيع الحكومة الاتحادية عبر سلطة إنفاقها البدء بسياسات وطنية في مجالات المقاطعات مثل قانون الصحة الكندي ، يمكن للمقاطعات الخروج من تلك الالتزامات ؛ ولكنها نادراً ما تفعل ذلك في الواقع العملي ، تدفع الحكومة الاتحادية مدفوعات موازنة لضمان الاحتفاظ بمعايير موحدة معقولة من الخدمات والضرائب بين المقاطعات الغنية والفقيرة.
يختلف متوسط درجات الحرارة في فصلي الشتاء والصيف حسب الموقع ، فكندا مساحة واسعة يمكن أن يكون الشتاء قاسياً في كثير من مناطق البلاد ، ولا سيما في المقاطعات الداخلية والسهلية ، والتي تواجه المناخ القاري ، حيث متوسط درجات الحرارة اليومية بالقرب من {- ١٥ } درجة مئوية ؛ ولكنها قد تنخفض إلى أقل من {-٤٠} درجة مئوية بوجود الرياح المتجمدة الشديدة ، في المناطق غير الساحلية قد يغطي الثلج الأرض لما يقرب من ستة أشهر في السنة (أكثرها في الشمال) ، يتمتع ساحل كولومبيا البريطانية بمناخ معتدل مع شتاء معتدل وممطر ، على الساحلين الشرقي والغربي، يبلغ متوسط درجات الحرارة الصيفية بشكل عام في أوائل العشرينات درجة مئوية ، بينما تكون بين الساحلين عند ٢٥-٣٠ درجة مئوية ، بينما قد تبلغ درجات مرتفعة في بعض الأحيان في بعض المناطق الداخلية عند ٤٠ درجة مئوية . وعدد سكان البلاد في هذا الوقت ١٩٨٦ما يقارب ٢٨ مليون نسمة ، ولها مجلس عموم وشيوخ وأما العاصمة الأولى فهي أوتاوا .

أوتاوا هي العاصمة الاتحادية أو الفيدرالية لكندا ، ورابع أكبر مدنها. تقع في وادي أوتاوا شرق مقاطعة أونتاريو ممتدة على الضفة الجنوبية لنهر أوتاوا الذي يشكل حداً طبيعياً مع مقاطعة كيبك الفرنسية ، ويفصل أوتاوا عن مدينة غاتينو الفرنسية أو هول حسب التسمية القديمة التي تقع ضمن مقاطعة كيبك ، ومن الممكن اعتبار المدينتين (أوتاوا وغاتينو) منطقة واحدة رغم انفصالهما في مقاطعتين ، ورغم اختلاف اللغة بينهما، إذ يتحدث أغلب أهل غاتينو الفرنسية والتي هي لغة الإقليم إلى جانب الإنكليزية كلغة رسمية ثانية ، بينما يتحدث أغلب أهل أوتاوا الإنكليزية ، وبعضهم يتحدث الفرنسية أحياناً كلغة رسمية ثانية ، أصبحت اللغة العربية ثالثة اللغات المتحدثة بعد الإنكليزية والفرنسية، حيث بلغ عدد العرب في أوتوا وغاتينو ٢٠ ألف نسمة .

واعلم أن أوتاوا مدينة هادئة (تكاد تتوقف الحركة فيها بعد منتصف الليل) ، وربما انفردت بين مدن العالم الغربي بانخفاض معدل الجريمة فيها، والتعايش السلمي بين مكوناتها الإثنية المتعددة ، وانعدام التحيّز العنصري ضد المهاجرين غير الغربيين ، وقد يداخلك شعور وأنت في شوارعها بأنك في مهرجان أممي، إذ تختلط الجاليات ببعضها ثقافياً وتجاريا واجتماعياً بانسجام تام ، فلا تستغرب أن ترى في مصنع أو متجر واحد أناساً من دول القارات المختلفة ، وربما من بلدان لم تكن قد سمعت بها!!

ومن أهم معالمها الرئيسية ، المبنى التاريخي للبرلمان والذي يتوسطه برج السلام ، وقنال الريدو الذي يخترق المدينة من شمالها إلى جنوبها وصولاً إلى نهر أوتاوا ، تتجمد فيه المياه شتاءً فيصبح مكانا سياحياً للتزلج بعد أن كان منظره الربيعي يسرّ الناظرين ، والريدو بالفرنسية تعني الستارة أو الحاجز، وقد جاءت التسمية لأن هذه القناة تم حفرها أساساً لأسباب عسكرية لصد هجوم الأعداء على المدينة، وقد أمر بإنشاء هذا القنال العقيد الكولونيل جون باي مؤسس أوتاوا ، وتم تسمية الشارع المحاذي للقناة باسمه شارع كولونيل باي .

وكندا تملك أعلى معدل هجرة في العالم ، ومستقر المهاجرين في الغالب في المناطق الحضرية نحو

تورنتو ، وأغلب سكان كندا أتباع المذهب النصراني ، فيشكل الكاثوليك أتباع بابا الفاتيكان ٤٣٪ من إجمالي السكان ، وهناك أتباع الكنيسة المتحدة حوالي ٩٪ ، ومع الإنجيلية واللوثرية والمعمدانية ليشكلوا جميعهم حوالي ٧٧٪ ، دخلت المسيحية كندا خلال الفترة الاستعمارية ، ظهرت الكاثوليكية مع المستوطنين الفرنسيين الذين استقروا على طول ضفاف نهر سانت لورانس ، وتحديدًا هم أتباع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، بما في ذلك عدد من اليسوعيين الذين بشروا بالمسيحية بين السكان الأصليين . كان للكنيسة الكاثوليكية نفوذ سياسي واجتماعي وثقافي قوي في كيبك كندا حتى عام ١٩٦٠ مع بداية الثورة الهادئة ، وقد اعتبرت كيبك احدى أهم المعاقل الكاثوليكية في كندا.



تم تشكيل أول المجتمعات البروتستانتية الكبيرة في مريتيمس بعد الفتح البريطاني في فرنسا الجديدة ، تلتها موجات المستوطنين البروتستانت الأمريكيين الذين نزحوا بسبب الثورة الأمريكية .



شهد القرن التاسع عشر بداية لتحول كبير في أنماط الهجرة الكندية ، أعداد كبيرة من المهاجرين الايرلنديين ، ومن جنوب أوروبا ، خلق جاليات جديدة كاثوليكية كبيرة في كندا الإنكليزية . شهدت السنوات الأخيرة هجرة نصارى الشرق الأوسط ، فنشأت كنائس مثل الكنيسة المارونية ، والكنيسة القبطية ، بالإضافة إلى تواجد جاليات أرثوذكسية شرقية من أوروبا الشرقية ، ومهاجرون من الولايات المتحدة من المورمون والخمسينين ، أما المسلمون فيشكلون نسبة ضئيلة ٢٪ ، واليهود ١٪ ، وغير المتدينين ٦٪ ، وصل عدد المسلمين إلى ٥٠٠,٠٠٠ مسلم في كندا، أي قرابة ٢ ٪ من عدد السكان ، معظم الكنديين المسلمين ولدوا لمسلمين ، بالإضافة لأعداد صغيرة من معتنقي الإسلام من ديانات أخرى ، ومثل ما هو الحال مع المهاجرين بشكل

عام ، جاء المهاجرون المسلمون إلى كندا لأسباب متنوعة ، منها التعليم العالي ، كأبطال روايتنا والعمالة ، والأمن ، وجمع شمل الأسرة ، وجاء آخرون من أجل الحرية الدينية والسياسية ، والسلامة والأمن ، مخلفين وراءهم الحروب الأهلية ، والاضطهاد ، وغير ذلك من أشكال النزاعات الأهلية والإثنية.

أصبحت كندا في ثمانينيات القرن العشرين مقصدا هاما للجوء الفارين من الحرب الأهلية اللبنانية ، وحروب الشرق الأوسط ، وبشكل عام تقريبا جاء مسلمون مهاجرون من كل الدول المسلمة في العالم إلى كندا من ألبانيا إلى اليمن إلى بنجلاديش .

وأغلب الكنديين المسلمين يعيشون في مقاطعة أونتاريو ، استقر أكبر المجموعات في نواحي منطقة تورونتو الكبرى.



وصل العروسان مدينة أوتاوا عاصمة الاتحاد عبر طيران كندا ، ومضى بهما السائق إلى أحد فنادق المدينة ، والفنادق كثيرة وضخمة لنشاط الحركة السياحية إلى كندا من أمريكا ودول أوروبا الغربية واليابان ، وفي اليوم التالي قاما بمراجعة دائرة الهجرة الرئيسية ، وبعد أيام ثلاثة قضياها في العاصمة سافرا إلى مقاطعة نوفا سكوشيا جوا بخطوط طيران داخلية ، واستقرا في أحد الفنادق السياحية في مدينة هاليفاكس عاصمة المقاطعة الحديثة ، راجعا جامعة دالهاوسي التي رحبت بهما كطالبين مهاجرين ، واتصلا بأحد الأطباء الكبار والقدامى الذي قام بمساعدتهما حسب توصية والد سامر وعميد كلية الطب في البلد ، واهتم بهما وذكر لهما أنه زار بلدهما العربي ، وشارك في ندوات علمية طبية وبحثية دارت في المدينة العاصمة ، وسعى بواسطة مساعده وسكرتير مكتبه بتقديم أوراقهما لإدارة الجامعة ، ووعد بمساعدة الدكتور سامر للالتحاق في العمل بأحد مستشفيات العظام في المدينة ، وخلال أيام رتبت أمورهم ، والتحقت زهيرة بمعهد لغات لدورة واختبارات ، ولما تبين لهم قوتها باللغة الإنجليزية حيث لغة الدراسة

في الجامعة سمح لها بمتابعة الساعات المقررة لها على حساب الحكومة الكندية ، وطلب منها أن تستمر في تعلم اللغة الفرنسية حيث أنها لغة رسمية أخرى للبلاد حيث ستتعامل مع كادر يستخدم اللغتين سواء من محاضرين وطلاب ومرضى وإدارة وممرضين خاصة المواد العملية .

وتعال نتعرف على مقاطعة نوفا سكوشا .. تقع شرقي اليابس الأمريكية، احتلها الفرنسيون في القرن السابع عشر الميلادي ، ثم أخذتها بريطانيا في معاهدة أوترخت منذ عام ١٧١٣ ، تبلغ مساحة الولاية حوالي ٥٥،٠٠٠ كيلو متر مربع ، وسكانها حوالي مليون نسمة ، وعاصمتها مدينة هاليفاكس، وأهم مدنها دارتموت ، وسيدني ، ومينز ، تكثر بالولاية السهول المتموجة ، والأراضي الصالحة للزراعة.

مناخها أحسن حالاً من داخل كندا بسبب المؤثرات البحرية ، فالصيف دافئ ، تطول مدته ، وهذا أعطى مجالا للإنتاج الزراعي وقدر إنتاجها من الأسماك بحوالي ٢٦٣ مليون دولار سنويا .

نتحدث الآن عن المدينة التي عاشت فيها بطلة القصة سنوات الدراسة كلها هاليفاكس ، يقال إنها من أقرب المدن للشرق الأوسط ، وتعتبر واحدة من أجمل مدن كندا وأكثرها روعة وتطورا وهي عبارة عن لوحة ساحرة من الجمال والحسن حيث جمعت بين إبداع الله في أراضيها الخضراء وشواطئها الساحرة الجمال ، وبحيراتها الشفافة مما جعلها وجهة الكنديين وسكان القارتين الأمريكية الشمالية والجنوبية ، وهي محطة للسفن السياحية الكبرى التي تستوعب الآلاف من السياح الأوروبيين الذين يقضون في هاليفاكس أجمل أيامهم متنقلين بين شقي المدينة المفصولين بمضيق من مياه المحيط الأطلسي ، إن مدينة هليفاكس معروفة بطيبة أهلها فهم من أكثر شعوب العالم طيبة مع الغرباء ، وسيشعر أي زائر ومنذ وصوله لأرض المطار بأنه شخص مرحب به للغاية ، أسعار المدينة مناسبة للغاية فيما لو تم مقارناتها مع أي الدول العربية فأسعار مطاعم الوجبات السريعة والمطاعم اللبنانية والتركية في هاليفاكس تماثل أسعار المطاعم بالدول العربية ، فيكلف شراء وجبة طعام مبلغ ٤ دولارات كندي فقط ٢,٣ دولار أمريكي ،

كما يكلف شراء وجبة سمك مع البطاطس المقلية ٦ دولارات كندية فقط ٤,٨ دولار أمريكي كما أن هناك بقالات تبيع جميع المتطلبات العربية للطبخ العربي ، أما بطاقات حضور مباريات الهوكي الشعبية تتراوح من ٦ إلى ١٠ دولارات كندي فقط . ويبلغ عدد المطاعم والحانات في هاليفاكس ما يقارب الـ ١٦٠٠ مطعم وحانة ، أما الأسواق التجارية فهي حوالي ٣٢ سوق تجاري .

أما الطقس فالصيـف رائـع ممطر غالبـاً معتدل يميل للبرودة ، الشتـاء برد وثلج ، إن درجة الحرارة قد تصل إلى ٣٠ تحت الصفر ، وإن الجامعات والمعاهد هناك تعطي إجازات كثيرة في الشتاء لسوء الأحوال الجويـة .



هذه هي المدينة التي استقر فيها الزوجان العربيان المهاجرين لكندا ، وخلال الأسبوع الذي قضياه في مراجعة الجامعة في ساعات الصباح كانا في ساعات المساء يبحثان عن شقة يعيشان فيها حياتها الدراسية والزوجية ، فوفقا إلى شقة من دورين نظام فيلا ، الدور الأول مطبخ وصالة كبيرة ومخزن ودورة مياه ، والطابق الثاني غرفتا نوم وحمام ، وغرفة غسيل ملابس ، وللشقة موقف سيارة ، ومتوفر فيها الماء الحار ، وقريب منها مسجد ، وأجرتها الشهرية ٦٠٠ دولار شهريا ، فكندا دولة غنية ، ودخل الفرد فيها عاليا ، قد يزيد عن خمس وعشرين ألف دولار كندي سنويا ، لذلك الأجور السكنية مرتفعة.

وأما بالنسبة لجامعة زهيرة ، فهذه الجامعة الكندية قديمة ، وهي جامعة حكومية مشهورة في تلك المقاطعة وفي تلك المدينة ، فإنها تأسست عام ١٨١٨ م ، فقد أسسها نائب حاكم المقاطعة الإنجليزية جورج رامزي دلهاوزي ، وكان ذلك في حقبة الاستعمار البريطاني للمقاطعة نوفا سكوشا .

تضم الجامعة إحدى عشر كلية ، منها كلية القانون والهندسة والطب، تتكون الجامعة من خمسة

أحرُم جامعية رئيسية : هي سكستون وكارلتون وبارتون بمدينة هاليفاكس ، وكلية الزراعة بمدينة ترورو ، حرم سكستون يوجد به كلية الهندسة والعمارة ، وحرم كارلتون يوجد به كلية الطب العام والأسنان حيث ستدرس الطب بطلة قصتنا هذه ، وباتون يقع به مركز الملكة اليزابيث الثانية للعلوم الطبية ، أما حرم ستدلي فيوجد به بقية الكليات .

واعلم أن دلهاوزي جامعة مدعومة حكوميا ، وعضو في اتحاد الجامعات والكليات الكندية ، يوجد ٣٧٠٠ مادة علمية ضمن ١٨٠ تخصص متاح.

واعلم أيضا أن الجامعة دلهاوزي دأبت في الحصول على المراتب العليا بين أفضل الجامعات



الكندية ، فهي جامعة من بين ٥٠ جامعة في كندا ، وهي جامعة بحثية مهمة في كندا .

وللجامعة شعار أدعو ربك واعمل ، كندا من الدول المتقدمة والدائرة في فلك العالم الغربي حداثة وتطورا ، وعادات وتقاليد ونظام حكم ، وربما من مشاكلها الحساسة وجود تنافس شديد بين لغاتها الفرنسية الإنجليزية حيث اللغة الكندية تتكون منها ، ووجود تعصب بين القوميتين لأصولهما الاستعمارية ، والدولار الكندي مائة سنت ، وهناك فئات خمسة دولارات ، عشرة دولارات ، عشرون دولارا ، وخمسون دولارا ، ومائة دولار ، وألف دولار .



استطاع الزوجان الحصول على مكان مناسب للحياة في مدينة هاليفاكس نوفا سكوشا ، وساعدهم البروفسور جاك موريس في الالتحاق في الجامعة كطلاب ووعد سامر بالعمل كطبيب عام في إحدى مستشفيات المقاطعة ، ودراسة الاختصاص في جراحة العظام .

وهذه الدراسة تحتاج على الأقل لأربع سنوات بين ممارسة الطب عمليا ونظريا ، ولا بأس من

ذكر نبذة عن جراحة العظام ، اليوم لكل مرض اختصاص واختصاصات ، ويمكن أن أقول لكل عضو اختصاص .

ومن جراحات العظام : جراحة الكتف والمرفق، وجراحة اليد ، وجراحة استبدال المفاصل ، جراحة القدم والكاحل ، جراحة العمود الفقري ، جراحة عظام الأطفال ، جراحة أورام الجهاز العضلي الهيكلي ، الطب الرياضي الجراحي.

واليوم حوادث السيارات والمهن تسبب الكثير من علل العظام ، والجراحة العظمية تهتم وتعالج مجموعة كثيرة من الأمراض مثل : التهاب المفاصل ، تشوه المفاصل تنخر العظام ، تمزق الأربطة الانزلاق الغضروفي ، كسور العظام ، خلع في المفاصل ، سرطان العظم ، متلازمة النفق الرسغي إعاقة وظيفية في حركة المفاصل ، خلع الورك الوراثي ، آلام الظهر ، انحراف إصبع الرجل الأكبر ، تشوه الركبة وغير ذلك من الأسماء ، الهشاشة .

ذكرت ذلك لتعلم أهمية الاختصاص الطبي ولو في الصين ، ووجد الزوجان عددا كبيرا من الطلاب مثلهم من دول الخليج وآخرين من تركيا ودول الباكستان وبنغلاديش وماليزيا ، بعضهم للبكالوريوس ، وآخرون للماجستير والدكتوراه ، ووجدوا جالية عربية كبيرة تسكن في المدينة ، ويسمون (العرب الكنديون).

ومطلوب من المهاجر لتلك الديار عندما يحط رحله في تلك المدينة أن يسعى للحصول على سكن ، وبطاقة علاج من صحة نوفا سكوشيا ، وتقديم طلب أيضا للحصول على بطاقة الضمان الاجتماعي (sin) ، ويقوم بزيارة منظمة خدمات توطين وإدماج المهاجرين (IsIS) ، ويطلب من المهاجر معرفة هل يستحق مساعدة ودعم من الحكومة من الدائرة المختصة ؟ ، ويطلب منه فتح حساب مصرفي خاص به ، وقد فعل الزوجان ذلك منذ استقرا في المدينة ، ثم عليهم تبديل الرخص برخص كندية للسيارات ، والحصول رخصة من المقاطعة ، ويحدد لهم طبيب يسمى طبيب العائلة .

وعلى المهاجر الجديد لكندا أن يراجع إدارة الهجرة والجنسية الكندية (CIC) ، وهي وكالة

حكومية فدرالية تقدم خدمات حول الجنسية والتوطين واللجوء والهجرة ، وقد راجعاها عندما نزلا في مدينة أوتاوا عدة أيام .

ويوجد في مقاطعة نوفا سكوشا مكتب للهجرة يعمل مع الحكومة الفدرالية ، يعمل على تشجيع المهاجرين الوافدين من كل أنحاء العالم على الاستقرار في المقاطعة واتخاذها وطنا ، فهؤلاء يحتاجون لعدد كثير من البشر ؛ فلذلك يرحبون ويشجعون الهجرة لبلادهم لحاجتهم للناس .

ويوجد جمعيات رسمية وتطوعية لتدريب وتوعية المهاجرين، ويوجد كلية توفر للمهاجرين دورات تعلم اللغة الإنجليزية والفرنسية للوافدين استعدادا للالتحاق بالجامعات ، وتقدم طلبات الانتساب لتلك الكلية في الخريف والشتاء .

للتوصيات التي يملكها سامر وقرينته تيسرت أمورهما منذ حلا في هاليفاكس عاصمة المقاطعة وقد تيسر لهم امتلاك شقة كفيلا ، مر بنا وصفها ، والنظام يلزم المستأجر والمالك للعقار أن يخضعه للتأمين ضد الحريق وغيره ؛ لذلك يعتبر التأمين على الممتلكات مهماً ، ويمكنك شراء بوليصة تأمين على الممتلكات لحماية منزلك وأغراضك في حال اندلاع حريق أو حدوث فيضان أو سطو أو أيّ مشاكل خطيرة أخرى ، ويغطي التأمين أحياناً جميع تكاليف إصلاح أو استبدال منزلك ومحتوياته ، والكهرباء والماء ووقود التدفئة توفرها شركات خاصة تنشط في المقاطعة، وكذلك الخدمات الأخرى كالهاتف ، وهناك نظام لجمع القمامة وفرزها ، ولكل حي أو منطقة يوم محدد لجمع القمامة .

وتوفر البلدية للمدينة نظام العيادات للمارة ، وتوفر كذلك عيادات صحية نسائية ، تنتشر بكثرة في المدينة والمقاطعة للفحص والكشف وإرشاد وتنظيم الأسرة .

فقد أبدت زهيرة ارتياحها للمدينة خاصة والمقاطعة ككل ، فالأسواق قريبة من السكن ، والمواصلات متيسرة بالمترو باص ، والبنوك متيسرة ، والشرطة توفر الحماية والأمن للجميع ، وقد اشترت كتابا يتحدث عن المقاطعة والعاصمة ولمزيد من المعرفة عن كندا والمقاطعة ، ووجدت أكاديمية إسلامية نشطة في المدينة ، وجمعيات لبنانية قديمة ؛ ولكن الذي فاجأها بعد

استقرارهما في المدينة أنها وجدت نفسها حاملا رغم استخدامها لحبوب منع الحمل منذ أشهرت خطبتها للدكتور سامر ، فقد أخذت تتعاطى حبوب منع الحمل لأنها اتفقت مع الدكتور أن لا تحمل إلا بعد إنهاء بكالوريوس الطب ، وقبل سامر ذلك ورحب به ، وقد تفاجأ مثلها بحدوث الحمل، وبعد ذهول قبلوا بالأمر الواقع ، وكانت في حالة وجوم وصدمة ، وهي تخبر سامرا بذلك ، فكانت تقول استعملت الحبوب منذ أعلنّا الخطبة .. قبل أن يحدث بيننا أي اتصال! ولما تأخرت الدورة بعد الزواج ظننت أن ذلك بسب التوتر النفسي والاستعداد للسفر .. وها هو الشهر الثاني للزواج يمضي من غير طمث ، ففحصت في عيادة المستشفى حيث الكلية ، فبشروني بذلك ، وصدمت يا سيدي، لم أفرح كما تفرح النساء عندنا

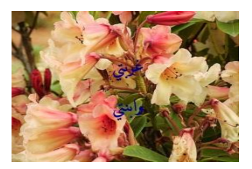
فبدا سامر واجما ومصدوما فقال : ما العمل ؟!

ـ لا أدري!

ـ هل تستطيعين الدراسة مع الحمل والولادة ؟

ـ الولادة ستكون في آخر الصيف وسط الخريف .. ولابد من الدراسة .. لم يعتمدوا الكثير من المواد التي درستها .. صدق أن الحمل حدث دون رغبتي

ـ طبعا أصدقك يا عزيزتي ..لا يزعجني حملك أبدا.. ربما صدمت للوهلة الأولى؛ لأنك أنت التي خططت لعدم الحمل .. لست أنا الذي سيتعب .. إنما قلقلي عليك .. محاضرات ومداومة في المستشفى والعيادات للتدريب



ـ الإجهاض غير ممكن .. أليس كذلك ؟

ـ أنا ضد الإجهاض يا زهيرة .. هذا كائن حي مخلوق مثلنا .. بصفتي درست الطب كان يدور بيننا نحن الطلاب والدكاترة مناقشات حول مشروعية الإجهاض ، قرأت عن هذه المسألة بشكل جيد، فبعضهم تساهل وأجازه بشكل عام ، بسبب ومن غير سبب ؛ وصوتهم أمام

المحرمين ضعيف ، وآخرون حرموه مطلقا ، وبعضهم أجازه عند الضرورة والخطر على حياة الأم الحامل ، فقدموا حياتها على حياته .[٢]

عادت تردد كأنها مرتكبة شيئا حراما: لا أدري كيف حصل ذلك ؟!

عاد مشجعا ومخففا من الصدمة التي أصابتهم : الله أراد ذلك .. رغم انتشار ظاهرة الحمل مع أخذ الموانع كان عليّ أنا أيضا فعل الاحتياطات المساعدة .. الرجل الشرقي يصيبه الخوف والقلق من أخذ الموانع خاصة عندما يكون لديه الرغبة في الحمل في يوم ما .. الأمر لله يا زهيرة

قالت باستلام للحدث : سأحاول أن أوفق بين الدراسة والحمل.. تحملني يا سيدي .

تظاهر بالابتسام وقال : أنا معك قلبا وقالبا .. ألست أباه أو أباها ؟! .. كان الله في عونك

ـ الجميل في هذه المدينة كثرة عيادات طب الأسرة والنساء ، وهي منتشرة للكشف ومتابعة الحوامل وصحة النساء بشكل عام .. إني جدٌ آسفة .

ـ لا تأسفي على قدرة الله وإرادته .. صدقي أن ضيقي كان من أجلك .. بل أنا الآن في غاية السرور .. أخذنا بالأسباب ، ومشيئة الله غلبت .. والخير فيما يريده الله تعالى .. والله يفعل ما يشاء .. أنا رفضت الحمل من أجلك أنت حتى تستطيعي الدراسة بكل راحة وحرية .. وتستطيعي العمل في المستشفى بدون ألم وتعب وكلها بضعة أشهر ، وتنهضين بالسلامة والعافية

قالت بعزيمة : سأتحمل عليّ دوامان ، محاضرات وتدريب في المستشفى ..

ـ عليك رعاية نفسك يا حبيبتي .. سيدبرها الله ويهونها .. والأمور هنا منظمة ، والناس مثقفون سيحسنون التعامل معك .. وخاصة أنه سيكون مولودا كنديا ويحمل الجنسية منذ ولادته .. فنحن نحتاج لسنوات ثلاث على الأقل لنمنح جنسية هذه البلاد .

---

[٢] - وأما الإجهاض قبل الأربعة أشهر من مدة الحمل ، فالصحيح من أقوال العلماء أنه حرامٌ فلا يجوز لامرأة مسلمة أن تجهض مولودها بمجرد ثبوت الحمل إلا في حالةٍ واحدة فقط ، وهي إذا أخبر الأطباء الثقات أن الحمل يشكل خطراً مؤكداً على حياة الأم فيجوز حينئذٍ الإجهاض حفاظاً على حياة الأم.

كانت الحياة هادئة بالنسبة للزوجين ، وكانا كغريبين في المدينة بحق ، لا أصدقاء لا جيران ، لا ضيوف ؛ ولكنهما كانا سعيدين ، لم يكونا أصدقاء بعد ، وقد تجولا في المدينة ، وزارا مناطق التسوق المهمة في وسط المدينة ، وأخذا يتعرفان على عملة البلد ويحسنان التصرف فيها ، فعملتهم الورقية اشرنا إليها ، إلى الفئات التي تتكون منها العملة الكندية ، وهناك فئات صغيرة ، فالدولار الكندي مائة سنت ، ولديهم سنت معدني واحد يسمونه بيني ، والخمسة سنتات تسمى نيكل ، والعشرة دايم ، والخمس والعشرون سنتا كوارتر ، والدولار لوني ، والدولاران توني .



هذه القطع المعدنية سارية الاستخدام في تلك البلاد ، ومن الضروري للوافد إلى نوفا سكوشا الحصول على بطاقة الإقامة الدائمة (PR) ، فهذه البطاقة تثبت أنك مقيم دائم في الخروج والدخول لكندا ، وهذه يطلبها الوافد منذ استلامه سجل الهبوط على الأراضي الكندية .

ومن المهم أيضا أن نتعرف على وسائل الحركة والانتقال في المقاطعة والعاصمة ، كسائر المدن الكبيرة في العالم تتوفر وسائل النقل بين نواحي المدينة ، فهناك وسائل نقل للأصحاء ، وأخرى للمعاقين ، تسمّى مؤسسة النقل العام في هاليفاكس مترو ترانزيت **Metro Transit** وهي تشمل الباصات والعبّارات المحلية والإقليمية والمجهزة لاستقبال ذوي الإعاقة .

تتوفّر باصات وعبّارات محلية ، كما تتوفّر باصات في الضواحي ، وسائر المناطق الواقعة خارج بلدية منطقة هاليفاكس ، لاحظ أن تكلفة الكبار ١٦ سنة وما فوق دولاران ، البطاقة الشهرية ٥٠ دولاراً ، كبار السن ٦٥ سنة وما فوق(١,٢٥) دولاراً ، وللأطفال دون السادسة عشر أسعار خاصة بهم ، وهناك باصات مترولنك على مدار أيام الدوام من الاثنين إلى الجمعة ، وكذلك سيارات الأجرة الصغيرة التاكسي ، يوجد في بلدية منطقة هاليفاكس العديد من

شركات التاكسي ، وتجد أسماء وعناوين شركات سيارات الأجرة في دليل الهاتف الصفحات الصفراء

كان يذهب الزوجان للجامعة سوية ، فتصل الفتاة إلى كلية الطب في جامعة دالهاسي ، ويسير سامر إلى المستشفى الكبير مستشفى اليزابيت الثانية حيث تقرر عمله واختصاصه لجراحة العظام ، ويعد هذا المستشفى أكبر مستشفى في كندا الأطلسية ، ويضم كما قيل عشرة مباني في موقعين . ولتمكن الشابان من اللغة الإنجليزية ساعد ذلك بسرعة التواصل مع الكادر التعليمي والوظيفي ، والدوام يبدأ رسميا في الجامعة منذ الثامنة والنصف صباحا من صباح الاثنين إلى مساء الجمعة حيث تبدأ العطلة الأسبوعية السبت والأحد ، ودوام المستشفى على مدار الساعة كما هو معروف ، أما طلاب الاختصاص فيتابعون في أيام الدوام الرسمي ، وسعى سامر وزوجته كما عرفنا سابقا إلى فهم اللغة الفرنسية حيث أنها لغة رسمية في كندا ، ولم يكن فهم مفرداتها صعبا عليهما لفهمهما اللغة الإنجليزية الطبية والعلمية والمحاكاة والخطاب .

وكانت زهيرة قد تكيفت مع الحمل ، رغم صدمتها الأولى ؛ لأنها كانت تخطط لتأجيل الحمل والولادة إلى ما بعد الجامعة الأولى ، وأخذت تراجع عيادة متخصصة للحوامل والولادات قريبة من سكنها في شارع جادة يونيفرستي .

وكندا دولة من الدول الصناعية الكبرى على مستوى العالم ، وهي بلد ترحب بالوافدين والمهاجرين لحاجتها إليهم باستمرار لكبر مساحتها وكثرة مالها ، فهي تشجع الهجرة ، وتمنح الجنسية بعد سنوات قليلة ، والطلبة المهاجرون تشجع الحكومة استقرارهم وبقائهم في البلاد ، لذلك من الطبيعي أن يستقر الكثير بعد تخرجهم فيها ، وحتى الزواج من الكنديات متيسر ، ولا صعوبة في ذلك لاحتوائها على أصول شتى ، والزواج منهم يسهل جدا الحصول على جنسية البلد ، ويصبح الرجل كنديا فورا .

وجدت زهيرة أن بعض الدكاترة يستخدمون الفرنسية والإنجليزية أثناء التوضيح والشرح ، فكان هذا يزيد حماسها لإتقان اللغة الفرنسية خلال دورة الشهور الثلاثة التي توفرها الجامعة

للطلاب الوافدين .

وتعرف سامر على عدد من الأطباء العرب يعملون في تلك البلاد ، والبعض سمح له بالتعرف على زوجاتهم وأبنائهم ، لذلك لما وضعت زهيرة مولودها الأول ، احتفل بهم الأصدقاء ذكورا ونساء، مما أدخل السرور على قلبيهما ، وكان المولود الأول لهما أنثى سموها شمسا ، ومنحت شمس الجنسية الكندية فور ولادتها ، فهي ولدت على الأرض الكندية فتعتبر ابنة كندا بالولادة كانت زهيرة تتحدث للأصدقاء بعد حين : مدينة حقيقة جميلة ؛ ولكنها باردة جدا في فصل الشتاء حيث وصلنا لأول وهلة .. وبحيراتها كثيرة .. معي طالبة من أونتاريو تقول إن مدينتها بها ٢٥٠ ألف بحيرة ، وهي أكبر مناطق كندا مساحة ، وفيها العاصمة الاتحادية السياسية أوتاوا وتحدها أمريكا الولايات المتحدة

وقالت إحدى السيدات : هي أكثر المقاطعات سكانا ، ربما ثلث سكان كندا يعيشون فيها ، وفيها الاقتصاد والعلم ، وتحيط بها البحيرات العظمى ، وتطل على مدينة نيويورك الأمريكية خاصة بحيرتها أونتاريو ، وفيها يا أم شمس شلالات نياجرا ومتنزهات كثيرة ؛ كأنها ١٣٢ متنزها عاما .



قالت سيدة أخرى من أصل لبناني : نحن عشنا فترة في تلك المقاطعة .. فبحيرة أونتاريو إحدى البحيرات الخمسة ، فعلمنا أنها أصغر تلك البحيرات ، وطولها يزيد عن ٣١٠ كم ، وعرضها حوالي ٨٥ كم ، يخرج منها نهر سان لوران .. وبالجملة .. سمعت أن كندا بلد المليون بحيرة .. وقد زرنا عددا من متاحفها وزرنا متحفها الملكي ، وقد شاهدنا البرلمان القديم الذي أنشئ في القرن الماضي

قالت زهيرة : قرأت عنه في عام ١٨٠٩ في تورنتو حيث عاصمة المقاطعة

وعادت السيدة اللبنانية تقول : وهناك البرج الذي يرتفع ٥٥٣ م

وكانت كل امرأة تذكر خبرتها ومعرفتها في تلك البلاد ، وشاركتهن زهيرة بإضافة الكثير من المعلومات التي قرأتها عن كندا وهاليفاكس ، مما أثار إعجاب ودهشة السامعات حتى أن إحداهن قالت : إنك تتعلمين بسرعة يا أخت زهيرة

فردت زهيرة بابتسامة : قرأت قبل مجييء بعض المعلومات عن كندا ، وعن نظام الحكم وجغرافيتها .. ولما وصلت هنا أخذت بالقراءة عن هذه المقاطعة بشكل خاص ..

فكانت الأسر العربية في بلاد الغربة تثير الشجن والحنين لبلاد العرب .. خاصة عندما تكن العائلات من أقطار عربية متنوعة .. بل أضافت زهيرة وسامر أصدقاء آخرين من المسلمين الشرقيين من تركيا والباكستان وإندونيسيا .

وأخذ سامر مع الوقت يكّون صداقات طبية في المستشفيات التي أخذ يتنقل بينها ، ومع رجال العلم في تلك الجزيرة والديار .



ارحم أباك

ذهب ميلاد عادل في زيارة لمحله القديم حيث باع حصته لشريكه حميد نبيل ، وبعد التعانق والترحيب والسؤال عن الحال والصحة قال حميد ناصحا لابن عمه شريكه السابق : ويلك يا عم ميلاد ألا تريد أن ترحم أباك ؟

قال هازئا : أرحم أبي !! وهل رحمني هو ؟ ألم أترك له الدار واستأجر عشة دواب ؟ .. بماذا ارحمه يا فصيح ؟!

ـ بالزواج والتعقل .

ـ الزواج ! أنا أقسمت قديما قسما لا رجعة فيه أن لا أتزوج إلا زهيرة مجدي .. فلن أتزوج أبدا أبدا .

قال حميد بعد صمت قصير : وهل هذا كلام يا ابن الناس ؟! هل تعلم أيها الإنسان الضائع أن زهيرة قد صارت أما ؟ .. لقد أخبرت أمها أمي أن زهيرة ولدت طفلة هناك ، وأعطيت الجنسية الكندية .

تنهد ميلاد بعمق وبصق وهمس : ولدت الملعونة ! .. ولدت من غيري .. لن أرحمها سأظل أحقد عليها وعلى ذريتها .. فهي قد دمرت حياتي مع أمي وأبي.. كلهم ملاعين .

رفع حميد صوته قليلا قائلا : اسمع يا ولد.. لا تسيء لعمي

ـ ولا تنس أنه أبي

ـ أنا يا ميلاد لا أحب العقوق .. فسب الوالدين من الكبائر ومن العقوق .. أرجوك أمامي لا تفعل ذلك .

ـ آ يا عم ! أنت صرت شيخا .. كما سمعت .. يا رجل فلماذا لا تترك الصنعة وتعمل في جامع وتخطب في الناس يوم الجمعة ؟!

ـ وهل هذا بالساهل يا ولد ؟! وأنا طول عمري أمشي مع الشيوخ ، وأحضر مجالس الشيوخ والعلم ، وأنتقي الخطيب الذي أسمع له .. يا ابني أتمنى أن أراك عريسا كباقي الخلق .. الأيام

تمضي .. الفواحش تفتك بك ، لو أصابك مرض قاتل لن تجد من يقف معك .

ـ أنا مرتاح

ـ لا يمكن أن أصدق ذلك .. لو أنك مرتاح ما شربت الخمر .. أنت قلت أكثر من مرة أنك تشربها لتنسى .. يا رجل تب إلى الله حتى نعود شركاء وأحبابا مثل أيام زمان .. نسيت أن أسألك لماذا جئت اليوم ؟

ـ جئت استلف مائة دينار

ـ مائة دينار ! لماذا ؟ لتشرب بها .

ـ لا ، أريد أن اشتري آلة للمحل

ضحك حميد وقال : آلة ! هو أنت تشتغل يا ميلاد .. أنت منذ أن انحرفت أصبحت قليل الشغل تشتغل بنشرا واحدا في اليوم فتظن نفسك طول اليوم تشتغل .. لماذا تريد المائة ؟

ـ كما قلت لك

ـ لا أصدقك .

ـ مكسور ! وعليّ تسديد حساب المحل

ـ الإيجار ، كم شهرا لم تدفع ؟ ـ ورأى إشارة بالأصابع ، تبين الشهور غير المدفوعة ـ يمكن أن يكون هذا صحيحا .. كيف ستسددها ؟ وأنت لا تعمل بشكل جيد .. الصبي الذي يعمل عندك جاء يسعى للعمل عندنا من قلة الشغل

ـ أتريد أن تعطيني ؟

ـ مضطر للاعتذار ، فلي في ذمتك مائتان .. منذ أشهر لم تسد منها شيئا .. وأكثر الفلوس التي قبضتها عند الانفصال صرفتها على الفحش والفواحش

ـ دمرتني زهيرة ، وحرقت مستقبلي .. وأهلكت شبابي .. لقد تعلق القلب بها

صاح فيه حميد : كلام فارغ .. هل هي التي دلتك على الخمارات وعلى دور البغاء ؟ .. أنت سعيت لذلك .. اسمع أنا مستعد لمشاركتك ثانية ، ومستعد أن أساعدك في الزواج ، وأبحث

لك عن بنت حلال .. مقابل تركك الفجور .. أدرك نفسك قبل فوات الأوان.. فأنت عاجز عن سداد أجر دكان وأجر عشة كما تقول .. فإذا صلح حالك بترك المنكرات ستتخلص من إيجار العشة ، ريثما نجد لك المرأة الصالحة .. نبحث لك عن زوجة متدينة محترمة ..

وبعد صمت قصير عاد يتابع : افرض أن زهيرة ميتة أو ماتت ، هل ستبقى أعزبا أو حتى أرملا قصتك قصة لا تدخل عقل إنسان سليم العقل ..الديون تتراكم عليك .. اصح يا رجل

ـ يعني أنك تمتنع عن مساعدتي

ـ أنا آسف يا بطل .. هل صحيح ما سمعته ؟

ـ ماذا سمعت أيضا ؟

ضحك حميد وقال : الناس هوايتها نقل الأخبار .. لهذا سعد الناس باختراع الراديو ثم التلفزيون ..لا أدري ممن سمعت ؟ أعتقد من أحد أفراد شلتك يزعم أنك سعيت للسفارة الكندية لتحصل على تأشيرة هجرة .

ترك ميلاد الكرسي واقفا وقال : أفكر بالهجرة مللت من هذه البلاد

ضحك حميد وقال : مللت من هذه البلاد ، وتريد السفر لكندا .. سافر الفلبين .. البرازيل أما كندا .. مجنون أنت.. مجنون يا ابن عمي.. أبوك مريض ورغبته أن يراك رجلا كسائر إخوتك يا رجل أعقل وتب إلى الله .. ألم تمل من الفجور كما مللت من البلاد ؟!.. أعقل وخلال أسبوع تعود للعمل معنا .. وذلك عندما اطمئن لصلاحك .. وإذا تزوجت أو شرعت بالزواج ستعود الشراكة بيننا

صاح في وجه حميد وهو يطرح باقي السيجارة على الأرض : لن أتزوج إلا زهيرة

ـ زهيرة ماتت.. ما دامت قد هاجرت للغرب فهي بحكم الميتة .. الله أعلم متى تعود ؟!

الجنسية الكندية

لقد استطاعت زهيرة اجتياز سنة الحمل والولادة والرضاعة ، فكان جل اعتمادها على الرضاعة الصناعية ، كانت تحصل شمس على جزء من الرضاعة الطبيعية خلال الشهور الأولى من الولادة ، ثم ضعف لبن الأم رويدا رويدا حتى جف ، وكانت قد استعانت الأسرة بخادمة من فتيات أمريكا اللاتينية يستوردن للعمل كشغالات وخادمات في البيوت والشركات ، وكان الحصول عليها من شركة استخدام كندية لها مكتب في نوفا سكوشا .

وكان قانون الهجرة الكندي يسمح للوافدين إلى كندا بالحصول على الجنسية الكندية بعد مرور ثلاث سنوات من الإقامة في كندا ، فيراجع دوائر ومؤسسات الهجرة الكندية في العاصمة والمقاطعات ، ثم يقسم اليمين أمام المحاكم الكندية الخاصة بموضوع الهجرة وطلب المواطنة الكندية ، ويتعرض طالب الجنسية للفحص الطبي الشامل ، ويتعرض طالب الجنسية لفحص أمني تقوم به الشرطة والجهات المختصة بذلك ، ومن ثم يتعرض لفحص ثقافي عن كندا جغرافيا وتاريخيا ولغة وحقوق المواطنة ، ثم يمنح الجنسية الكندية بعد زمن يسير .

لذلك لما اقترب موعد حصول سامر وقرينته على تلك الجنسية ، كان سامر يقرأ ويزيد معلوماته عن تلك البلاد ...

تتألف حكومة كندا من ثلاثة مستويات ، ويوفّر كلّ مستوى عدداً من الخدمات المختلفة .

الحكومة الفدرالية تحكم البلاد ككلّ ، وتتكوّن من ممثلين منتخبين من كلّ مقاطعة في كندا ، يترأس الحكومة الفدرالية رئيس الوزراء ، ويضمّ البرلمان في كندا ٣٠٣ أعضاء بمن فيهم رئيس الوزراء ، تتحمّل الحكومة الفدرالية مسؤولية الدفاع الوطني ، وشؤون الهجرة والجنسية ، والقانون الجنائي، والنظام المصرفي ، بالإضافة إلى أمور أخرى .

الحكومة المحلية تتولى إدارة شؤون الحكم في مقاطعة نوفا سكوشا ، وهي تتكون من ٥٢ ممثلاً منتخباً من مختلف أنحاء المقاطعة ، يترأس الحكومة المحلية رئيس وزراء المقاطعة ، فالحكومة المحلية للمقاطعات هي المسؤولة عن الحقوق المدنية، والموارد الطبيعية، والضمان الاجتماعي،

والرعاية الصحية ، والتعليم ، والطرق السريعة ، والسيارات، وغيرها .

السلطات البلدية تتكوّن من ممثلين منتخبين من الحي السكني المحلي أو البلدة أو المدينة ، رئيس البلدية هو رئيس السلطات البلدية ، تتولى السلطات البلدية مسؤولية توفير الخدمات للسكان مثل الشرطة، والإطفاء، والطرق، وجمع النفايات، وإزالة الثلوج ، والحدائق العامة، والترفيه ، كما تنظّم البلديات المشاريع التنموية ، وقوانين عمل الشركات والمؤسسات التجارية ، كما أنّها توفر أنشطة مدنية وثقافية .

بلدية هاليفاكس إنّ اختصار إتش آر أم **HRM** يعني اسم بلدية منطقة هاليفاكس التي يسميها بعض الناس هاليفاكس أو هاليفاكس الكبرى ، وتطلق هذه التسمية أيضاً على البلدية أو الحكومة المحلية.

موقع بلدية منطقة هاليفاكس، عاصمة نوفا سكوشا ، على الساحل الشرقي لكندا، وهي أقرب مدن أمريكا الشمالية إلى أوروبا عند السفر جواً ، والأقرب إلى نيويورك وبوسطن من المدن الكندية الكبرى الأخرى.

يطلق على الساحل الشرقي لكندا كندا الأطلسية ، وهو يتضمن المقاطعات الأربع التالية : نوفا سكوشا ، نيو برونزويك ، برينس ادوارد آيلند ، نيوفاوند لاند ولابردور وتسمى المقاطعات البحرية دون الأخيرة

بدأ الاستيطان الأوروبي في هاليفاكس في عام ١٧٤٩ ، وقبل ذلك كانت المنطقة مأهولة بمجموعات الميكماك ، وهم سكان المنطقة الأصليين، ووجودهم في هاليفاكس مستمرّ حتى يومنا هذا ، للهجرة تاريخ طويل في هذه المنطقة ، فمن عام ١٩٢٨ إلى عام ١٩٧١ ، جاء أكثر من مليون مهاجر إلى كندا من خلال بيير ٢١ ، ميناء في هاليفاكس ، فاستقرّ العديد من المهاجرين هناك مما ساهم في تقوية ثقافة منطقة هاليفاكس ، هناك متحف يحمل اسم بيير ٢١ لسماع قصص المهاجرين ومشاهدة صورهم . ويطلّ وسط مدينة هاليفاكس على مرفأ هاليفاكس .

ويتميز شتاء هاليفاكس برياح قوية ، وأمطار غزيرة ومتجمدة ، وحرارة منخفضة ؛ لذلك يحتاج كل فصل لملابس خاصة فيه .



وكان الطبيب سامر ماجد يتقدم تقدما ممتازا في جراحة العظام والمفاصل ، وكانوا ينقلونه بين عدة مشافي في المقاطعة سواء في مستشفى الملكة اليزابيت الثانية أو مستشفى نوفا سكوشا ، وكان أحيانا يعمل في المستشفى ليلا سواء في قسم الجراحة للعظام أو قسم الطوارئ الذي يستقبل حوادث السيارات والدراجات ، ولقد كان يتحصل على دخل جيد جدا ، وكان يقضي ساعات خارج الدوام العملي في مراكز البحث العلمي الشائعة بكثرة هناك ، للقراءة ومتابعة تجارب الباحثين ، وعليه في نهاية الاختصاص أن يتقدم ببحث ودراسة للجامعة ليحصل على شهادة الاختصاص في الجراحة ، وعادة الاختصاص يكون بممارسة عملية أو أكثر للعمليات الجراحية تحت إشراف دكاترة كبار وجراحين ، وقبل أن تدخل شمس مرحلة ما قبل المدرسة (٣- ٥) كان الدكتور قد أتقن الفرنسية كاللغة الإنجليزية التي تقدم فيها أيضا بسبب الدراسة ، وبسبب التعامل مع أطباء وموظفين المستشفيات التي تنقل بينها ، وقد التقى خلال السنوات تلك بأطباء وعلماء في الجامعة ومراكز البحث ، وتيسر له النجاح في جراحة العظام ومنح الشهادة التي تؤهله لمعالجة العظام كسرا وأمراضا أخرى سبق الحديث عنها .

ولقد سرت وسعدت زهيرة بتقدم زوجها ونجاحه وتقدمه الذي شاع في الجامعة وبعض مشافي المدينة .

واستمر في عمله في مستشفى نوفا سكوشا حتى أنهت زهيرة بكالوريوس الطب العام ، وكانت الفتاة الصغيرة شمس قد انتقلت من مرحلة ما قبل المدرسة إلى مرحلة المدرسة .

إن التعليم العام مجاني ، ومتاح لجميع الأطفال في كندا ، ويتعلّم معظم الأطفال في المدارس العامة ، تضمّ بلدية هاليفاكس ١٠٠مدرسة ، و٣٠٠٠ معلم ومعلمة لمساعدة الأطفال على التعلّم.

يلتحق الأطفال الكنديون عادة بالمدارس عند بلوغ سن ٤ أو ٥ سنوات ، ويجب على الطفل أن يكون بعمر خمس سنوات في ٣١ ديسمبر أو قبل هذا التاريخ ليكون مؤهلاً لدخول المدرسة العامة خلال السنة الدراسية ، ويجب عليه البقاء في المدرسة حتى سن ١٥ أو ١٦ ، حسب المكان الذي يعيش فيه ، تمّ تقسيم نظام التعليم على النحو التالي : التعليم ما قبل الابتدائي (من عمر ٣ إلى ٥ سنوات) ، وهو متوفر في بعض المدارس ومراكز رعاية الأطفال النهارية، والمنظمات غير الربحية ، وكما يوجد بعض الأفراد الذين يوفرون هذه الخدمة.

التعليم الابتدائي من الصف الأول إلى السادس ، التعليم المتوسط من الصف السابع إلى التاسع ، التعليم الثانوي من الصف العاشر إلى الثاني عشر ، كلية المجتمع أو الجامعة ، وتتوفر في المنطقة المدارس الخاصة أيضا .

وكان الدكتور سامر قد تيسرت له فرصة عمل في مقاطعة كيبك الجزء الأكثر فرنسية في كندا قبل تخرج زهيرة ، فلذلك عندما تخرجت زهيرة انتقلوا كليا لتلك المقاطعة ، وكان سامر قد استأجر شقة منذ رحل إليها ، وكان يقضي عطلة الأسبوع في نوفا سكوشا حتى تخرجت زهيرة فاستقروا جميعهم في كيبيك في مقاطعة مونتريال ، وعملت زهيرة في نفس مستشفى زوجها المستشفى العام في المقاطعة ، وأخذت هي الأخرى تستعد لنيل الاختصاص في طب الأسرة والنساء .

فبعد استقرارهما في أحد المباني الكبيرة ذات الطوابق الكثيرة على جبل مونتريال ، واستقرت الفتاة في مدرسة ابتدائية حكومية أخذت زهيرة تستعد لحمل جديد ، وحدث ذلك الحمل بصعوبة بعد عدد متكرر من الإجهاضات ، ورغم تطور الطب وحداثته لديهم كسائر الدول الصناعية الكبرى في العالم تأخر الحمل وجاء المولود بعد حين ذكرا سمياه مجدا .

وبعد ولادته بشهور أصيب والده سامر بوعكة صحية ، قضى بسببها عشرة أيام في المستشفى العام الذي يعمل به تحت العلاج والمراقبة الذي بدأ كالتهاب في القصبات الهوائية ، وتطور لضيق نفس قاتل ومشاكل في الرئة ، ولما تعافى وتماثل للشفاء ، طلب منه طبيبه المعالج والمشرف على صحته أن يأخذ إجازة لمدة شهر يقضيها في مناطق دافئة ، ورشح له هالفياكس كما رغب سامر لأن صيفها جميلا معتدلا ، وفعلا بعد أيام من خروجه من المشفى رتب أمور الفتاة شمس مع الخادمة التي رحلت معهم من نوفا سكوشا الولاية الأطلسية ، وهم ارتاحوا معها ، والقانون في كندا يمنع بقاء الأطفال دون الثانية عشرة من البقاء في البيت وحدهم ، فهناك مراكز لرعايتهم ومتابعتهم ، وقد أخذت زهيرة إجازة من عملها لمرافقة زوجها في رحلة الاستشفاء والنقاهة ، وبواسطة أصدقائهم في تلك المنطقة حصلا على شقة مفروشة لمدة شهر واحد ، وفي هذه الإجازة القاهرة فقد الولد مجد ، فقد فارق الحياة بعد مرض لم يمهله كثيرا ، وهو أصلا قد ولد عليلا ، وقد أخبرهم طبيب الولادة أنه قد يعيش إذا تقدم به العمر ، وتتلاشى العلة مع تقدم العمر .

فأصيب الزوجان بالغم والكدر مع هذه المصيبة ؛ ولكنهما كمسلمين استسلما لقدر الله عز وجل وعادا لكوبيك يغمرهم الحزن ، وبكت الطفلة ذات العشر سنوات شقيقها الصغير عندما رجعا بدونه ، وأخذ سامر يرغب زهيرة بالعودة للوطن بعد أن نالا حظهما من العلم والشهادات في هذه البلاد الشاسعة ، فهي ثاني أكبر بلد مساحة في العالم يسبقها الاتحاد السوفيتي ، وتحسن له زهيرة البقاء في هذه الأرض الجميلة ، وقد تعودا وتكيفا على مناخها وطقسها وجمالها وبحارها وأنهارها ، وهو بالمقابل يزيد الضغط عليها للعودة للوطن والشمس الساطعة والمناخ المعتدل ، وهي تأخذ بالتوسل إليه للبقاء في كندا ، وتخلل ذلك المحاولة للحمل من جديد بالدعاء إلى الله تعالى ، والاستعانة بخبرتها بالطب وزملاء المهنة حتى مضت سنة على وفاة مجد دون فائدة ، فقال سامر متنهدا بعمق : اشتقت لأمي يا زهيرة .. فلنذهب لزيارة أهلنا.. ألم تشتاقي لأمك بعد عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة ؟

ـ اشتقت ، وفي الأسبوع أتحدث معها مرة أو مرتين .. وقد زارتنا أمك قبل خمس سنوات ، وأنت

تتحدث معها في الأسبوع مرتين أو ثلاث .

ـ أنا جئت للدراسة فحسب ، لم نأت لقضاء كل العمر عند هؤلاء .. أتريدين أن ترين شمسا تمشي بالشوارع بالشورت والثياب القصيرة ؟ .. إنها تكبر وتدخل سن المراهقة ، وقانون حماية الأسرة يمنعنا من فرض شيء عليها .. فنحن نرى أبناء العرب والمسلمين يقلدون أهل البلاد في كل الأشياء ..هذه دولة ليبرالية .. لا يمكنك منع شمس من ذلك .. فهي في سن التمرد .



الدكتور سامر طغت على قلبه فكرة العودة للبلاد سواء كان ذلك شوقا لأمه وأهله كما تحدث يوما لزهيرة أم خوفا على ابنته الوحيدة من عادات وتقاليد البلاد أم غير ذلك من الحجج والأعذار ، وبعكسه كانت زهيرة ، فهي سعيدة بحياتها في كندا ، سعيدة بعملها في قسم النساء وطب الأسرة في المستشفى العام في المدينة وغيرها من مراكز الطب والعلم ، وسعيدة بأصدقائها العرب وغير العرب من العاملين معها وغير العاملين ممن تعرفت عليهم خلال العلاج والمراجعة .

وعلينا أن نعرفك أيها القارئ الكريم على تلك المدينة ، كما تعرفت على مدينة نوفا سكوشا .

يقولون إن كيبك هي أكبر مقاطعة كندية من ناحية المساحة ، والثانية من ناحية التقسيم الإداري بعد إقليم نونافوت ، تقع في شرقي كندا ، تحدها الولايات البحرية من الشمال والشرق ، وتحدها من الغرب مقاطعة أونتاريو، خليج جيمس وخليج هدسون إلى الشمال عن طريق مضيق هدسون وخليج Ungava ، ومن الشرق خليج سانت لورانس ومقاطعات نيوفاوندلاند ولابرادور ونيو برونزويك ، ومن الجنوب تحدها الولايات المتحدة ماين ونيوهامبشير وفيرمونت، وولاية نيويوركك‍ما تشارك الحدود البحرية مع نونافوت وجزيرة الأمير إدوارد، ونوفا سكوشيا .

وبالنسبة للمناخ ينقسم في ولاية كوبيك إلى قسمين، في الشمال يسود الشتاء الطويل البارد حيث يسيطر التجمد ، وتتدنى درجة الحرارة فتصل إلى ما دون الصفر، والصيف قصير دافئ ، وتنتشر بالإقليم الغابات الصنوبرية.

وأما سكان كوبيك فهو الأكثر عددا بعد أونتاريو ، يعيش معظم السكان في المناطق الحضرية بالقرب من نهر سانت لورانس بين مونتريال ، وهي أكبر مدنها، ومدينة كوبيك ، أما المناطق الوسطى الشمالية من المقاطعة فهي قليلة عدد السكان ، ويقطنها في المقام الأول شعوب أميركا الأصليين ، تلعب القومية دورا كبيرا في السياسة في المقاطعة ، كما تحاول الأحزاب الثلاثة السياسية الرئيسية الحصول على قدر أكبر من الحكم الذاتي والاعتراف للشعب الكويبيكي كأمة.

قد عرفت أول اكتشافها بفرنسا الجديدة ، أو كندا ، وذلك في سنة ١٥٣٤ م حتى ١٧٦٣ م ، ثم عرفت باسم مقاطعة كوبيك حتى سنة ١٧٩٠ م ، ثم عرفت بعد ذلك باسم كندا الدنيا ، ثم كندا الشرقية ، وبعد انضمامها للاتحاد الكندي أطلق عليها مقاطعة كيبيك ، وجرت محاولة لفصلها عن كندا في سنة ١٩٨٠ م في استفتاء عام .

عاصمتها مدينة كيبك تحمل نفس الاسم ، وأهم مدنها مونتريال واللغة الرسمية في مقاطعة كيبك هي الفرنسية، من جانب لغتها وثقافتها ومؤسساتها ، فإنها تشكل دولة داخل كندا.

وكيبك من ناحية التاريخ مستعمرة فرنسية حملت اسم فرنسا الجديدة بحكم تابعيتها لفرنسا الأم ، ثم مستعمرة تابعة الإمبراطورية البريطانية ، كيبك سيتي هي أهم تجمع حضري بشرق كندا ، ويأتي موقعها بالمنطقة المأهولة بولاية الكيبك على ضفاف نهر سان لوران ، تعتبر المدينة الأكثر استقرارا في البلد من بعد أدمونتون وكالجاري ، ومعدل البطالة بها هو ثالث أقل نسبة في كندا ، القطاعات التي في نمو هي السياحة والمعامل وعلوم الحياة والصحة والتغذية ، وقطاعات التأمينات والتكنولوجيا التطبيقية ، لدى كيبك الميناء الثالث الأكبر بكندا ، كيبك مشهورة بتاريخها ومتاحفها ومعاهدها الثقافية ، وتلقب بمدينة المسرح ، لها ثمان بلديات .

والذي اكتشف موقع كيبك هو الفرنسي جاك كارتييه ١٥٣٥، هو ورجاله اكتشفوا قرية تسمى ستادا كوني، وكان في استقباله دونا كونا، قائد هذه القرية (الذي التقاه كارتييه في أول رحلة في ١٥٣٤) ، على الرغم من الترحيب الحار وتحذير دونا كونا قرر كارتييه بعد يومين على مواصلة الطريق إلى النهر، حيث مات مرافقوه بسبب الإسقربوط ، فقرر العودة إلى ستادا كوني لدى عودته وجد أن الرجال يقومون ببناء قلعة سانت كروا ، وموقعها الحالي يقع بالقرب من جسور كيبك وبيار لابورت .

مدينة كيبيك تأسست رسميا من قبل صمويل دو شامبلان بتاريخ ١٦٠٨ م على الموقع الذي يقع بالقرب من قرية ستادا كوني ، الموقع الذي يعرف الآن بالمكان الملكي فأصبح مهد الفرنكوفونية في أمريكا الشمالية .

في نهاية الحكم الفرنسي، كانت المدينة محاطة بغابات وحقول شاسعة ويقطنها حوالي ٨٠٠٠ شخص ، وامتازت بطابعها المعماري الفريد ، وأسوارها العالية ؛ لكن رغم حضريتها ومكانتها كعاصمة ، ظلت كيبك مدينة صغيرة مرتبطة بفرنسا كثيرا . في عام ١٧٥٩ احتلتها القوات البريطانية ، وباتت حدثا مهما في حرب السنوات السبع لكنها أصبحت خرابا.

وبعد ثلاث سنوات معظم الممتلكات الفرنسية في أمريكا الشمالية تصبح بحوزة بريطانيا. في أعقاب المؤتمر القاري الثاني في ١٧٧٥ ، قبل الثورة الأمريكية ، تتعرض الحامية البريطانية لمدينة كيبك للهجوم من قبل القوات الأمريكية دون جدوى بقيادة بنديكت ارنولد في معركة كيبك (١٧٧٥).

بعد خمس سنوات من الكونفدرالية الكندية في ١٨٧٢ ، قرر الحاكم العام لكندا ، اللورد دوفرين ، إنشاء المقر الرسمي للقلعة في كيبك ، لدى وصوله إلى كيبك، أراد اللورد دوفرين أن تكون مدينة كيبك مدينة سياحية ، فأمر بإعادة بناء الجدران ، حيث كان سكان كيبك قد أخذوا من الأسوار أجزاء لبناء المباني، وأمر بإقامة الشرفة التي لا تزال تحمل اسمه.

طوال القرنين التاسع عشر والعشرين ظلت مدينة كيبك الوجهة الرئيسية لعدد متزايد من

المهاجرين إلى كندا ، الذين غادروا سنويا الجزر البريطانية قادمين إلى أمريكا الشمالية ، وذلك بسبب موقعها على نهر سانت لورانت ، الذي كان الممر المائي الرئيسي في أمريكا الشمالية ، وهكذا ، وإلى سنة ١٨٣٠ ،استضافت مدينة كيبك متوسطا سنويا بـ ٣٠٠٠٠ من المهاجرين الجدد ، وكان ثلثاهم من إيرلندا.

كيبك كانت عاصمة كندا من ١٨٥٩ إلى ١٨٦٥ ، وآخر عاصمة قبل أن يتم نقلها إلى أوتاوا .



قصر فرونتناك

تم في ١٩١٧ بناء جسر كيبيك الذي يربط كيبيك الواقعة في الضفة الشمالية لنهر سانت لورون بليفيس الواقعة في الضفة الجنوبية ، وهو ليومنا هدا أطول جسر في العالم ، إلى يومنا هذا كيبيك هي عاصمة ولاية كيبيك ، والتجمع الأضخم بكيبيك من أفضل المواقع المعمارية يقع شرق أسوار المدينة في كيبيك القديمة والساحة الملكية ، تتميز تلك المواقع بطابعها الأوروبي القديم حيث المباني الحجرية تمتد على طول الشوارع لتصل إلى المطاعم الفخمة والمتاجر ، أهم البوابات هي بوابة سانت لويس وسانت جون ، تصل منهما إلى وسط المدينة الحديثة ، إلى الغرب من الجدار يوجد مبنى البرلمان ومقاطعة سهول إبراهيم.

المدينة العليا ترتبط بالمدينة السفلى عبر سلالم كسر الرقبة وكيبيك القديمة، وتشمل هذه المواقع على كنيسة نوتردام دام دي فيكتوار والمنطقة التاريخية بيتي شمبلن ومنطقة الميناء ومتحف الحضارة ، المدينة السفلى تمتلأ بالشوارع الأصلية والهندسة المعمارية والتصاميم، والتي يعود تاريخها إلى بدايات المدينة ، الجدران والتماثيل تبرز أيضا ، للمدينة السفلى أيضا تشكيلة واسعة من المحلات، وتتضمن العديد من السلع اليدوية الحرفية.

أفق مدينة كيبك يهيمن عليه فندق قصر فرونتناك الضخم ، والمعلق فوق جبل الألماس ، ويقع الفندق بجانب شرفة دوفورين ، وجسر للمشاة على طول الحافة .



كنيسة نوتردام دام دي فيكتوار بالمدينة السفلى

قرب قصر فرونتوناس توجد كاتدرائية نوتردام دي كيبك ، وهي الكنيسة الأم لأبرشية الروم الكاثوليك بكيبك ، وهي أول كنيسة في العالم الجديد التي تصبح كاتدرائية .

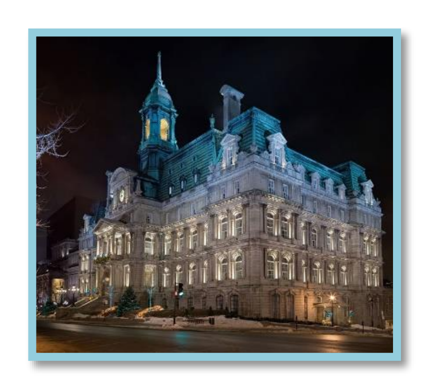


لنتعرف على مونتريال بما أننا مع السيدة زهيرة في ربوع كندا ، والتي عاشت بها الدكتورة سنوات بعد هاليفاكس .

مونتريال مدينة كندية مهمة ، وهي أكبر مدن مقاطعة كيبك ، وأكبر مدينة كندية حتى سنوات ١٩٧٠، مونتريال تنافس تورونتو كأكبر مدينة في كندا ، تقع في مقاطعة كيبك ، وهي كبرى مُدن العالم المتحدثة بالفرنسية بعد باريس ، ثلثا السكان في مونتريال من ذوي الأصول الفرنسية ويتحدثون الفرنسية ، تعتبر مونتريال واحدة من أكبر موانئ العالم البحرية الداخلية ، والمركز الرئيسي للنقل في كندا ، وهي

أيضًا مركز رئيسي للأعمال الصناعية والثقافة والتعليم الكندي. تم تشييدها على جزيرة بين نهري ريفيير دي بريري شمالا ، وسانت لورانس جنوبا ، أما ميناء مونتريال فيقع في نهاية ممر

سانت لورانس سيواي البحري.



ويُعدُّ موقع مونتريال فريداً من نوعه ؛ فهي تقع على جزيرة داخل نهر سان لوران ، بنيت حول جبل مون رويال بالفرنسية **Mont Royal** وهي المدينة الكندية الكبرى الوحيدة التي بنيت حول جبل ، تغطِّي مونتريال حوالي خمسي مساحة جزيرة مونتريال في مكان يلتقي فيه نهرا سان لوران ، وأوتاوا في كيبك الجنوبية . يبلغ ارتفاع جبل مون رويال ٢٣٣م وتغطيه الأشجار، ويوجد اليوم في قلب المدينة.

يُحاذي مونتريال القديمة نهر سان لوران بين شوارع بيري ومكغيل، وتقف كثير من مبانيها القديمة جنبًا إلى جنب مع المباني العالية الحديثة ، وتغطي المطاعم الساحرة والمنازل التاريخية والمتاجر الصغيرة شوارع المنطقة الضيقة ، وكثير من هذه الشوارع مرصوفة بالحجارة الكبيرة.

بني برج مونتريال تايلور عام ١٩٧٦، وهو أعلى برج مائل في العالم ، يرتفع إلى ١٧٥م ، وينحدر إلى ٤٥ درجة وهو موقع سياحي .

تبلغ مساحة مدينة مونتريال نحو ١٧٠كم٢، أما كمجمع حضري فتزيد مساحتها على ٣٠٠٠كم مربع ، وينتمي مناخ مونتريال إلى نموذج المناخ البارد والرطب ذي الصيف القصير والشتاء الطويل الذي تتساقط فيه الثلوج بغزارة ما بين شهري تشرين الثاني ونيسان ، والصيف القصير لطيف الحرارة ، متوسطها في شهر تموز (أحر شهور السنة) ٢١ْم ، أما متوسط حرارة أبرد شهور السنة كانون الثاني فهي ١٢ْم تحت الصفر.

وتعد منطقة مونتريال الكبرى ثانية أكبر منطقة حضرية في كندا بعد تورونتو ، ويعيش حوالي ١١٪ من سكان كندا في مونتريال الكبرى ، تتكون منطقة مونتريال الكبرى من حوالي ٧٥ مدينة وبلدة ، يعيش حوالي ٦٥٪ من سكان هذه المنطقة خارج المدينة .

ويعتبر الكنديون ذوو الأصل الفرنسي أكبر مجموعة في المدينة ؛ حيث تظهر أكثر اللافتات في



سوق جون تال

جميع أنحاء المدينة باللغة الفرنسية ، وقد وُلِدَ حوالي ٢٠٪ من سكان مونتريال خارج كندا ، ويشكل سكان كندا من السلالة البريطانية ثاني أكبر مجموعة ، وقد استقر في المدينة مئات الألوف من المهاجرين من أوروبا والشرق الأقصى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ ، تعيش جالية عربية كبيرة في مونتريال تقدر نسبتها بِـ ٥٪ من إجمالي السكان .

أُسِّس نظامُ الدراسة في مونتريال على أساس اللغة والدين ، تتم الدراسة بالفرنسية أو الإنجليزية وتوجد مدارس الرومان الكاثوليك والبروتستانت ضمن كلِّ مجموعة لغوية ، ويوجد في مونتريال أيضًا أربع جامعات أشهرها جامعة مونتريال وجامعة مكغيل

واستولت القوات الإنجليزية على مونتريال عام ١٧٦٠م ، وأصبحت كندا ـ بالتالي ـ مستعمرة بريطانية وفقاً لاتفاقية باريس الموقعة عام ١٧٦٣م ، وسرعان ما تطورت مونتريال إلى مركز تجاري بريطاني ، وتركزت المصالح الفرنسية على الزراعة ، أُنشئ معرض عالمي في مونتريال في عام ١٩٦٧م (إكسبو ٦٧) ، وقد استضافت المدينة أيضاً دورة الألعاب الأوليمبية الصيفية في عام ١٩٧٦م .

الطلاق

لم يهدأ سامر بأمر إنهاء خدماته في كندا ، بل بدا مصرا ومصمما على العودة للبلاد ، فكان يتكرر الحوار بينهم كلما اجتمعا وأتيح لهما النقاش ، أحيانا هادئا وأحيانا أخرى حادا عاصفا ، فقال لها بعد أن خلا البيت من زوارهم ، وذهبت شمس إلى حجرتها وغرفة نومها ، وانصرفت الخادمة المستأجرة أيضا للنوم وخفت الأضواء في الحجرات : ماذا فعلت بالنسبة للعودة للديار أنا لم تعد لي طاقة للبقاء .. جئنا للدراسة ، وقد وفقنا الله ، ودرسنا وعملنا .. نحن أتينا في طلب الطب ، ونلنا ذلك .. ألا يكفي كل هذه السنوات من الغربة ؟!

كانت زهيرة تسمع ذلك ، وقد سمعته من قبل ، ولا يكاد يخلو مجلس بينهم من الحديث حول العودة للبلاد حتى الأصدقاء سمعوا بذلك ، فردت بعد صمت : أليس هناك شغل كهذا ؟.. سنقضي عمرنا ومصيرنا بين المستشفيات والعيادات .. فما الفرق يا سامر ؟

تطلع في عينيها للحظات وقال : عجبا من حديثك ! .. وجزء من كلامك صحيح .. ولكن هناك بين أهلنا وإخواننا ، نفرح معهم ، ونحزن معهم .. الأصدقاء هنا لا يغنون عن الجلوس مع الأشقاء مع الأم .. أبي مات ولم أره إلا ميتا .. الدكتور ماهر صديقنا مات ، ولم نشارك في جنازته .. لا أستطيع أن أصبر حتى أرى شمسا تعانق كنديا ؛ كأنها تعانق أخا لها أو عما .

ـ لست أدري ما الذي يعجبك في بلاد العرب ؟ حروب .. واحتلال .. وفقر .. هذه بلاد قد استقلت من مائتين سنة فقارنها بأي بلد عربي من المحيط للخليج ، ستجد أنها بلاد شامخة .. شعوب تريد الحياة .. التطور الكبير والجمال واستغلال الموارد .. كل شيء مثير للحياة هنا .. لماذا لا نظل فيها ؟!

ـ أليس لديك رغبة برؤية أمك بعد كل هذه السنين ؟!

ـ أمي عند زوجها .. طول عمرها مع أزواجها .. وكنا نلتقي على الهاتف .. وأحيانا تزورني أو أنا أزورها .. واليوم نلتقي على الهاتف ، ونسمع صوت بعضنا ، ونعبر عن مشاعرنا نحو بعضنا وإذا عدنا سيستمر أكثر ما بيننا على الهاتف .. لا فرق كبير بين هنا وهناك .

ـ هذه أفكارك وحياتك ، أنا صممت على العودة ، فكري جيدا بعلاقتنا وحياتنا .. يظهر أن صديقك هنري مؤثر عليك بأفكاره وشخصيته

ـ جميل منك قولك صديقك هنري! .. هنري مجرد صديق مستشفى ، أحبنا يا سامر ، وهو صديقنا جميعا

ـ إنه هو الذي يشد على يدك للبقاء في جنة كندا ، ولقضاء عمرك هنا .. وأنت تعرفين سمعة زوجته السيئة في المستشفى وفي الجامعة .. وغيرتهم على نسائهم وبناتهم تختلف عن غيرتنا .

ـ أنا لا أعتقد أنها تمارس الزنا أو الحب كما يسمونه .. إنما هي إشاعات هي قالت لي ذلك ، وقالت أيضا إنهم يثيرون هذه الأقوال ليحدث الطلاق بيننا ، هناك ممرضة ذات علاقة خاصة به ، وتطمع بالزواج منه لا تريد أن تبقى العلاقة بينهما علاقة صداقة فقط

فقال : على كل ليس لنا دخل في حياتهم الخاصة ؛ ولكني سمعته كثيرا يهمس لك حاثا على البقاء في بلاده ، وعدم الإصغاء لي في هذا الأمر .. لم يبق لي صبر .. ألسنا جئنا للتعلم ؟ وتعلمنا وسنمارس عملنا في بلدنا ونخدمه كما خدمنا هذه البلاد .. فعليك أن تحسمي أمرك وقرارك .

ـ لكن الناس هنا أرقى والتعامل معهم أحسن .. وأنت لم تترك لي أي خيار .

قال بضجر وتأفف: الناس ناس في كل مكان وزمان ، لكل قوم ثقافتهم وتاريخهم .. نحن هاجرنا إلى هنا ليس من أجل المال .. كثير من المهاجرين يتركون بلدانهم من أجل الثروة والمال وبعضهم هربا من الاضطهاد والظلم..فالحياة الاقتصادية الفضلى مقصد للأفراد والشعوب والدول .. الحمد لله أنه جاء كلانا من أجل العلم الحديث في بلادهم كغيرنا من الطلاب والمبتعثين من بلادهم .. فلسنا فقراء ، وقد كسبنا ثروة كبيرة خلال هذه السنوات الماضيات .. ولسنا مضطهدين سياسيا وثوريا لنبق هنا .. أرجو أن تفكري جيدا بالسفر معي لا أريد أن نخسر بعضنا البعض بعد هذه السنوات الجميلة الطيبة بيننا

ولما رآها لم تعقب بل تنظر إليه مشدوهة تابع قائلا : أنت تعرفين ظروف زواجنا .. تعرفنا عن طريق المرحوم الدكتور ماهر طه لتحقيق مصلحة لك ومصلحة لي .. والشكر لله أنني حققت

ما أصبو إليه من التخصص في جراحة العظام والكسور .. وأنت حققت التخصص بالأمراض النسائية والتوليد وطب الأسرة .. وتلقين محاضرات علمية في كليات الطب ، ومراكز الطب ، ومحاضرات ثقافية في مراكز وجمعيات عربية وإسلامية .. فيمكننا أن ننشئ مستشفى صغيرا في بلادنا ، ونخدم البلد الذي ولدنا وترعرعنا فيه، أليس له حق علينا ؟

قالت : لهم حق يا سامر .. أنت تحكم العاطفة في أمور مهمة .. ولا تنس أن هذا المال الذي نجنيه من هنا يستفيد منه الأهل .. والمشاريع التي تتحدث عنها يمكننا أن نقدمها للبلد ونحن هنا.. ولك ولي مساهمات مالية في شركات هناك مع بعض إخوتك .. والبلد لا تخلو من الكوادر الطبية والعلمية .. فلسنا نحن أول من يتعلم ليخدم بلده من الهجرة .

ـ العيش مع الأهل والأقارب له محاسنه .. ولا تجعلي عقدة ابن عمك تكرهك أهلك الآخرين واحد سيء من بين عشرات من الطيبين .. لا أريد أن تموت أمي وأنا هنا .. أصل وأجدها ميتة كما حصل عندما سافرت عند مرض والدي فلما وصلت كان ميتا .. ألا يحق أن أعيش معها وبقربها باقي العمر ؟ أرجوك وافقي على العودة لنبق أحبابا وأزواجا

ـ سأفعل وأفكر وأحسم الأمر .. أعلم عظم شوقك لإخوتك وأخواتك وأمك قبلهم .. أنا لا أهل لي يا سامر اشتاق إليهم .. مات عادل عمي دمعة لم تخرج من عيني عليه .. ليس ذلك بيدي لم يهزني موته لم أحبه يوما ما.. هم أعمام بحكم الولادة .. ومات غيره لم أحزن .. سأفكر بمصيري يا حضرة الدكتور العزيز على قلبي .

ترك سامر زوجته تفكر بمصيرها معه ، وأما هو فباشر بفك التزامه مع المستشفى العام في مونتريال مقدما استقالته للإدارة ، وأخذ بإجراءات الانفكاك وإبراء الذمة من دوائر المشفى ، والدوائر الطبية ذات الاختصاص ومن صحة المقاطعة ، وسعى إلى أخذ الشهادات والخبرات اللازمة للحياة .. وذات ليلة قالت زهيرة : يقول السيد هنري إنك قدمت استقالتك من المستشفى

ـ أنا لم أقل لك .. أنا آسف يا عزيزتي .. أنا حسمت أمري ، كما تعلمين مللت وكرهت كل

الغربة .. عليّ أن أعود لأمي .. كلما نتكلم تقول متى ستعود ؟

ـ وأنا ؟!

قال بحزم : أنت إما أن ترحلي معي لنكمل المشوار معا في ربوع الوطن أو ننفصل عن بعض بالمعروف والحسنى .. وكل له طريقه وحياته ، وسنبقى أصدقاء ، فبيننا شمس .

ـ وشمس ؟

ـ قانون هؤلاء يسمح لها بالبقاء معك إلا إذا تنازلت لي عنها .. لن افرق بينك وبينها .

فقالت ساخرة : أتتركها هنا للضياع كما تزعم ؟

ـ إذا بقيت هنا ستبقى معك .. لا أستطيع أخذها ، فهي ابنة هذه البلاد كما يقولون حتى تبلغ سن الرشد فتستطيع الاختيار .. وأنا مناي أن تذهبي معي لتذهب الفتاة معنا ..

قالت بعد هنيهة : سامر إذا كنت بحاجة لزواج تزوج هنا ، طلقني وتزوج فأنت بحاجة لمزيد من البنين والبنات .. أنا أدرك حقا أنك راغب بالذرية أعرف شعورك وحاجتك لذلك بعد كل هذا الصبر والانتظار .. أنا امرأة مريضة لا تستطيع الإنجاب .. ابق وطلقني وتزوج ولنبق أصدقاء .

ـ صحيح لدي رغبة بالأولاد ، وهذا حق لي أليس كذلك ؟ وهنا التعدد ممنوع وكان بإمكاني طلاقك ، وإنهاء العلاقة الشرعية التي بيننا .. لكن صدقي أنني أرغب بالعودة اليوم قبل غد .. أنا بحاجة فعلا للعودة لبلادنا والحياة فيها

ـ أنا أعرف من سقطات لسانك رغبتك بالزواج ، وإنك لن تحقق ذلك هنا ..وإذا كنت تراني عائقا لزواجك للبقاء هنا فطلقني ولا تهتم

ـ لن أتزوج هنا يا زهيرة .. نحن لن نعدم العلاج في بلادنا وأرضنا ، وستنجبين بإذن الله

ابتسمت وقالت : أنا طبيبة نسائية يا دكتور وأخصائية نساء فأعرف أنني عاجزة عن الإنجاب لديّ عدة مشاكل في الجهاز التناسلي وقد يطول العلاج .. فإذا كان هذا سبب رغبتك بالعودة فأنا مستعدة لطلب الطلاق والانفصال بكل صدر رحب أو غير رحب .. وأما إذا عدت معك

وطلقتني فستكون كارثة بالنسبة لي ولمشاعري وشماتة الأقارب .. هنا حياتي !

قال مشجعا : عودي معي ، ولن يحصل الطلاق وسنبقى متزوجين ويكفينا شمس

ـ عندما ترى أبناء إخوتك وأخواتك وأنت بدون ولد يحمل اسمك ...

فقال مقاطعا : عادات قديمة

ـ أنت كما قلت كان زواجنا زواج مصالح ؛ لأنني لا أستطيع الهجرة للغرب بدون زوج أو محرم حسب تقاليد بلادنا المحافظة

ـ هذا صحيح ؛ ولكنك تعلمين علم اليقين أنني أحببتك ، ولم يجبرني أحد على الزواج منك، وإن كان فيه لفتة إنسانية ، وزواج المصالح ليس محرما في شرعنا .. وأنا لست طامعا بثروتك ومالك ، وها هي سنوات طوال مرت علينا دون أن اضغط عليك لأخذ مال منك ، إنما مساهماتك ـ وأشكرك عليها ـ كانت برغبة منك وحسب عادات هؤلاء الناس .. والزواج كان بترتيب من صديق الوالد الدكتور ماهر الوصي عليك ، وكان حريصا عليك ، ويسعى لسعادتك وعلى طهارتك .. والكثير من الفتيات يسافرن اليوم وقبل اليوم بدون محرم شرعي أو زوج ، ولا يفكرن بهذا الأمر .. لكن الدكتور لما رأى رغبتك بالهجرة ، ولديك إصرار خاف عليك من أخطار وأضرار الغربة خاصة في بلاد تقاليدها وعادتها تختلف كثيرا عنا .. ففضل زواجك .. وأنا متأكد أنك يمكنك الحياة والعيش هنا بمفردك خاصة بعد هذه السنوات من معاشرة القوم ..

بعدما صمت همست زهيرة : أسبوع واحد ، وسأضع بين يديك القرار النهائي .

ـ أسبوع .. تحتاجين أسبوعا من التفكير .. عجيب هذا ! .. الأمر لا يحتاج إلا إلى دقائق .. نعم أم لا .

زهيرة كما رأينا من خلال صفحات حياتها في وطنها ، لم يكن لها ارتباط وجداني بأحد سوى أمها هناء ، وربما أدركنا أنها لم تكن تلك العلاقة الحميمة بينهما ، فكانت زهيرة ترى أن أمها لم تضح من أجلها بشيء .. فهي ما زالت تتخيل ليلة وفاة أبيها غاضبا على أمها ، لم تنس تلك

الدقائق الخطيرة ، ما زالت ذاكرتها تذكرها بها .. وعايشتها أرملة ، وعايشتها عندما تزوجت ثانية في بيت الدكتور مروان شقيق الوصي .. وربما لمست لها العذر لتقاليد المجتمع بتزويج الأرملة أو المطلقة ؛ لأنهم يرون من الأفضل للمرأة الحياة مع زوج بدلا من أخ أو أخت .. وسنوات أمها مع مروان كانت سنوات سيئة بالنسبة لزهيرة ؛ لكثرة مشاكل أمها مع الرجل من أجل الولادة والحمل .. ثم انحراف أمها حتى طلقت ، ثم تزوجت ثالثة بعد وفاة أبيها .. فقد تسببت بموت أبيها ، ومن قبل أبيها مجدي .. فلم تغدق عليها من الحب والحنان الكثير ، كانت تريد البنين والبنات .. وحتى في أيام تقدمها للتوجيهي كانت تعيش زهيرة مع جدتها .. فالحرارة بينهن لم تكن بتلك القوة المعروفة بين الأم والبنت .

كانت الدكتورة تفكر بتلك السنوات التي قضتها بين الأهل والأقارب ، وهي تفكر بالقرار الذي وعدت سامر باتخاذه .. تذكرت حياة أمها في بيت الطبيب مروان الذي شجعه الوصي على الستر عليها .. كانت مشاكل حادة تدور في البيت دون مراعاة لمشاعرها ووجودها ، حتى يئس الرجل وتركها تتصرف بحياتها كما تشاء ، وسمح لها بالعمل حتى أثيرت حولها الشكوك والأقوال المبهمة بشباب يعملون معها .. وكانت زهيرة مستاءة من أمها تلك الأيام .. ثم حدث الانفصال وقد زاغت أمها عن الخط المحافظ ، وأخذت تسكر وتسهر وتتعاطى الحشيش وغيره وتعلقت بشاب أصغر منها بعشر سنوات ، وكانت تطارده للزواج منه .. يا لها من أيام ! هكذا همست لنفسها وهي تستعيد تلك الأيام من ذاكرتها .. لقد صعقت يومها من مراهقة أمي ، وقلت كل هذا من أجل أن تلد ولدا ! .. وعلى أثر موت والدها محمد استيقظت من غفلتها وانحرافها ، وتابت وآبت ، ثم قبلت بالزواج من رستم الضابط المتقاعد .. وبقيت هذه المرة في بيت جدتها، رفض رستم أن تعيش معها في بيته لأنها صبية .. عاشت مع الخادمة الآسيوية التي كانت تنفق عليها من مالها الخاص ، لم يتطوع عم أو خال أو أم ليدفع راتبها ونفقاتها من هدايا وكسوة .. مالها الذي دفع كل هذا .. ولولا وصاية الوصي ـ رحمه الله ـ لشجعتها أمها على الزواج للخلاص من أي مسؤولية اتجاهها وربما زوجتها من ميلاد .. فعلاقتها الوجدانية مع

الأعمام والأخوال ضعيفة مراسم ومناسبات .. فلا يجذبها لبلدها ووطنها إلا الجاذب الحنيني لمسقط رأسها كما يفعل سمك السلمون الذي يعشق الموت في موطنه الأول .. ثم تذكرت أنها ولدت في الخليج العربي من ناحية الولادة .. الحنين الجذري لموطن الآباء والأمهات .. قضية معقدة .. لماذا تعود ؟ الحياة هنا كما هي هناك .. والموت هنا كما هو هناك .. لا أعرف الفروق التي يكتب عنها العلماء والأدباء والشعراء .. فليس هناك ما يجذبها للعودة حتى بعد أن نالت حظها من العلم .. ولها أصدقاء وصديقات ومرضى وعمل ونشاطات ثقافية واجتماعية .. وهي تدرك إدراكا تاما أن سامرا يسعى للعودة ليس من أجل الشغل ، فالمال هنا أكثر بكثير من بلد نام كما تسمى بلاد العرب والمسلمين هذه الأيام .. فهو يسعى للعودة للروابط القوية بينه وبين أهله .. فترده الاتصالات الكثيرة والرسائل الكثيرة .. من الأخوة والأخوات وأبنائهم .. وهو جاء كما قال للاختصاص ونيل شهادة الطب من الغرب لأهمية ذلك في بلاد العرب هذه الأيام وإلا فأن هناك مجالا لنيل الاختصاص .. فشهادات هذه البلاد تؤهله للعمل في كل الدول المتحضرة والمتطورة .. فهي تعرف الأثر النفسي الكبير الذي تتركه هذه الشهادات من أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية عندما يقال جراح من جامعة كذا وكذا .. وألم تتحمس وتسعى هي نفسها لطلب الشهادة من بلاد الغرب ؟ عندما فتح لها العميد ذلك الباب من التشجيع لم تصبر لتأخذ البكالوريوس من بلدها .. ألا تتلقى استشارات من شتى المدن في الغرب ومراكز البحث في مسائل الطب والعلم ؟! وهي تعلم أن الرجل يريد الذرية .. وما محاولات علاجها المستمرة والمتكررة إلا من أجل هذا المقصد .. وكم كان حزينا عند موت ابنه مجد !.. فرغم صغرها لم تحمل حملا كاملا إلا مرتين، وولد مجد عليلا ضعيف البنية ، ثم مات .. ورغم تقدم الطب هنا لم يفعلوا لها شيئا يذكر .. تركوا ذلك للزمن ، وتعالجت ، ولم تنجح في الحمل لمشاكل طبية تعرفها جيدا .

تركت العمل لعدة أيام ، وبعد عقد عدة جلسات تفكير مع نفسها ، حسمت أمرها ووصلت للحل المناسب لها ، فعقدت مع شريكها اجتماعا بعيدا عن شمس فقالت : من حقك أن يكون

لك ذرية يا سامر .. لقد كنت أرى أمي وهي تقاتل من أجل الذرية .. من أجل أن يكون لها أبناء مثل أمها وأخواتها وسائر إخوتها .. ولم يقدر لها ذلك من أبي ، ومن مروان شقيق ماهر رحمه الله .. وقد ينعكس الأمر عليّ .. أنا لا أستطيع أن أحمل لأمراض تعرفها في الجهاز التناسلي وأنا لا أستطيع أن أعيش زوجة ثانية ، فأنكد عليك وعلى زوجتك .. فسنرتب أمر الطلاق والانفصال .. وسوف نوضح لشمس القضية بأيسر السبل ، وهي التي تختار بيننا بملء إرادتها وحريتها ، لن أوثر عليها عاطفيا أو عقليا .. وأرجو أن يبقى لي في قلبك شيء من الحب والود وأخذت تمسح دموعا سالت على وجنتيها فقال : هذه هي الحياة يا أم شمس .. صدقي أنها أجمل سنوات العمر .. نعم الزوجة والصديقة ، ولا أنسى الاحترام الكبير الذي وجدته منك لشخصي وأهلي ، ولدي سبب وحاجة وقد حققتها .

بعد ذلك اللقاء المهم اختارت السيدة زهيرة الطلاق والبقاء في مقاطعة كيبيك الكندية حيث أحبت الإقامة فيها منذ سنوات قليلة ، وبواسطة محامي قانون الأسرة تم الطلاق بينهم ، رغم أن القانون لا يجري الطلاق إلا بعد سنة من انفصال الزوجين عن بعضهما ، لأن الزواج في كندا كأغلب الدولة الغربية إن لم تكن كلها يكون زواجا مدنيا ، ثم يذهب كل فريق إلى طائفته ، وينشئ عقد زواج ديني إذا شاء .. فالمسلم عند الموثق الشرعي ، والنصراني كذلك ، والبوذي نحوه ، والذي لا يريد له ذلك .. ولكن المحامي كما في الحالات الاستثنائية استطاع إجراء الطلاق المدني ، وخاصة أن الدكتور سامرا سيقدم طلب التنازل عن جنسيته الكندية التي حصل عليها خلال فترة الدراسة .. والبنت الوحيدة بينهما رتبت أمورها .. فأسقط سامر جنسيته الكندية في المحكمة ودائرة الهجرة ـ مع جواز الاحتفاظ بجنسيته في القانون الكندي للجنسية ، وكذلك القانون لبلده يجيز الجنسية المزدوجة للمواطن ، ولكنه لحاجة في نفسه تخلى عنها ـ وراجع الدائرة التي تهتم بشؤون المسلمين ووثق عقد الطلاق .. وخلال شهر واحد انتهى ما بين زهيرة وسامر .. وكانت البنت لما شرح لها أمر الانفصال ، اختارت البقاء حيث ولدت مع أمها ، فأوصى الرجل الأم على ابنتها ، ووعد بالمساهمة ماليا في تربيتها وتعليمها وحاجتها ، فعفته

الأم من ذلك وقالت إذا احتجنا استعنّا بك ثم قالت المهم أن نبقى أصدقاء ، فشمس ما زالت تربط بيننا ، وأتمنى لك السعادة والتوفيق في بلدك .. ليس هناك شيء يشدني إليها، ولعلي أغير ذلك في يوم من الأيام .. ولست جاحدة لوطني أرجو أن تفهم هذا يا سيد سامر

ـ أتمنى أنا لك أيضا كل خير وتقدم ، وعسى أن نبقى أصدقاء .. وسأتصل بكم ـ إن شاء الله تعالى ـ دائما

ـ سامحني يا أخ سامر .. سنوات جميلة جمعت بيننا

ـ بل أنت سامحيني ، ولا تعتبريني تخليت عنكما ، وأنت في أي لحظة فكرت بالعودة للبلد ، سنذهب في اليوم التالي للمحكمة لعقد الزواج من جديد .. إنني لا أنسى السعادة التي وفرتيها لي خلال السنوات الماضيات من عمرنا .. وسنبقى أصدقاء من أجل تلك الذكريات الجميلة والثمينة من سر حياتنا ، ومن أجل شمس ، وأرجو أن تبقى عفيفة وطاهرة مثل أمها في مثل هذه البلاد التي تغمرها الإباحية والهوس الجنسي والشذوذ .. قانون يسمح بزواج المثلين .. وعلى كل حال كل أمه وشعب له تقاليد وعادات يحافظ عليها .

ـ سلم لي على أمك العزيزة سلاما خاصا ، ولتسامحني يا أخ سامر .. وسلم على أخواتك وإخوتك وعماتك وخالتك .. وعلى الجميع ، لهم مني كل التحيات .. ما زلت اذكرهم منذ خطبنا وتزوجنا ، ولا أنسى ودهم وعطفهم عليّ .. ولسوف أتحدث معها عندما تصل وأعتذر لها عن اختياري الطلاق .. وكن لها صديقا يا سامر

ـ أشكرك ، وستبقى في عيوني، وستظل محبة لك

وكان سامر بعد إعلان الطلاق الرسمي يقضي ليله في أحد الفنادق ، وبعد هذا الحوار غادرهم جوا من مطار سان لوج إلى مطار المدينة العاصمة أوتاوا ، وقام ببعض المعاملات الخاصة به ، وتحويلات ماليه ، ولما اتصلت به شركة الطيران تعلمه عن موعد سفره إلى مصر ؛ لأن حركة الطيران إلى مصر سريعة ومتكررة بسبب السياحة النشطة لمصر ، وحب الغربيين لزيارة الأهرامات والأقصر وأسوان ، وكذلك وجود جالية مصرية كبيرة إلى حد ما في كندا ، فأنهى

حجزه في الفندق واتجه إلى المطار في الموعد المناسب .

وكان لسامر رغبة بقضاء أيام في ربوع مصر وميادينها لذكرياته فيها ، فهو قد نال شهادة الطب الأولى من جامعتها العريقة القاهرة أول جامعة حديثة بمصر ؛ كأنها شيدت في عهد الملكية والخديوية .

كان سامر يصل مصر في أقل من يوم ، ويستقر في أحد الفنادق المصرية الحديثة ، مصر مليئة بالفنادق السياحية لنشاط هذا القطاع عالميا ، فمصر مليئة بالآثار الفرعونية والمصرية والإسلامية ، خاصة القاهرة القديمة والجامع الأزهر ، فهي مهوى السياح من شتى أقطار الدنيا فالسياحة والآثار لها وزارات وشركات وطيران ومكاتب .

وبعد أيام قضاها فيها حجز تذكرة طيران على الخطوط المصرية المسافرة للبلد ، وفي مطارها الحديث كان في استقباله أحد أشقائه بسيارته ، ولما أخذ جوازه بعد تدقيقه وختمه ، وحصوله على حقيبته ، التقى بأخيه ، وتعانقا بعد طول غياب ، واطمئنا على بعضهم وعلى أمه ، انطلقت بهما السيارة إلى بيت أمه حيث ظلت تعيش وحدها بعد وفاة زوجها ، ورفضت ترك بيت الزوج الميت ، ورفضت الحياة في بيوت أولادها ، وبقيت تعيش مع الخادمة العاملة معهم من سنوات طوال وكان شقيقه يقول : كانت أمك تحلم بلقاء وحيدتك .. قد تألمت عندما علمت برفضها المجيء لرؤية أقاربها .

ـ لا استطيع إجبارها للمجيء معي ، خاصة أن أمها بقيت هناك ، فهي كندية أكثر مني .. فبالحسنى حاولت ؛ ولكنها رفضت

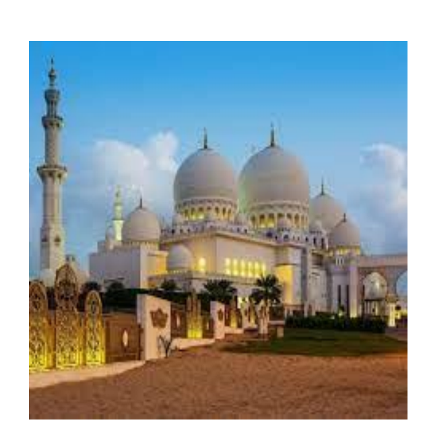
ـ نعم، أسمع عن قوانين هؤلاء الناس .. فهم يأخذون الأبناء من والديهم إذا أسأوا لهم بالضرب والتعذيب ، ويدفعونهم لأسرة نصرانية تعنى بهم .. إذا لها نصيب قد تراها في المستقبل الله يحميها

فقال سامر باكيا: لها الله يا غازي !

وأخذ بالبكاء والنشيج فجأة ، وأخذ غازي يهون عليه الفراق ، ويدعوه للتعوذ من الشيطان ،

وقل قدر الله وما شاء فعل ، والحافظ هو الله .. وقال : أرجو أن توفق السيدة الفاضلة زهيرة من تربيتها وتوجيهها للطريق المستقيم ، وتحسن رعايتها .. لا أدري ما يحبب الناس في العيش في تلك البلاد !

جفف سامر دموعه وعاد له الهدوء فقال : الحياة الطيبة .. الرفاهية والتساوي أمام القانون والحقوق والواجبات ، لا محاباة باسم المنصب والقرابة والقبيلة .. وكذلك العناية الكاملة من الدولة للإفراد .. لكن حريتهم أحيانا تزيد عن حدها فالسلطة الأبوية ضعيفة ، وسلطة الرجال على النساء هالكة .. إنهم سواء بل لا سلطة لأحد على الآخر ..



سامر

لم يجد صديقنا الطبيب سامر الأخصائي العائد من أمريكا الشمالية صعوبة في الحصول على وظيفة في مستشفيات القطاع العام والخاص، وإنما فضل العمل في مستشفى خاص ، ومن ثَم سيسعى للعمل محاضرا في أكاديميات الطب على مستوى الجامعات التي بدأت تنتشر مع قرب بداية الألفية الثالثة .

فعمل في مستشفى خاص تابع لإحدى كليات الطب ليجمع بين التدريس والعمليات الجراحية فكان في أقل من شهرين يمارس وظيفته الدنيوية .

وقد اعتاد الاتصال يوميا أو يوما بعد يوم بطليقته وابنته شمس ، وكان الاتصال قصيرا عن الحال والصحة .

أما زهيرة فبعد رحيله أحست بالفراغ الذي تركه سامر في حياتها الخاصة ، ففقدت جمال الحياة الأسرية رغم ظروف عملهما كأطباء وسهر ومناوبات ودورات ورحلات .. كانت اللحظات اللواتي يلتقيان بها حميمية ومثيرة وممتعة لعواطفهم ومشاعرهم ودنياهم .. شعرت بالوحدة وذهاب الأنس مع وجود شمس ومع وجود الخادمة القديمة التي رافقتهم الحياة منذ أيام هاليفاكس .. حلت عليها الكآبة حتى اضطرت بعد شهرين وأكثر أن تزور العيادة النفسية ، فشجعتها طبيبة العيادة النفسية على الاختلاط بالناس والأصدقاء والإكثار من السهر خارج البيت حتى لا تشعر بالوحدة الجسدية ، وأن فقدان الزوج سيزول بعد عدة أشهر .. لكن أين ستسهر زهيرة ؟ هي كانت تستقبل الزوار وعائلاتهم لوجود سامر معها ، ويذهبان معا غالبا لزيارة تلك العائلات ، وهي التي اعتذرت لزميلها هنري ، وطلبت منه عدم زيارتها بعد انفصالها عن سامر وقالت له : أنا وحيدة يا دكتور ، فعرض عليها أن يتردد عليها بصحبة جنفيفاف زوجته ، والعاملة أيضا معهم في المستشفى ، فهي طبيبة في قسم الأطفال ، فرحبت بها وحدها بدونه ، فلذلك خفت زيارة العائلات لها ، وأكثر أصدقائهم عائلات .

وأدرك هنري المحنة التي تمر بها زهيرة ، وأدركت زهيرة كم فقدت بطلاقها ! وأن سامرا ترك

فراغا كبيرا في البيت وكيانها ، وتمنت لو أنها فكرت جيدا بمثل هذه الوحدة ؛ لربما سافرت ، ثم تقول لنفسها كان يريد الزواج عليها .. فات الأوان يا زهيرة .. هل يا ترى تزوج الآن؟

لم يتزوج سامر بعد رغم إلحاح أمه الشديد فيقول : فلنصبر يا أمي لعل زهيرة تراجع نفسها وتعود بالبنت .. هي لا تطيق الضرة هذا ما لمسته من أحاديثنا

كان أخوته كلهم يلحون عليه بالزواج والتعجل فيه من أجل الذرية ، فهو يقترب من الأربعين وليس له إلا بنت واحدة ، وربما لا تعود فيرد باسما : لما ألتق بابنة الحلال قد أتزوج

ـ قلة فتيات في الجامعة والمستشفى

ـ أحب الزواج من فتاة هذه المرة من خارج القطاع الطبي والصحي

فترد عليه أخته أسماء : هذه أسهل .. لدي فتاة لم تتزوج بعد ..عمرها ثلاثة وثلاثون عاما، تعمل في قطاع المال مؤسسة مالية كبيرة .

ـ عانس هي ؟

ـ عانس بعد ، كادت تتزوج أكثر من مرة ، وتحدث ظروف فيفشل الزواج ، وقد حكت لي بعضها

ـ أصديقة لك ؟

ـ لا ، تعرفت عليها عن طريق أخت لها طبيبة مثلي ، تعمل معنا في العيادة

ـ على كل حال اصبروا عليّ بعض الوقت ، ولست بعجلة يا جماعة الخير

فقال غازي : أنت تكبر يا رجل .. والأيام مكسب والصحة لا تدوم

ـ أنا فعلا قد مرضت هناك مرضا حادا ، حتى طلب مني الطبيب المختص العيش في منطقة أكثر دفئا من مونتريال لبعض الوقت .. فترة نقاهة كما نقول ، وبعيدا عن ملوثات المدن الكبرى فقضيتها في نوفا سكوشا ، وهي أصلح من كويبك قليلا

لما استوعبت زهيرة نصيحة الطبيبة النفسية أخذت إجازة طويلة إلى حد ما ، وقررت المشاركة في رحلة سياحية داخلية في التنقل بين مقاطعات كندا الغربية حيث المحيط الهادي ، وتركت

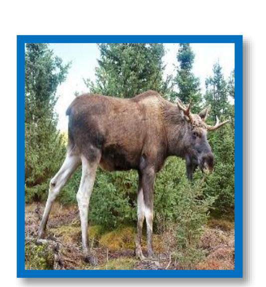
شمسا بصحبة الخادمة كما هو المعتاد بالنسبة للأمهات العاملات ، وطلبت من الخادمة الرد على تلفونات سامر ، وتعتذر له برحلتها وجولتها الداخلية ، وعلمت أن رحلتها تستغرق ستة أسابيع بين الطبيعة والحدائق والمتنزهات والمتاحف والماء والأسواق ..

بدأت رحلة الدكتورة من مطار مونتريال الدولي ـ واسمه الرسمي مطار بيير إيليوت تروداو مونتريال ، يخدم مدينة مونتريال أكبر مدن مقاطعة كيبيك ، ويقع في جزيرة مونتريال على بعد ٢٠ كم من وسط مدينة مونتريال في مدينة دورفال وسانت لورين ـ باتجاه المحيط الهادي حيث مقاطعة كولومبيا البريطانية إلى مدينة فانكوفر وهي أكبر مدن بريتش كولومبيا ، يستطيع المرء مشاهدة أكبر محيطات العالم ، ومشاهدة الجبال والغابات والمتاحف وقاعات الفنون عدا الأسواق ومجمعاتها الكبيرة ، وكانت شركة السياحة قد حجزت لهم في فندق مستوى ثلاث نجمات لقضاء عشرة أيام في تلك المدينة والمقاطعة ، فسيقومون بجولة على متاحف ومنتجعات وحدائق ، منها متحف فانكوفر ، ومتحف فانكوفر البحري، ومتحف شرطة فانكوفر، ومزرعة الأطفال ، ومنتزه سايبريس ، ومشاهدة جسر كابيلانو المعلق ، ونقطة مراقبة فانكوفر، وممشى كول هاربور البحري ، وسوق جرانفيل آيلاند، وعالم العلوم، ومفرخة كابيلانو للسلمون(سمك مشهور) ، وملاذ جورج ريفل للطيور المهاجرة ، ورحلة لجبل جروس ، وبحيرة لوس تلاجون، وبروسبيكت بوينت ، والحدائق الصينية ومنتزه لابت هاوس بارك ، ومنتزه لين كانيون بارك ، وحديقة **UBC** النباتية.

كان البرنامج حافلا بالزيارات والجولات والنشاطات في تلك المدينة البحرية ، وهذه أول مرة تزور الدكتورة هذه المقاطعة التاريخية ، لذلك استمتعت في هذه الرحلة واستفادت معنويا وثقافيا .

بعد مضي عشرة أيام في منطقة كولومبيا رحلوا إلى مقاطعة البيرتا لقضاء أسبوعين ، وذهبوا في البداية إلى منتزه بانف وجاسبير في بلدة بانف ، فهو يقع على جبال روكي ماونتز ، وقد تأسس عام ١٨٨٥ ، ويضم الحقول الجليدية ، والجبال الثلجية ، والغابات الكثيفة، والمركز الثقافي في

بلدة بانف ، ويأوي المنتزه ما يزيد عن خمسين نوع من الثدييات الدببة والوشق والذئاب وابن عرس ، ويوفر للرواد لعبة الجولف والتزلج وركوب الخيل ، ورحلات التسلق ، والسير والتخييم ، ويمكن للزائر ركوب عربة بانف جوندلا المعلقة ، وفي البلدة عدد من المتاحف والبحيرات ، بحيرة باتريشا ليك ، وبحيرة بيراميد ليك ، شلالات مالين كانيون فولز ، وادي جونستون كانيون ، بحيرة لين مالين ، وليك مورين.



بعد قضاء بضع ليالي في بانف انتقلوا إلى مدينة كالجاري التي تتمتع بأجواء مشمسة أكثر من غيرها من مدن كندا ، وتقع في منطقة جراس لاندز البيرتا وتنتشر حولها المنتجعات الجبلية ، بالإضافة لنهر بو ريفر المثالي لصيد السمك ، وتأوي جبالها وسفوحها الدب الأسود والموظ والغزلان ، وتحتوي عددا كبيرا من المنتزهات، كندا الأوليمبي ، وفيش كريك بارك ، نوز هيل بارك ، ناهيك عن حصن كالجاري التاريخي ، وبرج كالجاري ، ومتحف تسوتينا للثقافة ، والمتاحف الحربية ، ومركز كالجاري للثقافة الصينية ، وحديقة حيوان كالجاري ، وعالم تيلوس العلمي ، وعددا من المجمعات التجارية الكبيرة ، وسوق اوكلير ، ومجمع ماركت مول التجاري انتقلوا إلى بلدة ادمون تون على نهر نورث ساسكا تشوان ريفر ، وتحيطها أخصب الأراضي الزراعية ، وتعد المدينة مركزا حكوميا وتربويا وثقافيا ، وتستضيف المدينة ما يزيد عن ثلاثين مهرجانا دوليا على مدار العام ، وفيها أكبر متحف تاريخي كندي ، وتحتوي قاعات الفنون الكثيرة ، وتضج بالفعاليات المسرحية ، فسميت مدينة المهرجانات ، وسمي ديناصور ادمون توسورس تيمنا بها ، تكثر فيها المنتزهات والحدائق ، ومركز يوهان جانزين للطبيعة ، ومحمية موتارت للنباتات ، ومتحف البيرتا للسكك الحديدية ، ومتحف البيرتا الملكي ، وتجد فيها مجمعات تسوق عالمية ، ومركز وايت مود التعليمي للخيل ، وعالم تيليوس للعلوم ، وحديقة حيوان فالي زو .

تركوا البيرتا إلى أونتاريو لقضاء عشرين يوما أخرى ، فهذه الرحلة الترفيهية تستغرق ستة

أسابيع ، سيقضون في مدينة نياجرا أياما لمشاهدة الشلالات المشهورة ، وقد رأتها الدكتورة من قبل ، لكن هذا من ضمن برنامج الرحلة للشركة ، ويشاهد هنا شلالان على نهر نياجرا ريفر الذي يمثل الحدود بين كندا والولايات المتحدة ، والذي يستقطب ملايين الزوار سنويا لهذه المدينة ، شلال أمريكان فولز ارتفاعه ٢٥ م ، والآخر هورس شو فولز الذي ارتفاعه ٥٣م ، ومن مشاهد السياحة في نياجرا عربة ويرلبول ايروكا الهوائية ، ورحلة جورني بيهايند ذا فولز ، وزيارة محمية نياجرا جلين الطبيعية ، وحدائق نياجرا باركس النباتية ، وحقول كونيكا مينولتا وبرج سكايلون تاور، والمحطة الأخيرة كانت في تورونتو التي تقع في الجهة المقابلة لمدينة نيويورك الأمريكية على بحيرة ليك أونتاريو ، وتجمع خليط من السكان من أمريكا الجنوبية وآسية وأوروبا ، فهي مدينة متعددة الثقافات واللغات ، وينعكس ذلك على الأحياء والضواحي والمتاحف والأطعمة والأسواق ، وفيها أحراش سبادريناكي ، ومتحف ريد باث للسكر ، ومتحف باتا للأحذية المشهورة عالميا ، ومتحف جورج جاردينر لفنون السيراميك ، ومتحف الشرطة ، وسوق سانت لورانس ، ومنتزه سنتر فيل الترفيهي، وقرية الرواد الأوائل ، ومرصد ديفيد دانلوب ، ومتحف أونتاريو الملكي ، ومتحف النسيج ، والبلدة الصينية ، ومتحف تورونتو للفضاء ، ومنطقة يوركفيل للتسوق ، وحدائق تورونتو النباتية .

كل شيء في كندا جعل للسياحة ، الأرض الجبال الأنهار السكان ، وقضت رحلتها بسلام ، وعادت بعدئذ لمونتريال حيث العمل والمرضى .

فلندعها تستمع بسياحتها وجمال الطبيعة ، ونعود حيث التقى ميلاد بحميد ابن عمه ، وكان والد كليهما قد مات ، وورث كل منهما ثروة لا بأس بها عن أبيه .. ورجع ميلاد بعد موت الوالد للحياة في البيت بعد أن وعد من جديد بالتخفيف من السكر ، وشغله ما زال ضعيفا ومتقطعا لا يصلح عنده إلا السكارى وزعران الحارات ، وأغلبهم يتملص من دفع الأجرة ، ويعد بحفل شراب وحشيش .

قال ميلاد لحميد وهما يجلسان على مقدمة سيارة تخضع للتصليح أمام محطة حميد للتصليح : هل

صحيح أن ابنة عمنا طلقت ؟

فترك حميد الجلوس ووقف على الأرض وتبسم ، وقال : كل الناس تقول ذلك يا ميلاد .. لقد انفصلت عن زوجها الدكتور سامر ، وبقيت في تلك البلاد البعيدة في آخر العالم .. والبقاء هناك سبب طلاقها ، رفضت العودة للبلاد ، وابنتها رفضت مرافقة أبيها .

ـ سأسعى للسفر إليها من جديد

قهقهة حميد وصاح : بعدك مجنون ! ومتعلق بأحبال الهواء والوهم يا مسكين.. يا رجل ابنة عمك أصبحت دكتورة كبيرة ومهمة .. هل تراها تقبل بك وأنت حفتري ؟!

ـ حفتري ! ما معنى حفتري يا فصيح ؟ وهي مطلقة وأنا عانس بعدي .

استمر حميد بالضحك بصوت عال ، ونادى على ابنه عماد وقال : هات شايا لعمك ميلاد يا عماد

كيف امرأة عمي اليوم ؟

ـ بخير ، كلما تصحا من غيبوبة سكر تقول تزوجت يا ميلاد ؟ أشقاؤك من امرأة أبيك يتزوجون فأرد عليها لن أتزوج إلا زهيرة .. ولما قلت لها سمعت أنها طلقت .. صدمت لم تصدق حتى قال أخي حسن يسخر مني فرصتك يا سبع الغاب

استمر حميد بالضحك مرة أخرى وقال : صرت مسخرة يا ميلاد لكل الأجيال الصاعدة .. فهذا عماد ابني ـ وكان يقدم لهما الشاي ـ يقول لماذا لم يتزوج العم ميلاد لليوم ؟! .. فأقول له عمك ميلاد عشق فتاة قبل عشرين سنة ، ولليوم يحبها ، فيقول ولماذا لم يتزوجها ؟! فأقول له طارت

فتبسم ميلاد وقال لعماد وهو يأخذ منه الشاي : شكرا على الشاي يا عماد .. كيف حالك ؟ أأنت في المدرسة أم تركت ؟

فرد الفتى : ما زلت في المدرسة ، وبعد الدوام آتي لمساعدة الحاج .. فهو لم يجد مساعدا لليوم .

فعلق ميلاد : الشباب اليوم لما يتعلم فك البرغي وينفخ العجل يفكر أنه صار معلما ويسعى لفتح محل .

ضحك حميد وقال : هذه حلوة منك .. كيف ستسافر لكندا يا معلم ؟ لقد قدمت جواز سفرك

قبل سنوات للسفارة والهجرة فرفضوك .. لطفرك .. فهل تغيرت قوانين الهجرة اليوم؟

ـ يقدمون أصحاب المواهب وأصحاب الثروات ؛ لكني سأحاول من جديد ، ربما لو رأتني زهيرة بعد هذه السنوات حزنت عليّ وأشفقت على شبابي الذابل وقبلت بي زوجا .. ما زلنا صغارا يا حميد .

ـ الشيوخ الكبار يتزوجون يا ميلاد .. المهم أن ترضى بك هي بديلا عن والد ابنتها.. لقد حاول الدكتور سامر العودة بها وابنتها ، فاختارت البقاء، فيبدو أنها ما زالت مرعوبة منك .

ـ مرعوبة! ولماذا مرعوبة ؟!

ـ إنك أبغض إنسان على قلبها .. مع أني أكاد أن أصدق أنك تحبها ، فهي تبغضك ، ولا تطيق الأرض التي تمشي عليها

ـ سأصبر سأصبر حتى يطلقني الصبر .



اتصل سامر بشقة مطلقته كالعادة التي يمارسها منذ استقر في العاصمة وفي شقة أمه ، فردت عليه الخادمة فليز دو ، فبعدما حياها طلب الحديث مع الأم ، فأخبرته بسفرها في رحلة طويلة بناء على نصيحة طبيبتها النفسية ، فاستغرب للوهلة الأولى ، ثم فكر لحظات وسأل عن البنت فأعلمته عن غيابها عن البيت لحضور حفلة ميلاد لإحدى زميلتها في المدرسة ، وأكدت له أنها لم تسافر مع أمها لطول وقت الرحلة ، وفضلت البقاء في البيت من أجل المدرسة ، فانزعج سامر لتصرف الأم أو لطول الرحلة ، وأدرك ما لازم الأم من ألم نفسي بسبب الطلاق والوحدة ، فشكر فليز دو ، وأمرها بالسلام على البنت عندما تعود من حفلة عيد الميلاد.. وشمس عندما حصل

الطلاق كانت في الصف السابع الأساسي في المرحلة الأولى للتعليم الابتدائي ، فقد قبلت في الصف الأول قبل إكمال الست سنوات .

وكان الدكتور هنري وجنفياف زوجته يهتمان بشمس خلال فترة الغياب ، كما وعدها بذلك ، وكان هنري قد رافقها للمحطة التي ستحملها في برنامجها السياحي ، وهو أيضا الذي نقل شمسا لمكان الحفل ، ووعدها بالمجيء عند انتهاء الحفل عند منتصف الليل لإعادتها للبيت.

وكان سامر يعرف طبيعة المجتمع الكندي،فالمناسبات كثيرة ، والسهرات أكثر ، والمهرجانات متعددة ، فحفلات عيد الميلاد للصغار والشباب لا تنتهي على مدار السنة ، وقد شارك في عدد منها بحكم المجاورة .. وكويبك منطقة تغلب عليها الكثلكة لفرنستها ، وقبعت تحت الحكم الفرنسي قرنا ونصف ، ثم انضمت للاتحاد الكندي ، وما زالت مهوى الفرنسيين المهاجرين، وكما أن فرنسا مهوى الكنديين من جذور فرنسية ، وسميت فترة بفرنسا الجديدة .

وعندهم مناسبات وطنية يحتفلون بها ، ويعطلون لها ، منها احتفالات أول السنة الميلادية في الأول من يناير (كانون الثاني) ، ويوم الجمعة العظيمة ، ويوم الفصح ، وهذه أعياد نصرانية مشهورة عند الأمم النصرانية في أنحاء العالم ، ويحتفلون بيوم فيكتوريا، ويكون يوم اثنين قبل ٢٥ مايو (أيار) ، وأهم عيد وطني يوم كندا ، ويكون في الأول من يوليو (تموز) ، وله ترتيب معين عندهم ، ويحتفلون بعيد العمال في أول اثنين من سبتمبر (أيلول) ، ونحن العرب نحتفل به في الأول من أيار ، ويوم الشكر ثاني اثنين من أكتوبر(تشرين أول) ، لأن أيام الآحاد عطلة رسمية باستمرار ، وفي ١١ نوفمبر عيد الذكرى .

يُحتفل ببعض أيام العطل الرسمية في كل كندا ، والبعض الآخر فقط على مستوى المقاطعات أو إقليم محدد . من مظاهر العيد لديهم إغلاق المدارس الرسمية ، والمكاتب الحكومية ، والبنوك ومكاتب البريد ، ومحلات بيع الخمور ، ومعظم الشركات الأخرى تغلق أبوابها أيام العطل ، أما المعالم السياحية والمطاعم والمتاجر الصغيرة فالعديد منها يبقى مفتوحاً.

أذكر هذه الأعياد والمناسبات لتعلم عظمة الإسلام في تقليل الأعياد والمناسبات ، وأيضا للثقافة

والتعرف على شعوب العالم الجديد ، وأيضا لأن صاحبة القصة وزوجها عاشوا في تلك البلاد ، وشاركوا واحتفلوا مع هؤلاء الأجانب ، وأخيرا لتقارن بين أعياد تلك الأمم وتقليد العالم الإسلامي والعربي لهم في بعض أعيادهم ومناسباتهم ؛ لترى ضعف الأمة المغلوبة والمقلدة .

يحتفل بعض الناس في كندا في الأول من يناير بيوم رأس السنة الجديدة بمناسبات تدعى ليفي والليفي هو نوع من الاستقبال الفريد لكندا والذي يعقد من قبل الحاكم العام ، وحاكم المقاطعات ، والعسكر وغيرها ، وذلك بمناسبة بدء عام آخر ، ولإتاحة الفرصة للناس للتحية تفتح العديد من المراكز الاجتماعية والحانات في الأول من يناير ، لتقديم حليب الموظ (شراب البيض والروم) من الصباح الباكر حتى وقت متأخر من الليل .

يحتفلون بيوم عيد ميلاد كندا وبتشكيل دولة كندا بالحفلات الموسيقية والألعاب النارية والأطعمة ، تجتمع العائلات والأصدقاء معا للشواء ، ويتم تنظيم احتفالات في جميع أنحاء البلاد .

يوم الولادة يوم العطلة هذا هو للاحتفال بـ 'أعياد ميلاد' نوفا سكوشا وجزيرة الأمير إدوارد كمحافظات ، ويقع نهار الاثنين الأول في أغسطس ، يطلق الناس عليه في بعض الأحيان اسم ' عطلة الحكومة الفيدرالية' ويتم إغلاق مكاتب الحكومة الفيدرالية والخدمات مثل مكاتب البريد وخدمات كندا.

يحتفل بعيد الشكر في كندا ثاني يوم اثنين من شهر أكتوبر ، في نهاية موسم الحصاد ، هذا هو اليوم الذي يقدم فيه الكنديون الشكر للأشياء والناس في حياتهم ، يحتفل أهل البلاد بتناول وجبة خاصة مع العائلة والأصدقاء ، وعادة ما تتضمن الوجبة ديك الحبش ، البطاطا المهروسة الخضار وفطيرة اليقطين .

يوم الذكرى يتذكر ويكرم الكنديون المحاربين القدامى ، وأفراد القوات المسلحة ، ويحتفل بهذا العيد في الحادي عشر من نوفمبر وهي الذكرى الرسمية لانتهاء الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٨ . عيد ميلاد يسوع هو احتفال مسيحي ، ويزعمون أن رسالته الرئيسية هي 'السلام على

الأرض ومع ذلك فقد أصبح أيضا احتفال تبادل الهدايا بين أفراد العائلة والأصدقاء ، وهو العطلة الأكثر إثارة خلال السنة للكثير من الكنديين. تنظم العديد من الشركات والمنظمات حفلات لتبادل المواد الغذائية والتمتع في فترة عيد الميلاد. تضع العائلات شجرة الميلاد في المنازل ويتم تزيينها بالأضواء والزخارف احتفالا بالعيد ، كما توضع الزخارف أيضاً في الخارج ، بالإضافة إلى الأضواء الملونة والشخصيات الموسمية في المنازل والساحات.

المسلمون المتأثرون بهم المقلدون لهم الذائبون في هواهم يظهرون مثل هذه الأضواء والهلال والفانوس في رمضان والأعياد ، بل البلديات تهتم بمثل هذه الزينة علامة للاحتفال والاهتمام

يعتقد الأطفال النصارى أن بابا نويل سيجلب لهم الهدايا عشية عيد الميلاد إذا أحسنوا التصرف خلال العام ، فيكتبون رسائل إلى سانتا كلوز الرجل الثلجي ، الذي يعتقدون أنه يعيش في القطب الشمالي ، ويطلبون منه تقديم الهدايا. وفي صباح يوم عيد الميلاد تتجمع الأسرة حول شجرة عيد الميلاد وتفتح الهدايا.

بوكسينغ داي هو يوم ما بعد عيد الميلاد ، كان هذا اليوم في الأصل ، يوم استراحة بعد احتفالات عيد الميلاد وزيارة العائلة والأصدقاء ، ولكنه اليوم أصبح يعرف باسم عطلة التسوق حيث يتم تنزيل الأسعار بشكل كبير لزيادة المبيعات ، وعادة ما تكون المحلات مغلقة في السادس والعشرين من ديسمبر (كانون الأول) ، تبدأ المبيعات الكبيرة في اليوم التالي ، وتستمر حتى رأس السنة الجديدة.

يحتفل بعيد الحب في ١٤ من فبراير ، يحتفل هذا اليوم بالحب والمودة ، حيث يعبر الأزواج عن الحب لبعضهم البعض ، ويتبادلون البطاقات والهدايا كالزهور والحلوى على شكل قلب أو مربعات الشوكولاتة والتذكارات ، ويذهبون في مواعيد ، يتبادل الأطفال في الكثير من الأحيان بطاقات عيد الحب في المدرسة. وفي بلاد المسلمين ينتشر إهداء الورد الأحمر والقلوب الحمراء بين المراهقين في مناسبة هذا العيد إنه التقليد الأعمى !

عيد القديس باتريك في ١٧ مارس ، كان هذا اليوم في الأصل تكريما لقديس إيرلندا سانت

باتريك ، أما اليوم فأصبح حدثا اجتماعيا للاحتفال بالثقافة الايرلندية ، يرتدي الكثير من الناس في هذا العيد الملابس الخضراء ، ويحملون نباتات النفل ويعتمرون القبعات الايرلندية ، ويفرطون في الشرب (تقاليد سيئة من الفولكلور الايرلندي في هذا اليوم) ، وبعض المسلمين يحتفلون بميلاد الأولياء كما يزعمون .

عيد الأم الأحد الثاني من مايو ، يكرم الناس الأمهات في أسرهم بالبطاقات والهدايا ، وقد أصبح تقليدا لتقديم وجبة الإفطار للأم في السرير ، أو البرنش (الفطور أو الغداء في وقت متأخر) في أحد المطاعم ، ووفي بلادنا يهتمون بعيد الأم في آذار .. أرأيت التقليد ؟!

عيد الأب يكون يوم الأحد الثالث من يونيو ، هذا اليوم هو احتفال لتكريم الآباء، وهو يكمل عيد الأم.

الهالوين في ٣١ أكتوبر ، يستند هذا اليوم على تقليد وثني كوقت الأشباح ، العفاريت ، والسحرة ، فقد أصبح يوما لتمتع الأطفال بارتداء الملابس والسير على الأقدام من باب إلى باب في أحيائهم ، قائلين 'ترك أور تريت' للحصول على الحلوى ، تزين المنازل بأوراق الشجر الملونة واليقطين المنحوت ، وفي بعض الأحيان بالمخلوقات المرعبة المضحكة الشكل.

يتمتع الشباب والكبار أيضا بالهالوين من خلال تنظيم وحضور الحفلات والتنكر بالملابس في الأيام التي تؤدي إلى ٣١ أكتوبر.

هذه أعياد ومناسبات كندا الرئيسة ، وإلا المهرجانات والمسارح والرياضة الصيفية والشتوية لا تنقضي لكبر مساحة كندا وتعدد مناخاتها .

قضت زهيرة رحلتها غربا وجنوبا حسب خطتها وتعاقداتها مع شركات سياحية شائعة في تلك البلاد ، فكندا أكبر دولة مساحة في العالم بعد الاتحاد السوفيتي الذي اختفى وتمزق دولا ، وما زالت روسيا تحتل المرتبة الأولى مساحة في العالم ، وقد عادت مسرورة من تلك الرحلة الشاقة وأخذت تستعيد حويتها ونشاطها ، وقد تلاشى شريك حياتها بعد هذه الرحلة رويدا رويدا .. حتى أن جراح الولادة في المستشفى هنري رئيسها ، لاحظ تلك السعادة والحيوية التي عادت

إليها ، ولاحظ همتها في العمل والمعالجة ، فسألها عن آثار تلك الرحلة ، فقالت سعيدة : الآن أدركت أنني أخذت القرار الصائب .

ـ وهو ؟

ـ البقاء هنا .

ـ أنسيت سامرا ؟

ـ لم أنساه ، فهو والد شمس ، إنما نسيت السنوات التي عشناها سوية .. لقد أصبحت ذكريات

فقال ضاحكا : إذن تزوجيني ما دمت قد نسيته .

تبسمت في وجهه وقالت : أتزوجك ؟! كيف ؟ أولا أنت متزوج ، وثانيا أنا مسلمة .

ـ ولماذا أنتم تتزوجون منا ؟!

ـ هكذا يقول الدين يا هنري .. المسلمة لا تتزوج إلا مسلما.. والدين يجيز للرجل المسلم الزواج من نصرانية أو يهودية ، وتسمى في القرآن عندنا كتابية .. أنت ثقافتك عن الإسلام جيدة كما أخبرتني ذات مرة .

ـ بل مرات ، وأنا أعرف عن الإسلام ودين الإسلام أكثر من كثير من المسلمين هنا .

ـ هؤلاء مسلمون بالوراثة يا هنري .

قال : رغم أن المجتمعات في كل العالم لا تخلو من الزنا والفواحش؛ لكن المجتمعات الإسلامية أفضلها وأقلها زنا .. بل علمنا أن في بعض المدن العربية والإسلامية تقتل النساء باسم الشرف إذا فجرت .. نحن إذا بلغت الأنثى العشرين سنة ، ولم تعرف المعاشرة والجنس تصبح أضحوكة وسخرية للجنسين ، لابد لها من المصاحبة والمواعدة وممارسة الحب في سن المراهقة ، وتعتبر غير ناضجة إن لم تفعل ذلك

ـ لاحظت ذلك .. وما أكثر عمليات الإجهاض في بلاد الغرب حسب زعم الصحف والمجلات وإذا كانت ممنوعة بالقانون ، فنحن نعالجهم بعد عملية الإجهاض .. هل قمت بعمليات إجهاض ؟

ـ الكثير يا زهيرة وهذه مهنتي ومهمتي .. مع استخدامهن الوقاية من الحمل يقع الحمل .

ـ في مستشفيات خاصة

ـ خاصة وغير خاصة .. ألا تريدين الزواج مني يا زهيرة ؟

ـ مجنون أنت !

ـ أعلن إسلامي إذا قبلت بي .

ـ وجنفياف !

ـ عشاقها كثر ، وستقبل بالطلاق .



الدكتور هنري

هنري تيدي جوليانز جراح مهم في قسم الولادة في المستشفى العام ، وهو من أصول فرنسية ، فهو كندي أصيل كما نقول ، لما عملت زهيرة كطبيبة نساء وتوليد وفي عيادات طب الأسرة ، التقت به بحكم الوظيفة ، وكان بينه وبين سامر معرفة سطحية بحكم عملهم في مستشفى واحد ومع عمل زهيرة في نفس المستشفى ازدادت المعرفة ، وتعرفوا على زوجته العاملة في المستشفى الطبيبة جنفياف بوكر ، كندية ومن جذور فرنسية مثل هنري ، فتعمقت المعرفة والصحبة ، وصار بينهم تبادل الزيارات والتهنئة بالأعياد الإسلامية والنصرانية والوطنية الكندية ، ولهنري بنت واحدة مادلين ، عند طلاق زهيرة كانت تدخل سنتها الأولى في الجامعة وكلا الزوجين من أتباع المذهب الكاثوليكي ، المذهب الذي يتبع كنيسة روما .

وهذا الرجل كغيره من الغربيين مغرم بزيارة الشرق كمصر والعراق وسوريا وإيران وفلسطين فلهم جولات سياحية في الإجازات إلى تلك البلاد ، كان في بعضها يرافق زوجته وأحيانا كثيرة وحده .

وللرجل اهتمامات بالصحافة وثقافة الشعوب ، فهو يكتب في الصحف الكندية والأمريكية خاصة صحف نيويورك وواشنطن ، والمجلات العلمية والطبية .

كاشفت زهيرة الطبيبة جنفياف بوكر موريسن بكلام زوجها ورغبته بالزواج منها فقالت لها : ليتك تفعلين ذلك ! هنري أصبح مملا وعجوزا لا يصلح للنساء ، ولكنه كاثوليكي من الصعب أن يغير دينه .. وهو منذ أيام سامر يرغب فيك كزوجة ، ويحلم بالاقتران بك ، حدثني عن ذلك صراحة .. فالرجل يشتهيك منذ عهد بعيد ، لا تتألمي من صراحتي .. فقد تمناك أمامي أكثر مرة زاعما أنه يحلم بالزواج من امرأة عربية ، فأقول له أكثر العربيات مسلمات ، ولا يتزوجن المسيحيين، فيقول أكفر بديني وأعتنق دينها .. وقد فرح بطلاقك من سامر ، وربما كان أفرح الناس بذلك .. هو طبعا يجعل اعترافه مزحا ومغيظا لي ونوعا من الفكاهة .

كانت زهيرة تسمع هذا الكلام المفاجئ ، وتتعجب منه ومن صحته ، فلم يحاول هنري رغم

سنوات عملهما معا مغازلتها وإثارتها ، مع أنه كان أحيانا يتلفظ بألفاظ فاحشة ، لكن ليس أمامها وحدها ، بل أمام عدد من العاملين ذكورا وإناثا .

لذلك تساءلت زهيرة في نفسها هل هذه المرأة صادقة لصراحتي معها أم مقهورة غاضبة ؟! أنا كنت أظنه مازحا معي مشفقا .. يشتهيني اللعين .. هذه هي نتيجة الاختلاط بالرجال

واستمرت جنفياف تكشف عورات زوجها حتى ملت زهيرة ، وغادرتها لمكان عملها في المستشفى ، فلما جلست ترك هنري الساعة وقال وهو يتركها : فضحتني جنفياف أمامك لم تبق عليّ سترا .

ـ أكانت تتكلم معك ؟

ـ نعم ، هل هذه امرأة ؟!

ـ كيف تزوجتها يا هنري ؟!

ـ هي بالطبع ليست أول امرأة في حياتي ، أنا صاحبت الإناث منذ سن المراهقة ، وهذا عندنا أمر طبيعي ، ليس كالشرق عندكم .. هنا في هذا المستشفى التقيت بها ، ولما تزوجتها طبعا لم تكن عذراء ، فهذا غير مهم عندنا ، فالعذرية عيب .

ـ أسمع عن ذلك

ـ تعارفنا يا مدام زهيرة ، وعشنا مدة سنة كأزواج ، ولما حملت بمادلين عقدنا الزواج ، لم نحب أن تلد طفلتنا غير شرعية ولو شكلا ، ولما ولدتها وعملنا فحص **DNA** استمر الزواج ، فالبنت مني أنا ، وأنا أعرف أصدقاءها ، لا تظني أني مغفل ، وأنا نفسي لي عشيقات وصديقات ، فالخيانة الزوجية أمر مباح بيننا .. ربما لو تزوجت شرقية قد يحدث الاستقرار لديّ .. فكري بعرضي عليك إلا إذا ما زلت تحنين لزوجك الأول ، فالشرقيات عندهن مثل هذا الهاجس ، تترمل المرأة صغيرة وتظل طول عمرها أرملة بحجة الأولاد ، وإذا وافقتي على زواجنا سأطلق امرأتي ، وهي لا تمانع ، ستفرح بذلك وقد ترقص سعادة وتحتفل، فهي تعتبرني عجوزا ، ثم أشهر إسلامي في المركز الإسلامي في عاصمة كندا أوتاوا ، ونتزوج على طريق الشرقيين ،

وسنقضي شهر العسل في أي مكان تختارينه من العالم .

ـ عندي مشاكل في الجهاز التناسلي ، فأنا غير صالحة للحمل والولادة .

ـ ليس مهما ، بل أحسن ، أنا أبحث عن الاستقرار النفسي ، والاطمئنان عندما أنام أن لا يدخل رجل بيتي ، وينام في حضن امرأتي على مسمع ومرأى مني ، يعاشر زوجتي وأنا مطروح كالدابة بالله عليك أن تفكري جيدا .

ـ ألا تزعل جنفياف مني ؟

ـ ستشكرك أنك خلصتيها مني ، ومن بعض الغيرة التي تبدو مني .

ـ معقول !



فصار هنري كلما يلتقي بزهيرة في العمل والمكاتب أن يكون حديثه حول الزواج والطلاق ، ويسألها ملحا هل فكرت بأمرنا ؟ إني أبحث حقيقة عن الدفء العائلي والاستقرار العاطفي والأمان على شرفي

فتبتسم له زهيرة : صدق أنني أفكر جديا بها تردد ، وإنها عاداتكم تختلف كثيرا عن عاداتنا وطباعنا يا دكتور هنري ، وأنت نفسك اعترفت لي بتكرار خيانتك الزوجية .. فأنا لا أطيق هذا الوضع كما تقبله جنفياف ؛ لأنني لا أسمح لنفسي بالخيانة لأغيظ زوجي والمعاملة بالمثل .. وليس المهم يا دكتور الذهاب للمركز الإسلامي وإشهار إسلامك ، فالإسلام التزام حق ، وليس كما ترى الكثير من المسلمين هنا أو حتى في بلاد الإسلام .. سكر وخمر وزنا وفجور .. فهؤلاء مسلمون بالاسم والله أعلم ..

وبعد صمت عميق من هنري تابعت زهيرة قائلة : هل تستطيع يا هنري أن تبتعد عن الخمرة والنساء ؟ ستقول ها هم المسلمون يسكرون ويزنون .. هل كل النصارى يمارسون الدين

والطقوس النصرانية ؟ قد يكون من أتباع لينين وماركس والناس تعده من النصارى .. عندما نقرأ في ملف بلاد أو مدينة سكانها كاثوليك إنجيليون أقلية مسلمة نظامها الحكم الشيوعي .. كم عدد هؤلاء الشيوعيين ؟ هذه كويبك فيها أحزاب ، وأحدها يطالب بالانفصال والعودة لدولة مستقلة تابعة لفرنسا الأم .. فأرى أن نبقى أصدقاء .. فالإسلام يا دكتور ليس ورقة واعتراف من الجامع بأنك مسلم .

ـ قد أصير مسلما حقيقيا على يديك .

عاودها الابتسام قائلة : عندما تصير مسلما حقيقيا ؛ لعلي أقبل بك زوجا بلا تردد .. اقرأ عن الإسلام ، وتعرف عليه بصورة حقيقة ، ولا تتعرف على الإسلام من الناس ، كان معي في الجامعة مبعوثون من بلاد إسلامية ، لا يعرفون شيئا عن الإسلام .. تعلموا في مدارس علمانية لا تعلم شيئا عن الدين ، ولا أظن أنهم مسلمون إلا بالاسم .

فقال هنري بضيق : عقدت الأمور يا زهيرة !

فردت زهيرة : اسمع إذا كانت عقدتك الزواج من عربية فحسب ، فيمكنني أن أسعى لك بذلك ، فهنا أسر عربية مهاجرة من سوريا ولبنان والعراق ومصر ولا يعترضون على مثل هذا الزواج .

ـ أنا رغبت فيك أنت .. ولي صديقات من مثل هذه الأسر ، وقضينا ساعات وشهوات ، وهم مثل بنات الأمة الكندية .. فيك شيء يجذبني إليك .. رغم أنك لست بالحسناء التي يتغزل بها الشعراء .. لا تغضبي .

ـ أنت تدفعني لأرحل من هنا ، وأغير مكان عملي .

ـ أرجوك ألا تفعلي ، سأفكر بالإسلام الذي تتحدثين عنه .. لنبق أصدقاء كما كنا .. ستسمعين قريبا خبر طلاقي ، قد تحدثنا في الأمر ولم تعترض وقالت الأمر سيان عندي يا هنري! .. أرأيت أنها غير متمسكة بي درجة واحدة ؟!.. فلها عشاقها !

ـ أكثر العاملات هنا متخذات أصدقاء .. زواجهم (بوي فرند) كما تسمونه شركاء المنزل ..

كل هذا حتى لا يتحمل الرجل النفقة على المرأة وعلى أولاده.

ـ ولماذا ينفق عليها وهي تعمل معه ومثله ؟! هل تقضي وقتها في البيت وترعى أولاده ؟.. ويلجأ الناس لهذا الزواج أو العلاقة حتى لا يتقاسما الثروة عند الانفصال والطلاق القانوني ، ولا يرثا بعضهما .. فعند الخصام والشقاق يذهب كل في طريقه ، ويبحث له عن أنثى جديدة، وهي تفعل مثله .. وإذا كانت لديها شقة فستجد الذكر سريعا .

ـ وهل هذا زواج ؟!

ـ يسمى زواجا ، وما هو بزواج .. هو وقت لقضاء الشهوة مثل الكثير من الحيوانات .. هو شبيه بالزواج .. ظاهره أن المرأة لرجل واحد ، وكذلك الرجل له امرأة واحدة .. وهناك من يبغضونه وأمامهم دور البغاء ، وحانات الدعارة والمومسات .

بعد حين لم يكن طويلا سمعت زهيرة انتشار نبأ طلاق هنري مدير قسم جراحة النساء في المستشفى العام بالمدينة من زوجته جنفياف موريسون ، ومغادرته إلى الولايات المتحدة في إجازة فلما التقت زهيرة بجنفياف سألتها عن صحة الخبر ، فأكدت الدكتورة جنفياف صحته ، وقالت: أنا منذ زمن بعيد طلبت الانفصال ، بعد ولادة مادلين بخمس أو ست سنوات ؛ لأننا تزوجنا قانونا بسبب حملي بمادلين ، فلم يحب هنري أن تلد ابنته ابنة غير شرعية ، مع أن هذا ليس مهما في بلادنا .. لا تظني أنك سبب طلاقنا ، فنحن زوجان بالاسم ، فهو له صديقاته ، ولي أصدقائي .. الحمد لله انتهيت من هذه القضية .. وأنتما متى ستتزوجان ؟

ـ نتزوج ؟! لن نتزوج يا جنفياف ، الحياة معه لن تكون سهلة حتى لو أشهر إسلامه كما زعم فطباعنا نحن الشرقيين غير طباعكم أنتم الغربيون .. زواج لو حصل لا أعتقد دوامه .. أنا لا أحتمل أن أراه مع عشيقته أو خليلته.. فسأبقى بغير زواج .. خير لي ذلك .. وعملي كما ترين يستغرق وقتي .

تفاجأت المرأة بذلك الجواب فعقبت تقول : أنا ظننت أنه أسرع بالطلاق ليتزوجك بعد إشهار إسلامه .

ـ تحدثنا عن ذلك الزواج والرغبة بالإسلام ، ولكنني قلت له الإسلام ليس مجرد كلمة وانتهى الأمر والموضوع .. الإسلام تحقيق والتزام بمقتضى ومراد تلك الكلمة .. وهؤلاء المسلمون الذين يعيشون هنا لا يمثلون الإسلام الحقيقي .. رأيت مساجد في بعض المناطق الكندية لا أظن أنها تستخدم إلا أيام الجمع والأعياد الدينية .. لا أدري كيف بنيت وهي مهجورة ؟

ـ قد تكون بنيت في ظروف معينة ، وانتقل المهاجرون والوافدون لضاحية أو مقاطعة أخرى والغريب يا زهيرة أن هنري بعدما كمل الطلاق سافر إلى الولايات المتحدة .

ـ لماذا ؟!

ـ لم يقل لي شيئا .. قال اهتمي بمادلين ومصروفها وعندما أعود سأدفع لك .

فقالت زهيرة : في الأيام الأخيرة قبل سفره المفاجئ ، كان الرجل يكثر من الصمت والتفكير والبحلقة فيّ ؛ كأنه يسعى لغور وسبر أعماقي .. فقلت لنفسي ماذا أصاب الدكتور هنري؟! وأخذ يتملص من مرضاه ، ويحولهم لي أو لزميلنا إدوارد .

ـ المهم بالنسبة لي يا دكتورة زهيرة أنني أخذت حريتي ، وارتحت من غمزه ، فكلما يعلم أنني سهرت مع صديق أو زميل أو قضيت ليلة خارج شقتنا ، فلما يراني فيقول من صاحب الحظ السعيد الذي قضيت ليلتك بين ذراعيه ؟ ؛ كأنه نظيف شريف .. وبعد لحظة صمت تابعت : هو له صديق مهم في نيويورك ، زارنا عدة مرات ، وأعتقد أنه طبيب مثلنا ، التقيا في رحلة سياحية وتصاحبا بعد تلك الرحلة ، ويتزاوران ، فعندما يذهب أمريكا يلتقي به ، والآخر عندما يأتي هنا يجتمعان ، وصاحبه هذه يحب الرياضة ومشاهدة مباريات كرة السلة سواء في مونتريال أو نيويورك وحتى لوس أنجلوس .. وقد عمل هنري فترة من حياته معالجا لإحدى فرق السلة في الولايات المتحدة .. ، فقد تكون هناك بطولة عالمية أو محلية فذهب لمتابعتها بعد تحرره من قيد الزواج .. وهنري محب لعمله كما تعلمين ، ويمارسه بإخلاص مع أنه قد يبدو للعاملين معه كأنه يلعب .. فإجازته كما فهمت شهرا وقابلة للتمديد ؛ لعله ذهب لمشاهدة تلك البطولة ولهنري كما تعلمين شركة في نيويورك مع عم له .. وقد سمعته قبل شهر ـ أتذكر ذلك الآن ـ

يقول إن عمه مريض ويفكر بزيارته وعمه من سكان تلك المدينة .

تبسمت زهيرة لها ـ فهي فعلا قد سمعته يتحدث عن تلك الشركة أكثر من مرة ـ ثم قالت : عندما يعود سالما نعرف سبب هذه الرحلة السريعة بعد الطلاق الذي لوح به من شهور .

ضحكت جنفياف وقالت : شهور ، لا ، بل من سنين ، منذ تزوجنا .. فهنري حقيقة أنه طبيب جيد ، وللأسف لا يصلح للحياة الزوجية المستقرة .. وغير ناضج للمعاشرة الزوجية .. مبارك عليك يا زهيرة .

ـ عليّ ! هو نصراني

ـ سيسلم إذا قبلت به .. الزواج حاجة بشرية

ـ لما يسلم فسوف نفكر .



كان السيد حميد أبو محمد قد تعلق بجماعة التبليغ الإسلامية الهندية المنشأ ، وكما هو معروف تاريخيا بعد سقوط آخر دولة خلافة إسلامية ١٩٢٤ ، بدأت تنشط وتكبر الجماعات الإسلامية في دول العالم الإسلامي ، وأخذت الجمعيات الدينية تزداد وتنتشر .

فنحن وجدنا صدى كبيرا لتلك الجماعات والجمعيات وارتداداتها في العالم الإسلامي .. كانت بلدان المشرق العربي داخل كيان واحد ، فأمست دولا شتى ، سواء في الشام والعراق والجزيرة العربية .

والتاريخ يذكر أن الشام أصبح بعد سقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ أربع

دول ، سوريا ، لبنان ، فلسطين ، الأردن لأنها شرق نهر الأردن .

ومن الجماعات التي نشطت في بلادنا العربية أو بعضها بعد حرب حزيران ١٩٦٧ جماعة التبليغ ذات الجذور الهندية ، ثم الباكستانية بعد انقسام الهند كالشام لعدة دويلات بعد الحرب الكونية الثانية ١٩٤٥ .

ووجدت هذه الجماعة قبولا بين المسلمين في بلاد الشام ، وربما أنشطها حركة ودعوة فرعهم الأردني ، فتكّون لهم مركز مهم في الأردن .

وهذا الجماعة مرحب بها على المستوى الرسمي والشعبي في بعض الدول العربية ، فسمح لها بالنشاط في المساجد شمالا وجنوبا ، لأنهم يبتعدون عن السياسة والاقتصاد والحكم والاحتجاجات والصحافة ، ولا هدف لهم إلا دعوة الناس للتوبة والصلاة في المساجد جماعة ، والخروج معهم في جولات بين الأحياء والمناطق والمدن بما يطلقون عليه الخروج في سبيل الله .

ومعظم نشاطهم الدعوي بعد صلاة العصر ، ثم يجلسون في المساجد بعد أداء صلاة المغرب لبيان الصفات الستة التي يدعون إليها الناس المصلين ولهم جولات محلية لأعضاء منهم يسكنون في حي واحد أو أحياء متقاربة أو شارع كبير أو مدينة صغيرة ، وهذا الاجتماع يسمونه جولة مقامية ؛ لأنهم يتجولون حيث سكناهم وبيوتهم ، يدربون أنفسهم، ويُقوون إيمانهم كما يدعون ، وتكون الجولة المقامية مرة واحدة في الأسبوع ، وبعد صلاة المغرب يلقي أحدهم موعظة على رواد المسجد الذي تجولوا حوله ، وهناك جولة انتقالية ؛ لانتقالهم إلى حي آخر لدعوة الناس لصلاة المغرب جماعة وسماع الدرس الديني حول الدعوة والصفات الستة المشهورة بينهم ، وعندهم ترتيبات للخروج لمناطق بعيدة عن مساكنهم تكون بترتيب من المركز الرئيسي للجماعة ، فيخرجون في الشهر ثلاثة أيام ، وفي السنة أربعون يوما ، وفي العمر أربعة أشهر ، لكن خارج البلد إلى دولة يوجهون لها ، واليوم لهم مراكز كثيرة منتشرة حول العالم حتى العالم الغربي وأمريكا اللاتينية .

التقى حميد بهم ابتداء في مسجد الحي المقيم فيه ، وجلس يستمع لدروسهم ومواعظهم ، ثم

أصبح يشاركهم جولاتهم في الحي خاصة يوم الجمعة ؛ لأنه هو اليوم الذي يتوقف فيه عن العمل ، ورغم أن السبت عطلة رسمية في بعض البلاد العربية وبعضها الأحد ، فكان هذا يعتبر فقط للموظفين الحكوميين والمؤسسات الكبيرة ، أما أصحاب المهن والحرف لهم عطلة الجمعة فقط ، وقد تعمقت علاقة حميد مع رجال الدعوة كما يسمون أحيانا .. ويسمون بالأحباب ، أسماء تتردد ولكنها لجماعة واحدة ، ثم التحق مع الوقت بالجماعة ، فصار يشاركهم في الخروج ثلاثة أيام في الشهر ، ويذهب لمركزهم الرئيس في أطراف العاصمة .

ولما تأت جماعة منهم للحي فكان يشاركهم الاعتكاف ليلا بعد تركه شغله مساء ، ويكرمهم بالطعام وما يسمى بالإكرام ، وقد أطلق حميد لحيته بعد حين من الالتزام معهم وبمبادئهم ، ويلبس القميص الطويل (الدشداشة) ، وتوقف نشاطه معهم داخل البلاد فحسب ، وكان صديقا ومحبا لهم رغم وجود جماعات وتيارات إسلامية أخرى في ذلك الوقت ، لكن الأمر الذي لم يتيسر له برفقتهم هو الخروج لمدة أربعين يوما ، والخروج الخارجي الأربعة أشهر .

ولكل جماعة أو حزب عادة محبون ومبغضون ، فالمبغضون يتربصون العيوب والآفات ، ويضخمونها للتشويش على الحزب والجماعة ، والتشكيك بمبادئها وغاياتها ، وهذا الوصف موجود أيضا في الفرق والأحزاب التي تعمل للإسلام .

يعود تأسيس جماعة التبليغ والدعوة كما هو مشهور إلى الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ، ولد في كاندهلة ، قرية من قرى سهارنفور بالهند ، ومركزها في دلهي ، ويذكر أن الجماعة تأسست ١٩٢٦ م وقيل ١٩١٩ م حيث كان مؤسسها محمد إلياس أول أمير لها حتى وفاته ، ثم خلفه ابنه محمد يوسف حتى وفاته عام ١٩٦٥ م ، ثم الشيخ محمد إنعام الحسن ١٩٩٥ ، وهذه الجماعة معدودة ومحسوبة على أهل السنة والجماعة.

انتشرت الجماعة سريعا في الهند ، ثم في باكستان وبنغلاديش، وانتقلت إلى العالم الإسلامي والعالم العربي ، وبعد ذلك انتشرت دعوتها في معظم بلدان العالم، ولها جهود في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في أوروبا وأمريكا .

وهم يعتقدون بأنهم إذا أصلحوا الأفراد ، فرداً فرداً، فإن المنكر سيزول من المجتمع تلقائياً ، وأن الخروج والتبليغ ودعوة الناس هي أمور لتربية الداعية ولصقله عملياً ؛ إذ يحس بأنه قدوة وأن عليه أن يلتزم بما يدعو الناس إليه ، فالخروج عندهم ليس هدفا ؛ ولكنه وسيلة لتعلم اليقين وزيادة الإيمان ؛ ولتعلم أصول الدعوة وآدابها.

وهم يبتعدون بقوة ظاهرة كل البعد عن الخوض في الخلافات المذهبية والسياسية اتقاء الجدال والانقسام والعداوة والبغضاء، ولا يتكلمون في السياسة ، وينهون أفراد جماعتهم عن الخوض فيها، وينتقدون كل من يتدخل فيها، ويقولون بأن السياسة هي ترك السياسة .

لهذه الجماعة الدينية أصول للعمل تعارفوا عليها وتوافقوا على تطبيقها في مجال الدعوة في الحضر والسفر ، ولم يكتبوها في كتب خاصة ؛ ولكنهم تواصوا بها وتوارثوها جيلا بعد جيل ؛ وكأنها مكتوبة ومدونة والعمل عليها ؛ وتقوم على ما يلي : إذا خرجوا للدعوة أمرّوا عليهم أحدهم داخل الحي أو خارجه ، فليس لديهم مناصب محددة ؛ ولا وظائف دائمة ، تنتدب مجموعة منهم نفسها لدعوة أهل بلد ما ، حيث يأخذ كل واحد منهم فراشاً بسيطاً ، وما يكفيه من الزاد ، والقليل من المال على أن يكون التقشف هو السمة الغالبة عليه.. وعندما يصلون إلى البلد أو القرية التي يريدون الدعوة فيها وخرجوا إليها ينظمون أنفسهم ؛ أولاً بحيث يقوم بعضهم بالخدمة ، وبتنظيف المكان الذي سيمكثون فيه ، وآخرون يخرجون متجولين في أنحاء البلدة والأسواق والحوانيت ، ذاكرين الله داعين الناس لسماع الخطبة أو البيان كما يسمونه ، وإذا حان موعد البيان وعادة يكون بعد صلاة المغرب التقوا جميعاً لسماعه ، وبعد انتهاء البيان يطالبون الحضور بالخروج في سبيل الله ، وبعد صلاة الفجر وبعد موعظة الفجر يقسّمون الناس الحاضرين إلى مجموعات يتولى كل داعية منهم مجموعة يعلمهم الفاتحة وبعضا من قصار السور حلقات حلقات ، ويكررون ذلك عدداً من الأيام ، وقبل أن تنتهي إقامتهم في هذا المكان يحثون الناس على الخروج معهم للتبليغ والدعوة ، حيث يتطوع الأشخاص لمرافقتهم يوماً أو ثلاثة أيام أو أسبوعاً أو شهراً ، كل بحسب طاقته وإمكاناته ومدى تفرغه ، والجماعة تحدّد طريقة

لترتيب الخروج أن يكون ثلاثة أيام في الشهر ، وأربعين يوماً في السنة ، وأربعة أشهر في العمر على الأقل ، وهذا لتسهيل عملية السفر والتنقل ، وهي ليست بشرط لازم ، بل يمكن أن تكون المدد أقل أو أكثر ، لا ينزلون ضيوفا على أحد ، ويقيمون في المساجد لا يعتمد بعضهم على بعض في النفقات ، بل كل واحد منهم ينفق على نفسه من ماله الخاص في السفر والحضر ، فلا تكاد تجد واحدا منهم يعيش عالة على أخيه ، وهم يتعاونون ويكرمون بعضهم البعض ، يعتمدون بصفة كبيرة على قيام الليل في طريقتهم في الدعوة ، والتضرع والبكاء بين يدي الله حتى يهدي الله من دعوهم في النهار ، فهم يُعرفون بقيامهم الليل ، وأنه ركيزة في الدين.

هذه مرتكزات هذه الجماعة ، وبيانهم ومواعظهم تدور حول ما يسمونه الصفات الستة التي سيأتي ذكرها في ثنايا القصة ، واعلم أن جماعة الدعوة نشأت بالهند في عهد الاستعمار الإنجليزي لتلك البلاد العظيمة ، قد يكون هذا السبب الذي دفعهم لتحوير معنى الجهاد الإسلامي للخروج في سبيل الله ، فهي حركة سلمية مسالمة تبتعد كثيرا عن السياسة ، ومشاكل الأمم والشعوب ، وتختلف بذلك عن جماعة الإخوان المسلمون التي ظهرت بمصر بعدها بسنوات قليلة والتي خاضت غمار السياسة لما اشتد عودها ، وانتشر فكرها ومبادؤها ، وشاركت بالمجالس النيابية والحكومات في أقطار شتى .

وللتاريخ والثقافة قاد الجماعة بعد الشيخ محمد الياس الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ١٩١٧ ـ ١٩٦٥ م ، وهو ابن الشيخ محمد إلياس وخليفته من بعده ، ولد في دهلي ، تنقل كثيراً في طلب العلم أولاً ، وفي نشر الدعوة ثانياً ، زار السعودية عدة مرات حاجاً ، والباكستان بشطريها ، كانت وفاته في لاهور ، نقل جثمانه بعدها ليدفن بجانب والده في نظام الدين بدهلي ، حيث مركز الجماعة الأول وحيث قبور الآباء والأجداد .

بويع بعده الشيخ إنعام الحسن وهو قريب للشيخ محمد الياس المؤسس ، وعديل الشيخ محمد يوسف ، وهو الأمير الثالث للجماعة إذ تولاها بعد وفاة الشيخ محمد يوسف ، كان صديقاً للشيخ محمد يوسف في دراسته ورحلاته فهما متقاربان في السن متماثلان في الحركة والدعوة .

قرر المؤسس لهذه الجماعة ستة مبادئ جعلها أساس دعوته ، وتسمى الصفات الستة بين أنصار الحركة ، ويحصرون الحديث فيها في مؤتمراتهم وبياناتهم العامة ، ويدندنون حولها وهي الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، إقامة الصلوات ذات الخشوع والخضوع ، العلم والذكر إكرام المسلمين ، النية والإخلاص واليقين ، الخروج في سبيل الله أي الدعوة .

ويرون بأن التقليد في المذاهب واجب ، ويمنعون الاجتهاد معللين ذلك بأن شروط المجتهد الذي يحق له الاجتهاد مفقودة في علماء هذا الزمان. متأثرون بالطرق الصوفية المنتشرة في بلاد الهند ، وعليه فإنه تنطبق عليهم جملة من الأمور التي يتصف بها المتصوفة من مثل : لابد لكل مريد من شيخ يبايعه ، ومن مات وليس في عنقه بيعة ، مات ميتة جاهلية ، وكثيراً ما تتم البيعة للشيخ في مكان عام ، تُنشر على الناس أردية واسعة مربوط بعضها ببعض مرددين البيعة بشكل جماعي ، ويُفعل ذلك في جمع غفير من النساء كذلك.

ولديهم المبالغة في حب الشيخ ، والمغالاة كذلك في حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، مما يخرجهم في بعض الأحيان عن الأدب الذي يجب التزامه حيال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام . إقامة المنامات مقام الحقائق حتى تكون هذه المنامات قاعدة تبنى عليها أمور تترك أثرها على مسيرة الدعوة ، يعتقدون أن التصوف هو أقرب الطرق لاستشعار حلاوة الإيمان في القلوب ، وهذا شائع في العجم منهم

تقوم طريقتهم على الترغيب والترهيب والتأثير العاطفي ، وقد استطاعوا أن يجذبوا إلى رحاب الإيمان كثيراً من الذين انغمسوا في الملذات والآثام وحوّلوهم إلى العبادة والذكر والتلاوة . ومن المعروف والمشهور أنهم لا يتكلمون في السياسة ، وينهون أفراد جماعتهم عن الخوض في مشاكلها وهمومها ، وينتقدون كل من يتدخل فيها، ويقولون بأن السياسة هي أن تترك السياسة ولعلّ هذه النقطة هي جوهر الخلاف بينهم وبين الجماعة الإسلامية الباكستانية التي ترى ضرورة التصدي لأعداء الإسلام في القارة الهندية.

الكمال لله وحده كما نقول ، وذكر السلبيات يدفع لإزالتها أو التخفيف من آثارها ، ومما أخذه

عليهم الآخرون أنهم لا يهتمون ببيان ونشر عقيدة السلف والتوحيد الخالص بين أتباعهم ؛ بل يكتفون بالعموميات التي لا تغني في دين الله شيئًا ، كذلك لا يُنكرون الشركيات والبدع التي تعج بها بلاد المسلمين ؛ لاسيما الهند والباكستان حيث منشأ الجماعة .

وإنهم يتوسعون توسعاً أفقياً عدديا لا نوعيًّا ؛ إذ أن تحقيق التفوق النوعي يحتاج إلى رعاية ومتابعة ، وهذا ما تفتقده هذه الدعوة ، ذلك لأن الشخص الذي يدعونه اليوم قد لا يلتقون به مرة أخرى، وقد يعود إلى ما كان عليه تحت تأثير مغريات الحياة وفتنتها ؛ ولذلك فإن تأثيرهم لا يدوم طويلاً أمام التيار المادي الجارف ؛ إذ لا بد لمن غرس غرسة أن يتعاهدها.

ويأخذ عليهم خصومهم أنهم لا يضمهم تنظيم واحد متسلسل ، بل هناك صلات بين الأفراد وبين الدعاة تقوم على التفاهم والمودة ، ويؤولون أحاديث الجهاد على الخروج مما يكاد ينسي فريضة الجهاد في سبيل الله الحقيقية ، ويتساهلون كثيراً في رواية الأحاديث الضعيفة مع الإكثار من ذكر الكرامات التي تحصل لأتباعهم ولغيرهم من الصالحين.

يلجأون إلى النوم والأكل في المساجد تقليلاً للنفقة ، وينتقدهم البعض لهذا المسلك، وبخاصة في البلاد الأجنبية ، ولكن هذا المسلك لا يعيبهم طالما أنهم لا يغادرون المساجد إلا بعد أن تكون أكثر نظافة وأحسن ترتيباً.

ولذا لا يكفي عملهم لإقامة أحكام الإسلام في حياة الناس ، ولا يكفي لمواجهة التيارات الفكرية المعادية للإسلام التي تجند كافة طاقاتها لحرب الإسلام والمسلمين ، ولا ينكر أن أسلوبهم البسيط يترك أثره بشكل واضح على رواد المساجد من المسلمين ، أما أولئك الذين يحملون أفكاراً وإيديولوجيات معينة فإن تأثيرهم عليهم يكاد يكون معدوماً.

ومع ذلك أخي القارئ ينبغي أن لا يُغفل ما لهم من جهود وحماس وحركة مثيرة للإعجاب لهذا الدين ، فقد دخل على أيديهم خلق كثير إلى الإسلام في جميع قارات العالم ، وترك آخرون من المسلمين على أيديهم سبل الغواية والرذيلة ، بل استطاعوا أن يخترقوا قبل غيرهم الستار الحديدي الذي فرضته الشيوعية على بعض البلاد كالقوقاز .

قبل العودة لإبطال الرواية نذكر الجذور الفكرية والعقائدية لهذه الجماعة لتكمل الصورة المرجوة عنهم للقارئ الطيب .

فاعلم أنها جماعة إسلامية ، عقيدة مؤسسيها وكبار علمائها ودعاتها في شبه القارة الهندية هي نفس عقيدة الماتريدية ، على أن مذهبهم الفقهي هو المذهب الحنفي.. وهو مذهب القارة الهندية وتلك الأمصار ، تأثروا بالمتصوفة من مثل الطريقة الجشتية في الهند ، ويقيمون اعتباراً خاصاً لأعلام المتصوفة في التربية والتوجيه ، هناك من يعتقد بأنهم قد أخذوا أفكارهم عن جماعة النور في تركيا (أتباع النورسي بديع الزمان) ، ولا أظن أن هذا صحيحا ، إنما جاءت طريقتهم بالتدرج من جولاتهم الشائعة في نظام الملك دلهي ومناطقها .

يعتمدون في اجتماعاتهم ومحاضراتهم في البلاد العربية على القراءة من كتاب رياض الصالحين وكتاب حياة الصحابة للكاندهلوي ، وفي البلاد الأعجمية على القراءة من كتاب تبليغي نصاب وهو كتاب مليء بالخرافات والأحاديث الضعيفة.

ويطالبهم العلماء بالإقلاع عن اللجوء إلى كتابة التمائم المملوءة بالطلاسم ، وترك الأوراد والأذكار البدعية ، والاعتماد على الرؤى والأحلام كمصدر من مصادر الاستدلال والاهتمام بالعلم الشرعي وبخاصة علم التوحيد .

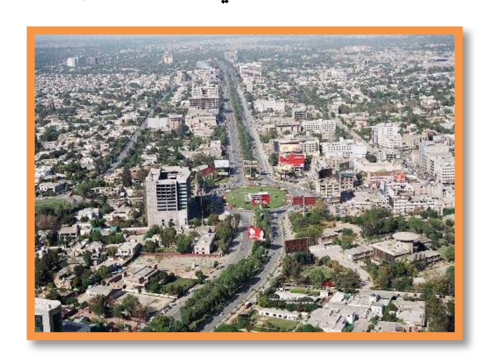
بدأت دعوتهم في الهند، وانتشرت في الباكستان وبنغلاديش، وانتقلت إلى العالم الإسلامي والعالم العربي حيث صار لهم أتباع في سوريا والأردن وفلسطين ولبنان ومصر والسودان والعراق والحجاز ، وانتشرت دعوتهم في معظم بلدان العالم في أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا، ولهم جهود مشهود لها في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في أوروبا وأمريكا.

مركزهم الرئيسي في نظام الدين بدهلي ، ومنه يديرون شئون الدعوة في العالم ، التمويل المالي يعتمدون فيه على الدعاة أنفسهم، وهناك تبرعات متفرقة غير منظمة تأتي من بعض الأثرياء مباشرة أو بابتعاث الدعاة على حسابهم الخاص.

إن جماعة التبليغ هي إحدى الجماعات الإسلامية السنية ، وتعتبر سندًا عاطفيًّا واجتماعيًّا لمسلمي

شبه القارة الهندية، وهي رمز من رموز الدعوة إلى الله في أوروبا والأمريكيتين ، وتقوم الدعوة عند هذه الجماعة، على أساس الكلمة الطيبة والخشوع في الصلاة والعلم والذكر وإكرام المسلمين والإخلاص والخروج في سبيل الدعوة ، ويمتاز دعاتها بالزهد، ولكنهم يعتقدون أن التصوف (بمفهومه القائم) هو أقرب الطرق لاستشعار حلاوة الإيمان ، مع ملاحظة ما عليها من مؤاخذات سبق التنبيه على بعضها ، نتمنى من عقلاء الجماعة تداركها ؛ ليحسن عملهم ويتوافق مع الكتاب والسنة .

انتقل الثقل ثقل الجماعة بعد انفصال الباكستان عن الهند إلى كراتشي بباكستان ، وقد تمددت الحركة إلى جميع قارات العالم وبلدانهم ، وللجماعة أمير كبير ، وفي كل دولة للجماعة رئيس معنوي ، وفي كل مدينة مندوب للتعاون والتنسيق في توزيع الجماعات على المساجد في الأحياء والدول تسمح لهم بالنشاط الدعوي لم عرف وشاع عن سلميتهم وبعدهم عن السياسة ، ولهم شبه بحركة التنصير العالمية في نشر المذاهب النصرانية ، ولهم أكثر من اجتماع سنوي ، يحضره مناصرون من أنحاء العالم ، ولهم اجتماعات أسبوعية ليلة الجمعة خاصة في المراكز الكبيرة .



تعرف حميد نبيل على الجماعة عن طريق مسجد الحي جامع الراشدون ، وأخذ أفراد الجماعة يترددون على محله لتصليح سيارتهم ؛ لأنه صديقهم ، وهو متسامح معهم بحكم الصداقة والجيرة لبعضهم ، وهم من باب الأخوة يرون التصليح عنده أولى ، فذات نهار كان حميد يصلح سيارة لأحد شيوخ الجماعة والزملاء ، فمر عليه ميلاد كما يفعل في بعض الأيام ، ورأى عنده جماعة منهم فقال متهكما : هل عندك اجتماع للمشايخ يا أبا محمد ؟ وضحك ، وضحك حميد والشيوخ ، فقال حميد : أهلا بابن العم ميلاد ، هؤلاء أصدقاء الدنيا والآخرة بمشيئة الله ، والتفت حميد لأحدهم وقال : يا شيخ حسن محمد هذا ابن عمي ومن سني ، لليوم يرفض الزواج لأنه أحب امرأة قبل عشرين سنة ..

ما رأيكم أن تجتهدوا عليه ؛ لعل الله يهديه على أيدكم الطاهرة .

فقال ميلاد متضايقا ومتأففا : أرجوكم لا تجتهدوا عليّ .. لي ديني ولكم دينكم .

فقال حسن : ألست مسلما ؟ فرد: بلى، أنا مسلم .. هل تراني يهوديا ؟

ضحك الجميع وتابع ميلاد : ولكنني لن أمشي معكم للجامع ولن أصلي

ـ لماذا ؟ من أجل امرأة تخسر آخرتك.. ومن أجل امرأة تخسر الزواج وتهجره .. ألم تفكر بالنار يوما ؟ وماذا جنيت من حبك المزعوم؟

فقال ميلاد : ما هذه الورطة يا عم حميد مع هؤلاء الشيوخ !

فقال حميد : المشايخ بركة الدنيا .. يريدون مساعدتك للخروج من ذكريات الماضي الأليم .. للخروج معهم يوما واحدا في سبيل الله لعلك تتغير

وأخذوا يتحدثون عن النار والعذاب ، وأن الخاسر الحقيقي هو الذي يخسر الجنة ، ويخسر الحور العين ، ولم يكفوا عنه حتى وعدهم بمرافقتهم إلى مسجد تنزل فيه إحدى الجماعات، وبين لهم أنه جنب ، ولا يعرف الطهارة ، فأكدوا له أن سيتعلم الغسل من الجنابة ، ووعدهم بالتوبة .

ودلهم حميد على بيته ومحله في السوق ، فصاروا يترددون عليه بين الفينة والفينة حتى استطاعوا أن يجروه للمساجد ، ويستمع لمحاضراتهم ومواعظهم .. فارتاح الشاب لمصاحبتهم ، وبعد حين أخبر ابن عمه حميد بأنه يفكر بالخروج معهم أربعين يوما ، فسر حميد للخبر وشجعه على فعل ذلك ، ورتب له خروجا مع الشيخ حسن محمد ، وخلال الخروج ترك الرجل لحيته ، وقد تمكن خلالها من ترك الخمر ، وقلص من عدد السجائر التي يدخنها ، وبالطبع ترك الدعارة بسبب توبته وتنقله بين القرى والأرياف ، وأخذ يفكر بالإسلام بشكل آخر ، وبشكل جديد ، مما أسعد كل من حوله وعرفه ، وتمنوا له الخير من أم وأخ وقريب ، وعندئذ أدرك الوهم الذي كان يعيش فيه ، فأخذ يتأثر بالقوم تأثرا كبيرا ، وبدا يتخيل نفسه داعيا كبيرا من دعاة الدعوة عندما يشاهد الشيوخ والرجال القادمين من كل بلاد الدنيا ليتعلموا الدعوة والصبر وقيام الليل ثم ينطلقون لكل بقاع الدنيا ، وقد سمع قصص شباب الدعوة وما كانوا فيه من زيغ وانحراف

وكيف حفظوا القرآن أو سورا كثيرة منه ؟ وكلما سمع ذلك يرتفع الحماس في قلبه.. فقد وصلت الدعوة والجماعة إلى أوروبا وأمريكا وروسيا .. وكان يسمع عن اجتماع يحضره الملايين من أنصار الدعوة في باكستان وبنغلاديش.. فيتحمس للخروج أربعة أشهر لتلك البلاد ، وحضور مثل هذه الاجتماعات الحاشدة والتي بدورها تدفع وتشكل آلاف المجموعات والجماعات للخروج والانتشار في بقاع الأرض .

فلما يسمع ذلك يلتهب قلبه شوقا للخروج الخارجي ، فأخذ يستيقظ من سباته ووهمه وجهله فأخذ يتعلم قراءة القرآن وتلاوته ، ولم تكد تمضي عليه سنتان معهم حتى أصبح شيخا مثلهم ، يقف أمامهم يحدثهم عن الصفات الستة ، ويدعوهم للخروج في سبيل الله ومناصرة الدعوة .. وتفاجأ الأقارب بمشيخته ، ومن الانقلاب الذي حدث له ، وعجبوا أكثر عندما علموا بسفرته لباكستان وبنغلاديش لحضور مؤتمرات الجماعة السنوية ، وقضى أربعة أشهر يدعو في تلك البلاد يدعو العصاة للتوبة والعودة للإسلام .

ولما رأى حميد صلاح ابن عمه وتوبته أعاد الشراكة التي كانت بينهم ، وظل يشجعه على الخروج الطويل ما دامت نفسه ارتاحت إليه .

لاهور ودكا

قد يكون الشيخ حميد أكثر الناس سرورا بتوبة ميلاد ، وعودته إلى حظيرة الإسلام الصالح ، حتى أنه سمع بعضهم يطلبون منه أن يخفف من تشدده نحو العصاة ، وأن ينكر المنكر بلطف ورفق ؛ فلذلك كان حميد كلما جاءه ميلاد من رحلة دعوة أو خروج في سبيل الله ـ كما يسميه هؤلاء القوم ـ يرغبه بالنكاح والاقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال من رغب عن سنتي فليس مني فيرد ميلاد : سوف أتزوج ، أريد أن أشبع من الدين ومن الندم .. قاتل الله الجهل !.. أنا أرغب بالزواج تأسيا بالحبيب ﷺ ؛ ولكنني في عطش وجوع للتوبة والدين ، لا أريد امرأة تشغلني عن السفر والدعوة إلى الله ، والسياحة في أرض الله .

ويأخذ ميلاد الذي ولد من جديد يسرد على مسامع حميد قصص الناس الذين رآهم والتقاهم

في الهند والباكستان وشرق أفريقيا .. فقد خرج للصومال رغم وطيس الحرب ـ فقد ألم بها حرب أهلية وصراع قبائل ـ فيستمتع حميد بقصص التائبين والناس ، وقد اعتاد على صنع وليمة خاصة لميلاد وبعض المشايخ كلما رجع ميلاد من رحلة خارج البلد أو خرج أربعين يوما داخل البلد وكان ميلاد يلبي الدعوة ، وكذلك الشيخ حسن محمد وغيرهم من شيوخ الحي حي الشيخ حميد.

وكان المشايخ مسرورين من انتقال ميلاد من حياة الفجور إلى حياة أهل السعادة والخير ، ويرجون أن يختم لهم بحسن الخاتمة ، والموت على التوبة والإسلام ، وقد ماتت أم ميلاد وهي سعيدة بتوبة ابنها ، وكانت تودع الدنيا وهي تقول كان مناي أن أرى أولادك يا قرة العين وماتت وهي راضية عنه ، وهي تدعو له بالثبات بعد أن صار مرتادا للمساجد بدلا من الخمارات وأصبح الرجل مثلا للناس في الحي ، وتروى سيرته الفاسدة والحسنة ، فلم يكن أحد يظن أن ميلادا الذي مات ووالده عليه غاضبا ناقما مطرودا أن يتحول إلى المساجد ، فقد كان الشيطان الرجيم في الحي ، فهو من ملهى لآخر ، ومن فسق إلى فسق ؛ ولكن القلوب بين يدي الرحمن الرحيم يقلبها كيف شاء ، فصار اليوم بين الجولات والمساجد ، فحتى حميد شريكه من جديد لم يعد يطالبه بالعمل والدوام ، ويقول له يكفينا دعاؤك يا شيخ ميلاد ، ولتعلق ميلاد بالخروج رتب لحميد راتبا شهريا يتقاضاه نهاية كل شهر ، ويتقاسمان الأرباح بالسوية ، فرضي حميد لقسم ميلاد على هذا الاتفاق ، ولتهديده بفسخ الشراكة إن يوافق حميد فوافق .

وفجأة اهتز العالم لحادث رهيب ، فقد تعرضت أقوى دولة عسكرية في العالم الحديث لاعتداء عجيب وغريب وغامض ، فقد أصاب الولايات المتحدة الأمريكية ضربة قاسية موجعة ، فقد ضرب البنتاغون مقر وزارة الدفاع بطائرة مدنية مخطوفة ، وتعرض برجي نيويورك للتدمير بطائرتين أمريكيتين مدنيتين ، فانهارا انهيارا كاملا ، وزعموا أن ذلك من منظمة إسلامية متشددة سموها القاعدة ورأسها المدبر في أفغانستان .

وقع ذلك الحادث الغريب في الحادي عشر من سبتمبر أيلول عام ٢٠٠١ ، وقد بث الحادث

مباشرة على فضائيات العالم التي غمرت سموات المدن منذ عقد من الزمان ، وعلى أثر هذا الحادث الرهيب الذي حمل للإسلاميين ، ثم أضيف للمتشددين الإرهابيين غزت الولايات المتحدة وحلفاؤها بلاد الأفغان في أواخر العام نفسه ، وأصبح الحديث عن الإرهاب العالمي ذا شجون ، وشددت الإجراءات الأمنية مجددا على المطارات ، ورحلات الطائرات ، وعلى الموانئ والحدود البرية والبحرية والجوية .. واستمرت جماعة التبليغ الهندية في نشاطها وتحركها في أقطار العالم رغم ما وجه لها من إشاعات وشبهات ، والجماعة لم تتأثر بشيء ؛ وكأن الأمر لا يعنيها ، واستمر الخروج والتنقل ، وكأن لم يحدث في العالم زلزال أمريكا .. بل زاد نشاطهم في عقر أمريكا نفسها ، وسمعنا تهافت الناس على الإسلام ومعرفة الإسلام ، وسمعنا أن المكتبات نفق ما فيها من تراجم لمعاني القرآن الكريم .

ورغم الإعاقات التي وضعتها بعض الدول لمنعهم من الدخول إليها ، تدفق دخولهم ونشاطهم وزادت مراكزهم الدعوية في أمريكا اللاتينية والإفريقية ، ومع إغلاق مؤسسات مالية إسلامية وإغاثية استمر الغيث ينهمر .

تعقد جماعة التبليغ والدعوة مؤتمرات سنوية لأعضائها ومناصريها، فهناك اجتماع سنوي في مدينة رايوند قرب لاهور ، وآخر يعقد في دكا في مطلع السنة الهجرية من كل عام ، يجتمع الدعاة في اجتماع عام لسماع المحاضرات والدروس ، ثم يبدأ توزيع التشكيلات أي المجموعات الدعوية داخليا وخارجيا ، ولهم اجتماع سنوي مهم في جيبوتي شرق أفريقيا ، وآخر في اليمن ونحوه في الأردن ، فكان السيد ميلاد محبا لحضور هذه الاجتماعات في باكستان وبنغلاديش لكثرة ما يسمع عنها من مشايخ التبليغ .. وقبل أن نروي ما جرى للسيد ميلاد في تلك الديار نقرأ باختصار وصف أحد العلماء لتلك الاجتماعات .

ويعرف هذا التجمع الذي تنظمه جماعة التبليغ والدعوة منذ ستينيات القرن الماضي بـبيسوا ليتيما حيث يتجمع الملايين من المسلمين في بنغلاديش في ضاحية تونغي قرب ضفاف نهر توراج على بعد نحو عشرين كيلومترا جنوبي العاصمة دكا، يتدارسون القرآن الكريم ويستمعون لعلماء

الدين . ولا يسمح فيه بأي مناقشات سياسية .. وينتهي التجمع بالدعاء وصلاة جماعية عادة ما يحضرها كبار رجال الدولة في بنغلاديش.



وصف أحد الشيوخ الرحلة قائلا : فواصلنا سفرنا إلى كراتشي (مقاطعة باكستانية)، فأخذنا نغط في نومنا ولم نشعر إلا حين أعلن أننا على مقربة من مطار كراتشي فاستيقظنا ، فحمدنا الله تعالى على الوصول بالسلامة ، فدخلنا مدينة كراتشي قبيل صلاة الفجر ، فصلينا الفجر في منزلنا في الفندق . وبعد أن استرحنا زمنًا كافياً للراحة بعد صلاة الفجر ، تبادلنا الرأي بالنسبة للسفر إلى (لاهور) قبل السفر إلى (دكا) كما هو المقرر .. فقضينا يوم الأربعاء في محل الحجز إلى دكا ليوم الخميس، ولكننا علمنا أن السفر إلى دكا عاصمة (بنغلاديش) لا يتم إلا يوم الجمعة بالنسبة لمن لم يسافر يوم الثلاثاء والذي وصلنا فيه إلى كراتشي ، هما رحلتان فقط ، رحلة لطائرة باكستانية يوم الثلاثاء ، ورحلة لطائرة بنغلاديش يوم الجمعة لا ثالثة لهما .

فحجزنا في طائرة يوم الجمعة فسافرنا فيها بعد صلاة العشاء بإذن الله، وصلنا مطار (دكا) في وقت متأخر من الليل ، والمسافة بين مطار (كراتشي) ومطار (دكا) تستغرق ثلاث ساعات ونصف ساعة ، وكان في استقبالنا نحن وجميع الذين وصلوا معنا لحضور اللقاء لجنة مرابطة بالمطار لاستقبال الوافدين ، ومعهم عدد من الأشخاص الذين بيننا وبينهم معرفة سابقة من السودانيين وبعض الباكستانيين، فقاموا بجميع إجراءات المطار ، وللوافدين لحضور الاجتماع إجراء خاص ، حيث أنهم لا يفتشون بل لا تفتح شنطهم ؛ وإنما تكتفي بالإشارة عليها بالتباشير الملون فقط ، بينما يفتّش غيرهم تفتيشاً دقيقاً ، ثم نقلونا إلى مسجد لهم بجوار المطار ليوزعوا الضيوف من هناك على منازلهم في المخيم المهّيأ لهم بجوار مقرّ الاجتماع ، فتم توزيعنا قبل صلاة الفجر ؛ بل هجعنا قليلاً قبل الأذان ثم أذن فصلينا في ذلك المسجد القريب وهو عبارة عن صالون كبير أقيم على مساحة من الأرض تقدّر بـ (كيلو ونصف في كيلو) ليّسع لآلاف من

الناس ، ويصلي العدد الكبير الذي قدروه بما يقارب المليون خلف إمام واحد دون استخدام مكبّر الصوت ، بل يُكتفى بعدد كبير من المبّلغين موزّعين في المسجد على أماكن مرتفعة حيث يسمع كل مصلٍ مهما بعد مكانه عن الإمام صوت المبلغ فيّتبع الإمام ولست أدري ما السبب في عدم استخدام مكبر الصوت في الصلاة ؟! علماً أنهم كانوا يستخدمونه في المحاضرات والتوجيه والتعليمات اللازمة !

وأما كيف تم ذلك التنظيم الدقيق والإعداد العجيب ؟ فأمر يعجب الإنسان عن وصفه وصفاً دقيقاً فقد بني المسجد ومنازل الضيوف من مواد بناء خفيفة تستخدم ، ثم ترد لأصحابها في حوانيتهم ، وهي لا تزال صالحة للبيع والاستعمال وهذه المواد عبارة عن زينكو وعيدان الخيزران والخيش والحبال دون استخدام المسامير لئلا يتلف شيء من مواد البناء إذ قد تبرع بها التجار وأصحاب المصانع ، وقاموا بأنفسهم بالبناء والتركيب فإذا ما انقضى الاجتماع فسوف يقومون بحلّ الحبال ونقض البناء بسهولة كما كان التركيب والبناء بسهولة من قبل . في هذا المسجد الغريب من نوعه في ذلك الجو الإسلامي الهادئ يبعث على الخشوع والطمأنينة وبعد الصلاة أخذ المصلون يعقدون جلسات موزعة في المسجد ذلك الذي يشبه مساجد المسلمين في أيامهم الأول عندما كانت المساجد إنما تقصد للصلاة والعبادة فقط لا للتباهي بها وزخرفتها... والله المستعان.

فأخذت الجماعات الموزعة في المسجد تتدارس القرآن حفظاً ، وكانت التلاوة قاصرة على السور القصار التي يحفظها غالباً جميع المصلين أو أكثرهم حتى تطلع الشمس ويحين وقت تناول طعام (الفطور) فبعد الفطور تُعدّ المحاضرات ، وفي ضحى ذلك اليوم .. حضرنا محاضرة ألقاها في طائفة ذلك المسجد فضيلة الشيخ ... باللغة العربية ، وهي محاضرة تخصّ العرب فقط ، ولقد كانت قيّمة ومفيدة أجاب فيها على كثير من الشبهات التي تدور حول نشاط الجماعة ووضعية دعوة الناس إلى الخروج ، والغرض من الخروج وخلاصته تغيير البيئة للدعاة والمدعوين، لأن الذين يخرجون ليسوا كلهم دعاة بل أكثرهم ممن يُراد إصلاحهم وترغيبهم في الإسلام وحُبّه ،

وتعليمهم ما يجهلون من أمور دينهم ، وقد أثبتتْ التجربة أن ذلك لا يتم للإنسان إلا إذا خرج تاركاً مشاغل الحياة المتنوعة وانتقل إلى بيئة صالحة للإصلاح ...الخ وبعد محاضرته أعلن لجماعة العرب أنهم يحضرون محاضرة .. بعد صلاة الظهر وطلب من أحدنا أن يقوم بهذه المحاضرة العامة ، فلبّينا الطلب طبعاً فألقيتُ المحاضرة بعد صلاة الظهر، فتُرجمت فوراً إلى عدة لغات .. فكنّا نحضُرُ بعد كل صلاة محاضرة مترجمة من الأردية إلى العربية .

هذا ! وقد كان محل الاجتماع بعيداً عن العاصمة ، وهذا مما ساعدهم على إيجاد الهدوء ومواظبة الناس على صلاة الجماعة ، بل ملازمتهم للمسجد مدة الاجتماع.

أما نحن فغادرنا بالسفر يوم الثلاثاء بعد انتهاء الاجتماع مباشرة للقيام بزيارة بعض الجهات في باكستان .

وأما غيرنا فبادروا بالخروج في سبيل الدعوة إلى الله، فكانوا يُشكّلون جماعات متعددة بعد كل محاضرة ، ويوم الثلاثاء كان يوم توجيه للدعاة وتبصيرهم ووداعهم، وهو يوم امتزج فيه الفرح بالبكاء الذي يدل على ما يكنّه القوم من التّحابُب في الله والتفاني في حب الله والتجرد للدعوة إلى الله وتعليق قلوب العباد بالله وحده دون الالتفات إلى ما سواه.

هذا ملخص ما يُستفاد من محاضرات القوم وحديثهم وتصرفاتهم وزهدهم المتعدد ، خلافَ ما يَذكُرُ من لم يعرفهم حق المعرفة أو يتجاهل حقيقة القوم لغرض .

ومما ينبغي التنويه به أن الجماعة تتمتع بما لا تتمتع به الجماعات التي تدعو إلى الله ، وهو الصبر مع من يريدون إصلاحهم وهدايتهم وحسن السياسة معهم ، صبرٌ يشبه صبر الأم الرؤوف على طفلها الحبيب. وقد هدى الله بهم خلقاً كثيراً من مختلف الجنسيات ، وفي مقدمتهم شبابنا الذين نبعثهم للدراسة إلى أوروبا وأمريكا ثم نهملهم ونتركهم وشأنهم دون رعاية أو تربية ، وقد قيّض الله لكثير منهم هذه الجماعة فهداهم الله بها ، بعد أن كادوا يمرقون من الإسلام متأثرين بحياة الجهة التي يدرسون فيها، ولديّ مشاهدات وقصص يطول سردها .

أذكر على سبيل المثال قصة قصيرة عن شاب عربي حضر اجتماع دكا ضمن مجموعة من شباب

في أمريكا بعد أن أنقذه الله من الجاهلية التي تورّط فيها ، بسبب هذه الجماعة ، وهذا أبدى لي رغبة في أن يعتمر ولعل العمرة تُكفّر عنه سيئاته وتذهب بأمر الجاهلية. فشجّعته على ذلك طبعاً بعد أن ذكرتُ له فضل التوبة، وأنها تجبُّ ما قبلها، فقال: وهو يحسُّ بالخجل والاستحياء باد على وجهه - يا أخ أريد أن أعتمر ، ولكن ما أدري كيف العمرة ؟ وماذا أفعل إذا وصلت مكة لأني نسيتُ كل ما درسته في المرحلة الثانوية قبل أن أذهب إلى أمريكا ! وضيّعتُ كل شيء...... قال هذه الجملة وهو متأثر، وأنا بدوري تأثّرت فقلت له : فتعال بنا إلى بعيد عن الناس لكي أشرح لك أعمال العمرة إلى أن قال : هل تسمح تُسجّل لي ؟ قلت : لا مانع إذا لديك مسجل وشريط، فأحضر المسجل فسجلتُ له بالاختصار ، فشجّعته على زيارة المسجد النبوي بالمدينة المنورة ، وزيارة الجامعة الإسلامية لكي تُزوّده الجامعة بالكتب والرسائل النافعة والأمر الذي أريد أن أخلص إليه في هذه القصة وما قبلها أن لجماعة التبليغ مكاسب يطول سردها ليست لغيرها من الجماعات التي تدعو إلى الله في العالم الإسلامي وغير الإسلامي ، وهي مكاسب ملموسة لمس اليد ، لا يقدر أحد إنكارها عدواً كان أو صديقا .

وسرُّ المسألة أن الجماعة جعلت الدعوة إلى الله ومحاولة إصلاح الناس هدفها في هذه الحياة ، ولم تمسك الدعوة باليد اليسرى والتعيش باسمها باليد اليمنى، بل مسكتها بكلتا اليدين، ثم أنها ابتعدت عن التطلع إلى حب المدح والثناء عليها ؛ بل استوى عندها المدح والذم ، حتى أصبحت الحياة رخيصة عندها .

وأكتفي بهذه الإشارة ؛ لأن الأمر واضح ، ولأن أثر دعوة القوم واضح كما قلت والعاملون يستدل عليهم بآثار أعمالهم وبمكاسبهم ، والله ولي التوفيق، وفي ذلك الجو الذي ذَكَّرنا حياة الدعاة الأولين الفطريين... قضينا ثلاثة أيام

ويتابع الشيخ المعجب بهذه الفرقة : ومما يلاحظ أن جماعة التبليغ ليس لها اسم رسمي ، وإنما يُسمّيها الناس بهذا الاسم الذي تدل عليه دعوتهم وعملهم وهو التبليغ والتذكير وأن المِرَانَ على الدعوة والتنظيم والاجتماعات المتكررة كل ذلك أكسبهم دقة التنظيم في أمورهم دون أدنى

تكلّف أو ملل ، وفي إمكان الجماعة أن تعقد وتُنظّم لأكبر اجتماع الذي لو قامت للإعداد له جهة غيرهم لتكلّفت نفقات باهظة ، واحتاجت لزمن طويل جداً ، أما جماعة التبليغ فلا تتكلف في مؤتمراتها ولقاءاتها شيئاً يُذكر، إلا ما كان من قِرَى الضيف بالنسبة للوافدين من جهات بعيدة بل أفراد الجماعة يعتبر كل واحد نفسه مسؤولاً عن المؤتمر، فكل واحد منهم يقوم بعمل يخصّه، ويحضر ما في استطاعته أن يحضر ثم يباشر العمل بنفسه فكل واحد منهم يحاول أن يخدم وينفع غيره مما جعل مستوى التحابُبِ عندهم مرتفعاً جداً [٣]

دعوة عالمية وجهود جبارة تقوم بها جماعة إسلامية مثل جماعة التبليغ تعجز الدول الإسلامية الكبرى في إقامة هذا الجمع الكبير لخدمة الدعوة الإسلامية في عموم دول العالم .

وقال آخر : على مدار ستة أيام استضاف مركز الجماعة في مدينة (رايوند) قرب لاهور باكستان أكثر من مليون داعية دون ضجيج إعلامي وصحفي وبكل هدوء ، حجزت له كل القطارات من جميع أنحاء باكستان ، ونفدت كل التذاكر قبل أيام من بدء الاجتماع كما ذكرته الصحف الباكستانية ، اجتمعوا من كل مكان في حب الله والتعاون على البر والتقوى .

أكثر من مليون رجل صلوا الصلوات الخمس خلف أمام واحد على فترتين ، وذلك في ميدان فسيح ، وحضروا حلقات العلم ، وتلوا ما تيسر من القرآن ، وسمعوا بيانات مشايخ كلها تنصب في تعظيم الخالق ، وأهمية إتباع النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ، والمحافظة على الصلاة ، والعلم وذكر الله، وأهمية أداء حقوق المسلمين وإكرامهم ،وإخلاص العمل لله ، وإن الحاضرين قد أكرمهم الله وشرفهم بحمل أمانه الدعوة للعالم أجمع ، فلا نبي بعد نبينا محمد ﷺ ، ولا أمه تحملت أعباء الدعوة بعد نبيها إلى يوم القيامة غير أمة الإسلام.

وهم يرون أن الدعوة إلى الله وظيفة كل مسلم موحد قائم بالفرائض والسنن، سواء كان عربيا أو أعجميا ، أسود أو أبيض ، عالما أو متعلما ، ضريرا أو بصيرا ، ذكرا أو أنثى ، شيخا كبيرا أو

---

[٣] – محمد أمان بن علي الجامي عميد/ كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية

شابا صغيرا ، حافظا للقرآن والعلوم ، أو حافظا ما تيسر منه ، طالب علوم عصرية أو علوم إسلامية ، فالميدان الدعوي يسعهم جميعا ، ولكل منهم نصيب في الدعوة ، والكل محتاج لعلم التقوى والخوف من الله ، والعمل بما يرضي الله عز وجل ، ومتى جاء في المرء علم التقوى احتاج للبحث من العلماء عن علوم الفتوى ؟ ومتى نُزع من المرء علم التقوى وعدم الخوف من الله ، ضرب بعلم الفتوى عرض الحائط ، ولو كان على علم تام بالحكم الشرعي في المسألة ، جموع بشرية هائلة أتوا من كل حدب وصوب ، لمرضاة الله وخُتم الاجتماع بدعاء لله عز وجل بأن يحفظ الإسلام والمسلمين ، ويريهم الحق حقا ويرزقهم إتباعه ، والباطل باطلا ويرزقهم اجتنابه ثم أهم ما في الأمر من هذا الجمع السنوي المبارك عند مشايخ التبليغ ، هي ثمار هذا الجمع ، والخروج من الميدان للدعوة إلى الله ، وكم جماعة خرجت للدعوة ونشر الدين من ذلك الميدان فهم جزاهم الله خيرا لا يهتمون بالأعداد التي حضرت بقدر ما يهتمون كم جماعة خرجت للدعوة من قدماء وجدد ؟

وبعد شهر تقريبا من اجتماع رايوند ودكا تراهم على موعد في جيبوتي العربية لاجتماع حافل للتبليغ والدعوة في شرق القارة الإفريقية ، وبعده بأيام وفي جنوب جزيرة العرب وفي مدينة الحديدة باليمن لهم اجتماع العرب ، في اليمن السعيد ، في بلد أهل الإيمان والحكمة كما أخبر بذلك نبي الرحمة عليه السلام ، وهم يتجهزون لاستضافة مائة ألف داعية في ميدانهم ، ويستقبلون آلفا من إخوانهم العرب والقادمين من دول الخليج والدول المجاورة والبعيدة ، يريدون تجسيد حديث النبي حقيقة فيهم وفي هذا الزمان .

واعلم أن بين اجتماع اليمن وجيبوتي أسابيع قليلة ، ويفصل بين المجمعين الدعويين بحر القلزم (البحر الأحمر) ؛ ولكن القلوب موحدة والمنهج الرباني والنبوي هو الرابط بين كل هذه الاجتماعات التي تتم في دكا ورايوند والحديدة وجيبوتي وبهوبال بالهند وماليزيا وإندونيسيا وفنلندا وفي عموم عواصم العالم.

يقولون إنها اجتماعات (لا تسمع فيها لاغية) لا شتم ولا سب ولا لعن ولا تحقير لأهل

الإسلام ، ولا تنقيص لجهد المسلمين ، بعيدون عن الغيبة والنميمة ، تسمع سلاما سلاما ، فهي أمة واحدة موحدة بعثت كما نبيها رحمة للعالمين .. يجتمعون لحبه ويتفرقون على دينه ، ودعوة الخلق للخالق ، وتوجيه القلوب من الفاني للباقي ومن الدنيا للآخرة .

وجدت هذه الاجتماعات التي تعقد في كراتشي ودكا قبولا وحماسا لدي ميلاد عادل فيجتهد سنويا للذهاب إليها في موعدها وموسمها ، وذات موسم وهو يحضر اجتماع لاهور في رايوند التقى بداعية مسلم من كندا اسمه أو تسمى بالشيخ عبد الصمد ـ واجتماعات هؤلاء القوم يحضرها العرب والعجم والإنجليز وجنسيات مختلفة انضوت تحت لواء الجماعة أو متأثرة بها ، قد وصل الدعاة منهم للبيرو واليابان ـ فتذكر ميلاد ابنة عمه زهيرة مجدي ، وذكر الماضي وكان الرجل الكندي يحسن العربية ، ولاحظ تغير الرجل ، فظن أنه خرج إليها ؛ لأن جماعة التبليغ لها نشاط قوي وجدير بالاهتمام في كندا ، فربما هي أكثر الجماعات أتباعا ومساجد في كندا فقال مشجعا أذهبت إليها ؟!

فعاد ميلاد لنفسه وأجاب : لم أخرج جهة أمريكا وتلك البلاد ، وربما الخروج اليوم بعد أحداث نيويورك صارت أموره معقدة ..

ـ ما زال التبليغيون ينشطون هناك رغم كل المعوقات .. فالجنسيات البنغلادشية والباكستانية كثيرة هناك ، ولديهم قبول للقاء الجماعة .

ـ المهم عندما ذكرت أنك عبد الصمد الكندي ذكرتني بأقارب لي هناك هاجروا من سنوات وسنوات ، ولم أرهم منذ ذلك الحين

ـ كندا بلد واسع يا شيخ ميلاد العربي ، وسكانها قريب من الثلاثين مليونا ، وتستقبل سنويا أعدادا كثيرة من المهاجرين من شتى بلاد الأرض، وأكثر الوافدين من أصحاب المال والشهادات والطلاب للعلم والجامعات .. ونشاط الدعوة جيد في تلك البلاد ، ولكنهم موجودون بين الجاليات الآسيوية كالهنود والإندونيسيين .. وأنا مستعد لتنظيم زيارة لك إلى هناك لترى أقاربك .

ـ أيمكن هذا ؟!

ـ يمكن ؛ ولكنه يحتاج لوقت بسبب الأمن والإرهاب .

ـ وهل يسمحون لي بدخولها ؟

ـ هناك تسهيلات لجماعة التبليغ والدعوة ، فيمكن ترتيب رحلة خروج إلى هناك ترافق مجموعة خارجة من باكستان او بنغلاديش لأمريكا وكندا وغيرهما .. وعندما تدخل البلاد يسمح لك بزيارتهم .. فكندا بلد يشجع السياحة سواء كانت دينية أو دنيوية .

ـ سأفكر بذلك شيخ عبد الصمد .. كلام جميل اسمعه .. مرحبا بك .. أنت تأتي هذا الاجتماع كل سنة ؟

ـ منذ ثلاث سنوات فقط ، ذهبت في أكثر من رحلة سياحية لمصر والأردن ولبنان والعراق .

فكر ميلاد وهو يتعرف على الشيخ عبد الصمد الكندي بالذهاب لكندا ليقول لابنة عمه زهيرة مجدي أنا تبت إلى الله يا زهيرة ! وأنا نادم للإساءة التي ألحقتها بك ، نادم لأني حاولت قتلك عند زواجك ، أنا الذي صدمت سيارة زوجك في لحظة جنون واستسلام للشيطان .. أريد أن تغفري لي ، وتسامحيني يا ابنة العم .. أتوسل إليك أن تعودي للبلاد ، ولن تري مني شرا.. كنت أضحوكة للشيطان .. يا لجهلي ! .. كنت موهما نفسي بقيس ليلى وقيس لبنى

كل هذا راود فكر وذهن ميلاد ، وهو يحاور الشيخ عبد الصمد الكندي، ولما أخذ عنوانه ورقم موبايله الدولي قال : هل تعلم يا سيد عبد الصمد لو أوصلتني لكندا ستكون عملت عملا عظيما معي .. لا يذهب بك الظن أني سأذهب للشغل والهجرة إلى هناك .. إنما لرؤية قريب لي ، وقد هاجر إليها من زمن بعيد ، وأرغب بمقابلته لنتصالح ونتسامح .. أيامها كنت ضالا وعاقا فأحب لقياه ليغفر لي ذنبي وإجرامي معه ، وأسأله العفو والصفح ؛ ولكني هذه المرة غير جاهز للسفر لتلك الديار في أقصى غرب الأرض .. لنبق على اتصال بحكم التقائنا هنا على غير ميعاد عليك مساعدتي يا شيخ عبد الصمد .. ألك زمان في الإسلام ؟

ـ حوالي خمس سنوات شيخ ميلاد

ـ الله يتقبلكم ..أنتم بإسلامكم تذكروننا بأيام الصحابة ، وقصص إسلامهم كبلال وخباب وسلمان .. هل وجدت صعوبة ورفضا لإسلامك ؟

ـ من ناحية الأهل .. فلا ؛ لأننا نعيش بعيدين عن بعض .. وكل يعتمد على نفسه .. وأهلي ليس لديهم تعصب ؛ لأنهم بعيدون عن الدين .. نحن لما نكبر سنا يعيش كل واحد مع نفسه الأسر علاقاتها علاقة مناسبات وزيارات .. أنا ذهبت لمصر وتعلمت العربية في معهد لغة يتبع جامعة الأزهر العريقة في بلاد المسلمين ، ثم أشهرت إسلامي في الجامع الأزهر أمام لجنة من المشايخ ، وأعطوني صكا بأنني أصبحت مسلما ، وتسميت بعبد الصمد وهو اسم مشهور لأحد القراء للقرآن الكريم ، ثم التقيت بمشايخ من جماعة التبليغ المصريين ، ولهم مركز في الجيزة وأكثر في بلدان مصر ، ولهم نشاط دعوي كبير .. مصر بلد كبير وسكان كثير .

ـ أكثر الدول العربية سكانا وبشر.

ـ وأصبحت مترجما لهم في بعض مناطق دول أمريكا خاصة الناطقة بالفرنسية والإنجليزية .. وأنا على استعداد لخدمتك للوصول لخصمك حتى تتصافى أنت وإياه وتعود المحبة بينكم .. لكن عليك معرفة عنوان قريبك هذا .. وأين يوجد في كندا ليسهل الاتصال به واللقاء ؟

ـ إن شاء الله السنة القادمة إذا قدرت لنا الحياة نلتقي هنا على هامش الاجتماعات ودراسة الأمر ونرتب لرحلة دعوية إلى كندا ندعو ونسعى للقاء الشخص الذي ظلمته .

وهمس لنفسه هل تسامحني زهيرة بعد كل هذه السنوات ؟.. لقد كنت سببا لفرارها وهجرتها



فلما رجع الشيخ ميلاد من بلاد الهنود بعد شهوده مؤتمر رايوند ودكا كان في جعبته لقائه الغريب لعبد الصمد الكندي ، واعلم أن مؤتمر دكا السنوي فهو يعقد منذ عام ١٩٦٦ قبل انقسام

باكستان لشرقية وغربية ، فهو يعقد في المحرم من كل سنة غالبا ، لقد تقسمت الهند لعدة دول بعد جلاء الاستعمار الإنجليزي بعد الحرب الكونية الثانية .

فأول دعوة يتلقاها عندما يعود من سفره الدعوي تكون من شريكه وصديق عمره حميد نبيل ويحرص حميد على أن يكون من أول مستقبليه في الوطن ، ليسمع منه أخبار رحلته ونشاطه خلال تلك الشهور ، ويستمتع بقصصه التي أتى بها من تلك البلاد العجيبة المليئة بالبشر ، الهند وباكستان وبنغلاديش ربما فيها خمس أو سدس العالم ، فمدينة نظام الدين في دلهي ما زالت تستقطب تاريخ الدعوة .

وعندما يسمع حميد أخبار الجماعات التي تخرج يصاب بالدهشة والإعجاب ، ويزداد الأمل في قلبه بعودة الإسلام للعصور الأولى .. وكان أغرب شيء سمعه منه عام ٢٠٠٣ لقاءه بالشيخ الكندي عبد الصمد ، فقال ميلاد والتقيت هذا الموسم جماعة قادمة من كندا يا أبا محمد .. فلم عرفت أنهم كنديون راحت روحي لتلك البلاد وإلى ابنة عمي زهيرة .

خفق قلب حميد وهمس : ويحك !!

ـ أرجوك لا تسيء الظن بي ، أنا تبت إلى الله سبحانه في علاه يا رجل

ـ جميل ! أنت يلزمك الزواج ؛ لتذهب زهيرة من روحك ونفسك إلى الأبد .. والله منذ طلاقها لم نعد نسمع شيئا معروفا من أخبارها .. كيف رضيت أن تعيش هناك بدون أهل وأقارب ؟! سامحها الله في علاه

ـ بل سامحني الله أنا يا أبا محمد .. أنا أجرمت في حقها ، لقد كنت سببا في حبها لتلك الهجرة ، واتخذت الدراسة حجة .. أنا الوحش الذي كانت تخشاه !.. كم أبكي ندما وأسفا؟! آه يا حميد سأفشي لك سرا لم أبح به لنفسي إلا اليوم

ـ سر ! أثرت فضولي

أخذه البكاء والنشيج والحزن وقال باكيا معتصرا لقلبه: سعيت لقتل زهيرة يا حميد

قال حميد : ماذا؟!

ـ نعم ، أرجو أن يغفر الله لي تلك المحاولة .. قبل أن تسافر بأيام صدمت سيارة زوجها سامر وهربت ..

عادت ذاكرة حميد لحادث سيارة سامر قبل سفرهم ببضعة أيام ، تبادل الرجلان النظرات وعاد ميلاد يقول نعم ، قد جننت ، كان يجب أن يموت أحدنا يا حميد .. لم أعتقد أنها ستكون زوجة لغيري ، ولم يخالجني شك بأني سأكون زوجها في النهاية .. كنت مهووسا بحبها والحياة معها كما تذكر .. الحمد لله أنها نجت ، ولم تصب بأذى ، وإلا مت كمدا

وبعد صمت عميق وعدم تعليق حميد بشيء عاد ميلاد للكلام فقال : المهم عندما التقيت بهؤلاء الكنديين وخاصة الشيخ عبد الصمد الذي تعلم العربية بمصر وأسلم فيها قبل مشيه مع الأحباب رغبت بالذهاب إلى هناك لأطلب منها أن تسامحني يا حميد بعد أن أقر لها بجريمتي ، وأطلب منها المسامحة وإبراء الذمة ؛ لعل الله يقبل توبتي ، وأرجوها أن تعود للبلاد ، ولن أمسها بسوء.. الندم يقتلني ويؤرقني يا حميد

قال حميد : صدق أن هذا جميل منك ! الحمد لله الذي نجاها من الموت ومن الحادث وإلا قضيت عمرك قابيل

ـ يا الهي! رأيت الزنا والسكر يهون أمام شروعي بالقتل .. المهم تحمست للخروج إلى كندا وأمريكا .. ويقول الرجل إن كندا شاسعة جدا ، وسكانها قريب من الثلاثين مليون

ـ من الضروري معرفة المحافظة أو المدينة أو حتى القرية التي تعيش فيها أم شمس.. إذا كان عندهم قرى .. كيف ستعرف ذلك ؟

قال : فكرت في هذا أثناء وجودي في تلك البلاد .. إما من زوجها سامر ولا أعتقد أنه سيصدق شيئا مني ، وأن قصدي المسامحة .. وإذا صدق الحال ربما يعطيني رقم تلفون لها .. وقد يؤدي التلفون الغرض .. ولكن التلفون لن يقنعها بتوبتي وندمي وتثق بالكلام وترجع .. وقد تغلق التلفون في وجهي كما كانت تفعل هنا

ـ والحل الثاني

قال : أن تتعاون معي امرأة عمي هناء ، وتعطيني اسم المكان أو تشجعها للقبول بالحديث معي لأطلب منها العفو

ـ للآسف امرأة عمي ما زالت تكرهك ، ولا تصدق أنك تغيرت وتبت .. وهي تعتبرك السبب الرئيسي في هروب زهيرة .. أنت وأبوك العم عادل ـ رحمه الله ـ ترفض مسامحتكم لليوم .. رغم زواجها تجعلك سبب التفريق بينها وبين بقاء ابنتها هنا .. وإذا طلبت عنوانها فلا أعتقد أن تبخل به عليّ للمودة بيننا .. فأمي ما زالت صديقة لها منذ أيام حياة عمنا رحمه الله وزوجتي تزورها وهي تزورنا .. وزهيرة طيبة قد تسامحك على الهاتف .. ولكن لابد من اللقاء بها لترى أنك ميلاد غير الذي عرفته ، وتطمئن وتعود للبلاد وتتشجع لذلك .. فهي وحيدة هناك مع ابنتها ، ولليوم لم تتزوج مرة أخرى

ـ عزباء بعد طلاقها .. نسأل الله لها السلامة .. وسامر هل تزوج ؟

ـ تزوج بعد عودته بسنة ، وعنده أولاد كما علمت من أم زهيرة في إحدى الزيارات .. والرجل لا يصبر على ترك الزواج كالنساء .. عنده بنت وولد .. وهو يتصل بأم زهيرة سائلا عنها وعن صحتها .. عليك أن تجد حلا لتسامحك الأخت زهيرة ؛ لأنك قسوت عليها تلك الأيام السوداء

قال : لن يرتاح لي بال حتى تسامحني وتغفر لي الإساءات والظلم .. الظلم ظلمات يوم القيامة الجهل في الدين قاتل .. غفر الله لأبي الذي أوقع هواها في قلبي

ـ كله جهل .. جهل



ذهب حميد وزوجته في زيارة لامرأة عمه هناء محمد ، ولم تكن أول مرة يزورها ، فهو الوحيد من أقارب زوجها مجدي الذي يتفقدها ، ويتفقد أحوالها ، وكان يعتبر ذلك من الواجب عليه حيالها

وطاعة لأمه التي ما زالت تحافظ على الصداقة القائمة بينهن ، فأحيانا يأخذ أمه ، وأحيانا أخرى امرأته ، يمرون على هناء ، ويجلسون معها ، ويطمئنون على صحتها ، وترافقها أم حميد لمراجعة مستشفى أو طبيب أو عيادة ، ورحبت المرأة بابن سلفها ، وكانت السيدة قد ترملت منذ سنة ونصف تقريبا ، وظلت تعيش في بيت رستم الذي ورثت جزءا منه ، واستقرت فيه ، ورغبت بالتنازل عن حصتها فيه للأولاد ، فرفضوا ذلك وطلبوا منها البقاء فيه وفاء لأبيهم ، وبعد حياة طويلة تمنوها لها سيدفعون بحصتها فيه لابنتها وورثتها .

فلما شُرب الشاي ، وتناولوا بعض الفواكه المبردة ـ وكانت خادمة زهيرة روجا التي انتقلت بعد وفاة أم هناء للعمل عند هناء ما زالت حية وتعمل مع العائلة ـ وتبادلوا الحديث وأخبار العائلة المريض والميت والحي ، قال حميد جئت إليك هذه المرة يا أم زهيرة في حاجة أرجو أن تساعديني فيها

ظهر الفرح والسعادة على وجه هناء أم زهيرة وقالت : هذا يوم سعد أن أخدمك بشيء يا سيد أبي محمد

قال : لي صديق يريد السفر لكندا حيث تعيش الدكتورة أم شمس .. فتذكرت زهيرة وحياتها هناك قلت قد يستفيد من وجودها هناك بمساعدة .. والذاهب لأول مرة لتلك البلاد سيكون كالغريق يحتاج لقشة ينجو بها .. فلو أعطيته عنوان الدكتورة وتلفونها نكون قد خدمناه وساعدناه في أول وصوله لهناك

رحبت هناء بالمساعدة والمعروف وقالت : لا بأس يا بني .. فقبل أيام تحدثت معي زهيرة وهي تسلم عليكم جميعكم .. وستسر بهذه الخدمة لأني دائما أذكركم بكل خير أنت وزوجتك وأمك وكلما نتكلم أحثها على زيارتنا فتقول أنت تعالي وانظري الدنيا .. أنا نسيت البلد .. وعنوانها عندي لأني أرسل لها بطاقات التهنئة بالأعياد .. الفطر والأضحى

قال : هي لم تتزوج بعد ؟

قالت : لا ، لم تتزوج ، وابنتها على وشك الدخول في الجامعة ، وعلمت منها أن حياة ابنتها

المنفتحة على عادات تلك البلاد صعبة وتعاني معها .. فهي متمردة على عادات الشرقيين ، فتخرج سافرة وبالبنطال القصير الشورت إنها كالأجانب .. فلم تستطع تربيتها على الثياب المحتشمة .. حال لا يسر ؛ ولكنها لا تستطيع إجبارها على شيء أو منعها من شيء .. فهي فتاة بالغة وفي آخر سنوات المدرسة الثانوية

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. هذه مآسي الحياة في الغرب .. الحرية المطلقة والأخلاق الفاسدة هذا ثمن تلك الحرية المزعومة .. لا الأب يسيطر على الابن والبنت ، ولا الأم تستطيع ذلك .. هداها الله

وبعد صمت قال : لو أعطيتني عنوانها وهاتفها

مشت هناء ، وأحضرت رسالة أو مغلف رسالة عليه عنوان زهيرة ، فنقله حميد على ورقة احضرها خصيصا لذلك ، وكتب رقم هاتفها وكانت هناء تقول : هي تعيش في مقاطعة كبيرة من تلك البلاد تعيش في مدينة مونتريال كوبيك .. وهي تعمل في مستشفى كبير في تلك المدينة العالمية .

شكر حميد امرأة عمه ، ودعا لها بالصحة والعافية ، واستأذنا بالانصراف والمغادرة ، وبادلتهم المرأة التحية والشكر ، ورافقتهم حتى انطلقت بهم السيارة لبيتهم .

نحن نعلم مقدار صداقة حميد لميلاد ، فهي بدأت منذ الطفولة وخفت قليلا بسبب انحراف ميلاد عادل ، ثم عادت قوية بعد توبة ميلاد واستقامة أمره في الحياة الدنيا ، وهو محب بأن تصفى الأمور بينه وبين الفتاة التي دفعها للهجرة ، والبعد عن كل العائلة ، وتختار الهجرة للغرب ، وها هي ابنتها الوحيدة تضيع في متاهة الغرب وتقاليده وتهاونه في مسألة الجنس والعلاقات خارج الحياة الزوجية ، ولما اتصل حميد به بعد عودته من عند امرأة عمه غمرت السعادة الشيخ ميلاد وعقب : عليّ أن أخرج من هذه الدنيا وقد غفرت لي زهيرة ظلمي لها

ولما أخذ عنوان الدكتورة ورقم هاتف بيتها ، فكر بالاتصال بها فورا ؛ ولكنه تراجع قائلا سترفض الحديث معي ، ولا أستطيع مصارحتها بمحاولة القتل على الهاتف

وأخذ يفكر بالحديث مع الشيخ عبد الصمد ؛ ولكنه كما علم منه أن مكان عمله في نيويورك وليس في كندا وإنما يتردد على كندا زائرا لأسرته أبيه وأمه وابنته الوحيدة ، فهو غير مرتبط بزوجة منذ غير دينه .

وكان ميلاد قد تبادل أرقام الخلوي مع عبد الصمد والكثير من الشيوخ حتى إذا زاروا بلده أو زار بلدهم يسعون للقاء بعضهم البعض .

وفكر ميلاد جديا بالاتصال بعبد الصمد الذي طابت الصحبة بينهم أثناء وجودهم في مؤتمرات الأحباب في رايوند قرب لاهور ، وفي دكا عاصمة البنغال ثم أمهل نفسه أسبوعا ، وكان يقول لنفسه : هل من فائدة ترتجى من الذهاب لكندا ؟ .. فعبد الصمد رجل قدير ، وهو طبيب بشري كما حدث .. ألا أستطيع تكليفه بالحديث مع زهيرة ؛ ليشفع لي عندها ، وقبولها الحديث معي لتسامحني .. هل تقبل هي بالحديث معه في مثل هذا الموضوع الحساس والخاص ؟ .. بعد أيام اتصل به من عند حميد من بيت حميد .

اتصل من بيت حميد برقم عبد الصمد ، ولم يرد عليه أحد .. وعبد الصمد يحسن العربية ، قد تعلمها بمصر ، وأعلن إسلامه فيها ، وأعطى الرقم لحميد وقال : حاول كل ليلة حتى يرد عليك وعرفه بنفسك حين يرد ، وحدد موعدا لأتصل به .. فهو يحسن العربية ويتقنها أحسن منا ، ولكن لكنته تميزه بأنه غير عربي .

استطاع حميد بعد عدة أيام سماع صوت شخص على الخط الآخر ، وعرفه بنفسه وسمع الصوت نعم ، أنا عبد الصمد ..أنت قريب للشيخ ميلاد .. اذكره .. ليس لنا إلا أسابيع مفترقون .. كيف حاله؟

ـ بخير ، وهو راغب بالحديث معك مباشرة من أجل أقاربه في كندا

ـ جيد ، ميلاد شيخ طيب مسكين

اتفقا على موعد للاتصال ، فقال ميلاد لحميد وهو يتلقى منه موعد الاتصال : هل من فائدة يا حميد من مقابلة زهيرة مباشرة ؟ خاصة بعد كل هذه السنين

ـ إنها ابنة عمنا ، ورحم لنا ، وأنا أشجعك على اللقاء بها ، وفتح صفحة جديدة بينكم ؛ لعلها تتشجع وتعود للبلاد ، وتعيش بجوار أمها ما بقي لهم من الحياة ، فالأعمار بيد الله عز وجل .. وأيضا لتطهير نفسك .. فاليوم درهم ودينار وغدا ـ كما تعلم ـ لا درهم ولا دينار حسنات وسيئات .. ومن كان عنده لأخيه مظلمة فليتحلله منها اليوم كما أخبر الرسول ﷺ هذا ثانيا .. نحن قصرنا معها أيام الشباب .. وإذا أنت لا تفكر بالسفر إلى هناك للمشقة والمال .. فشفع ذلك الكندي بالاتصال بها واللقاء بها والتعرف عليها ؛ لتقبل بالحديث معك إذا أحسن الرجل نقل الصورة عنك إليها .. لا أعتقد بعد كل هذه السنين بقاء حقدها عليك وكرهها لك

ـ أحسنت يا حميد بكل ما تفوهت به ! وقد راودني فعلا طلب شفاعة الشيخ عبد الصمد .. أنت رجل عاقل يا حميد .. هل صحيح أنك ستزوج ابنتك ؟

ـ أنا ألم أقل لك بعد ؟!

في اليوم الموعود والوقت المحدود جرى الاتصال بعبد الصمد ، كان الاتصال ، وكان الكلام بينهم بحرارة وذكريات تجمع التبليغين في لاهور ودكا ، وقد توعدا يومها على اللقاء في الاجتماع القادم ، وطال الحديث بينهم في الذكريات وحميد يؤشر له بالدخول في الموضوع ، ولما سأله الرجل لمَ يحتاجه ؟ عاد ميلاد لسبب هذا الاتصال فقال : أتذكر عندما عرفت أنك كندي وتعارفنا أنني ذكرت لك عن أقارب لي في بلادكم ؟ .. وذكرت لي سعة البلاد وكثرة سكانها ، وطلبت مني معرفة مكان سكن أقاربي ليسهل اللقاء بهم .. وذكرت أن دائرة الهجرة الكندية قد تساعد في معرفة مسكنهم بشكل عام .. أو معرفة عنوانهم من المراسلات

بعد صمت قال عبد الصمد : أجل يا شيخ تحدثنا عن طريقة الوصول إليهم .. وقد ترافقنا في عدة جولات داخل باكستان بسبب هذه المعرفة .. هل عرفت أماكن تواجدهم؟

ـ نعم ، في الحقيقة هي ابنة عم لي ، تزوجت ، وهاجرت مع زوجها لكندا قبل خمس عشرة سنة ذهبت بصحبة زوجها لدراسة الطب ، وهو عاد وهي ظلت هناك بعد انفصالهم عن بعض .. ولها بنت واحدة حسب معلوماتي ..

قال باسما : مليئة كندا بالأطباء والطبيبات من شتى الدول .. ماذا شكلها ؟ مكان عملها ؟ مكان سكناها ؟

ـ تعلمت عندكم وأصبحت طبيبة وتعمل في مستشفى في مدينة كويبك

ضحك الرجل على الهاتف وقال : هذه مدينتي أنا ، ولدت فيها في كيبك العاصمة ، ثم عملت في مونتريال وهو إقليم تابع لكويبك وشبه مستقل .. وأنا كما تعلم طبيب وجراح يا شيخ ميلاد عرفني عليها أكثر قد أصل إليها بسرعة ما هي صفاتها البدنية واسمها ؟

ـ هي متوسطة الطول ، بدينة إلى حد ما كما اذكرها .. عليها لمسة سمار ، ليست بيضاء ، اسمها عندما كانت هنا زهيرة مجدي حسن

صاح عبد الصمد دهشة : ماذا قلت اسمها ؟!

ـ ما بك ؟

ـ كرر الاسم ؟

أعاد ميلاد تكرار الاسم فقال عبد الصمد : قلت إنها ابنة عمك .. يا شيخ هذه أعرفها حق المعرفة ، وكانت تعمل معي في مستشفى مونتريال العام في قسم جراحة النساء وعمليات التوليد وكانت زوجة للدكتور سامر ماجد جراح في قسم العظام .. وكانوا من أعز الأصدقاء والزملاء

ـ عبد الصمد أراك تعرفها أكثر مني .. هذه المرأة هي ابنة عمي يا شيخ عبد الصمد .. أبي شقيق أبيها .. ومات عنها طفلة سنة أو سنتان .

ضحك عبد الصمد وقال : يا لله ! أتعلم أنها سبب هدايتي يا شيخ ميلاد .. هي التي دفعتني لفهم الإسلام وحقيقة الإسلام .. أهي قريبة لك ؟!

ـ أجل ، يا سبحان الله !

ـ ماذا تريد مني يا شيخ ميلاد ؟

ـ أرغب بلقائها يا شيخ عبد الصمد

ـ لابد أن نلتقي ..سأسعى لك عند السفارة والخارجية ؛ لتسافر لكندا ، ونلتقي في أوتاوا عاصمة

الاتحاد الكندي .. قريبتك امرأة محترمة

ـ شكرا ، سأتصل بك مرة أخرى .. على نفس الرقم الذي أعطيته لحميد

ـ نعم اتصل عليه دائما .. ورقم حميد ابن عمك هو رقمك الأرضي

ـ أجل ، بعد يومين اتصل بك ثانية ، وداعا يا شيخ عبد الصمد .

ربما زاد الاتصال عن ساعة ، فقال ميلاد وهو يضع السماعة لحميد : الفاتورة عليّ

ضحك حميد وقال : توكل على الله .. حصل مفاجأة مهمة من الكلام بينكم

قال ميلاد متعجبا : يا إلهي ما أصغر الدنيا رغم سعتها يا حميد! .. يقول إنها السبب الذي دفعه للإسلام ، ولم أعرف التفاصيل طبعا ؛ ولكنه يحترمها ويعرفها جيدا ، وعمل معها في أحد مستشفيات كوبيك أو كيبيك لا أعرف كيف تلفظ ؟

ـ سبحان الله !! سبحان الله فعلا !! كانا يشتغلان في مستشفى واحد .. وماذا سيفعل لك ؟

ـ سيسعى لي على تأشيرة لزيارة لكندا .. ولكني كما قلنا صرفت نظرا عن السفر .. هل أسافر يا حميد ؟

ـ سأساعدك ماديا إذا قررت السفر .. سافر يا ميلاد قدم اعتذارك شخصيا .. أنا راغب جدا أن تعود ابنة عمنا لبلادنا وديارنا .. فهي تعيش مع ابنتها فقط ، لا زوج ، ولا خلفة ، وإنها تعاني من مشاكل مع ابنتها كما فهمت من الزيارة لأمها لأخذ عنوانها .. تلبس ملابس الغرب العري وتختلط بالشباب ، فربما إذا تقابلتم غيرت رأيها ، وعادت للبلاد

بعد صفون وتفكير: أخشى يا ابن العم أن يلعب الفأر في عبي كما يقال عند رؤيتها ، ويعود الحنين لها ، وأخسر آخرتي .. النساء من إحدى الفتن التي حذر منها الرسول الأكرم ﷺ .

ـ أمعقول هذا يا شيخ ميلاد ؟! أبعد هذا التقدم في الإيمان أن تنتكس ؟

ـ لا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرون والخاسرون .. النساء فتنة الأمة .. وأنت تعلم كبر علاقتي بزهيرة

ـ إنها ابنة عمنا ، وليس لها اليوم إلا نحن .. وهي كما علمت من أم محمد غير قادرة على الإنجاب

عندها مرض يعيق ثبات الحمل في رحمها .

ـ يبدو أن لهذا الدكتور حكاية معها

ـ هل هو متزوج ؟

ـ أذكر أن له ابنة ، وقد ترك زوجته قبل رحيله لمصر .. فهو كما علمت منه في الباكستان بدون امرأة .



عندما رجع ميلاد تلك الليلة لبيته من عند ابن عمه ، وقد تعشيا معا استغرق في تفكير عميق ، وكان متحمسا للسفر عندما تعرف على عبد الصمد للقاء قريبته التي يؤنبه ضميره نحوها ، وهو موقن أنه أحد أسباب رحليها للهرب منه ومن أسرته ؛ وهو اليوم في غاية التردد والقلق والخوف .. فهل تقبل زهيرة العودة للبلاد بعدما قبلت الطلاق لتبق هناك؟! ألم يقل له حميد مثل هذا الكلام قديما عندما طلقت ورجع زوجها وحيدا منها ومن ابنتها ؟! وإنها اختارت الهجرة هربا وخوفا منه ومن أفعاله معها ؟ حادث السيارة ربما أدركت أنه من فعلي وجنوني .. ولو طال البقاء ألم أكن أفكر بتكراره ؟ وهل يمكنني مقابلتها والاعتراف لها وطلب مسامحتها ؟!.. الأمر يحتاج لشجاعة .. فهل تراها تسامحني وقد جنيت على ابنتها كما أخبر حميد الليلة من انحلالها ؟! ما أجهل الإنسان ! لقد أردت قتلها تلك الأيام .. عجيب أمرك يا مولاي العظيم ! .. من بين أولئك الملايين ألتقي بعبد الصمد لأتذكر ابنة عمي التي أحببتها وتمنيتها زوجة لي .. اليوم أخشى اللقاء بها خشية تجدد الماضي .. فعلا إني أخشى الضعف الحيواني في نفسي .. الرغبة في نكاحها .. الدكتور الكندي يقول إنها سبب تعرفه على الإسلام ثم الدخول فيه .. فحج لمصر وتعلم الإسلام والعربية وأسلم ، وسافر مكة وحج البيت العتيق .. سأسجد لله مستخيرا عدة أيام .. وعندي خروج كما وعدت آخر الشهر الهجري لجنوب البلد .. سأدعو دعاء الاستخارة

هل أسافر إلى هناك أم لا ؟ لعل الله يحدث أمرا .

عاود ميلاد الاتصال بعبد الصمد عند الموعد المضروب ، واختار ميلاد السفر لرؤية ابنة عمه زهيرة ، فقال عبد الصمد لما أكد له الرجل الرغبة بالسفر : حسنا يا شيخ ميلاد سأقدم لك طلب زيارة .. فلي صديق يعمل في وزارة الخارجية الكندية تعرض لحادث سير ، وكنت طبيبا له من ضمن فريق العلاج .. معذرة يا شيخ لسؤالي التالي .

ـ تفضل يا صاحبي .

ـ هل لك علاقات قديمة قبل المشي مع جماعة الأحباب بجماعات إسلامية أخرى جهادية أم غير جهادية ؟ الأمر مهم خاصة بعد أحداث سبتمبر في أمريكا .

ـ كانت بدايتي وتوبتي كما قلت لك ونحن في الهند على يد رجال الدعوة وعلى يد الشيخ حسن محمد الذي عرفتك عليه ونحن في رايوند .. فحسن مرشدي الأول ومنقذي بعد الله طبعا من الضلال والغي .. ولا أهتم في السياسة ولا الاقتصاد .. بدأت مع التبليغين وما زلت معهم بفضل الله

ـ جيد ، سأتحدث مع هذا الموظف في الخارجية فأرسل لي صورة جواز سفرك صفحة الصورة والمعلومات المهمة فقط عن طريق الفاكس وسأعطيك عنوان فاكس لترسل الصورة إليه .. ثم أتصل بك لتراجع السفارة الكندية في بلدكم .. فعندما تأتي الموافقة ، وتستعد للسفر إلى أوتاوا عاصمة كندا ، سيكون بيننا ترتيب لنلتقي في المدينة أو في المطار أو فندق حسب الظروف ، ونذهب معا لمقابلة الطبيبة زهيرة سامر .. آ هي تخلصت من سامر .. فقد اتصلت بزوجتي المطلقة أم ابنتي ، وعلمت منها أن زهيرة ما زالت تعمل في نفس المستشفى ، ومطلقتي تعمل أيضا في نفس المكان ، وتعيش قريبتك في نفس الشقة مع ابنتها .. فأنا يا شيخ ميلاد منذ تركت العمل عندهم لم أتصل بزهيرة ولا مع معارف المستشفى ، وهي أيضا لم تفعل

ـ أنا خارج مع الجماعة لمدة ثلاثة أيام ، وبعدما أعود بإذن سأتحدث معك على نفس الرقم ، وسأكون قد أرسلت صورة الجواز لك

ـ خذ هذا الرقم ، هو رقم في المستشفى المتعاقد معه .. وإذا اعتذرت الوزارة عن دخولك البلاد الكندية سنلتقي باجتماع دكا .. وسنحاول ترتيب خروج مع المجموعات المتجهة إلى أمريكا الشمالية وكندا .. سلم على ابن عمك حميد .

أرسل ميلاد صورة الجواز الخاص به إلى العنوان الذي أخذه من عبد الصمد ، وطلب من حميد الاتصال بالرجل ليتأكد من وصول صورة الجواز ، وانطلق ميلاد مع الجماعة ، فهؤلاء القوم أهم شيء لديهم هو الخروج المتكرر كل شهر لمدة ثلاثة أيام .

ويسمون هذا العمل بالتشكيل والتشكيلات فهم يشكلون الجماعات من عشرة أفراد تزيد أو تقل واحدا ، وتشكل الجماعات على مستوى العالم وعلى مستوى البلد ، وأكثر دول العالم تسمح لهم بالنشاط في بلادهم ، وبعضهم يشجع شباب البلد المسلم بالالتحاق بهم لبعدهم الشديد عن السياسة ، وشعارهم من السياسة ترك السياسة ، فمركز الجماعة في كل بلد هو الذي يتابع التشكيلات الداخلية ، وأما التشكيلات الخارجية فيتم التنسيق بين المركز الرئيسي للجماعة وبين المركز الخاص لكل بلد ؛ ليسهل تنقلهم بين المدن والقرى والمساجد المنتشرة في البلاد .

وحتى بعض المدن النشطة في الدعوة قد تعمل تشكيلا خاصا من أهل المدينة ، ويذهبون في خروج إلى مدينة أخرى أو قرية ، وذلك بتنسيق عام مع المركز الرئيسي .

لهم نشاط مستمر ودؤوب ، داخل البلد وخارج البلد ، جولات تنقلية مقامية وانتقالية ، ينشطون في الصيف والشتاء ، وللشباب هوس بالذهاب لمراكزهم في بلاد الهند .

الخروج الشهري أصبح تقليدا للمنضوي تحت ظل الجماعة ، فهم يتشاركون الطعام ويضعون شخصا أو آخر معه للخدمة اليومية ، ويقضون ليلتين أو ثلاث في المسجد الواحد ، ويكون على رأس كل تشكيل أمير مقتدين بالرسول ﷺ ، وبعد الفطور الصباحي يعملون حلقة للخارجين حول الصفات الستة ، وآخر عشر سور من القرآن يحفظونها عن ظهر قلب ، ويحفظون مع كل صفة آية أو حديث .. يقرأون على المصلين بعد صلاة الظهر بعض الأحاديث من كتاب رياض الصالحين ، ويدعونهم لمؤازرتهم بعد صلاة العصر في الجولة على دكاكين ومحلات وبيوت الحي

وهم يجعلون أنفسهم متشبهين بالمهاجرين وأهل الحي أو الشارع بالأنصار ، فيرافقونهم في جولتهم المسائية ، ودعوتهم الناس لصلاة المغرب جماعة ، واستماع البيان أو الموعظة حول الصفات الستة التي يحفظونها عن ظهر قلب .. والعصر ربما يقومون بموعظة صغيرة والتأكيد على أهل الحي لمؤازرتهم في الجولة التي تكون قبل المغرب بساعة ، ويتركون أحدهم في المسجد للذكر والدعاء لهم بالتوفيق وهداية الضالين والعصاة حتى يعودوا من دعوتهم للناس في البيوت والمحلات والشارع .. ثم يجتمعون بعد الصلاة مغربا لسماع الدرس والبيان ، وينهض أحدهم بعد سلام الإمام مباشرة طالبا من الناس الانتظار والمكث والصبر وقتا قليلا لسماع كلام الدين والإيمان بعد السنة أي صلاة سنة المغرب .. ويوضع للمختار مقعدا قبالة الناس لبيان الموعظة ، ويجلس على الكرسي ، ولما يبدأ الناس بالخروج والانتهاء من السنة .. يبدأ المختار بحمد الله والصلاة على النبي ﷺ وشرح الصفات الستة بالأسلوب اللائق به .. وآخر الصفات الدعوة والخروج ، فيشجع السامعين على الالتحاق بالجماعة ؛ ليتعلم معهم الإيمان والصلاة وغيرها .. ويشجعونهم على الخروج يوما أو أكثر .. وأحيانا يسجلون أسماء المتحمسين للخروج .

وميلاد منذ ارتاح للمشي معهم وفي ركابهم ، وهو يواظب على مشاركتهم داخل البلد وخارجه لأنه أعزب ، والشيخ حميد كفاه مشقة الشغل ، ويقاسمه الأرباح آخر كل سنة .. وأصبح مثل حسن معروفا للمشايخ ، ويناقش أحيانا في مسائل فقهية عويصة ؛ ولكنه كان شجاعا ، ولا يتحدث إلا بما يعرف ويفهم وحول الدعوة .. ووضع على رأسه عمامة الجماعة .. واتخذ عصا يتوكأ عليها ويعظ بها .

اتصل حميد بعد خروج ميلاد لجنوب البلاد بعبد الصمد الذي طمأنه على وصول الفاكس ، وأنه يسعى له بدخول كندا ، وأنه سيمر على سفارة بلاده في أمريكا ويقدم طلبا لسفر الشيخ ميلاد ، وإذا لم يتيسر الأمر في الولايات المتحدة سيزور بلده بنفسه لتقديم طلب زيارة .

ودعاه حميد لزيارتهم فقال : أنا أعرف بلدكم ، وربما أسعد بالخروج إليها . وتبادلا التحية

والسلام .

لاحظ رفاق ميلاد في جولته الدعوية الأخيرة انشغال باله ، وكثرة سرحانه مما دفع الشيخ حسن محمد الذي يجتهد ميلاد في مرافقته في الداخل والخارج أن يسأله عما يشغل فكره فأجابه بعد تردد : أفكر بالسفر إلى كندا !

ـ ماذا ؟! كندا .. دولة كندا ؟!

ـ نعم ، يا أبا صلاح كندا التي عند القطب الشمالي .. أفكر بالسفر إلى كندا لأريح ضميري من قضية تشغله وتؤرقه .

ولخص للشيخ قصته مع ابنة عمه أيام الجاهلية والضياع ، فعلق حسن بعد سماع القصة : ما شاء الله ! ضمير حي يا شيخ ميلاد ! هل تعلم كم ستكلفك هذه الرحلة ماديا ؟

قال : قال الشيخ حميد تحتاج إلى ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف دينار .. بين تذاكر وفنادق وذهاب وإياب .. ليس مهما المال يا حسن فإن ابن عمي حميد جزاه الله كل خير سيوفر لي المال والدعم

قال حسن : حميد أبو محمد رجل كريم ، وهو محب لك كثيرا ، ودائما يدعو لك بالخير .

ـ نعم ، كرهني إخوتي أيام جاهليتي وابتعدوا عني ، وكان حميد يعاتبني ويحثني على الصحيان وترك الشراب والفجور .. بلطف ، وقسم الشركة بيننا للضغط عليّ أيضا لترك الفجور .. كنت جنديا للشيطان استحوذ اللعين عليّ

تبسم حسن وقال : الحمد لله الذي أنقذك من الشيطان والجاهلية .. وهل اتخذت خطوات عملية للذهاب لتلك البلاد ؟

ضحك ميلاد وقال : حاولت قديما السفر للانتقام وفشلت ، واليوم أحاول السفر لطلب العفو والصفح .. ولعلك لاحظت في رحلتنا الفائتة لدكا ، وخاصة عندما تعرفت على الشيخ عبد الصمد الكندي .. الطبيب الكندي

ـ إني اذكره جيدا ، وقد حدثنا عن إسلامه ، وكيف التحق بالجماعة في مصر ؟ المركز العالمي للدعوة الإسلامية في قرية طموه القريبة من الجيزة

ـ أجل ، وعدني الرجل بالمساعدة ودخول كندا للقاء قريبتي .. والمفاجأة أنهم قد عملا معا مع ابنة عمي المهاجرة عندما كان يشتغل طبيبا في كندا ، لأنه منذ أسلم يعيش في نيويورك ، وأخبرني أنها هي التي شجعته لفهم الإسلام .

ـ هي ، كيف ذلك ؟!

ـ الدنيا فيها الغرائب والعجائب .. كما أخبرتك هاجرت ابنة عمي للدراسة في كندا مع زوجها الذي طلقها فيما بعد وعاد للبلاد وحده .. ولما اشتغلت في المستشفى تعرفت عليه هي وزوجها والفتاة أحبت الطب يا حسن لأن والدها الذي توفي عنها كان طبيبا فأحبت الطب مثله ، وأنا طبعا لم أفهم هذا وصممت على الزواج منها ، فاضطرت للهرب نحو الغرب ، فزوجها الوصي لطبيب مثله قبل سفرها ، وهي ظلت هناك بعد نيل الشهادات الطبية ، وعاد زوجها إلينا وتزوج بعد سنة من عودته .. وهي ظلت هناك مع ابنتها التي ولدتها هناك .. لماذا بقيت ؟ لست أدري لا أقارب ، لا أهل ، وحتى لم تتزوج مرة ثانية .. المهم رفضت العودة وبقيت .. ربما من ذكرياتها السيئة عنا ، وقد تخلينا عنها وعاشت عند أخوالها .. يا الهي! لقد حاولت قتلها واغتيالها ذات يوم .. كنت مجرما لا أحسن التفكير .. وحميد يشجعني لمقابلتها إذا أمكن لتسامحني ؛ ولعلها تعود للبلاد .. وسيساهم ماديا في رحلتي إلى هناك .. وقد تكون بحكم صحبتها للدكتور عبد الصمد شجعته على الإسلام ، فتحمس وسافر لمصر وتعلم العربية والإسلام وأسلم .

ـ أهي تصلي ؟

ـ عندما كانت هنا كانت تصلي ، وزوجها السابق كان مصليا أيضا ، وتلبس ثيابا حشمة ، لم أرها سافرة أو متبرجة عندما كانت هنا .. المشكلة اليوم ابنتها فهي ابنة الغرب ابنة عاداته وتقاليده .

السفر

عندما عاد ميلاد للعاصمة توجه لمكان العمل ، فوجد حميدا وابنه عمادا في انتظاره ، وبعدما تعانقا وقدم الشاي الساخن لميلاد أعلمه حميد أن الرجل يسعى له في السفارة ووزارة الخارجية وقال : إن الأمر يستغرق وقتا ... شهر شهران .. فتصريح السفر ليس سهلا لأنه ليس هناك اضطرار ولا يأخذ صفة الاستعجال لعدم وجود ضرورة كميت أو مريض أو دراسة

فقال ميلاد : الأمر لله ، لولا تلك المحاولة الجنونية لما فكرت بالسفر.. أنا وقفت ضد زواجها لأتزوجها.. أنا طمعت بذلك .. ولما تزوجت رغم أنفي فقدت صوابي .. ولا أظن أنها ستعود يا حميد.. فهي تخلت عن زوجها من أجل البقاء في تلك الدنيا

ـ أترى أن لا حاجة للسفر لمقابلتها ، وأن لا أمل في عودتها ؟!

ـ قضيت أيام خروجي الأخيرة أفكر بذلك .. أفكر بهذه الرحلة حتى أن الشيخ حسنا والمرافقين لنا انتبهوا لانشغال ذهني فصارحت حسنا بكل التفاصيل

ـ وما رأيه في سفرك ؟

ـ لم يعترض عليّ .. بل دعا لي بالتوفيق وحسن الضمير ، وسألني عن التكاليف لهذه الرحلة وسكت ولما فكرت بتخليها عن زوجها ، قلت لنفسي أيمكن أن تعود معي أو تعدني بالعودة ؟ فهي منذ غادرت لم تأت بزيارة واحدة حتى لأمها التي ليس لها إلا هي .. ترملت أمها يا حميد وما جاءت

ـ صحيح أنها لم تحضر ؛ ولكنها تتحدث معها دائما يا ميلاد .. ولا تنس أن لها ابنة هناك .. وأما تخليها عن الزوج .. فكما علمت من أمها أنها تركته ؛ لأنه كان يفكر بالعودة للزواج والإنجاب لم تقبل أن تعيش ضرة وزوجة ثانية .. وثانيا ابنتها رفضت المجيء إلى هنا ، فهي كما تعلم ولدت هناك ، وحملت الجنسية الكندية منذ ولدت ، فكان على زهيرة أن تبقى مع فلذة كبدها الوحيدة وأنا شجعتك للسفر ليس لتعود بها ، إنما لتطهر نفسك أنت ، وتحمسها للعودة .. ولتعلم صدقك بالتوبة نحوها ، خاصة عندما تراك وأنك تعتذر عما سبق من مضايقتك لها .. ونشعرها

أننا مقصرون نحوها ؛ ولعلها بعد هذا الاعتذار والأسف تغير أفكارها .. وتعلم أننا نكن لها الود والحب والتقدير .. فيا أخي الفاضل إذا كنت غير متشجع لهذه الرحلة فاصرف النظر عن السفر .. وحاول بالتلفون أو كاشف الدكتور عبد الصمد بسبب سعيك لزيارتها ؛ وليقوم هو بهذه المهمة عندما يعود لوطنه ، وأن يقنعها الرجل بأن تسامحك ما دام صديقا لها واشتغلا معا وقد تقبل بالحديث معك على الهاتف ..

بعدما رجع ميلاد من خروجه الدعوي الأخير ولقائه في الصباح التالي مع ابن عمه حميد حسم الأمر ، وقرر ألا يذهب لكندا ، فكتب رسالة يعتذر فيها لزهيرة من سوء سيرته معها ، ويطلب منها أن تسامحه وتغفر له وتقبل اعتذاره ، وأن تتصل به على بيت حميد نبيل ..وإذا شاءت أخذت رقم هاتف المنزل من والدتها .

ولما راجع الرسالة بشكل جيد اتصل ذات ليلة بعبد الصمد في شقته بنيويورك ، ولم يجده في البيت ، وبعد عدة محاولات اتصل بهم عبد الصمد بناء على موعد تركوه له ، فقال ميلاد بعد التحية والسلام : يا أخ عبد الصمد .. آسف جدا لإزعاجك معي .. وأنا قد صرفت نظري عن السفر لكندا .

ولما سأله الرجل عن السبب تعذر بالتكاليف المالية ، وأنه يفكر بالزواج بالمبلغ الذي سينفقه على هذه الرحلة ثم قال : بما أنك زميل سابق للدكتورة زهيرة ، وبينكم معرفة كما أخبرتني في مكالمات سابقة ، سأكتب رسالة خاصة سأرسلها إليك ، وعندما يقدر لك العودة لموطنك ، أرجو أن تسلمها لها ، وتتشفع لي لديها وتحثها على الاتصال بي على الرقم المذكور في الرسالة .. وأريد منك أن تطلب منها أن تعفو عن الأخطاء والإساءات التي ارتكبتها بحقها أيام الجهل والعصيان .. وعندما نلتقي باجتماع الدعوة آخر السنة أرجو أن تكون وفقت في شفاعتك بيننا وإذا حدث الاتصال سأعتذر لها بنفسي .. وأطلب صفحها ، ولكن أعتقد أنها سترفض الحديث مباشرة معي .. كانت علاقتنا معها سيئة للغاية يا دكتور عبد الصمد أنا وأسرتي.

تنهد عبد الصمد ، ولما استوعب رسالة ميلاد قال : أنا قدمت طلب موافقة لك على دخول

كندا كضيف وزائر .. وأنا خلال شهر أو شهرين سآخذ إجازة لأزور أهلي والبلاد لمدة أسبوعين فعجل بإرسال الرسالة .. اكتب صندوق البريد الخاص بي هنا .

ولما وضع ميلاد السماعة قال لحميد بانكسار : أرى أن هذا الحل الأمثل في هذه المرحلة يا عم حميد ..فلا أعتقد أني إذا قدمت اعتذاري ، وقبلته ستعود فورا .. فقد كانت تبغضني أشد البغض وأنا كنت راغبا بالزواج منها أشد الرغبة .. فأنا لما سمعتك تقول إنها تخلت عن زوجها للبقاء وحيدة بين تلك الملايين ، فهذا يؤشر أنها ما زالت تكره ميلاد بن عادل .. وأذكر أنها لم ترسل برقية تعزية في وفاة عمها عادل ، ولا امرأة عمها

ـ ولا عمها نبيل .. أمها عزت عنها ، وزارت امرأة أبيك قريبتها معزية

تنهد ميلاد بعمق وقال : المهم أنها نسيتنا .. فهل إذا قلت لها سامحيني يا ابنة العم ؟ .. أنا آسف أنا نادم ستحمل حقيبتها وتعود .. وكذلك لا تنسى أن ابنتها تتعلم هناك .. فهل تترك المدرسة لتعود بها ؟ .. فأمر مجيئها أراه صعبا ، وربما مستحيلا .. والذي يهمني من الاتصال بها فقط العفو وأن تغفر لي ظلمي لها .. وإذا قدر لي الخروج في سبيل الله في يوم من الأيام لتلك البلاد سأسعى للقاء بها والسلام عليها

فقال حميد : وهل حقا ستتزوج كما سمعتك تقول لعبد الصمد ؟!

ـ الشيخ حسن مصمم على زواجي .. عندما التقينا في مركز الدعوة ليلة الجمعة أعلمني أنه تحدث مع أحد مشايخ الدعوة في هذه الموضوع ، والرجل شاور ابنته فقبلت بي دون أن تراني .

فقال حميد فرحا : والله هذا تطور جميل ! ولا أظنها طبعا ترفض شيخا مثلك .. يا ما تمنيت أن أراك زوجا وأبا .. لقد تأخر زواجك كثيرا ..

فضحك ميلاد وقال : ألم يتزوج عمي مجدي على الأربعين؟ فأنا أحاكيه

ـ أوه !! نحن وصلنا فوق الأربعين يا شيخ ميلاد ..

ـ لما تأكد لشيخنا حسن صرف فكري عن السفر لكندا قال معقبا خلاص فلوس كندا تحول لزواج الشيخ ميلاد .. ودع أمر ابنة عمك للقدر .. وهي لم يصبها شيء من الحادث كما قلت ،

والتائب من الذنب كمن لا ذنب له

ـ جميل هذا من الشيخ أبي صلاح ! ولكنه حق عباد !

ـ وهذا الذي يؤرقني يا حميد .. حق زهيرة

ـ رحمته واسعة وقريبة من المحسنين .



تلقى السيد عبد الصمد الكندي رسالة الشيخ ميلاد الذي عرفناه قديما بهنري جوليانز الطبيب بالمستشفى العام في مدينة مونتريال ، وتركناه وقد طلق زوجته الكندية ذات الأصول الفرنسية متجها إلى الولايات المتحدة في إجازة ، ثم ظهر بعبد الصمد في رايوند الباكستان مصاحبا للشيخ الجديد ميلاد عادل ، أخذه الحماس لإيصال الرسالة لزهيرة التي لم يرها منذ ذلك الفراق ، فرتب أموره لقضاء أيام في كندا ، واستقل الطائرة من مطار لاغوارديا في مدينة نيويورك إلى مطار مونتريال .. إلى المدينة التي ولد ونشأ فيها ، وتعلم في إحدى جامعاتها الطب والجراحة ، وكما تفاجأ ميلاد وحميد بمعرفته بقريبتهم ، هو أيضا عجب لتصاريف القدر ، فأوجد ذلك حماسا وهمة لرؤية زهيرة سامر ، هكذا عرفها في المستشفى .

والغربيون يحبون إذا اعتنقوا الإسلام أن يغيروا أسمائهم إلى أسماء عربية إسلامية عميقة على أسماء الصحابة ، والعلماء ، فتسمى هنري بعبد الصمد المقرئ المصري المشهور عبد الباسط عبد الصمد .. لا تستغرق الرحلة من نيويورك إلى كندا سوى ساعات يسيرة ، فكندا والولايات مشتركون في حدود طويلة ، فوصل ليلا ونزل في فندق فخم يحب النزول فيه كلما عاد للمدينة فهو كان شريكا لزوجته جنفياف في شقة ، يدفعان أجرتها بالمناصفة ، قضى ليله في غرفته في الفندق .. ولم يتصل بأحد إلا بأمه مخبرا له أنه سيمر مسلما عليها ، ويتناول معها الغداء ، ثم يتعشى مع والده المنفصل عن أمه منذ سنوات طويلة ، وكان يتواصل مع أخته وأخيه بالهاتف

فقط ، وله أخت من أبيه من أم أخرى أو عشيقة بالأحرى ، ثم اعترف أبوه بها بعد خلاصه من أمها .. ووالداه من أتباع المذهب الكاثوليكي ، ومتعصبان له بشدة رغم عدم معرفتهما بالتدين كما يقول هنري عنهما ، وبعد مشاركة أمه الغداء اتصل بمادلين ابنته معلما لها بوجوده في المدينة إذا أحبت رؤيته والحديث معه ، فأخبرته أنها ليس لديها وقت هذا اليوم فترك لها رقم الفندق والغرفة .. وفي الليل ضاف والده وجلس معه وقتا يسيرا ، ثم مر على بعض معارفه من الأطباء الذين ما زال يتواصل معهم ، وعاد لفندقه عند منتصف الليل ، وجلس في الصالة يشرب القهوة واتصل عدة اتصالات .. وقضى ليلته الثانية في الفندق الذي اعتاد أن ينزل فيه كلما قدم المدينة وقبل الظهر خرج في جولة في المدينة



ينتشر في مونتريال وأحيائها عدد من المساجد ، في سان لوران مسجد الإسلام والروضة ، والمدينة ، والرابطة ، ومسجد كلية فانيير، ويوجد في منطقة لافال مسجد خالد بن الوليد والأنصار ، ومركز الثقافة ، ومسجد عقبة بن نافع وفي منطقة الدو بارك مسجد الإحسان ، والسنة النبوية ومسجد الأمين ، ومسجد عثمان بن عفان وفي منطقة كوت دينيج مسجد بلال الإسلامي ، ومعاذ بن جبل ، والفلاح ، وطيبة ، ومسجد جامعة مونتريال ، وأبو بكر الصديق ومنطقة شمال مونتريال وسان ليونارد مسجد نور الإسلام والشورى ، مركز بدر الإسلامي السالم ، الفاروق ، وللطائفة الشيعية مساجد خاصة بهم وخاصة مهاجري العراق

أدى صلاة الظهر في مسجد السنة النبوية ، وبعد أن غادر المسجد دخل مقهى في نفس الشارع واتصل بمستشفى مونتريال العام حيث تعمل الدكتورة فأخبر أنها غادرت العمل قبل وقت يسير ، فاتصل ببيتها على الرقم المعروف له ، وقد علم من بعض رفاقه أنها لم تغير سكنها ، فردت عليه الخادمة وهي كما يذكر فتاة من أمريكا الجنوبية من غواتيمالا ، هكذا كان يهمس لنفسه وقال ما زالت لديها نفس الخادمة .. لا أعتقد أنها نسيتني بعد خمس سنوات .. فذكرها بنفسه فعرفته

ورحبت به ، ثم أخبرته أن المدام زهيرة لم ترجع للبيت بعد ، واتصلت بها عند مغادرة المستشفى وأخبرتها أنها في السوق ، وأنها سوف تجتمع بابنتها للغداء في المدينة .. فأخبر بأنه سيتصل بها ليلا ، ولتعلمها بهذا ، وغادر المقهى وهو يقول : لماذا لم أخذ رقم الموبايل الخاص بزهيرة ؟! تمشى نحو المسجد من جديد فوجده مغلقا ، فتعجب ثم تذكر أن أحداث نيويورك وواشنطن جعلت الإدارة الكندية تغير من نظام فتح وإغلاق المسجد ، وكندا فيها جالية إسلامية لا بأس بها ، وإن كان عددهم بالنسبة للسكان الأصليين ضئيلا ، فجلس على مقعد أمام المسجد لدقائق ثم دخل كوخا صغيرا يبيع الكتب الإسلامية والأشرطة وأقراص الكمبيوتر واشترى كتابا دينيا ومر على عيادة طبية لزميل له يعمل فيها ، وهي خاضعة لإحدى الجمعيات ، فتصافحا وقال زميله : أنت شيخ مسلم بحق يا هنري ! .. قلت لي إنك تحمل اسم صمد حمد .. عبد الصمد .

ـ نعم ، يا جون .. هذا اسمي العربي .. يا الله يا جون ! عندما ترى نفسك واحدا بين ملايين المسلمين في مجمع واحد من أقطار العالم تصاب بالذهول

وطفق يحدثه عن اجتماع دكا السنوي في بلاد الهنود في وسط آسيا بإعجاب وإسهاب ، ولما سكت قال جون : أو ليس هؤلاء هم الذين فجروا أبراج نيويورك ؟ أو ليسوا هم مسلمين ؟!

تبسم هنري لخبث جون وغمزه وقال : ليس كل المسلمين واحد ، كما ليس كل النصارى واحد الذي فجر أوكلاهوما لم يكن مسلما يا جون .. إرهاب في المسلمين إرهاب في الشيوعيين إرهاب في المسيحيين .. ولا تنسى أن عددا من المسلمين قتل في أحداث نيويورك في أحداث مبنى التجارة العالمي .. وأنا عند الأحداث تلك كنت في المدينة أعمل في أحد المستشفيات الكبيرة

ـ فعلا هنري ، لماذا تركت مدينتك هذه للعمل في نيويورك؟! .. أيدفعون لك أكثر من هنا ؟

ـ لا ، أنا ذهبت للإسلام .. نيويورك مدينة مليئة بالمسلمين والعرب والهنود .. وأجور الأطباء هنا كما هي في أمريكا بشكل عام .. وهناك تفاوت بسيط بين ولاية وأخرى .. تنتشر في نيويورك آلاف المطاعم التي تبيع الطعام الحلال والرخيص أتصدق هذا ؟!..

تفاجأت زهيرة مفاجأة حقيقية لما أعلمتها خادمتها باتصال هنري تيدي والد مادلين ، فهي منذ

طلاقه لزوجته وتركه العمل في المستشفى لم تره ، ولم تسمع صوته ، علمت بخبر سفره ، وانتشار خبر إسلامه في الوسط الطبي ، ماذا يريد مني بعد كل هذه الغياب ؟! فأخذت ذكرياتها مع هنري وأسرته تتوارد على ذهنها وخيالها .. عادت بها الذكرى لقسم المواليد في المستشفى العام بمونتريال حيث التقيا أول مرة .. فهو الجراح النسائي الماهر والذي كان يقوم بعمليات قيصرية وولادة متعسرة ..

فعندما كان رئيسها كانوا يتبادلون الزيارات العائلية ، وذلك قبل طلاقها وطلاقه .. وتذكرت أنها لما انفصلت عن زوجها لم يعد بينهما سوى لقاءات وحوارات المستشفى أثناء العمل ودقائق الاستراحة .. لم يعودوا يذهبون للحدائق والمتنزهات المنتشرة في منطقة مونتريال .

ولم تقض زهيرة هذه السنوات في راحة وسعادة مع أنها كانت تسافر هنا وهناك لتغيير الجو والخروج من رتابة العمل وجدران البيت .. فكانت تأخذ إجازات العمل وتتجول في البلاد ، وشاركت بعدد من الرحلات السياحية الداخلية .. وكانت تصحب ابنتها في بعضها ، وبعضها ترافق شمس زميلاتها في المدرسة والنوادي التي تتردد عليها .



وكانت زهيرة في لهفة واضحة لسماع صوت الدكتور هنري خاصة بعد إشهار إسلامه ، وفي شوق لمعرفة لماذا قطع علاقته معها كل هذه السنوات ، لذلك كان الترحيب بينهم حميما وحارا وبعدما اطمئن كل منهما على صحة الآخر قال : كيف سنلتقي ؟ ما رأيك بعشاء في مطعم عام وعال الجودة في وسط المدينة قرب الحي الصيني .. فهناك أكلات عربية وإسلامية .

ـ أنا عندي إجازة غدا ؛ فليكن غداء يا دكتور هنري في نفس المطعم .

وسط مونتريال يوجد فيه الأبنية المرتفعة والفنادق والمسارح ومراكز التسوق على جانبي المنطقة وهناك محلات الألبسة والمطاعم ، ومجمعات المكاتب والشقق الخاصة ، ومراكز المؤتمرات ،

والحانات المخصصة للدعارة وحيث تنتشر فتيات الليل والمومسات حتى ماين وقرية الشاذين ويمتد شارع ماين من الحي الصيني وموازيا بولفار سان لوران .. وشارع ماين يعتبر مركزا للمحلات والمطاعم الصغيرة والمقاهي الرخيصة .. بينما يعتبر شارع سان شريانه التجاري ، ويعتبر شارع ماين وسط المدينة خليطا ثقافيا ، ففيه معظم اللغات والجاليات العرقية ، تتجاور فيه المحلات الإيطالية والبرتغالية واليونانية والبولندية والصينية ، وتمتد معه صعودا من الميناء حتى الجبل ، وكان شارع ماين محطة استقبال المهاجرين الرئيسية للشقق الرخيصة فيه ، فيأتي الغرباء لماين لصفقات شراء بالجملة ، ووجبات طعام رخيصة ، وعقاقير غير قانونية .

التقيا في المطعم المعروف لهما منذ زمن ، فلما رأته زهيرة ذهلت وهتفت ببشر : هذا أنت شيخ بحق ! لحية ودشداش عربية وعمامة..! أراك مثل شيوخ بلادنا أتمشي بشوارع كندا بمثل هذه الثياب ؟!

ابتسم ورحب بها ، واعتذر عن مصافحتها كما تعودا ذلك قديما ، ولما جلست شكرته وقالت : والله أنت شيخ جميل يا هنري !

ـ غيرت اسمي صرت عبد الصمد .. مرحبا بالدكتورة العزيزة والصديقة القديمة ومحررتي من الكفر والضلال .

كانت تسمع ذلك ، وهي في دهشة مما يردد ، فتابع : أنا لبست هذه لمقابلتك بها ، ولكني ألبسها في بلاد المسلمين .. وعند الصلاة .. كيف ابنتك يا زهيرة ؟

ـ الحمد لله .. حدثني عن نفسك أيها الإنسان ؟

ـ الحمد لله رب العالمين يا دكتورة .. ما أخبارك ؟

ـ كما هي على افترقنا عليه عمل .. عمل .. نوم .. قليل من الرحلات .

ـ أما زلت بدون زواج ؟

ـ أتزوج ؟! ومن يتزوجني يا هنري عفوا عبد الصمد ؟ .. لست بالحسناء والمثيرة للرجال .. ومؤسسة الزواج عندكم شكلية .. لا الرجل يخلص لزوجته ولا الزوجة الشابة تخلص لزوجها

إننا نسمع حكايات غريبة لكبار السن .. زواجكم معقد .. زواج بدون زواج .. وهذا لا يوافق تقاليدنا كما تعلم .. لم يحدثني أحد عن الزواج بعد انفصالي عن سامر إلا أنت ، وذلك قبل سنوات لعلك تذكر ذلك .

ابتسم لها وقال : وهل أنساه ؟!

قدم لهم النادل الطعام الذي طلبه هنري ، ولما بدآ يأكلان قال هنري : صدقي يا دكتورة أنني كنت تلك الأيام راغب بالاقتران بك على دين محمد ﷺ ، كنت سيدة فاضلة في نظري وما زلت وأنا معجب بالوفاء عند النساء العربيات والإسلاميات في مجتمعهن وحتى في المجتمعات الغربية ، رغم ما يشوب ذلك اليوم من الانفلات والضياع .. ولا يخلو مجتمع من فسق وفجور أما أن يصبح الفجور أمرا طبيعيا فهذا مأساة .. كنت أرى حياتكم أنت وسامرا ، فأعجب من اكتفاء كل واحد منكم من الآخر .. نحن أزواج بلا زواج .. عندما يدخل الرجل شقته ويجد ويرى بين أحضان امرأته رجلا من الشارع .. سيسكت .. وسيعالج المشكلة بإحضار عشيقته للبيت أو بنت هوى .. فهذا يحارب هذه وتلك تحارب هذا شيء مؤلم ! .. ما زلت في نفس المستشفى ؟

همست وهي تمسح يديها وفمها بمناديل المائدة قائلة : أجل ، الحمد لله على النعم .. شكرا على هذا ـ وأشارت للطعام ـ وبارك الله فيك .

ـ شكرا على تلبية الدعوة .. لم تأكلي كثيرا .. لكنني أعرف عادتك هذه ..

ـ وأنت لم تتزوج بعد ؟

رد وهو يبلع لقمة وضعها في فمه : تعرفت على ممرضة في مستشفى نيويورك .. تريد علاقة بدون زواج ، ولما علمت أنني مسلم حقيقي رفضت الزواج البتة .. وتركت الأمر لليوم .. فأني أقضي وقتا طويلا من السنة في الترحال .. وقد مللت الجنس والحياة الزوجية ..

ولما نظف يديه وفمه بمناديل المائدة الرطبة قال : فكرت أن أعود إليك خاطبا بعد إعلان إسلامي بمصر وأخاطبك قائلا ها أنا عدت إليك مسلما حقيقيا .. ليس مسلما من أجل الزواج

فقد تعرفت على بعض المسلمين من جماعة يسميها الناس جماعة التبليغ والدعوة ولهم مركز نشط في قرية طموه قرب الجيزة في القاهرة .. فرغبت بزيادة إيماني ونشر الإسلام بين الناس الضالين خاصة أن الدعوة تحتاج لناس يتقنون اللغة الفرنسية والإنجليزية والعربية فتشجعت وتحمست والتحقت بهم .. فسافرت الهند والباكستان وبنغلاديش وإندونيسيا وماليزيا والنمسا وبلغاريا وروسيا .. بعضها نمكث فيها أسابيع وبعضها أياما .. وبعضها أشهر كالباكستان ودكا .. ولما عدت لأمريكا تيسر لي عمل في أحد مشافي نيويورك .. وهي مدينة عظيمة وتاريخية فعلا .. كل أجناس العالم تقطنها .. ومن كل ولايات أمريكا يفدون إليها للسياحة للعمل .. وخرجت إلى تشيلي كمترجم مع جماعة من الباكستان .. لمدة عشرة أيام .. وغادروا للبيرو وعدت لعملي .. وهكذا تمضي أيامي بفضل الله .. فلم تشغلني قضية الزواج بعد دخولي الإسلام لولا أنها سنة النبي محمد ﷺ ..

فتممت زهيرة بالصلاة والسلام على نبي الإيمان والإسلام ، وهي مستغرقة في التفكير في هذه المخلوق الذي عرفته ماهرا في الطب ، وماجنا مع الموظفات ومع المريضات ، وعاد يقول : حياة ممتعة لإنقاذ الناس من الجاهلية والكفر .. هيا نخرج ونجلس في إحدى الحدائق .. ألا تحبين هذه العادة ؟

ضحكت وهما ينهضان ويغادران المطعم وقالت : جميل منك هذا يا عبد الصمد ! .. ما زلت تذكر أشياء أحبها .. فقد قدمت لي الطعام الذي أحبه .. وها أنت تدعونني للمكان الذي أحب الجلوس فيه ..

ـ فهنا حديقة قريبة .. فلتبق سيارتك مكانها .. أم ترغبين بالانصراف

ـ لا ، بل أنا مسرورة بلقائك .. وكنت بشوق لمعرفة أخبارك يا هنري .. فنحن قضينا عمرا نعمل فيه معا .. فأنت زميل له ذكريات حسنة في قلبي ونفسي .. كيف أسلمت بالتفصيل ؟

مشيا إلى تلك الحديقة التي يعرفها هنري وزهيرة منذ زمن بعيد .. فحدائق مونتريال كثيرة ومنتشرة في كل أحياء وشوارع المدينة ، وجلسا على مقعدين منفصلين مقابل بعضهم البعض

وطلبا شايا من أحد باعة الشاي: أنت جميل يا هنري بهذه اللحية الشقراء وبهذا الدشداش العربي !

ـ هذا بفضلك يا زهيرة .

قالت متعجبة : بفضلي .. لا .. هذا بفضل الله أولا .. وأنت كنت بحاجة للإسلام لتنقذ روحك بعدما شبعت من الشهوات شهوات الجسد .. كنت تبحث عن شيء يملأ روحك .. فرأيتني فظننت أن راحتك الروحية بالزواج مني ..وأنك بمجرد التلفظ بالشهادتين سيسهل الزواج من زهيرة

ـ نعم .. أعرف أن كلامك حق .. أنا لم أفكر بالإسلام يومذاك كدين حقيقي .. مسلم كما رأيت كثيرا من المسلمين في بلادنا ..لا يصلون لا يصومون .. يسكرون يرتادون الحانات ودور البغاء لكنك كنت تختلفين عن الآخرين أنت وسامر .. أرى صلاتكم ومعاناتكم في رمضان .. بعدكم عن الخمر والزنا .. لم أرك تكشفين ساقيك وشعرك ككثير من بنات العرب والمسلمين هنا .. تجتهدين حتى لا يرى ذراعيك أثناء العمل .. فهذا جميل وجميل ! ولا تهتمين بمعاكسات الأطباء وغيرهم .. فأعجبت بك حقا ، ولما طلقت رغبت بك زوجة حقيقة يا دكتورة .. ولكنك أدركت أن إسلامي من أجل شهوة .. وليس من أجل الدين .. ولما عرفت الإسلام ورأيت المسلمين في الباكستان وبنغلاديش .. أدركت الفرق بين إسلامك وإسلامهم أدركت أنك لم تكوني متدينة بمعنى التدين الملتزم .. معذرة يا دكتورة

ـ اعرف يا هنري .. الملتزمات في بلدي حق الالتزام يلبسن الملابس السميكة ، يسمونه الجلباب ولكن لباسي هذا يعتبر محتشما ، ولا يعتبر سافرا كما ترى في فتيات التعري ، وكشف الشعر والشورت .. حدثني عن رحلتك الإيمانية .

ـ كلامك عن الإسلام الحقيقي دفعني للرحيل والبحث عن الإسلام الحقيقي .. راجعت بعض المراكز الإسلامية في نيويورك .. فنصحني أحد الأئمة بالذهاب لمصر ، وتعلم العربية وفهم مبادئ الإسلام ثم إشهار إسلامي .. وأخذت بنصيحته وأنهيت خدمتي في مونتريال ..

وسافرت لأعرف الإسلام الحقيقي الذي تتحدث عنه زهيرة العربية .. أنا كما تعلمين تعاملت مع المسلمين هنا سواء عربا أم غير عرب .. من خلال العمل .. من خلال الصحف الكندية والمجلات .. من خلال الشارع .. ورفاقي المسلمون من العرب والهنود كلهم أيد كلام ذلك الإمام .. فرحلت إلى مصر أم الدنيا كما يقول أهل مصر .. ذهبت للأزهر .. ووجدت تشجيعا من كل من التقيت بهم ، ورغبوا إليّ الإسلام ، وكذلك بعض علماء الأزهر .. والتحقت بمعهد تعليم العربية لغير الناطقين بالعربية .. ومن سمع حكاية وسبب هذه الرحلة يثنون عليك خيرا وقالوا إن تلك المرأة ناصحة .. الإسلام ليس فقط لفظ الشهادتين وانتهى الموضوع .. وأخذت أقرأ عن الإسلام باللغة الإنجليزية والفرنسية .. وبعضها جميل ، ويكتب عن الإسلام بإنصاف وآخر يكتب بتشنج وتعصب نصراني .. فبعضها بنفس علمي وتاريخي ، وبعضها بنفس استعماري مشكك .. وبعد أشهر تعلمت الكثير من العربية ، واستطعت قراءة بعض كتب تعرف بالدين الإسلامي بشكل موجز موجه لغير المسلمين .. ثم أشهرت إسلامي في مكتب خاص بجامعة الأزهر .. ومنحوني وثيقة رسمية بأني أصبحت مسلما وعليّ أن اتبع تعليمات وأحكام الإسلام ، وأعطوني كتبا أو كتيبات عن الصلاة بالعربي وبالإنجليزي .. وتسميت بعبد الصمد على اسم مقرئ مصري مشهور سمعت بعض قراءته اسمه الشيخ عبد الصمد .. وبدأت أقرأ الكتب العربية .. والتقيت كما قلت لك بجماعة نشطة في القاهرة والريف يتأسون لباسا وزهدا ودعوة بالرسول ﷺ والتحقت بهم وبنشاطهم .. وهي جماعة نشأت بالهند قبل عقود واشتد عودها بالباكستان ونشاطها على مستوى العالم ، وخرجت معهم في مصر ، وبعد أكثر من سنة عدت لأمريكا ، وعملت في مستشفى في مدينة نيويورك في كوينز لوجود أصدقاء درسوا معي في كلية طب كوبيك .

استمعت زهيرة بقلب منفتح لرحلة إسلام هنري وبكل تأن وصبر وإعجاب ، وعجبت لكلمة خرجت من فيهها قلبت كيان هذا الجراح ، ولما صمت الرجل ، ونظر في عينيها منتظرا كلاما منها قالت :إنسان عظيم يا هنري ! عفوا يا عبد الصمد !

ـ لا بأس بأي الأسماء ناديتني فهو مقبول .. ومنذ ماشيت جماعة التبليغ وأنا أحرص على الذهاب للاهور ودكا للمشاركة في أهم اجتماعات الجماعة .. هناك أعلم هيبة هذا الدين يا دكتورة .. ملايين تحضر هذين الاجتماعين .. مثل الحج لمكة .. دعاة من قارات العالم يتوافدون لسماع المحاضرات الدعوية ، ثم تخرج الجماعات الصغيرة إلى أركان الأرض المعمورة للدعوة لدين الإسلام .. هذه هي حياتي الجديدة يا دكتورة زهيرة ..

ـ إذن حججت يا هنري .

ـ نعم ، ذهبت وأنا في مصر لأداء عمرة بعد دخولي الإسلام .. ثم حججت في موسم الحج .. المشهد مهيب ومثير .. أدعية بشتى اللغات واللهجات .. الحج ركن عظيم من أركان الإسلام وقد قرأت بعض رحلات الرحالة في زياراتهم للديار المقدسة .. ولدي رغبة بالعودة إليها في يوم من الأيام .. ونحن الغربيون لنا معاملات مميزة في دول الخليج أو باكستان وبنغلاديش .. فالناس يعجبون من دخولنا الإسلام .. والدنيا مفتوحة لنا ، فكيف نترك الدنيا إلى الإسلام؟! فالمسلمون لديهم كنز عظيم العالم بحاجة إليه .. رغم ما رأيته من فقر وحاجة للناس في الباكستان ودكا، فهم سعداء يعيشون كأنهم يملكون الدنيا .. فأنتم يا دكتورة لأنكم ولدتم مسلمين لا تشعرون بما نشعر به عند إسلامنا .. فتتقمص فينا أحاسيس مرهفة .. نشعر كأننا ولدنا من جديد .. نشعر بلذة أثناء أداء الصلاة والعبادات .. وأعجب من جهل المسلمين بإسلامهم .. وابتعاد الناس عنه والبحث عن مذاهب وديانات أخرى .. هم يرون محاسن الغرب فقط ، لا يرون أو يغضون النظر عن مساوئ وسيئات حضارتنا .. الحياة المادية والشهوانية حياة الجسد .. فمنذ وعيت وتركت زيارة الكنيسة أيام المراهقة ، كانت حياتي حياة شهوات وجنس ، والبحث عن الملذات من الأكل والشراب واللعب واللهو والمخدرات .. حياة مادية .. ورغم لذتها لكن زوالها سريع .. وكم من معارفنا هلك بالإيدز ؟.. بالموت بجرعة زائدة من المخدرات .. التعرض لحادث سير أثناء حالة سكر .. الزنا مباح بصور وأشكال مختلفة وأنت لك سنوات تعيشين بيننا ، ورأيت من المشاكل .. وكم عالجنا نساء حوامل يتعاطين

الكحول والمخدرات وهن غير مباليات بحياة الأجنة؟ .. ولماذا يقبلن بالحمل وهنّ راغبات بقتله؟! .. زنيت باسم الحب ، وامرأتي كانت تزني باسم الحب والحرية الشخصية .. أليس هذا حمقا وسفاهة؟ ..

ـ عندكم العلم !

ـ هو هذا الذي يخفي عن أعين الناس حياتنا الماجنة .. عندنا التكنولوجيا والصواريخ .. فجرت أمريكا بطياراتنا .. فاخترعوا الإرهاب العالمي ليمنعوا الناس من الإسلام .. ولكن الناس أخذت تسأل عن الإسلام .. ولماذا جرى هذا الحادث بهدم الأبراج ؟

ـ إننا نحمل جنسية كندية .. ومع ذلك فنحن نعاني من هذا الحادث .. فأصولنا الإسلامية تطاردنا .. ويسخرون منا ويعتبروننا قنابل مؤقتة ..

ـ زوبعة في فنجان ..إنهم يريدون مسلمين بلا إسلام ، لهم الأسماء فقط ؛ ليقولوا بلادنا تجتمع فيها جميع ملل العالم ، وهي تعيش بسلام ووئام .. لا يريدون المزيد من المساجد ..والمراكز الإسلامية .. أما التبشير فمسموح به في بلاد المسلمين بالتطبيب بالتعليم بالأفلام .. طال مقامنا في هذه الحديقة ، سأذهب للصلاة في المسجد القريب .. هل تذهبين للصلاة ؟

قاما وقالت : أكرر أنني سعدت وسعيدة بلقائي هذا يا حاج عبد الصمد .. وفرحة بإسلامك وأتمنى لك الثبات .. هل يطول بقاؤك هنا ؟

ـ لا ، أيام معدودة .. أسبوعان فقط .. وصدقي أنني جئت لأقابلك شخصيا .

خفق قلبها وقالت برعشة : لعلك ما زلت تأمل بالزواج مني ، من مسلمة عربية ؟!

تبسم لاضطرابها وقال : لا ، الحق لا ، مع رغبتي لذلك

عجبت زهيرة وقالت : لم أفهم ؟!

كان يتابعان الحديث ، وهما يمشيان للمسجد القريب من تلك الحديقة العامة ، فرد هنري قائلا : لما طلقت من الدكتور سامر أحببت الزواج منك ؛ لمعرفتي الكبيرة لك .. لأنني كنت أبحث عن الاستقرار العائلي .. وأحسست بشفقة وعطف نحوك .. لأنك عدت وحيدة في هذا البلاد

فتحمست للزواج منك ، والخلاص من جنفياف ، وكنت مستعدا لإشهار إسلامي ليتم الزواج ولكن صمودك القوي أمام اندفاعي ، ورغبتك في أن يكون إسلامي جديا وحقيقيا دفعني للتعرف على الإسلام بحق .. وتعمق فكري بنصيحتك .. وقبل أن يدخلا المسجد قال : آسف لم أسالك عن شمس كيف هي اليوم ؟

ابتسمت له وقالت وهي تكاد تدمع : سيئة يا هنري فشلت في تربيتها .. المجتمع البيئة جرفتها تعرفت على شباب مستهتر ، وتسافر معهم وترافقهم ، وتزعم لي أنها ما زالت عذراء .. طبعا أنا لم أصدق ذلك ، وجدت معها حبوب منع الحمل ، ولا أستطيع أن أطلب منها الكشف عن عذريتها.. بكت زهيرة فجأة ، مما حرق قلب هنري ، فهو يعرف أهمية العذرية عند العرب والمسلمين خاصة المحافظين ، وأخذ يخفف عنها وقال : لا أدري ما الذي دفعني للسؤال عنها للأسف كنت أتوقع لها ذلك .. هي ابنة تقاليد هذه البلاد .. رغم سنها الصغير كانت متمردة حتى مع وجود أبيها هنا وأذكر أني قلت لكم يوما إنها ابنة هذه البلاد فانتبهوا لها

مسحت دموعها وهمست : لم أنس ذلك يا هنري .. إنما كنا عاجزين عن فعل شيء ، كنا بين دراسة وعمل .. والخادمة ماذا ستفعل لها ؟! ليس باليد حيلة في مجتمع منفتح كهذا .. الحكومة مع الانحلال باسم الحرية .. والإقناع لم نوفق فيه معها .. فما كان أمامي إلا الصمت والدعاء بالهداية وأن تحس بالمسؤولية .. البيئة قاتلة خاصة عندنا نحن المسلمين الذين نزعم أننا محافظون وهذا أحد أسباب تحمس سامر للعودة للوطن قال البنت تكبر يا زهيرة ، ولا طاقة على تربيتها كما تربينا .. وعندما ترى صاحباتها وزميلاتها سواء في الثانوية أم النوادي يتحدثن عن الحب وممارسة الحب والجنس وتسمع عن تجاربهن مع الشباب والطلاب .. فستقلدهن وتحاكيهن .. والمجتمع معها ويهون عليها أي اتصال خارج قانون الزواج ..

ـ على كل أنت فعلت ما عليك.. لكل بيئة محاسنها ومساوئها .. يبدو أن الأذان اقترب ، فها هو المؤذن يدخل المسجد .. وأما عدم رغبتي بالزواج فهي باختصار أن الظروف تغيرت .. وأنت أخبرتيني بمشاكلك الصحية من ناحية الإنجاب .. ولي اليوم رغبة بالإنجاب ذرية مسلمة

ـ نعم ، أذكر ذلك يا هنري

ـ هذا سبب صرف نظري عن الزواج منك .. رغبة بالذرية الصالحة ، والإسلام يرغب بالولد الصالح والذرية .. فآمل بامرأة تلد لي إن شاء الله .. معذرة يا زهيرة .. لم يعد الزواج لديّ قضاء الشهوة فحسب ، كما هو حال الناس في هذه البلاد .. ولد واحد أو اثنان فقط .. ثم تصبح الحياة للجنس والملذات .

بعدما خرجا من المسجد التقيا ثانية ، واتجها إلى سيارة زهيرة ، فقالت بعد صمت : كأنك ذكرت لي قبل الصلاة أنك جئت المدينة لتراني شخصيا .

ـ نعم ، أخذت هذه الإجازة لأرى السيدة الفاضلة زهيرة .. لم تنسي الدكتور هنري رغم السنوات الخمس التي مضت على فراقنا .

ضحكت وهي تستدير ناظرة في عينيه وقالت : أنساك ! لقد كنت من أفضل زملاء المستشفى وأصدقاء العائلة .. ماذا جئت تطلب مني ؟

ابتسم ، وتابعا المشي وقال : كلفني أحدهم بتوصيل رسالة إليك باليد .

توقفت زهيرة وعادت تنظر في وجهه ووجدته جادا فقالت : رسالة ! .. جئت من أمريكا لتوصيل الرسالة .. لم أفهم يا دكتور ؟!

ـ رسالة مكتوبة بالحبر .. قريب لك شيخ التقيته برايوند باكستان ، وصحبته لدكا ومناطق أخرى في البلدين .. فالشيخ لما عرف أنني كندي تذكرك وتحمس لي وظللنا على اتصال .. ولما عدنا ظل الاتصال بيننا ، وكان يفكر بالسفر إلى كندا بواسطتي للقائك ، ويعتذر إليك عن إساءات ألحقها بك قديما ، عندما كان ضالا في غياهب الجاهلية .

لم يمشيا طبعا ، تقابلا وجها لوجه وهو يذكر لها سبب مجيئه إليها خاصة فهمست : ضال .. ضال!! ما اسم هذا القريب الذي أساء إليّ والتقيته بباكستان ؟!

ـ هو يزعم أنه ابن عمك .

هتفت دهشة : ميلاد .. اسمه ميلاد عادل !

ـ نعم ، اسمه شيخ ميلاد عادل .. وهو من مشايخ الدعوة في بلادكم .. هو شاب طيب ومتحمس للدعوة .. هل عرفتيه ؟

كانت مذهولة زهيرة وهي تردد في نفسها ميلاد شيخ .. ميلاد شيخ

فلما سمعت سؤاله ضحكت ملء فيهها وقالت : أعرفه ؟! كيف لا أعرفه؟! .. كان أحد أسباب خروجي والتفكير بالخروج من بلدي ..

ـ التقينا في بلاد الهنود وتصاحبنا .. وهو تحدث معي في هذا المعنى ، وهو يشعر بتأنيب الضمير بعدما هداه الله للتوبة والإسلام .. وصارحني بما تفوهت به الآن .. وحدثني بأنه كان طامع بالزواج منك قبل أن تصبحين دكتورة .

هزّت رأسها تعجبا وكررت : ميلاد أرسلك لي برسالة ؟!

وفصل لها حكايته مع ميلاد وابن عمه حميد ، وحدثته بدورها عن حكايتها مع ميلاد ، وقال هنري وهو يدفع لها برسالة مغلقة : هذه هي رسالته إليك ، وهي التي جئت من أجل توصيلها لك .. وذكرتني بزميلتي زهيرة والسعي لمقابلتها هذا اللقاء الطويل .. وميلاد الذي حدثتيني عنه غير ميلاد الذي حدثتك عنه .. فاليوم ميلاد شيخ يهاجر في نشر الدين والإسلام شرقا وغربا وربما يصل هذه البلاد داعيا ومرشدا .. ولا يوجد إنسان كامل يا زهيرة .. هو كان يسعى للسفر لمقابلتك وطلب العفو منك لتغفري له وتسامحيه حتى يلقى ربه بريئا من حقوق العباد .

عادت للبكاء والدموع ، وهي تعود بذاكراتها للبلد والوطن ، ومشت وقالت : أنا آسفة من جديد يا هنري! بكيت أمامك اليوم أكثر من مرة .. لنجلس في السيارة أعصابي تعبت .. ولما جلسا في السيارة قالت : هل تحب أن أقرأ الرسالة على مسامعك .

ـ لا ، لا ، أنا أفهم ما فيها ، فالرجل أخطأ في حقك ، فلما هداه مولانا العظيم أدرك كبر جرمه فندم ، وراغب بإصلاح ذات البين .. وقد ألغى السفر الذي كان سيكلفه خمسة آلاف دولار ؛ ليتزوج بها ، فهو لليوم لم يتزوج .. وإذا أحببت الاتصال به مباشرة فستجدين في الرسالة رقم تلفونه الخلوي .. وإذا أحببت أن أنقل له أنك سامحتيه أفعل .. والآن اسمحي لي بالانصراف ،

وقبل مغادرة المدينة سأتصل به .. مودعا

فقالت : كنت أرغب بدعوتك للبيت لأشكرك ، وترى شمسا ؛ لعلك تقدم لها نصيحة ، ولعلها لما تراك ترى عظمة الإسلام وكيف غيرك ؟ ولكن عند طلاقي لم أسمح لرجل أجنبي كما يسمى عندنا بدخول بيتي .. وأنا لن أنساك يا هنري .. هل تحب أن أنقلك لمكان ما ؟

غادر المقعد وقال : أبدا، سأتمشى بالمدينة وأعود لفندقي .. ودفع لها رقم الغرفة وتلفون الفندق وأغلق الباب ، وأشار بيده مودعا ومشى ، وقد بلغ الرسالة وطلب منها قبول شفاعته .



عادت زهيرة لشقتها مع غروب الشمس ، فوجدت ابنتها في الشقة على غير عادتها ، فهي تعود متأخرة في أغلب الليالي ، فبعد الجامعة تنطلق مع صاحباتها وأصحابها للسمر في الملاهي والمقاهي والنوادي والشوارع ، فقالت لأمها : تأخرت يا أمي .. هل رأيت العم هنري ؟

كانت على علم بأن أمها ذهبت للقاء الدكتور هنري ، وهي ما زالت تذكره ، وتذكر امرأته وابنته مادلين ، وليلة أمس عندما اتصل هنري بالبيت ردت عليه هي أولا ، ثم دفعت السماعة لأمها التي كانت تنتظر المكالمة بشغف ؛ لأن الخادمة أخبرتها بذلك ، وكانت الأم بلهفة للحديث مع هنري ، فهو منذ غادر كندا لم يلتقيا ، فكانت بشوق لمعرفة أسباب اختفائه ، لذلك لما عادت للبيت تفاجأت بوجود شمس في البيت بمثل هذه الساعة المبكرة من الليل ، ولما جلستا في غرفة المعيشة قالت شمس : كيف عمي هنري ؟

ـ بخير، ويسلم عليك ، وهو بشوق لمشاهدتك بعدما كبرت ؛ ليرى كيف صرت بعد هذه السنوات ؟

وفاجأت شمس أمها قائلة : هل اتفقتم على الزواج ؟

دهشت زهيرة لسؤال ابنتها ، فحدقت بها استغرابا ، وارتبكت وهي تردد : الزواج !! وبعد صمت بينهما قالت : وهل كنت ذاهبة للزواج ؟

ـ ألم تحدثيني قديما أن الدكتور هنري يطلب منك الزواج ؟ ولماذا بعد هذه السنوات من القطيعة تذكرك ؟

قالت زهيرة بحدة : أنت حمقاء !

فوقفت شمس وترد قائلة :أأنا حمقاء يا أمي ؟! لأني صريحة .

ـ أي صراحة ؟! .. أنت لماذا عدت مبكرة الليلة على غير ما عودتيني ؟ سمعتك أمس تتحدثين مع أحدهم أنكم ستدخلون المسرح الذهبي .

ضحكت شمس وقالت : أريد التخلص منه .. جاك مزعج وثقيل الدم .. وهو يغار من روني صديق في النادي .. أتبكين يا أمي ؟ ما الأمر ؟! أساء لك العم هنري ؟

فصاحت زهيرة في وجهها : ابكي عليك يا شمس ! .. كيف غيرت جلدك ؟

صاحت شمس : قلت لك ألف مرة نحن أبناء كندا لسن أبناء العرب .. عليك أن لا تنسي ذلك ماذا يربطني ببلادك وأهلك؟! .. نحن أهلنا هنا .

ومشت غاضبة إلى حجرتها ، ولما شبعت زهيرة بكاء نهضت وغسلت وجهها ، وطلبت كأس ماء وفنجان قهوة من العاملة لديهم ، ودخلت حجرتها غرفة نومها ، وما زالت تضع صورا فيها لسامر ، وما زالت تحتفظ بالسرير المزدوج ، لم تغيره .. ربما لأن شمس بعد طلاق أمها كانت تنام معها ؛ لأنها كانت صغيرة بعد ابنة إحدى عشرة سنة ، فقالت وهي تجلس على حافة التخت هل كان بإمكاني العودة مع سامر ؟! وعادت بها الذكريات لميلاد وسامر وماهر الوصي وإلى بيت جدتها وزيجات أمها ثم همست أمي لي فترة لم أسمع صوتك

ولما دخلت الخادمة ووضعت القهوة والماء وخرجت اتصلت بأمها وهي تشرب الماء .. وردت عليها خادمة أمها فأخبرتها أن أمها في المستشفى ، فأخذت رقم المستشفى ، فردت عليها ممرضة

وأخبرتها أن أمها مستغرقة في النوم بسبب المنوم بعد عملية متوسطة في الصدر ، فشربت القهوة وقامت للصلاة .. وبينما هي تصلي فتحت شمس الباب ، وأطلت برأسها ، ولبثت دقائق ثم انصرفت ، فلما قضت صلاتها نادت الخادمة وسألتها : ماذا تريد شمس ؟

جاءت شمس عندما أخبرتها الخادمة أن أمها أنهت صلاتها ، وكانت زهيرة تقول لنفسها لابد أن هناك رحلة أو مشوارا وتريد المال

قالت شمس : مرحبا أمي! .. تقبل الله منك الصلاة

ـ شكرا .. ألا تعلمين يا شمس أن لك أخوة في الوطن ؟

صاحت بضيق : أعلم وأرسل لي أبي صورا لهم .. وحثني على زيارة بلده .. أريد أن أغيب عن البيت يومين أو ثلاثة

ـ أين هذه المرة ؟

ـ ليس مهما أين هذه ؟ المهم أني أخبرتك حتى لا تبلغي البوليس .

ـ مع السلامة أرجو أن لا تعودي

ـ أنت تكرهينني يا أمي

ـ اخرجي اخرجي

فصرخت شمس في وجهها: يبدو أن الدكتور هنري لغى موضوع الزواج

ـ ليس بيننا موضوع زواج .. مع السلامة .. أنا قد أغادر إلى بلادنا يا شمس .. عليك تدبير حالك .. هل سمعت ؟

ضحكت شمس وقالت : أنت التي كرهتيني في تلك البلاد .. كنت تقولين هذه بلادنا وتقولين إنها أبغض البلاد .. ومن أجل ذلك قبلت الطلاق والانفصال عن أبي .. ماذا لك في البلد ؟

ـ أمي .. أمي مريضة في المستشفى

ـ وهل هذه أول مرة تمرض أمك ؟

ازداد بكاء زهيرة مجدي وقالت : يا إلهي !!

الأم وابنتها

لقد كانت علاقة زهيرة بابنتها سيئة وزادت سوءا عندما التحقت البنت بالمدرسة الثانوية ، ففقدت السيطرة عليها تماما ، لذلك لما خفت البكاء كما تفعل عادة بعد كل حوار حاد ألقت بنفسها على السرير وقالت : ما الفائدة من المال وقد خسرت ابنتي؟! .. لمن سأجمع المال ؟ لم لا أعود لأمي ؟.. لي قريب من عشرين سنة لم أرها منذ غادرت البلاد ، منذ أن تزوجت ، وها هي شمس في سنتها الأولى في الجامعة .

وبينما هي تفكر بزيارة لأمها واتخاذ القرار المناسب ، تذكرت رسالة ميلاد وقصته مع هنري ، وإرساله شفيعا له ، فقالت ميلاد عادل يطلب الصفح والعفو .. ميلاد أصبح شيخا يدعو الناس للتوبة والإسلام .. يا الهي! هل تمسي شمس شيخة ؟!

فنهضت عن سريرها إلى حقيبة اليد وأخرجت رسالة ميلاد فقرأتها مرة وثانية ، فالرجل يطلب العفو والغفران ، ويقر بأنه أساء إليها بحمقه وجهله وضيق تفكيره ، ويعترف بندمه ، ويود ويتمنى أن تتحدث معه ليسمع منها صوت العفو والصفح .. فأخذت تتذكر ابن عمها عندما كان يزورها مع أمه وأبيه ، وكيف كان يختلس إليها النظرات ؟ وهمست مسكين كان ضحية والديه! .. أقنعوه بالزواج مني من أجل المال الموروث ؛ لكن زهيرة أحبت العلم على الزواج .. أحبت أن تكون طبيبة لتكمل رسالة والدها في علاج المرضى .. فقد ترك لها والدها مالا لتتعلم وتعيش عيشة طيبة .. حاول الشاب مرة أخرى بعد الثانوية العامة .. ولما قبلت في كلية الطب أصيب بالصدمة والخيبة ورأى أن المسافة بعدت بينهم .. فازداد عنفا وحمقا .. هو ترك المدرسة في الإعدادية واتجه لتعلم حرفة يقتات بها .. وزهيرة ستصير طبيبة .. لجأ للتخويف .. نعم ، لقد خفت منه حقيقة .. وكنت واثقة أنه عاجز عن فعل شيء لأنه يعيش في بيت ، وأنا أعيش في بيت وللبيوت حرمتها عند الناس .. لقد كتب لي رسالة معلنا رغبته بالزواج مني ، وأنه يتابع حركتي في الجامعة .. وها هو اليوم يكتب رسالة أخرى يطلب العفو والصفح ويعلن ندمه .. تذكرت أيام الطب في البلد ، عندما كانت تجلس مع ولديّ خالتها نزار ولمياء .. وقريبتها سمر

أصبح نزار مهندسا ، ودخل عالم السياسة عن طريق النقابة .. نزار الهادئ الوديع تزوج من ابنة عم له وعنده خمس أطفال .. صاروا اليوم فتيانا .. كما أخبرتني لمياء باتصال قديم .. أما سمر فقد تزوجت شابا من خارج العائلة كأنه أستاذ مدرسة وعندها خمسة أبناء .. آه ! اشتقت لرؤيتهم والجلوس معهم .. كان الاحترام بيننا كبيرا .. لمياء تزوجت ابن جار لهم ، وولدت ثلاثة أطفال ظلوا أحياء ، ومات لها اثنان .. وهي حامل كما قالت في آخر اتصال .. هؤلاء هم أصدقائي وأهلي في الوطن .. حميد ابن عمي نبيل .. كان يحاول كبح جماحه نحوي .. هكذا كانت تتحدث أمه صديقة أمي .. وهم ما زالوا يترددون على أمي كما تخبر أمي .. ترك شركته مع ميلاد ليصرفه عني .. هل هو الذي حاول قتلي قبل سفري ؟

لم يذكر في رسالته هذه الحادثة .. كان لديّ شعور أنا وسامر أنه هو الفاعل .. ربما لو طال بقاؤنا هناك لعرفنا الحقيقة .. لكنه لم يذكر شيئا في الرسالة .. هل أساء إليّ الرجل فعلا كما يعترف ؟ إنها تصرفات حمقاء تصدر من عقل ضعيف .. هل أتحدث معه وأسمع كلامه ؟ دنيا عجيبة فعلا هنري عبد الصمد صديق للسيد ميلاد .. سبحان الله ! أمر لا يخطر على بال !

طرق الباب ففتحت زهيرة فرأت ابنتها بالباب تدخن فقالت : ألم أقل لك دعيك من هذا الدخان ؟

ـ هذه ليست دخانا إنها سيجارة ماريجوانا .

ـ ماذا تريدين ؟

ـ لعلك هدأت

ـ أهدأ وأنت تضعين مني

ـ كل واحد حر في نفسه يا دكتورة لست طفلة .. لما أتخرج من الجامعة سأترك لك البيت للأبد

ـ ولماذا تنتظرين كل هذه السنوات ؟!

ـ أنا قلت سأغيب عن البيت ، وأنا بحاجة لبعض المال

ـ بعض المال وما هو بعض المال عندك ؟

ـ خمسمائة دولار

ـ بس

ـ بس يا أمي

ـ هلا حدثتي أباك عنها

ـ رفض تحويلها .. فقال ما دام ندفع فلوس الجامعة لماذا خمسمائة دولار ؟

ـ هلا أجبته لماذا ؟

ـ على التلفون اخبره .. عيب يا أمي .. هل أقول له سأذهب مع أصدقائي لمكان كذا ؟ .. عيب

ـ أنا آسفة يا شمس .. عليك أن تعملي وتنفقي على نفسك وعلى الماريجوانا .. نحن علينا مصروف الجامعة وثمن المحاضرات .. الرفاهية والسهرات والرحلات والمخدرات لا دخل لنا بها

ـ كيف لا دخل لكم بها ؟

ـ أنا مللت من دلعك .. لم أعد أطيق رؤيتك

ـ هل أقتل نفسي حتى لا تريني ؟

ـ لم تعد تهمني حياتك بعد أن فقدت كل شيء

ـ فقدت كل شيء .. ماذا تقصدين ؟

ـ أنت تعرفين ماذا أقصد ؟

ـ صدقي أنني لم أفهم قصدك .. لا أحد ينام معي

ـ حبوب منع الحمل لماذا تستعملينها ؟

ـ وهل إذا وجدت معي حبوب منع الحمل يعني أنني استعملها حتى لا أحمل ؟ لو فعلت ذلك لست قلقا من ناحيتك يا أمي .. وأنت تعرفين ذلك .. ألست حرة بما أفعل ؟ وأنت حرة بما تفعلين ؟

ـ هناك أخلاق !

ـ وهل زميلاتي اللواتي يمارسن الجنس مع شباب الكلية بدون أخلاق ؟ .. هذه عقدة الشرقيين ينظرون للجنس نظرة تعصبية وجريمة ..

ـ هنا ينظرون للاغتصاب جريمة .. والخيانة الزوجية لا تعتبر جريمة .. وإذن لماذا تحملين حبوب منع الحمل؟ .. أليست لممارسة الجنس الأمن كما يزعمون ؟

ـ اليوم الشباب يستخدمون الواقي الذكري لممارسة الجنس .. وهو أكثر أمنا لهم من ناحية عدم حمل الفتاة ووقاية صحية .. فهم لا ينتظرون أن تستخدم الفتاة الحبوب .. حتى لو حملت فعيادات الإجهاض موجودة .. أريد خمسمائة دولار .

ـ أين ستذهبين بها ؟ أين ستنفقينها ؟

ـ سنذهب في رحلة إلى جزيرة تشرشل

ـ تشرشل مرة واحدة عند الدببة

ـ نعم

تروج مدينة تشرشل الكندية لنفسها على خريطة السياحة العالمية بأنها معقل الدببة القطبية في العالم ؛ حيث يتمكن السائح خلال جولته في منطقة التندرا من الاقتراب من هذه الحيوانات الضخمة ذات الفرو الأبيض بشكل لا مثيل له ، ولا يخرج السياح في هذه المغامرة التي تحتبس لها الأنفاس إلا برفقة حراس مسلحين لحمايتهم من الأخطار التي ربما تحدق بهم عند مواجهة وحوش الجليد وجهاً لوجه.

وتذكرت زهيرة رحلتها وسامرا مع عدد من الأطباء وعائلاتهم إلى تلك المدينة وأثناء الانطلاق في هذه المغامرة ، قال المرشد السياحي بصوت خفيض عند رؤيتهم لإحدى الدببة :هذه هي الدبة الأم ، يكفي الاقتراب منها بهذا القدر ، ورأوا في تلك اللحظات هذه الحيوانات المفترسة ذات المخالب السميكة تقف في مواجهة بعضها البعض ،وظلت على هذه الحالة لفترة طويلة .

ولم تمثل المسافة الفاصلة بين الدببة القطبية والسياح ، التي كانت تبلغ حوالي ٣٠ متراً أي مشكلة على الإطلاق ، لكن المشكلة ظهرت عندما اقترب دب صغير من السياح ، فبدأت الدبة الأم في

التثاؤب ، وهنا همس المرشد السياحي لهم قائلاً : التثاؤب يعبر عن قلق وتوتر الدبة الأم وحرصها على سلامة صغيرها.

وقد نصح المرشد السياح من قبل بضرورة التواجد في مجموعات حتى يكونوا في مأمن من هجمات الحيوانات القطبية المفترسة ، ويؤكد على أن الفرار من أمام الدببة القطبية لا يمثل وسيلة للنجاة منها ؛ لأنها تجري على الجليد أسرع من الخيول .

وفتش المرشد السياحي في جيب سترته عن بعض الأحجار الصغيرة التي يرميها من وقت إلى آخر في وجه الدببة لإبعادهم عن مناطق تواجد السياح ، هنا انطلق الدب الصغير مسرعاً صوب الدبة الأم مرة أخرى، وهدأت حدة الموقف وزال الخطر.

وتمثل الإقامة في الأكواخ الخشبية وسط منطقة تندرا بمقاطعة مانيتوبا الكندية ، تجربة فريدة من نوعها بكل ما تحمل الكلمة من معان ، على الرغم من بساطة تجهيزات الإقامة.

وتذكرت أن من الأمور المثيرة في هذه الرحلة السياحية وجود حراس مدججين بأسلحة الصيد كذلك ظهور صغار الدببة القطبية، التي لم يتجاوز عمرها عامين، أمام الأكواخ الخشبية التي يقيم بها السياح ، ويوضح هذا الموقف مدى التناقض في هذه الرحلة ، التي تُمثل وضعاً معكوساً لحديقة الحيوان، حيث تتجول الحيوانات في الخارج بحرية كاملة ، بينما يظل السياح محتجزين داخل الأكواخ.

وتتيح المنطقة المحيطة بمدينة تشرشل بمقاطعة مانيتوبا الكندية للسياح فرصة مشاهدة الدببة القطبية عن كثب، بشكل يندر وجوده في أي مكان آخر في العالم ، ويتدفق في هذه المنطقة نهران يصبان في البحر الواقع على حافة خليج هدسون، لكنهما يتجمدان مبكراً بسبب المياه العذبة، لذلك فإن العديد من الدببة القطبية تنطلق خلال فصل الشتاء لصيد حيوان الفقمة في هذا الخليج المتجمد.

وأضاف المرشد السياحي : تركيز وانتشار الدببة القطبية في هذه المنطقة يعتبر من أعلى المعدلات عالمياً، ولا يمكن مقارنتها إلا مع منطقة الملك كارل النرويجية بالقرب من أرخبيل سبيتسبيرغين

وجزيرة وانغيل الروسية التي تقع شمال سيبيريا ، لكن لا يتمكن السياح من الوصول إلى الدببة القطبية في هذه المناطق إلا بصعوبة بالغة ، وسمعته يخبر ويصل عدد الدببة في خليج هدسون الغربي ما بين ٩٠٠ و ٩٥٠ حيوان، في حين أن عددهم كان ١٢٠٠ حيوانا قبل عشر سنوات ، وأضاف المرشد السياحي : في أحد أيام الصيف بلغت درجة الحرارة في هذه المنطقة ٣٧ مئوية، لتصبح أكثر المناطق سخونة في كندا.

وتشتهر مدينة تشرشل، التي يوجد بها ٩٠٠ نسمة، بأنها المعقل العالمي للدببة القطبية ، ويُعد هذا الاسم تكريماً لهذه الحيوانات التي بدونها ستتحول مدينة تشرشل إلى مدينة أشباح ، وقد شهدت حقبة الثمانينيات من القرن الماضي إغلاق القاعدة العسكرية في هذه المنطقة ، والتي تم إنشاؤها خلال الحرب العالمية الثانية، وهو الأمر الذي دفع كثيراً من السكان إلى ترك مدينة تشرشل؛ لأن تجارة الفراء لم تعد تجني كثيراً من الأموال ، وبالتالي حدث تدهور اقتصادي.

ويتعامل المرشد مع الدببة القطبية باعتبارها وسيلة من عوامل الجذب السياحي، في حين يضطر الحارس في مدينة تشرشل إلى التعامل مع الدببة المشاكسة ، ويحكي أحد الحراس للموارد الطبيعية بمدينة تشرشل قائلاً : لقد اضطررنا مؤخراً إلى إطلاق النار على دب يبلغ وزنه ٢٧٠ كيلوغراما. ويضيف هذا الحارس الذي يحمل مسدس ٩ مللم : لقد حاولنا إبعاد هذا الدب عن المدينة بواسطة سيارة بيك آب ، لكنه ركض باتجاه السيارة وخشيت أن يصل هذا الحيوان المفترس إلينا من النوافذ الجانبية.

ويؤكد الحارس الذي يبلغ من العمر ٤٩ عاماً، أن إطلاق النار على الدب يعتبر هو الحل الوحيد في مثل هذه المواقف الخطرة ، وعادة ما يتم تخدير الدببة القطبية ، التي تفضل التجول في الشوارع ليلاً، ثم يتم نقلها بعد ذلك إلى مكان احتجاز الدببة القطبية ، وفي هذا المبني الفريد من نوعه في العالم والذي يقع على أطراف المدينة، تم احتجاز ١٠ دببة، وفي مرة أخرى بلغ عددهم ٣٠ دباً. وتظل الدببة القطبية في مكان الاحتجاز حوالي ٣٠ يوماً، ولا يتم تقديم أي طعام لها خلال هذه الفترة سوى الماء، ثم يتم نقلهم جواً بعد ذلك ، ويقوم الحراس باحتجاز الحيوانات والامتناع

عن تقديم الطعام لها، ليتم ردعها ولكي تبقى بعيداً عن المدينة.

وكان لانتشار الدببة القطبية في المنطقة المحيطة بمدينة تشرشل تأثير إيجابي على الحياة الاجتماعية للسكان ؛ لأن الدببة القطبية تجبر السكان على الانتباه والحذر إلى أقصى درجة ممكنة وهو ما يستدعي وجوب التواصل بين الأشخاص بعضهم البعض.

وأوضح المرشد السياحي : نحن نثق في بعضنا البعض، لذلك فإننا لا نغلق أبواب بيوتنا أو سياراتنا، حتى يجد المرء مأوى بسرعة إذا شعر بالخطر عند مقابلة الدب القطبي في الطريق.

وقد لاحظ المرشد السياحي بعض السلوكيات الغريبة على الدببة القطبية ، ويقول : تظهر الآن بعض التصرفات غير المعتادة على الدببة؛ حيث إنها تتناول مثلاً التوت البري من شدة الجوع ، وهو النبات الذي لا يأكله سوى الدببة الحوامل.

وبينما كان المرشد يتحدث عن الأخطار المحدقة بالدببة القطبية جذب انتباه السياح شيء آخر، حيث ظهر الدب الصغير وهو يتقلب على ظهره ويرفع مخالبه في الهواء، ويدس أنفه في الجليد، بينما تقف الدببة الأم إلى جواره وتنظر إليه في سعادة غامرة، ولا يظهر عليها علامات التثاؤب ، لأن هناك مسافة كبيرة تفصل بين السياح وهذه الحيوانات المفترسة.



رحلة للوطن

تحدث هنري مع زهيرة وهو يغادر المدينة ، وكانت أثناء المكالمة تعمل في المستشفى فقال : هل اتصلت بالرجل ؟

ـ لم أفعل يا هنري .. أين أنت الآن ؟ .. هل يمكن أن نلتقي ؟

ـ لماذا ؟! أنا أجلس في صالة المطار أنتظر إعلان الركوب .. هل من شيء يضطرني لتأجيل الرحلة

ـ لا ، كانت لديّ رغبة بالجلوس معك ثانية .. فلنبق على اتصال يا هنري .. ربما أسافر إلى للبلد وأقابل الرجل .. فأنا ليس بينه وبيني شيء هو مجرد كلام وزعل ، ونسيته لما وضعت قدماي في هذه البلاد .

ـ جيد ، إذا فكرت بالسفر ربما أفكر بمرافقتك لزيارة الشيخ ميلاد .. وأزور مركز الدعوة عندكم .. لنكن على تواصل يا دكتورة .. ما أخبار شمس ؟

ـ ليتني لم أنجبها .

ـ ستعود لأصلها إنها أيام طيش .. أنت عملت ما استطعت ، وما قدرت عليه ، ولا تزر وازرة وزر أخرى .. أليس هكذا يقول القرآن ؟ .. إقرائي القرآن يا دكتورة ستهبط عليك السكينة .

ـ أنت شيخ صحيح يا هنري! شكرا لك مع السلامة يا دكتور

لما رجعت لبيتها عاد إليها التفكير بالسفر لرؤية أمها ولقاء ابن عمها وفتح صفحة جديدة مع الأهل والأقارب .. فالرجل قد تغير وهداه الله ، ولكن كيف ستترك ابنتها مع الخادمة كما اعتادت فعل ذلك في إجازاتها ؟ ثم قالت : وهل بقائي يفيدها ؟ فهي تنتقل من رحلة لأخرى ألم تذهب مع شباب كليتها لترى أبراج أمريكا المدمرة ؟ أصبح المكان ساحة سياحية .. وتنهدت وهي تقول ومن لي هناك إلا أمي ؟ هناك من بقي حيا من أخوالي وخالتي وأبنائهم .. كانوا يتعاطفون معي ويودونني .. حتى بعض أعمامي خاصموا عمي عادل من أجلي .. إنني أذكر يوم الوليمة .. التي خرجت منها غاضبة .. لو قابلت سامرا وأعتقد أن هذا سيحدث ـ فبيننا شمس ـ فعندما يسألني عن ابنته التي كان يقول لي البنت كبرت .. البنت تنضج بسرعة ..

عاداتنا غير عادات هؤلاء الناس .. ولكنها هي التي اختارت البقاء هنا وذلك أمام القاضي والمحامي .. اختارت لأنك باقية هنا .. لو عدت لعادت معك .. لو عادت وهي ابنة إحدى عشرة سنة أو اثنتي عشر سنة لما صبرت يوما واحدا .. والجامعة والمدرسة تعودت على المدرسة هنا .. كيف ستدرس في البلد ؟ .. لم تكن محبة للعلم مثلي .. لو أحبت العلم مثلي لاستقرت من الفوضى التي تعيش فيها .. لابتعدت عن الكثير من الشباب والشابات الذين لا هم لهم إلا الشهوات والموبقات باسم الحرية .. آه ماذا أفعل يا ربي ؟ أنا ضعيف .. هل لو بقي سامر لما فسدت ؟ .. المجتمع قاهر .. ماذا سيفعل لها ؟ لقد حاولت الاندماج كليا معهم .. الكثير من العواجيز يترددون على الكنائس صباح الأحد لسماع ما يسمونه القداس حتى شمس رافقت بعض الفتيات لمثل هذا القداس ، ولم استطع منعها حتى لا تقول عني معقدة ومتشددة .. يا لها من تجربة ! يا لها من حياة قاسية !! أعصابي تعبت لم تعد تتحمل .. تشرب كأس الخمر كأنه كأس ماء .. تدخن المخدرات .. وتستغرب مني لعدم شربي الخمر وتعاطي المخدرات رغم طول مكثي هنا .. عليّ أن أذوب ذوبانا كاملا مثلها .. إنما هي جرعة صغيرة !

طرحت زهيرة الحيرة جانبا، واتخذت قرارا بالسفر والزيارة لبلدها ؛ لعلها تدرك أمها حية .. فهي تذكر كلمات أمها عندما تحدثت معها وهي في المشفى هل أموت قبل أن أراك يا زهيرة ؟ وأمتع عيناي بك ، ذرفت دموع الحزن والشوق وقالت قريبا سأكون عندك يا أمي ! أرجو من الله أن يمد في حياتك حتى أقبلك .. كلي شوق وحب لمعانقتك ولمس وجهك ويديك .. أقسم على ذلك يا أمي إني بحاجة لحضنك والتزامك

تذكرت هذه الكلمات بينها وبين أمها في آخر اتصال ، فقالت لنفسها كم مرة تركت شمسا وحدها مع الخادمة ؟! .. مرات ومرات .. لماذا أنا خائفة عليها؟! إنها بالغة سن الرشد وطالبة في الجامعة .. وهي حرة ومستقلة مستغنية عني ، ولا تسمع لي.. بعدما حسمت أمر السفر.. اتصلت بهنري .. على تلفونه الخلوي فرحب الدكتور بها ، وقال بعدما سمع رغبتها بالسفر لزيارة أمها المريضة .. قال : هذه الأيام لا يمكنني أخذ إجازة يا دكتورة .. وبما أن أمك مريضة

فتوكلي على الله وحده .. وإذا تيسر لي اللحوق بك نلتقي هناك .. أنا لديّ رغبة فعلا بزيارة بلدكم .. فقد زرتها مرة كسائح .

ولما قفلت شمس من رحلتها إلى جزيرة تشرشل الكندية حيث الدببة القطبية ، وتركت رفاقها ودخلت البيت أعلمتها أمها بقرار السفر لقضاء شهرين في بلاد الآباء والأجداد لرؤية أمها المريضة ، وعرضت عليها اللحاق بها عندما تنهي فصلها الدراسي لترى والدها وإخوتها من أبيها وجداتها ، ثم ختمت كلامها اتصلي بي إذا وجدت هوى في السفر

ورغبتها بالسفر وهناك تتعرفين على العاصمة التي ترعرعت فيها والصحراء العربية

ـ قرأت عنها نعم ، لي رغبة في مشاهدتها .. أمك مريضة شفاها الله .. لم تسأليني عن الرحلة ؟

ـ ولماذا أسألك يا شمس وأنت لا تقولين الصدق ؟!.. أنا أعرفك جيدا

ـ صدقي يا دكتورة أنني كنت في تشرشل ورأيت الدببة الكبيرة والصغيرة .. ومعي صور كثيرة معها .. أنت لا تثقين بي

قالت الأم : منذ دخلت الجامعة أصبحت عدوة لك .. ألم تقولي لي هذا ؟ ولما صرت في الثانوية قلت مثل هذا .. على كل حال أتمنى لك السعادة يا شمس وخلال يومين سأسافر .. لقد حجزت تذكرة على الهاتف ، وغدا سأمر على الشركة شركة الطيران لتأكيد الحجز ودفع ثمن الرحلة .

ـ أتمنى لك رحلة سعيدة يا أمي .. وسلمي لي على أبي إذا التقيت به ..

ـ إن شاء الله .. أرجو يا شمس كما اتفقنا قديما أن لا تسمحي لأحد من أصدقائك الذكور دخول البيت ..

ـ حاضر يا أمي .. أوامر أخرى

ـ سلامتك .



علم هنري بسفر زهيرة فور ركوبها الطائرة إلى الشرق الأوسط ، فاتصل بالشيخ ميلاد مخبرا له بسفر ابنة عمه زهيرة ، وأنها في الطريق إليهم ، ففرح ميلاد فرحا عظيما ، وكاد يطير من شدة الفرح لهذا الخبر ، فكلف حميد بالاتصال بامرأة عمه يسألها عن وصول زهيرة .. فدهشت من الخبر وقالت : من قال لك ذلك ؟! هي قالت ستأتي .. وهي لم تصل .

فاستغرب حميد وسألها عن صحتها ، ووعدها أن يزورها هو وامرأته قريبا للسلام والترحيب بالدكتورة أم شمس .

وكان حميد قد وضع نفسه تحت أمرها ، وأدخلها المستشفى هو وامرأته وبعض بنيه ، واعتبر ذلك من الوفاء لعمه الميت مجدي ، ولوصية أبيه أيضا الذي حثهم على برها ومساعدتها ، وحثه على رعايتها لنهاية العمر، وكان أبناء أشقائها وشقيقتها يترددون عليها ، ولكن حميدا أخذ نصيب الأسد .. ولقوة الصداقة بين أمه وهناء ، فرحبت بتعاونه واعتبرته كابن لها ؛ لذلك كانت تناديه في بعض الأحيان يا أمي يا ابني ، وهي تعاني من أمراض السكر والضغط ومشاكل في القلب .

وبعد أن ترك حميد الهاتف بساعات دخلت زهيرة على أمها التي احتضنتها باكية وتعانقتا بشدة وشوق وهي تهمس زهيرة حبيبتي آه ! لقد عشت ورأيتك .. آه! يا حبيبتي أنت دنياي .. لم تخبريني لأرسل لك حميدا أبا محمد يستقبلك في المطار .

ـ لقد تعودت يا حبيبتي على السفر والرحلات العلمية والترفيهية .. أنا مشتاقة إليك جدا يا أمي كم أحبك ! .. كيف صحتك كيف حالك ؟

تعانقتا من جديد وموجة أخرى من القبل المعبرة عن الود والحب بينهم ، ولما انفصلتا تقدمت الخادمة الآسيوية إليها مسلمة ومعانقة ، ولما سألتها عن صحتها وحالها عادت زهيرة وأمها للجلوس تحدقان في بعضهما وقالت هناء : قبل ساعات اتصل بي حميد ابن عمك يقول هل

وصلت الدكتورة زهيرة ؟ فاستغربت من سؤاله فقال لابد أن الطائرة ما زالت في الطريق هل تتحدثين معه ؟

ابتسمت : أبدا يا أمي .. منذ سافرت لم أتحدث إلا معك وبضع مرات مع المهندس نزار وأخته لمياء ..

ـ وكيف عرف إذن ؟!

ضحكت زهيرة وقالت : أعرف كيف عرف؟ .. لي صديق طبيب يعرف بسفري لابد أنه هو الذي اتصل به أو بميلاد فهو صديقه .

قالت هناء : ميلاد الذي عرفتيه وعرفناه قبل سفرك غير ميلاد اليوم

ـ أعرف يا أمي، كتب لي رسالة يطلب الصفح والعفو عن الماضي .. وربما كانت رسالته هي التي عجلت باتخاذي قرار الزيارة لك يا أمي ؛ ولذلك حكاية كتبها القدر .. فالدكتور صديقي صار صديقا لميلاد وهما في الباكستان ..

وسردت عليها قصة ميلاد والطبيب الكندي كما فهمتها من هنري ، فعقبت الأم قائلة : أنا أسمع من حميد عن رحلات ميلاد في داخل البلاد وخارجها

ـ هل زارك ميلاد يا أمي ؟

ـ منذ تاب إلى الله تحسنت أخلاقه ، وقد ترك الشراب والدخان .. في البداية رفضت استقباله ، ولكن مع إلحاح حميد رحبت به وسامحته .. وهو يزورني بصحبة أبي محمد .. وهو كما أعلم يبحث عن عروس أو أن الزواج سيكون قريبا فهناك شيخ سيزوجه من كريمته .. أو شقيقته .. فتاة ترملت وعندها ثلاثة أطفال .. وابن عمك حميد رجل فاضل وأمه ما زالت صديقتي رغم ما تعاني من أمراض السن، وزوجته ترافقني إلى مراجعات العيادة والمستشفيات

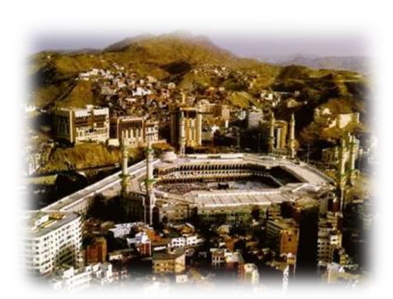
طلبت هناء من الخادمة أن تطلب لهم عشاء من المطعم فقالت زهيرة : أتشترين الطعام ؟

ـ أحيانا .. والخادم تصنعه بعض الأيام .

رن جرس الهاتف فردت الخادمة وقالت : الشيخ حميد يا سيدتي .

أخذت هناء الهاتف وقالت وهي تبتسم : آ يا أبا محمد .. نعم دخلت قبل زمن قليل .. سلمك الله شكرا لك .. بارك الله فيك .

ومدت الهاتف لزهيرة التي رحبت بابن عمها .. وشكرته على الاهتمام بها وبأمها وقالت : شكرا يا أبا محمد بما تقدمه لأمي .. يسرني اللقاء بك وبزوجتك .. على الرحب والسعة البيت بيتك .. قبل قليل طلبنا من المطعم العشاء.. شكرا يا سيدي .. أرجوك لا تحلف .. سنقبل دعوتك .. فنحن أهل .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



ساقت زهيرة أمها إلى مستشفى خاص ، وطلبت من مدير المستشفى إجراء فحوص واختبارات كاملة لأمها ، وتابعت علاجها لمدة أسبوع حتى اطمأنت عليها ، وقد رافقهم السيد حميد كسائق لهم خلال هذه الأسبوع ، وذات يوم وهم سائرون لإجراء فحص قالت : ابن عمك تغير تغيرا كبيرا يا أبا محمد .. لقد عرفته شيطانا واليوم يتشبه بالملائكة .

أجاب حميد فقال : ميلاد مسكين! .. أنا يا دكتورة كنت لا أضع اللوم عليه .. كنت أضع العتب على عمي عادل رحمه الله .. رغم ثقافة عمي كانت تقاليد وعادات مسيطرة عليه ، يرى حياة المدينة كحياة القرية التي جاءوا منها للعاصمة .. يرون أن بنات العائلة أولى من بنات العائلات الأخرى .. فعلى ابن العائلة أن يتزوج من قريباته .. وميلاد ظل يحمل مثل هذه التقاليد السائدة والأخ ميلاد نادم فعلا ، وأدرك حجم الإساءة التي ارتكبها نحوك .. بزعم تلك التقاليد الهالكة فهي كانت تصدر عن غباء وحمق وسذاجة .. وصدقي أنني نصحت له من هذا الهبل .. حتى اضطررت لفصل الشراكة القائمة بيننا لأضغط عليه ليستيقظ من جنونه وانحرافه بزعم الحب

ـ لقد سامحته يا أبا محمد .. ونسيت كل شيء فعله ضدي

ـ وأنا سامحيني يا دكتورة ربما شاركته في بعض المواقف من باب العاطفة والقرابة والشفقة .. نحن بشر .. ونحن عشنا أصدقاء ، وتركنا المدارس شبابا صغارا ، فحظنا من التعليم والثقافة ضئيل .. ثقافتنا تقاليد وثقافة شعبية .. ثم تعلمنا مهنة تصليح السيارات وتشاركنا في محل واحد .. ولما تزوجت شجعته على الزواج ونسيان كلام أبيه وأمه من الزواج من زهيرة .. فأخذته كما يقال العزة بالإثم .. وعاند وركب رأسه .. وظل الجهل مسيطرا عليه .. حتى العم عادل لما التحقت بالجامعة قبل الهجرة .. اعترف له بخطئه وطلب منه أن يبحث عن فتاة يتزوجها .. فعاند ، وأخذ يشرب الخمر زاعما أنه يفعل ذلك لنسيانك .. طبعا هذا كلام فارغ

ـ أخبرني مرة أنه دفع ناسا للتجسس عليّ في الجامعة

ضحك حميد وقال : كان لي دور في هذه القضية .. لأنه زعم أيامها أنك ترفضينه لعلاقة لك مع شاب من الجامعة .. كما نسمع عن بنات الجامعات تلك الأيام .. فأحببت أن أبين له كذب هذه الادعاء ..

ـ كيف أنت ؟

شرح لها حميد دوره في تلك القصة ، وختم قائلا : وأكدت له أنا وذلك الشاب وشقيقه كذب هذا الادعاء ، وأنك بريئة مما يشيعه حولك من كثرة قوله أرغب أعرف من هذا الذي سرقها مني فأقول له يا رجل زهيرة رفضتك قبل أن تصل الجامعة .. فكان عليّ أن أقنعه بالكف عن هذا الاعتقاد .. وفعلا جاء الشاب بعد أن تأكد من طهارتك من هذا العبث وذكر له ذلك وأنك فتاة محترمة ، وأنك تلتزمين حدود الأدب والأخلاق ، وأنك ترافقين بعض أقاربك .. وأنا لما وصفهم الشاب عرفتهم على الفور خاصة الشاب لأنني التقيت به في مناسبات .. وأنا قمت أيضا بتأكيد ذلك .. كل هذا فعلته ليكف عن إطلاق الإشاعات ونسيان الأخت زهيرة ولكنه للأسف عنيد ومخه جامد تلك الأيام .. ثم قدر الله لي أن أسلط عليه بعض المشايخ من أصحابنا فردوه للدين ، وتعلق بهم ورافقهم ، وصار شيخا أكثر مني .

ـ عرفت ذلك الشاب اسمه أحمد .. وكان طالب كلية التمريض

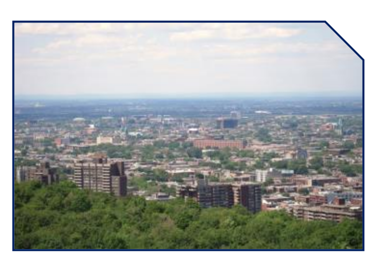
ـ أحسنت ! نعم هذا اسمه .. ورغم أنه أقنع ميلادا بأن لا أحد في حياتك الخاصة .. وحثه على الزواج ورغبه فيه .. وبين له الفارق العلمي الذي بينكم .. فقال له أنت أعمى أو تتغاضى عن ابنة عمي

عندئذ وصلا المستشفى فصف السيارة في كراج المستشفى ، وقاد هو والدكتورة السيدة هناء إلى العيادة المنشودة ، ولما دخلا قالت زهيرة : نحن نعتذر لك يا أبا محمد للإزعاج وتعطيلك عن العمل .. أمي تحبك وتقدر عطفك الكبير نحوها وبرها

فرد بحياء : هذا واجبنا يا دكتورة .. الناس لبعض .. فهي زوجة عمنا المرحوم مجدي .. فوالدك ترك بعض المال .. فقد ورثته إخوته كما ورثتيه .. ونحن ورثناه عن أبينا .. فجميلكم سابق .. ونحن أهل ، فأنت ابنة عمنا وهي أمك .



أقام الدكتور سامر مائدة عشاء في أحد الفنادق الراقية إكراما لزوجته الأولى زهيرة ، ودعا إليها الدكتورة وأمها ، ورافقهم في هذه الدعوة السيد حميد ، وهو يعرف الدكتور منذ عهد بعيد عندما تزوج زهيرة ، ولم يكن بينهم مجاملات وزيارات لقصر حياتهم في المدينة عندما تناكحا ، وحضر بصحبة الدكتور زوجته الثانية وأولاده منها وجرى التعارف بينهم ، وكان الدكتور قد تلقى هاتفا من زهيرة تخبره بوصولها لزيارة أمها ، فرحب بها ، ورتب لهذه الدعوة ، وقد قبلتها زهيرة وأثناء الطعام سألها عن شمس ولماذا لم تأت معها ؟ فأخبرته بأن وقت الدراسة لم ينته ، وأنها رفضت المجيء ، واعترفت له صراحة أن شمسا ابنة الغرب ، وأنها متمردة ، ولا تسمع النصيحة والكلام .. وكان سامر لما علم بوجود زوجته في البلد قد اتصل بشمس ، وطمأنته على نفسها ، وذكرت له سفر أمها لزيارة أمها .. وفي نهاية اللقاء دعته لزيارة كندا لرؤية ابنته وتعريف أبنائه



على شقيقتهم .. ولتشجيعها بزيارة مسقط رأسه بعد إنهاء جامعتها .. فوعد الدكتور بالتفكير في ذلك وقال : من يقبل الحياة هناك عليه أن يتحمل نارها فنحن هنا اليوم لم نعد نسيطر على أبنائنا .. الانفتاح كبير والشرخ كبير

فأجابته زهيرة بنوع من الضيق : كنت أعمل ، وأنت كنت تعمل ، وأنت تعلم أن العمل هناك لابد منه للحياة والإنتاج .. إذا عملت أكلت ونمت .. والقوانين الدارجة لا تستطيع محاربتها خاصة إذا كنت أجنبيا .. إذا أسأت للصغير وعلمت الحكومة فيأخذونه منك .. ليس أمامي إلا اللين والكلام .. فاستخدام العنف والضرب لا يجوز .. فهم لا يسمحون لك بترك الطفل دون الثانية عشرة وحده في البيت يا سامر .. وأنا لم أعرف العنف يوما .. وما ضربت شيئا .. غضبي في لساني والهجر .

ـ أسأت فهمي ، آسف يا عزيزتي .. أنا لا ألومك بشيء .. أنا أعرف شدة وجدة ذلك المجتمع في العمل وتساهله في الأخلاق .. بارك الله فيك .. المسؤولية لا تقع عليك وحدك .. للأسف العلم الذي عندهم هو الذي يشدنا إليهم .. وهذه ضريبة العلم .. أنا أتشاجر معها على الهاتف في الغالب ننهي مكالمتنا بزعل .. وأنا لم أتهرب من أي مسؤولية نحوها .. لكن ماذا أفعل لها ؟! وأنا تركتها لك لأنها هي أرادت البقاء .. سأفكر جيدا في رحلة قصيرة لتلك البلاد .. لا تغضبي يا دكتورة .. هل تفكرين بالبقاء هنا ؟

قال حميد الذي كان يسمع الكلام كغيره : طلبت منها يا دكتور البقاء بيننا

فاستدارت إليه زهيرة باسمة وقالت : صعب يا أبا محمد .. عملي هناك وابنتي هناك .. فلو تجيء شمس وتستقر هنا فربما أفعل مثلها .. سأمكث شهرين إن شاء الله .

فقال سامر : سأبذل جهدي بإقناع شمس للمجيء والحياة معنا .. سأظل اضغط عليها خلال السنوات الباقية لها في الجامعة .

كان حميد كلما زار بيت امرأة عمه ، ويلتقي بالطبيبة يضغط عليها للعودة إلى البلد والبقاء بين

الأهل والأقارب ، فتعتذر بعملها وابنتها وتضيف : أنا أعلم أن أمي بحاجة إليّ في هذه السن ، ولكن مصيري تقرر هناك يا أبا محمد، وليس فقط ابنتي تربطني بتلك البلاد .. أنا قبلت الطلاق من زوجي حتى أبقى في كندا .. ارتاحت روحي لتلك البلاد لا أدري سر هذا !

ـ يا أختي الفاضلة .. الإنسان يتخذ قرارات مصيرية ثم يتراجع عنها .. لا سمح الله عندما يتوعك الإنسان يجد أهله وأصدقاءه حوله

ابتسمت قائلة : وأولئك يفعلون ذلك .. الإنسانية موجودة عند جميع الناس يا حميد .. ما فعل ابن عمنا بزواجه ؟

ضحك حميد لتغيير الموضوع وقال : تلك الأرملة .. نعم .. الأمور تسير سيرا طيبا .. والمرأة قلقة من ناحية الأولاد .. هي متعلقة بهم فهي أم .. ولها رغبة بالزواج ، وتخشى أن يأخذ أهل زوجها الأولاد بسبب الزواج .. فأمها ميتة .. وجدة الأبناء من جهة الأب حية ؛ فكأن القانون يجيز لها طلب الحضانة إذا تزوجت الأرملة .. وهي متمسكة بهم .. هم ثلاثة أطفال دون العاشرة من العمر .. ووالد الفتاة شيخ من شيوخ الجماعة .. وشقيقها رفيق وصديق لميلاد أو الأدق صديق الشيخ حسن الذي اهتدى ميلاد على يده وهم جميعهم أصدقاء .

ـ أبكاني ميلاد وهو يعتذر لي .. كان يطلب السماح وهو يذرف الدمع .. كانت لحظات مؤثرة في وجداني

ـ ميلاد القديم مات يا دكتورة .. حتى أن أمك ظلت فترة لا تصدق أن ميلادا تغير .. حتى عاد مرة من بلاد العجم ، فقبلت اللقاء به ومسامحته .. سبحان الله مغير الأحوال .. كل يوم هو في شأن !

ـ ألا يشتغل معك ؟

ـ منذ هدايته أصبح شريكا في الربح .. وأصبح لي راتب شهري مثل العمال معنا وأصبح المشغل كبيرا .. وحتى أصبحنا نبيع السيارات المستعملة .. فأمك لما ضعف بصرها وضربت مرة طفلا ولم يصب إصابة كبيرة ، وتعافى سريعا ، بعت لها السيارة التي هي سيارتك .. فعملنا جيد بفضل

الله ، ومعي ولدان لي يعملان في المحل .. أحدهما في معرض السيارات ، والآخر ميكانيكي مثلي فعملي باليد قليل هذه الأيام ..والأخ ميلاد متعلق بالخروج في الداخل والخارج .. وهو كما تعلمين لا أب ولا أم ولا زوجة ولا أولاد .. حر عصفور طليق بعد .. وقد ورث عن أبيه ثروة كبيرة .. وعقارات عمي عادل كما تعلمين كثيرة .. كان غنيا على عكس ما كان يظهر أمام الناس وميلاد يقطن بيت العم ولا يدفع إيجارا .. وحتى فواتير الكهرباء والماء والهاتف الأرضي يدفعها أشقاؤه الذين يسكنون البيت .. فهو يتكلف مصاريف الأكل والشرب الخاص به .. وكثيرا عندما يصدف وجوده في البيت يقدم له أخوته الطعام خاصة الغداء .. وهو متحمس من الزواج من تلك الأرملة لتربية الأولاد والإنفاق عليهم رغبة بما عند الله من أجر كفالة اليتيم في الإسلام فستعيش المرأة في بحبوبة من العيش معه .. ونساء أخوة ميلاد أغلبهن من أقاربنا .. فأم ميلاد كما تعلمين ابنة عم لعمي عادل .. تزوجها قبل الرحيل للمدينة للعمل كمعلم هنا .. ووالدك درس الطب .. وكل أعمامك متعلمون ويحملون شهادات .. كان جدي حسن محبا لتعليم أبنائه ووفق إلى ذلك .. نحن الأحفاد قصرنا في متابعة الدراسة .. والأخ ميلاد ربما يتكلف سوى الطعام والشراب بعض الثياب عند السفر ، ونفقات الخروج وهي مبالغ بسيطة داخل البلاد .. وفي الخارج ثمن التذكرة .. بل ينفق ماله على رفاق الخروج ويتصدق على الفقراء

ـ وهلا فعلت مثله ؟

ـ ذهبت مكة عدة عمرات ورافقت أمي في فريضة الحج .. ورافقت ميلادا في رحلات دعوة داخل المملكة .. لليوم لم يتيسر لي الخروج خارج البلاد .. وعندي ولد تعلم وأنشأ سوقا تجاريا مع ابن خال له ، وساهم فيه ميلاد .. وابني محمد أنهى الثانوية العامة ؛ ولكنه لم يكمل الجامعة أو حتى المعهد فهو يعمل مع خال في شركة بحرية في اليونان وهو متزوج وعنده طفلان ..

ـ كأنك عرفتني به

فقالت هناء التي كانت تأكل الفواكه وتشرب العصير طول هذه الحديث : هو شاب محترم ويعرف الأصول .. فأبو محمد من أحسن أقارب والدك المرحوم مجدي حسن .

ـ لست هذا يا أمي.. وأنا ممنونة لك يا شيخ أبا محمد .. وأنا فعلا عاجزة عن شكرك .. وبارك الله فيك وفي ذريتك

ـ بل نحن آسفون قصرنا معكم يا أم شمس .. ربما كانت ظروفنا وسننا هما السبب تلك الأيام وكان العم عادل كبير العائلة ـ رحمه الله ـ ما زال في عقلية القرية فوتر الأمور .. وكان رجلا متعلما ، فكنا نظن أنه كان يقوم بالواجب الاجتماعي نحو زهيرة ..



استمتعت زهيرة بإجازتها بأرض الوطن ، واستقبلت الكثير من أقاربها من جهة أبيها ومن جهة أمها ، ومن جملتهم المهندس نزار رفيقها أيام الجامعة ، وأخته لمياء وأمها وهي خالتها .. ورأت سمرا التي سعت لرؤيتها لما علمت بزيارتها للبلد .. فكانت لقاءات الأقارب هذه المرة تختلف عن الصورة التي تركت البلاد عليها .. وتعمقت صداقتها بابن عمها حميد وأولاده وزوجته خلال هذه الزيارة ، الذي لم تكن تراه إلا في الأعياد عندما يصحب والده وأعمامه للمعايدة عليها وزارت أمه عندما دعاها حميد وأمها للغداء في بيته .. ومضت الأيام سريعا ، وودعت من ودعت وأوصت حميدا مجددا على أمها ، لما أدركت ارتياح أمها له ولأسرته ، وغادرت البلاد إلى مهجرها مباشرة ، ولما دخلت الشقة صباحا مع شروق الشمس لم تجد شمسا في البيت ، ولما سألت الخادمة اللاتينية قالت لها لها أسبوع خارج البيت .. لم أرها منذ أسبوع

ـ تحدثت معها من يومين ، وكانت في غاية الشوق والسعادة لقرب عودتي .. أين هي ؟!

ـ لم تخبرني يا سيدتي .. وإنما سمعتها قبل غيابها تتحدث على الخلوي مع أحدهم لا أدري ذكرا أم أنثى .. يتحدثون عن السفر لنيويورك لمشاهدة شيء لم أعرفه ، ربما فيلم جديد أو عرض أزياء .

ـ نيويورك .. ماذا يوجد هناك ؟ ذكرى سبتمبر.. هل تهتم شمس بمثل هذه الاحتفالات ؟!

بدأت أقرف من هذه البلاد .. وهناك ماذا سأفعل ؟ أمي .. غربتي ابنتي .. غربتي وابنتي.

دخلت الحمام واغتسلت وصلت الفجر ، فقد أذن والطائرة تقترب من أجواء مونتريال .

قدمت لها الخادمة القهوة بالحليب كما اعتادت على ذلك وسمعت الخادمة تقول : الدكتور جيرارد كنت اتصل فأخبرته بسفرك لبلدك الأصلي .

ـ شكرا ، سأتصل به اليوم ، وأخبره بعودتي وأنني غدا سأباشر عملي .

ولما قضت شرب القهوة دخلت مخدع النوم ، وفي المساء اتصلت بالدكتور جيرارد المحاضر في كلية الطب ، وتحدثت معه عن مشروع الكتاب الذي يكتبه لطلبة كلية الطب ، وشاركت معه في الكتاب عن أمراض الولادة والحمل ، وأخبرته أن المادة جاهزة ومكتوبة على الكمبيوتر ، وتحتاج للمراجعة والتدقيق ، وأنها سترسلها له قريبا ، وأنها ستباشر عملها غدا في المستشفى ، ووعدها بالمرور عليها للاحتفال بعودتها ، والغداء معها ، وسماع أخبارها، وأخبار رحلتها فرحبت بدورها به .

وفي الصباح ركبت سيارتها ـ في كندا مقود السيارات على اليمين ـ متجهة للمستشفى العام بمدينة مونتريال الكندية ، وباشرت العمل المعتاد ، وأخذت تستقبل المريضات من النساء .

وبينما هي تباشر عملها بأيام سمعت هنري يتحدث معها ويطمئن عليها قال ضاحكا : أرسل لي الشيخ ميلاد الشكر لنجاح شفاعتي لديك .

ولما شكرته وصمتت قال : عندي خبر سيء لك .

جفلت ـ ولأنه حدثها عن ميلاد ـ قالت : ماذا ؟ هل مرضت أمي ؟

ـ أمك! .. لا .. لا .. الخبر عن ابنتك .

ـ ابنتي! .. عدت يا هنري ولم أجدها في البيت .. لها أكثر من أسبوع خارج البيت ، ولا ترد على الخلوي

ـ هي هنا في نيويورك .. لقد جاءت مع عدد من طلاب كليتها وجامعتها لزيارة المدينة .. ومشاهدة بعض العروض السينمائية الجديدة .. هنا فيلم يعرض لأول مرة .

ـ لم تقل لي الخبر السيئ يا هنري !

ـ الخبر السيئ أن ابنتك في المستشفى

ـ عندك ؟

ـ لا .. في مستشفى آخر

ـ أفصح ما الأمر قلبي يدق بعنف؟!

ـ الأمر يا سيدتي أن ابنتك تعرضت للاغتصاب من عصابة مكونة من ثلاثة رجال كما قالت .. تعرضت للجريمة هي وصديقة لها في أحد شوارع المدينة .. وبعد اغتصابهنّ طعنوهنّ بالسكاكين .. فصديقتها ماتت ، وشمس أغمي عليها ، فظنوها ميتة .. وألقت شرطة نيويورك القبض على الجناة .. ولما استيقظت شمس وأصبحت قادرة على الكلام اتصلت بي ، وعلمت قصتها منها ومن شرطة المدينة فإذا أحببت المجيء



ـ طبعا سأجيئ الآن

فذكر لها عنوان المستشفى الراقدة فيه في منطقة بروكلين وقال : اتصلي بي عندما تصلين ، فأنا أعمل في كوينز حيث مطار كنيدي .. وأنا تحدثت مع مدير المستشفى ليسهل سفرك .. أنا بانتظارك .

ـ أنت صديق عزيز يا هنري

ـ هذا واجب عليّ .. أليس ديننا يحث على مساعدة الضعفاء والمحتاجين ؟

ـ إلى اللقاء يا سيدي الدكتور .

جريمة

فتحت شمس عينيها فرأت أمها تنظر إليها وهي تبكي فبكت هي الأخرى وقالت : إنهم وحوش يا أمي ! .. كنا نقف جميعا أمام السينما سخروا منا وقادونا إلى شارع شبه معتم قرب الكوبري وحديقة صغيرة ، وأوثقونا واغتصبونا ، ثم طعنونا بالسكاكين .. كنا معهم في السينما ووثقنا بهم وظننا أنهم يقودونا لمطعم قريب من الكوبري .. خدعة .. هل سأموت يا أمي ؟

جرائم الاغتصاب كثيرة جدا على مستوى أمريكا وكندا ، وقد تقع ربع مليون جريمة اغتصاب سنويا في أمريكا ، وكندا يقرب من عشرين ألف جريمة اغتصاب سنويا ، ولديهم مراكز كثيرة لمعالجة المغتصبات ، استمرت زهيرة في البكاء ، فكم من الفتيات عالجت بسبب الاغتصاب في كوبيك ، ويدهشها هذا .. فالجنس ودور الدعارة والحانات مفتوحة لمثل هذا ولماذا يغتصبون النساء ؟! وتذكرت أنها كانت تفحص وتعالج نساء كبيرات في السن عواجيز تعرضن للاغتصاب .. لماذا يغتصبون النساء والدعارة متيسرة ؟ هل بسبب تعاطي المخدرات ؟ أم أمراض نفسية ؟ وقرأت العديد من الأبحاث والدراسات حول جريمة الاغتصاب .. وهذه الجريمة تعني إجبار الأنثى على ممارسة الجنس دون رضا وقبول من طرفها .. الإكراه والتهديد هما أحد أسباب انعدام الرضا في جريمة الاغتصاب ويكون الإكراه ماديا باستخدام العنف ، وقد يكون الإكراه معنويا بالتهديد بالقتل أو الفضح بإفشاء سر خاص بالأنثى ، وينعدم الرضا إذا كانت الأنثى فاقدة للوعي بسبب المسكرات المخدرات المنومات ضعف عقلي جنون .. رغم إباحة الزنا في الكثير من دول الغرب والشذوذ ، ولو بشكل غير رسمي ، تكثر فيها هذه الجريمة المقززة لذوي الأذواق السليمة ، وعلى الفطرة الطبيعية .. وأرقام الإحصاء في تلك البلدان مخيفة فتساءلت زهيرة لماذا كل هذه الإباحية الجنسية ؟!

وعادت شمس تقول لأمها : أمي حبيبتي أرجوك لا تبكي .. هل سأعيش يا أمي ؟

هزت زهيرة رأسها ثم همست : ستعشين إن شاء الله .. الله معك يا ابنتي .. الحمد لله على السلامة .. هنري صديق طيب .. كيف عرفت الاتصال به ؟

ـ آسف يا أمي .. لقد سببت لك الحزن والألم

ـ هذه الحياة يا شمس

ـ أخذت رقمه من مادلين التقينا قبل السفر ، ولما علمت أنني سأزور نيويورك .. أعطتني رقم والدها حتى إذا احتجت لمال أو مساعدة منه فسيقدمها لي .. سبحان الله! جولي ماتت يا أمي !

ـ نعم ، ماتت جاءت طعنة مباشرة إلى قلبها.. كانوا متعاطين للهيروين.. كيف تمشون مع هؤلاء الشباب ؟

ـ التقينا في السينما قبل بداية الفيلم .. كانوا شبابا أمريكيين طيبين .. مزحنا مع بعض .. هكذا بدوا لنا .. ولما خرجنا من الصالة .. عرضوا علينا توصيلنا لمحطة المترو من طريق مختصر .. وصدقناهم .. ولما اقتربنا من أحد الجسور هجموا علينا هجوما خاطفا وصاعقا .. وفعلوا بنا ما فعلوا ثم شرعوا في قتلنا

ـ كنتم متعاطيين يا شمس مثلهم .. هكذا قالت فحوص الدم

أغمضت عيناها للحظات ثم فتحتها وقالت : نعم ، أعطونا جرعات .. ظننا أنهم طيبون وليسوا غادرين .. وكنا فرحين بصحبتهم داخل السينما فهم أمريكان .. وصاروا وحوشا عند الجسر والحديقة .. ونحن مغفلات

ـ حدثني ضابط التحقيق بكل أقوالك .. وهم الآن بأيدي رجال الشرطة ، وكانت نجاتك سببا للوصول إليهم بسرعة ، فهم معروفون لرجال الشرطة ولهم سوابق .. وقد يحكم عليهم بالسجن المؤبد .. عندما تتحسن صحتك سيعرضون عليك للتعرف عليهم .. أنت عرفتيهم عن طريق الصور

عادت تقول : سأعيش يا أمي

ـ أرجو ذلك .. فالدكتور هنري في انتظاري .. فهو صديق كريم

ـ هو شيخ حقيقي يا أمي ..

ـ نعم ، قد أسلم ، واعتنق ديننا الإسلامي ، فهو يصلي ويصوم ..

ـ لما أخرجوني من غرفة العمليات .. وصحوت تماما من البنج .. أخذوا أقوالي عن الحادث .. وذكرت لهم رقم العم هنري الموجود على الموبايل .. فهم بعد الاعتداء علينا لم يفتشونا .. وتقول الشرطة إنهم تركوننا عندما سمعوا أصواتا تقترب من المكان .. كأنهم هربوا .. واتصلت بالعم هنري ولبى النداء .



شفيت شمس من الجرح البدني ، وبقي الجرح النفسي ، وبعد قضاء أسبوعين في المستشفى تعافت وخرجت إلى أحد فنادق مدينة نيويورك .

مدينة نيويورك هي المدينة الأعلى في الكثافة السكانية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وتعد المدينة أكبر المدن في ولاية نيويورك ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية ، والأكثر تأثيراً في مختلف المجالات كالتجارة والمال والإعلام والفن والأزياء والعلوم والتكنولوجيا والتعليم والترفيه ، كما تعتبر مدينة نيويورك أحد أهم مراكز التجارة والمال في العالم ، فهي عاصمة اقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية ؛ لكثرة الشركات والبنوك العالمية فيها، ويوجد فيها مقر الأمم المتحدةوسوق الأوراق المالية ومؤشر الداو جونز الصناعي .

من أشهر أحيائها: مانهاتن وبرونكس وبروكلين وكوينز وستاتن آيلاند ، فيها شارع مشهور يدعى شارع برودواي ، تقام فيه العديد من العروض المسرحية ، وسنترال بارك إحدى أكبر الحدائق العامة في العالم .

يوجد فيها ١٧٠٠٠ مصنعا تعمل في مجال الملابس ، وتنتج نيويورك سدس إنتاج الولايات المتحدة من الطباعة والنشر ، كما تنتج الأغذية والمواد الكيميائية ، والأثاث والورق والمنسوجات

ويعد ميناء نيويورك من أكبر الموانئ التي تعمل في مجال الاستيراد والتصدير، حيث يعمل به ٢٠٠٠٠٠ عامل ، لكن مكانته تدهورت قليلا بعد فتح الموانئ الأخرى على البحيرات العظمى ونهر سانت لورنس ، أما شركات المال والتأمين والأسهم والعقارات ، فيعمل بها نحو ٤٩٥٠٠٠ عامل ، وأشهرها بورصة نيويورك.

تخدم النشاط الاقتصادي في المدينة شبكة ضخمة من وسائل النقل ، حيث يستخدمها يوميا ثلاثة ملايين ونصف مليون فرد ، وتعد نيويورك أيضا أكبر مركز للاتصال في الولايات المتحدة ، حيث يوجد بها العديد من شركات الاتصال والطباعة والنشر ، وبها نحو ستين محطة للإرسال الإذاعي والتلفاز.

كما تعد نيويورك من أكبر المراكز الثقافية في العالم ، حيث يوجد بها العديد من قاعات الفنون والمسارح والموسيقى والمتاحف والجمعيات الثقافية الشهيرة على شارع برودواي ، كما ينتسب إليها بعض الشعراء والكتاب والممثلين والفنانين المشهورين ، أدى أغنياء المدينة دورا مهماً في دعم النشاط الثقافي .

تضم نيويورك مبانٍ من مختلف التصاميم حيث توجد فيها مبانٍ خشبية مصممة على هيئة صناديق بطابق أو طابقين وسقف مائل ويُرى هذا النمط من المنازل في منطقة بروكلين التي تعود إلى العام ١٦٥٦ كما توجد في المدينة مبانٍ ذات تصميم أكثر حداثة كناطحات السحاب التي تتميز بها مدينة نيويورك وخاصةً مانهاتن حيث الأبراج التي دمرت عام ٢٠٠١ ويعد مبنى امباير ستايت أطول مباني نيويورك وأكثرها أهمية. يوجد في نيويورك ما يقارب (١١٠) كم٢ من الحدائق و ١٤ ميل من الشواطئ العامة ،ومن حدائق نيويورك : سنترال بارك وبلهام باي بارك التي تعد أكبر حدائق نيويورك .

تواجه المدينة عدة مشاكل اجتماعية مثل : الفقر والجريمة والمخدرات والتفرقة العنصرية ؛ ففي نيويورك وحدها نصف مدمني المخدرات في الولايات المتحدة ، كما أن بها أربعة ملايين مواطن يعيشون على إعانات الضمان الاجتماعي .

تعتبر السياحة واحدة من أهم الصناعات في مدينة نيويورك ، وتشمل الوجهات السياحية للمدينة مبنى امباير ستيت ، وتمثال الحرية ؛ وجزيرة إيليس ؛ وعروض مسرح برودواي ؛ وأيضا المتاحف مثل متحف المتروبوليتان للفنون ؛ وكذلك المساحات الخضراء مثل سنترال بارك وحديقة واشنطن سكوير ، ومركز روكفلر ، وتايمز سكوير بالإضافة إلى مراكز التسوق الفخمة على طول شارعي الخامس وماديسون ، ومن العوامل التي تجذب السياح أيضا المناسبات مثل عيد القديسين في قرية غرينتش ، عروض عيد الشكر لدى مركز مايسيز، ومعرض اليوم في سانت باتريك ، ناهيك عن ذكر الأنشطة الموسمية مثل التزلج على الجليد في حديقة سنترال بارك في فصل الشتاء ، ومهرجان ترايبيكا السينمائي ، والعروض المجانية في سنترال بارك في سمرستيج وكذلك حديقة حيوان برونكس ، كوني آيلاند، وحديقة نباتية جديدة في نيويورك وغيرها . هذه مدينة نيويورك المدينة ، أما نيويورك الكبرى فهي مقاطعات كثيرة ربما تزيد عن خمسين مدينة .

سمحت السلطات بسفر شمس لكوبيك موطنها الكندي ، وسيتابع العم هنري تحقيقات الشرطة والمحكمة عن طريق مكتب محاماة كلف بمتابعة القضية وتوابعها ، ولما استقرت زهيرة في بيتها لم تتحدث مع ابنتها عن الحادث وأسبابه وآثاره ، وكانت تقول لنفسها : حياة صعبة في هذه المجتمعات ذات الحرية الجميلة ؛ ولكنها تحطم النفس .. وعلى الذي يعيش فيها أن يدفع الضريبة اللازمة للغربة ويتحملها .

وشمس نفسها لزمت الصمت حيال الموضوع ، وبعد ذهابها للعمل أخذت البنت للعيادة النفسية الكائنة في المستشفى العام بالمدينة ، وشرحت للطبيب الجريمة التي تعرضت لها ابنتها باختصار ، وأعطته تقرير الطبيب النفسي الذي اطلع على حالتها وعلاجها النفسي بمستشفى نيويورك ، والذي أكد لها أنه عليها متابعة العلاج النفسي لشمس حتى يذهب أثر جريمة الاغتصاب عنها ، ولا تفكر بالانتحار أو المزيد من تعاطي الكحول والمخدرات .. ويذهب أثر مقتل صديقتها جولي ، وأثر محاولة اغتيالها هي نفسها ، ولما غادرت شمس العيادة وجدت أمها

تنتظرها في صالة الاستقبال ، فخرجتا معا فسألتها زهيرة وهما تركبان السيارة : هل ستذهبين للجامعة أم لا ؟

قالت وهي تشعل سيجارة : طلب مني الطبيب أن أمارس نشاطي كالمعتاد .. أن أذهب للجامعة ولا أفكر بمقتل جولي ، ولا فيما حصل معي ، وقال بعد حين ستنسين الألم ، وستسير الحياة ، فالأيام أحسن دواء للمصائب .. ونصحني بدواء .. وأعطت أمها وصفة طبيبة ، وتابعت: وعليّ أن أمر عليه في الأسبوع القادم لجلسة أخرى

قالت أمها وهي تأخذ الوصفة : عليك يا شمس متابعة العلاج النفسي مع الدكتور .. وسأشتري لك هذه الحبوب المكتوبة هنا .. وعندك في الجامعة عيادة الطب النفسي لو جلست مع أطبائها لن تخسري شيئا .. فأنت بحاجة لعلاج النفسي حتى تخف عنك الأحلام والكوابيس التي تزعجك في الليل .. وعليك بعد هذه التجربة الاهتمام بجامعتك وطلب العلم .. لتصيري دكتورة في الاقتصاد .. اليوم أنت أصبحت ناضجة وواعية للمجتمع والحياة ومستقبلك يا شمس في العلم والدراسة ، وإذا فعلت ذلك ستنسين هذه الجريمة الكبرى في حقك .. أنا لست باق لك .. كلنا سيذهب يا فتاتي .. اهتمي بنفسك وصحتك .. وعليك أن تخففي من الرحلات والرقص والسهرات كما نصحك أطباء نيويورك .. حتى يشفى الكبد والرئة مائة بالمائة

ـ دعوت الله أن أشفى يا أمي .. دعوت الله أن يرحمني يا أمي .. كانت أيام إصابتي الأولى مرعبة وكنت عصبية .. كنت أصرخ رعبا وخوفا من الموت .. فاستجاب الله لي وشفاني .. عليّ شكره فكيف اشكره يا أمي ؟

ـ جميل جدا ما اسمعه منك ! هل كنت صادقة فيما دعوت الله به؟

ـ رأيت الموت يا أمي .. قلت يا الهي لا أريد أن أموت ما زلت صغيرة .. إني أحبك يا ربي .. وها هو يهبني الحياة من جديد لكني ضعيفة ، وأجد نفسي بعد الشفاء ضعيفة أمام الشهوات ساعديني يا أمي

ـ آه يا حبيبتي !.. سأساعدك بكل ما أملك .. ماذا تريدين أن أفعل لك ؟ نجاتك يا شمس حياة

لي .. ونجاحك كذلك حياة لي .. نجاحك سيعيد لي كياني وحياتي يا حبيبتي

ـ سأنجح يا أمي سأهتم بدراستي ..

ـ عليك أن تفهمي المجتمع أكثر ..وتعرفي الناس أكثر .. ونجاحك وحياتك هم أهلك وأقاربك هنا .. نحن كما تعلمين لا أعمام لنا هنا ولا أخوال ولا أصدقاء بمعنى الصداقة العميق المعارف والزملاء ليسوا أصدقاء .. فأنا منذ طلقني أبوك قد خفت علاقتي بهم .. صلات عمل ومناسبات دينية واجتماعية .. حياتي العمل كما ترين .. والصديق الوحيد لنا بحق هنري ، وهو صديق بعيد عنا .. فإذا تقدمت في العلم وأنهيت الجامعة ، وصرت دكتورة اقتصاد ستكبرين .. فالعلم أهلك وعمك وخالك .. وستنسين جرحك الدامي وموت جولي وينسى الناس ذلك إني احبك يا شمس وأريد أن تصيري عظيمة بجد وحق .. وهذا الذي يرفعك في مثل هذا المجتمع ، هم يحترمون العلماء في جميع الاختصاصات .. وهذا سيكون فخرا لأمتك العربية ، وأننا باستطاعتنا أن نصير مثلهم .. عليك بتحديد الهدف والغاية بكل وضوح ووعي .. والسير نحوهما .



حياتي في الغرب

قبل أن ينصرم العام تحدث هنري مع الدكتورة مستفسرا عن حال شمس بعد الحادث الذي أصابها في مدينة نيويورك فردت عليه قائلة : إنها تتعافى رويدا رويدا من آثار الحادث الرهيب ، فقد جعلها الحادث تهتم بجامعتها أكثر .. وأخذت تبتعد عن الأصدقاء الجامعيين الشباب خاصة .. تراهم وحوشا وشهوانيين .. وهؤلاء بادلوها البعد والجفاء .. يبدو كما قال الطبيب النفسي في المستشفى إنها تعقدت من جنس الرجال ، وترى أن علاقتهم بها فقط من أجل قضاء الشهوة .. فهي تتحدث عنهم برهبة وقسوة

فعلق هنري فقال : لقد كانت صدمة كبيرة عليها .. كانت جريمة بشعة .. اغتصاب وقتل من شباب كانت تظنهم أصدقاء ومرحين فانقلبوا لصيادين ووحوش .. وكذلك موت جولي رفيقتها الخاصة .. صدمة كبيرة يا دكتورة .. شفاها الله منها .. أنا حزين من أجلها .. الموقف ليس سهلا

ولما رأى أن زهيرة لزمت الصمت أو أنها تبكي بصمت تابع قائلا : أتصل بك هذه المرة لأخبرك بشيء جد على حياتي يا دكتورة قد أتزوج قريبا هل أدعوك لحفل الزفاف أم لا وقت لديك ؟

ـ شكرا هنري العزيز.. نجح مشروع زواجك الذي حدثتني عنه ونحن في كوينز

ـ تيسر الأمر ، وقد وصلت الفتاة إلى المدينة تقابلنا ، وعمرها اثنتان وثلاثون سنة ، طبيبة أطفال

ـ مبارك يا هنري ! وإني سعيدة بما أسمع .. وعندما تحتفلون أرجو أن أتمكن من الوجود بينكم وفقكَ الله يا أخي هنري أنت صديق عزيز لنا في هذه البلاد .. وأنا نفسي بدأت تراودني العودة لبلادي .. وإنما شمس تقلقني مع أن لا سيطرة لي عليها ، وهي ترى أنها قادرة على الحياة وحدها وتحمل مسؤولية نفسها .. مع أنني لا أرى ذلك صحيحا .. وعد والدها بزيارة لها ، ولعله يستطيع إقناعها بالعودة معه وذلك بعد إنهاء الجامعة ..

سأل هنري من باب الفضول البشري : وهل علم بالحادث ؟

ـ لم أقدر أن أحدثه بذلك ، تركت الأمر لها .. ولا أعلم هل أعلمته شمس بذلك ؟ وأنا كلامي

معه قليل سوى التحية والسلام .. ولكنه يطيل الحديث مع ابنته

ـ عندما يتعين وقت الزفاف سأخبرك .. وأنا أنصحك إذا حللت مشكلة شمس أن تعودي لأهلك خاصة أنك بلا زوج يا دكتورة .. معذرة للتفوه بذلك .

تركت زهيرة الجهاز ، ورددت بانزعاج واضح بدون زوج! .. ومن أين يأتي الزوج ؟ ومؤسسة الزواج هنا شكلية .. والجنس متيسر في كل زاوية من زوايا المدينة ، ولديهم قرى للشواذ .. ويقرون ويعترفون بزواج المثليين .. وهل هذا زواج ؟!.. ولماذا يتزوج الرجل ويتحمل مسؤولية امرأة وأولاد ؟ .. عشيق صديق .. شهر ، شهران ، سنة .. وكل يأخذ طريقه .. لا حقوق ولا واجبات .. غابة .. زواج حيوانات ..

أخذت شمس تعود مباشرة للبيت بعد سماع محاضرات الجامعة ، ولما حيت أمها قالت : هل علمت أن العم هنري سيتزوج ؟

تطلعت زهيرة بعيني ابنتها وقالت بدهشة : من قال لك ذلك ؟!

ـ مادلين ابنته .. رأيتها اليوم أمام الجامعة فقالت لي كنت أظن أن أبي طلق أمي ليتزوج من أمك اتصل بي ليخبرني أنه سيتزوج امرأة باكستانية

فقلت لها : امرأة باكستانية .. ولماذا باكستانية ؟

تذكرت زهيرة أنها لم تسترسل مع هنري بالحديث عن المرأة التي ينوي الزواج منها ؛ لأنها تملك بعض المعلومات عنها ، عندما تواجدت معه في نيويورك .

فقالت شمس : سألت مادلين عن ذلك .. فقالت : لا أدري .. لماذا باكستانية ؟ .. ربما لأنها مسلمة ، وأمريكا مليئة اليوم بالمسلمات .. إنما اتصل ليعلم هل أرغب بحضور حفلة الزفاف التي ستقام بنيويورك .. هل علمت بذلك ؟

ـ نعم ، اليوم اتصل بي أيضا يعرض علينا الحضور لحفل الزفاف عندما يتحدد وقت العرس .. وحدثني عن هذا الزواج عندما كنت معك في نيويورك ، أخبر ذات يوم ونحن حول سرير الشفاء إنه قد يتزوج ، فقد التقى بطبيبة باكستانية تعمل في المستشفى ، وحدثها عن رغبته بنكاح

امرأة مسلمة ، فأعلمته أنها متزوجة ولها شقيقة في البلاد غير متزوجة ، وهي طبيبة مثلها وسعت له في ذلك ووافق أهلها عليه وقبلوه ، وجرت المراسلات ، وها هي وصلت للنهاية ، ويجري الإعداد لحفل الزواج ، وسوف يدعونا لهذا الحفل أنا وأنت.

ـ أنا مثل مادلين ظننت أن هنري عاد ليتزوج منك يا أمي .. هل أنت حزينة يا أمي لأنه لم يتزوج منك ؟

لم ترد فورا بل وجمت قليلا ، ثم تبسمت وقالت : لست حزينة يا شمس .. وإن وقع في قلبي قديما أننا قد نتزوج يوما ما ، والرجل خطبني عندما تركني أبوك .. وبينت له أن المسلمة لا يجوز أن تتزوج من نصراني، فوافق على الإسلام واستعد للإسلام ، لكنني دعوته ليعرف لب الإسلام وحقيقة الإسلام .. فذهب لمصر وتعلم العربية والإسلام ، وأشهر إسلامه في الجامع الأزهر ، وتسمى بعبد الصمد .. واتجه إلى جماعة إسلامية نشأت في الهند ، وما زالت تحمل هم الإسلام والدعوة .. ولما عاد لم نتحدث عن الزواج مني ..

قالت شمس وهي تنهض نحو المطبخ للغداء حيث دعتهم الخادمة لذلك : لقد كان صديقا طيبا أثناء الحادث الرهيب

ـ هنري مسلم طيب ، ويحب الضعفاء ومساعدة المحتاجين

ولما جلستا تأكلان قالت زهيرة : يا شمس أفكر بالعودة إلى بلدي الأول

فقالت شمس بدهشة : تعودين لبلدك .. تعودين لأبي ؟!

ـ أعود لبلادي وليس لأبيك .. أبوك تزوج ، وله أولاد منها .. لقد مللت هذه البلاد .. وما زلت أحس بأني غريبة فيها .. لقد صدمت جدا لم حدث لك .. ولا آمن أن يحدث لي مثل هذا

ـ حدث لي ذلك في أمريكا .

ـ الصحف تنشر مثل هذه الأحداث هنا .. وأنا عالجت الكثير من جرائم الاغتصاب .. ولا يربطنا شيء مهم في هذه البلاد .. نحن جئنا للعلم .. وليس للبقاء .. ولدى الإنسان حنين لبلاده وأهله .. رغم الجفاء والعداء

ـ الانحلال يا أمي موجود في كل بلاد العالم ، والإجرام لا تخلو منه مدينة

ـ أعرف ، وهو قليل في بلادنا.. فما زالت محطات التلفزة تنقل لنا أخبار الجرائم البشعة والعصابات المنظمة الكبيرة .. وأنا لليوم لم استطع أن أذوب في هذا المجتمع .. ما زلت أجد نفرة من أهل البلاد الأصليين لنا أثناء العمل .. ويضيقون منا خاصة بعد أحداث أمريكا قبل أكثر سنة .. ويعتبرون كل المسلمين قنابل إرهابية.. والعرب خاصة.. لأن الذين دمروا أبراج أمريكا شبانا ذوي أصول عربية .. والتحرش الجنسي في العمل شائع ولا حرج .. والانحرافات الجنسية كثيرة .. أخذت أقتنع أن بلادنا خير لنا من الحياة هنا .. ونحن لا أهل لنا .. نحن نعيش وحدنا يا شمس .



وأجلت أم شمس العودة للوطن حتى تتخرج شمس لتقرر مصيرها بنفسها ، للبقاء في كندا أو ترحل مع أمها إلى بلاد العرب ، لقد أوشكت أن تنهي خدماتها في المستشفى وستطلب التقاعد المبكر من العمل .

كانت زهيرة تتحدث مع أمها على الهاتف كما اعتادتا فعل ذلك ، فنقلت إليها خبر وفاة ابن عمها ميلاد ، فتفاجأت زهيرة للوهلة الأولى وانزعجت ، فقالت : ماذا قلت يا أمي ؟

ـ نعم ، كما سمعت يا زهيرة .. مات في بلاد بعيدة

فكررت زهيرة : ميلاد عادل مات ! .. هل خلفت زوجته ؟

ـ نعم ، ولدت ولدا ذكرا .. منذ يومين جاءنا الخبر .. فقد كان مع جماعة من أصحابه جهة روسيا الباردة والجليد .. فمرض ثم فارق الحياة قبل أن ينقل لأي مستشفى .

استرجعت زهيرة وترحمت عليه ، وتذكرته وهو يصدم سيارة زوجها سامر، ثم رددت : رحمه

الله رحمه الله يا أمي .. أكيد الشيخ حميد حزين عليه ..

ترحمت هناء عليه وتابعت : أهله والشيخ حميد راغبون بنقل جثته للبلد ودفنه هنا بمقابر البلد ورفاقه الشيوخ يلحون بدفنه في تلك البلاد ليبق شاهدا وذكرى لهم ، ولمن يأت تلك البلاد

ـ رحمه الله يا أمي وغفر له .. وأنت كيف حالك ؟

ـ بخير ؛ ولكني حزينة لزوجته التي ها هي تترمل من جديد مرة ثانية ، وحزينة لابنه رفاعة .. سمى ابنه رفاعة .

هزّ الخبر كيان زهيرة كما أثر بأمها ، فقد كان هذا الرجل عدوها وخصمها العنيد أيام شبابها .. ولم تلبث أن سمعت صوت هنري معزيا لها بابن عمها .. فقالت : وقد عرفت !

فقال: نعم ، واتصلت بقريبه الشيخ حميد وعزيته بقريبه ، وأنا أقدم لك التعازي يا دكتورة .. كنت أظن أنك ستعودين للبلاد .

ـ قريبا ، شهور قليلة .. اقترب تخرج شمس من جامعتها ، وعليها أن تحسم أمرها ، إما البقاء وإما السفر مع أمها.

ـ نعم ما تفعلين يا دكتورة ..أريد أن أقدم مساعدة لأسرة شيخ ميلاد .. فأنا أعلم أنه ترك ولدا وزوجة لديها ثلاث أطفال من رجل سابق

ـ أتريد إرسال مال لهم ؟

ـ سأقدم لهم مالا .. ولكن أريد أن أدرج اسم ابنه عن طريق جمعية أو مؤسسة تعتني بالأيتام حتى يكبروا .. فهناك جمعيات عالمية تهتم بهؤلاء الأطفال

ـ جمعية هنا في كويبك ومونتريال

ـ نعم ، جمعية تقدم مساعدات في أنحاء مختلفة من العالم .. تحدثت مع حميد ؛ ولكنه اعتذر وقال سنهتم بالأمر .. بالولد وأم الولد .. والرجل ترك ثروة لا بأس بها .. لكن هذه الجمعية ستهتم به ماديا ومعنويا ، وسيدرس إذا كبر في الجامعة على نفقتها ، فهم يهتمون بتدريس الفقراء على مستوى العالم .. فلهم علاقات على مستوى العالم بجمعيات خيرية ومؤسسات خيرية دولية

ـ سأهتم بالأمر .. وإن أرى أن الطفل له أقارب كثر سيهتمون به .. فأشقاء ميلاد يزيدون عن عشرة ذكورا وإناثا والشيخ حميد شريك ميلاد في العمل والآن كيف أنت وعروسك الهندية ؟

ـ رائعة ! هي على وشك الوضع .. أكرمني الله بفضله وكرمه بذرية منها كيف شمس اليوم ؟

ـ أحسن حالا بكثير من أيام نيويورك .. لقد كان الحادث صدمة كبيرة لها يا هنري .. ما زالت تعاني من آثاره .. وتستيقظ فجأة أثناء النوم وتصرخ .. وتأت للنوم بجواري باقي الليلة

ـ خفف الله عنها ، لم يكن الحادث سهلا عليها .. تحياتي القلبية لها .. وإذا جئت البلاد عند ولادة نورا سألتقي بكم إن شاء الله سبحانه

ـ شكرا لك يا دكتور هنري.. كنت نعم الأخ والصديق لنا في هذه الغربة

ـ إلى اللقاء

وضعت زهيرة سماعة الهاتف وتنهدت وقالت : جميل ! سيصبح هنري أبا من جديد يا الهي ! هنري يحقق حلمه بالمولود المسلم والزوجة المسلمة .. لكنها هندية لم تكن عربية !



عودة زهيرة

تخرجت شمس أخيرا من الجامعة بنجاح وتقدير جيد ، فهي ذكية من ناحية الدراسة ، وإنما كانت تحب العبث واللهو والسهر والرحلات حتى تعرضت للحادث المرعب في أحد شوارع مدينة نيويورك ، فانكمشت على نفسها رغم تعرضها لجلسات طبية وعلاج نفسي ، وذلك بعد تعرضها للموت بالطعن بالسكاكين التي شوهت صدرها .

وزهيرة أنهت خدماتها في المستشفى ، وحصلت على تقاعد الضمان الاجتماعي من المؤسسة التي اشتركت فيها منذ دخولها كندا أيام دراستها في هاليفاكس .

جلستا تتناقشان في مصيرهما ، فكانت زهيرة قد اكتفت وشبعت من الغربة كما قالت لابنتها وهي عازمة على العودة لبلدها بعد كل هذا الغياب فهمست لها : أنا اعلم أنك منذ وجدت على هذا الكون قبل ما يزيد عن عشرين سنة وأنت هنا ، ولا أستطيع إجبارك على الحياة معي .. ولا أحب بقاءك وحيدة هنا يا شمس .. وأنت لك الحرية في حياتك .. فسافري معي لتتعرفي على إخوانك وأقارب أمك وأبيك .. ثم احسمي أمرك إما البقاء معي أم العودة إلى هنا .. بضعة شهور .. تغيير جو .. رحلة للشرق .. وها هي الشقة موجودة ، وستبقى الخادمة فيها إذا أحببت البقاء ، وسندفع إيجار الشقة وراتب الخادمة حتى تصلي للقرار المناسب.. إذا لم يطب لك البقاء تعودين .

احتضنت شمس أمها وقبلتها ، وذرفت الدمع أثناء ذلك ، وقالت وهي تضع رأسها على كتف أمها : فكرت فكرت يا أمي .. عليك أن تذهبي وحدك .. فإذا طاب لك المقام بين قومك وعشيرتك فابق بينهم .. وإذا لم يطب المقام فأنا هنا بانتظارك .. قريبا سأعمل بشركة قدمت لها أوراقي ، والجامعة ستساعدني في الالتحاق بالعمل .. عذرا يا أمي أنا تعودت على الحياة في المجتمع الغربي بسلبياته وإيجابياته .. وربما جئت إليك سائحا في يوم من الأيام .. نحن لن نبقى معا طويلا .

ـ إذن فكرت جيدا في مستقبلك وحياتك .

ـ لي شهور أفكر وأفكر وقد حسمت الأمر.. أنا مكاني هنا .. تعودت على حرية هذه البلاد وطبيعتها .

ـ ولكنك رأيت بنفسك ما جنت حرية أولئك الناس .. ومن ناحية اللباس لا يتدخل بشأنك أحد .. وليس كل الناس يلبسون الثياب التقليدية في بلاد العرب والمسلمين .. فلبس الجلباب أو العباءة حرية شخصية اليوم في بلاد المسلمين .. فأنت هنا اليوم ترين فتيات ونساء يلبسن الثياب الشرعية ويغطين شعرهنّ .. وأنا منذ وعيت لأهمية اللباس في حياتنا وأنا ألبس الثياب المحتشمة وأغطي شعري كاملا واكشف وجهي .. ودرست سنة في الجامعة في بلدي وكنت أرى الكثير من السافرات والمتبرجات ولابسات البنطالات

ـ هل يسمحون لي بلبس الشورت البنطال القصير في شوارع المدن العربية ؟

ـ الأجانب يمشون بشوارع المدن العربية منذ عهد بعيد باللباس القصير ، ومن النادر أن يعترض أحد عليهم .. لكن الذوق العام لأهل البلاد لا يتقبل ذلك .. فها هي قرى الهنود الحمر هنا تتزين النساء والرجال بزي تقليدي لأجدادهم .. كما هو الحال في بلاد المسلمين ..

ـ أعدك يا أمي بزيارة عندما أباشر العمل واستقر فيه .. توكلي على الله ، وعودي لأهلك وأمك وسيكون الاتصال دائما بيننا .. هل علمت أن مادلين ستنتقل للعمل في نيويورك في نفس المستشفى الذي يعمل فيه والدها .

ـ قال لي هنري ذلك

ـ كنت أتمنى أن يقترن بك هنري لتبقين هنا

ـ هنري ليس هنا أنه في أمريكا

ـ كلها بلاد واحدة ، وإن فصلت بينها حدود

كانت الدكتورة زهيرة مجدي قد رتبت مع ابن عمها حميد نبيل بأن يبتاع لها شقة أو فيلا في أرقى أحياء العاصمة ، فوعدها بحجز عدة فلل وشقق ريثما تستقر في البلد وتختار المناسب واللائق بمقامها .

فلما هبطت الطائرة الكندية بمطار العاصمة مع صباح ذلك اليوم من كانون الثاني ٢٠٠٨ .. وكانت على اتصال بحميد الذي رتب على استقبالها ، فلما ختمت جواز سفرها واستلمت حقيبتها من الجمارك التقت بحميد وزوجته في صالة الاستقبال ، وبعد الترحيب والدعاء انطلق بها حيث بيت والدتها التي كانت مستيقظة في انتظارهم ، احتضنتها أمها وتعانقتا على عادة الشرقيين ، فلما انفصلتا عن بعضهما صافحت أم زهيرة زوجة حميد ، وحيت حميد وشكرته فرد لها الشكر وقال : يا دكتورة الحمد لله على السلامة .. وأهلا بك ببلدك العزيز .. والبيوت جاهزة للمشاهدة شقق وفلل .. عندما تجهزين لذلك سنقوم بجولات خاصة إليها .. ثم يتم نقل ملكية البيت الذي تختارينه من صاحبه إليك .

أثنت عليه الثناء الجميل فقال : أرجو أن نتخلص من ذلك .. فهذا واجب علينا يا دكتورة .. نحن أهل .

وقبل أن يغادر البيت ويغلق الباب هتفت وراءه : أبا محمد

فتوقف واستدار إليها مستفهما وكذلك زوجه ، فقالت : أريد أن أرى ابن ميلاد ابن ابن عمنا

ـ سنفعل هو الآن مع أمه ، وشكرا لك على المال الذي أرسلتيه له ولأمه .

ـ هو ليس كله مني ، فبعضه من هنري الشيخ عبد الصمد

ـ بارك الله فيكم .. والرجل ترك لابنه ثروة كبيرة .. وأنا قد عملت قسمة للشركة ليأخذ الابن والزوجة حصتهما يتقاسمونها حسب الشرع .. لكن الزوجة ووالدها طلبا أن يبقى المال في السوق .. كما كان أيام ميلاد .. ولما انتهى توزيع الميراث حسب الشرع فأخذت حصة الأم وأشركتها في شغلنا .. أما مال رفاعة فحول لمؤسسة الأيتام لرعايته وتنميته لأنه قاصر .. فهي زوجة طيبة ومسكينة .. السلام عليكم للحديث تتمة ما دمت قد أمسيت جارة لنا .

ـ وعليكم السلام .. سلم على أولادك .. أعود وأشكرك يا أبا محمد .. شكرا أم محمد .

ردت أم محمد بصوت بدا متعبا فقالت زهيرة : آسف .. ما بك يا أم محمد ؟! كأنك مريضة !لم انتبه إلا الآن .

فرد حميد : نعم ، إنها متعبة ، وسنقوم بفحوصات جديدة خلال هذه الأيام .. لما يدخل علينا البرد تبدأ أم محمد بالتعب والمعاناة .. ولما تستريحي ستتكلم عن مرضها ونسمع نصائحك فأنت أخصائية في أمراض النساء .

ـ أنا في خدمتكم ، وفعلا إني في شوق لتقديم شكر عملي لكم .. معروفكم مقدر عندي .. ألف سلامة يا أم محمد .. لم انتبه لمعانتك إلا الآن .

خلال أسابيع تمكنت الدكتورة من ابتياع فيلا في إحدى ضواحي المدينة ، وتم تأثيثها بأحدث طرازات الأثاث والفرش والستائر وأدوات المطبخ وفرن الغاز والبراد (الثلاجة) وغسالة الملابس ، وغرفة نوم خاصة بها ، وغرفة خاصة بأمها وغرفة خاصة بالخادمة .. ولم كمل التأثيث رحلت وأمها وخادمة البيت للفيلا الجديدة .. اشترت سيارة من آخر موديل .. ولما استقرت بالبيت استعانت بخادمة أخرى .. فالبيت الكبير يحتاج لأكثر من خادمة .. وكانت الخادمة الجديدة تحسن الطهي لتقوم بهذه المهمة في البيت .

وأكثر الخادمات في بلدنا من جنسيات آسيوية الفلبين سيريلانكا .. إندونيسيا .. بنغلاديش ..
عرفت زهيرة من حميد أن امرأته تعاني من مرض السرطان سرطان الثدي ، وقد استؤصل أحد أثدائها .. ولكنها ما زالت تعاني من المرض .. فقدمت ما تستطيع من نصائح ، وأهمها استمرار المتابعة والمراجعة في المراكز المعالجة الخاصة .

وفكرت زهيرة بإنشاء عيادة خاصة تمارس بها العمل الذي هو حياتها كما تردد وكما تعودت .. وفي النهاية قررت العمل في مستشفى خاص لتتعرف على البلد وطبيعة العمل في البلد بعد غياب طويل عنه .. والدكتورة لديها خبرة كبيرة وشاركت في تأليف كتب طبية أثناء إقامتها في مونتريال باللغة الإنجليزية والفرنسية .. وما زالت على اتصال بمراكز البحث العلمي والطبي التي نشطت بالعمل معها ، ولديها خبرة عملية كبيرة في المستشفيات وكانت تساعد زوجة حميد في مراجعة المستشفيات المختصة .

حميد منذ وضع نفسه تحت خدمة امرأة عمه هناء محمد ، وهو يتصل بها كل يومين أو ثلاثة أيام

سائلا عن حالها وصحتها وحاجتها ، وحلف عليها إذا احتاجته في أي وقت أن تتصل به أو بزوجته ، وكذلك عود نفسه ليزورها في الشهر مرة أو مرتين مساء الجمعة.. برفقة زوجته أو أمه .. ويرافقها إلى مراجعة طبيب أو طبيبة أو مختبر طبي .. أو مركز صحي الحكومة لاستلام دواء الضغط والسكر الذي تحتاجه شهريا.. وعندما يرافق المشايخ بخروج دعوي .. يكلف أحد أبنائه خاصة عماد الذي يعمل معه بالاهتمام بامرأة عمه .

وكان حميد دون إخوته أكثرهم رعاية لامرأة عمه عن وصية أمه خاصة بعد أن طلق مروان السيدة هناء ، وتزوجت الضابط رستم .. وسفر ابنتها بعد ذلك .. ولاحظت الأم أم سالم ضعف علاقة أبناء رستم بزوجة أبيهم .. وتقبل حميد هذه المهمة بروح طيبة ، وكذلك وصاه والده عند موته بالاستمرار على بره وصلته لها ، وتعمقت علاقة زوجته أم محمد بهناء.. وقدرت هناء هذه الصلة للرحم .. وهذا الود بينهم ، وكانت تألفهم أكثر من أبناء إخوتها وأخواتها .. وكانت تتألم لما أصاب أم محمد من مرض السرطان .. وتدعو لها في كل صلاة بالشفاء والعافية.. ولما ترقد في المشفى تذهب لزيارتها والاطمئنان عليها برفقة أولاد حميد .. لأنها باعت السيارة عندما ضعف بصرها بسبب السكري.. ودعست طفلا ، وكانت إصابته ـ بفضل الله ـ خفيفة .. ولم يصاب بكسر إنما خدوش ورضوض .

واستمر هذا النمط من المساعدة والصلة حتى بعد عودة زهيرة ، رغب أبو محمد بالاتصال الدائم بأم زهيرة ، لم يسع لتغيير ما عود امرأة عمه عليه بحجة عودة زهيرة .. فكان يزورهم بين الحين والآخر .. اجتهد ألا يضعف ما عود امرأة عمه عليه من عادات .. وغالب الحديث الهاتفي يكون بينه وبين هناء الأم .

وفي الآونة الأخيرة كان يصحب ابنته معه الطالبة في الجامعة.. فالزوجة ازداد وضعها الصحي تدهورا .. وأمه أخذت تكتفي بالحديث الهاتفي بينها وبين هناء فالسن أخذ مجراه عليها ، فهي من سن هناء تقريبا ؛ ولكنها تزوجت نبيلا في سن مبكرة ، كان عمرها دون العشرين .. ومرات يأخذ زوجة ابنه محمد التي تعيش معهم .. فبناته الكبيرات متزوجات من أقاربهن .. ومحمد

تزوج قبل مجيء زهيرة من كندا بزمن يسير .. والذي يصغره بسنة تزوج قبل محمد لظروف معينة ، ويسكن مستقلا عن والده ، وعماد الذي يعمل معه في محل التصليح يسعى لتزويجه ، فقد خطب له ابنة خاله ، وهو صديق للشيخ حميد ، ورفيقه في الجماعة ، ويسكن قريبا من بيته ، ويعيش معه في نفس البيت الذي بناه .. وبقي عنده حليمة التي تدرس في الجامعة .. وولد واحد أعزب في المرحلة الثانوية .. فصار يصحب ابنته أو كنته نصف أو ساعة في الزيارة ، ثم يعود للبيت ، وغالب زيارته تكون ليلا بعد صلاة العشاء في فصل الشتاء والخريف ، وفي الصيف بعد العصر أو بين صلاتي المغرب والعشاء

وبعد مجيء زهيرة قليلا ما يلتقيان ؛ لأنها تواظب على عملها في المستشفى الخاص ، وتكون في مراقبة ومتابعة حالة خطيرة أو عملية ولادة ، فأحيانا تعود للبيت بعد منتصف الليل .

فهي تشرف على عمليات الولادة أو تساعد جراحا في عملية قيصرية .. فالولادة الطبيعية تقوم به القابلات العاملات في المستشفى أو ممرضات ذوات خبرات خاصة .



ذات ليلة كان حميد تصحبه كنته زوجة محمد في بيت هناء وزهيرة ، وقد جاء ليطمئن على صحة الأم ، فقد كانت في الصباح عند الطبيب لارتفاع الضغط الدموي ، وحدث لها تشويش في الأذنين ، وعزت الطبيبة ارتفاع الضغط أنها تعشت عشاء فيه نسبة زائدة من الأملاح .. فذكرت لها أنها أكلت أقراصا محشوة بخضار السبانخ ، وبعضها باللحم المفروم .. وشربت كوبا من الشاي به القليل من السكر .

ولما شربوا الشاي وأمامهم الفاكهة ، قالت هناء : سمعنا يا أبا محمد أنك تسعى للزواج على أم محمد .

تضاحك وهو يتطلع في وجه كنته وقال : أم محمد أخبرتك .

تبسمت النساء الثلاث وقالت هناء: نعم ، تحدثت معي لما رجعت من العيادة لتسأل عن صحتي ، وجاء حديث الزواج .

قالت زهيرة : التعدد عند الشيوخ سنة النبي ﷺ ويرونه أمرا طبيعيا

ضحك حميد وقال: التعدد في الإسلام شيء طبيعي ، وقرأ آية النساء (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا) .. وأنا حقيقة يا امرأة عمي عندي سبب للزواج ثانية فأم محمد كما تعلمون اشتد عليها المرض منذ أشهر ، وهي مريضة منذ سنوات .. فلم تعد تصلح كزوجة لأنها تتعب .. والرجل لا يستغني عن المرأة .. والحلال حلال ولا يصير حرام .. فهذه القصة

فقالت زهيرة : ورأي أم محمد في الموضوع ؟

ـ أم محمد منذ مرضت ، وهي تحثني على الزواج .. فلان له زوجتان .. وفلان تزوج الثالثة .. فزوج أختها عنده ثلاث نسوة .. وتحملت من أجل خاطرها يا أم شمس .. وأملت بشفائها التام ، ولكن أمر الله فوق كل أمر (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

ـ يعني أم محمد راضية بزواجك عليها

ـ هي تريد هذا ، وتدفعني إليه ، وها هي كنتها تعيش معنا .

وتحدثت كنة الشيخ ، وأيدت كلام أبي محمد ، وبينت أن حماها وافق هذه الأيام على البحث عن زوجة تقبل به ، وهو في الخمسين من العمر .. وقالت: ونحن نبحث له عن امرأة صالحة تقبل به .

فقال مؤكدا ما تفوهت به كنته : امرأة صالحة تقبل بي في هذا العمر .

فقالت زهيرة مستفهمة : لم تبلغ الخمسين بعد يا أبا محمد .. أتريد خلفة من جديد ؟

ـ ليس شرط هذا .. هذه تعود للعروس .. لي أكثر من عشر سنوات بدون خلفة.. والولادة والحمل كله بأمر الله تعالى .. أنا الله أعطاني سبعة بين ذكر وبنت .. والتي سأقترن بها ستكون

دون الأربعين في فكري .

وفجأة قالت هناء وبدون مقدمات : لماذا لا تتزوج ابنة عمك ما دام الخلفة غير مهمة عندك ؟

التقت عينا حميد بعيني زهيرة التي أحمر وجهها لمفاجأة أمها ، وبعد لحظة صمت قالت زهيرة :

ومن قال لك يا أمي إنني أريد أن أتزوج ؟!

قالت هناء : أنا أعلم أنك منذ تركت سامرا ، لم تتزوجي ، ولم تفعلي ما فعلت أمك قديما ، قبلت بالزواج من المرحوم مروان ـ رحمه الله ـ الذي مات بحادث سيارة مخيف .. ثم رستم .. واليوم أنت تعيشين معنا ، ورضيت بالحياة هنا ، فالشيخ حميد رجل ومفضال كما تعلمين .. وأولاده يحبونك وحتى أم محمد تحبك وتقدرك .. والأعمار بيد الله .. فكري بما سمعت يا زهيرة .

قالت زهيرة : وهل يرضى بي أبو محمد زوجة ؟

ضحك حميد ، ونظر لكنته وقال : هذا أمر يرجع إليك يا دكتورة .. أنا لم تطمع نفسي بالزواج منك ، ولا أقدم خدماتي لكم من أجل ذلك أو طمعا بذلك .. أنت لك شهور بيننا ، لم تعرفينا بشكل جيد يا أم شمس .. وموضوع الزواج قديم وجديد ولست مستعجلا عليه .. إنها مغريات الدنيا كثيرة كما تعلمون .

قالت زهيرة بشكل مفاجئ : ما دام الأمر لي .. فإذا قبلتني يا أبا محمد زوجة فإني أقبلك .. أنا عرفت طيبتك من الزيارة الماضية كما تذكر .. وأنا لما طلقت صرفت نظري عن زواج جديد .. وربما كما تقول أمي الوضع هنا غير هناك ..فإذا تراني أصلح لك زوجة فعلى الرحب والسعة

ـ أنا غير مصدق لمَ أسمع يا ابنة العم !

تفاجأ حميد والأقارب بقبول زهيرة الزواج من حميد ، ورد بعضهم ذلك ليأسها من وجود زوج من مستواها الاجتماعي والطبي ، وأيضا لكبر سنها .. وليأسها من الإنجاب ؛ لأنهم يعلمون من أسباب انفصالها عن زوجها الأول ضعف قدرتها على الحمل .

جرى حفل زواج متواضع لزفاف حميد وزهيرة حيث انتقل للحياة والعيش في بيت زهيرة ، وقدم لها مهرا متواضعا ورمزيا ، وقد غيرت زهيرة أثاث غرفتها لتصبح غرفة نوم بسرير مزدوج

وخزانة ثياب كبيرة .

وقد كان الاتفاق بينهم أن يكون مصروف البيت مناصفة لأن حميدا رفض أن تتكفل زهيرة بمصروف البيت ، وطابت الحياة لزهيرة بزواجها ، وعادت إليها أنوثتها وروحها الغائبة ، وعادت النضارة لوجه زهيرة وحب الحياة ، ورأت أن الحياة الزوجية سعادة ومهمة ومودة وسكينة ، والشيخ حميد سلوكه وكلامه دائما عن الدين والإسلام والجنة والنار، وهذه أشياء افتقدتها زهيرة في حياتها الزوجية الماضية ، وفي الغرب ، وهي اليوم امرأة ناضجة ، ولها تجربة شرقية وغربية ، وشاء مولانا العظيم أن يتم سعادته عليها بأن حملت من زوجها حميد ، فكادت لا تصادق ذلك ، لولا أنه حق وواقع ، وقد أثبتت الفحوصات الطبية والمخبرية الحمل ، وهو حمل طبيعي ، فكانت تقول لزوجها : رغم حملي بشمس ومجد وولادتهما بسلام لم أسعد كما أنا اليوم .

ـ الله عظيم ورحمته كبيرة !.. ونياتنا خالصة لله .. فنحن نذكر الله عند كل جماع كما علمنا الرسول ﷺ لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا – فإن قضى الله بينهما ولدا لم يضره الشيطان

ـ كلام عظيم من نبي عظيم !

ولدت زهيرة ولدا كاملا سليما ، ولما تشاورت على تسميته ، اقترح حميد أن يسمى مجديا على اسم والدها مجدي حسن ، وبعد تردد يسير قبلت وسمته مجديا ، وعلى أثر الحمل والولادة تركت زهيرة العمل في المستشفى ؛ لتتفرغ للمولود الغالي تفرغا كاملا .

وكان حميد منذ سنوات يشرف على العمل إشرافا بسيطا ، سواء مشغل تصليح السيارات أو معرض بيع السيارات المستعملة .. فكان قليلا ما يعمل بيده ، وكانت السيدة هناء سعيدة برؤية أول حفيد لها بعينيها ، فهي لليوم لم تر شمسا ، فكان حميد يقول : غمرتنا السعادة بولادة مجدي الصغير .. وكانت زهيرة طيبة معي لأقصى درجة ، فلا أحس أنها دكتورة ، ولا أنا فني تصليح سيارات ، لم يكن لهذا ذكر بيننا ، إننا نحيا كزوجين سعيدين .. وهي حقيقة طيبة وواقعية

وصبورة ، لم يحدث بيننا منذ زواجنا أي شجار ، فعندما نتناقش حول شيء وأقول لا ، تنسى الموضوع ، فكانت نعم الزوجة .. وكانت تحثني على الذهاب إلى أم أولادي والمبيت بينهم ، وهي تقول اقسم بننا كما يأمر الشرع والدين فابتسم لها وأقول صحيح هذا يا أم مجدي ، وأم محمد عفتني من القسمة لمرضها وسقمها وكنت أذهب بصحبتها لزيارة أم محمد والبيت القديم ويرحب بها الأولاد وزوجتي الأولى ؛ كأنها أخت لهم وأم ، ونتعشى مع أم محمد والأولاد كأنهنّ أخوات ، بل تعاتبها لعدم سماحها بمبيتي عندها فتقول أم محمد أنا ما صدقت وهو يتزوج .. المرض هدني ، وأنت أعرف الناس بالأمراض



شمس

كانت زهيرة وشمس تتحدثان مع بعضهما في الأسبوع مرتين على الأقل ، وكان قد جرى بينهن بعد زواج زهيرة بفترة هذا الحوار ، قالت لها شمس : سمعت أنك تزوجت ، لم تخبريني بذلك ولم تدعوني لحفل الزواج ؟

ـ وهل إذا دعوتك ستلبين الدعوة ؟! فهذا شأن خاص بي ، ولم أرغب بإزعاجك به .

ـ يبدو أنك حذفتني من حياتك !

ـ أنت حذفت نفسك ، واخترت الحياة وحدك رغم علمك بأنني قررت العودة لبلدي والمكث فيه حتى الموت .. أبوك الذي أخبرك ؟

صاحت بغضب : طبعا أبي ، وقد دهش لجهلي ذلك .. وهو قليل الاتصال بي منذ تخرجت ورفضت العودة معك .. مرة واحدة في الشهر .. هو يطمع أن اتصل به أنا .. لا أدري ما هذا الأب ؟ ـ وأخذت تقلد والدها ـ كيف أنت يا شمس ؟ .. تمام .. موفقة .. مع السلامة .. ينغص عليّ حياتي باتصاله القاتل .. ومرات أقطع الاتصال قبل أن يكمل أسطوانته ..

ـ لم تباركي لي بالزواج !

ـ آسف يا أمي .. حياة طيبة وزواج سعيد .

ولما ولدت زهيرة ، وعلمت شمس بذلك استغربت ؛ لأنها كانت تعلم عجز أمها عن الحمل ، وأنها كانت تجهض كثيرا ، فهنأت أمها على سلامة الوضع ، وفي إحدى المكالمات قالت مداعبة لأمها: أرى أن إخواني يكثرون ! كم لي من جهة أبي ؟! ثلاثة أو أربعة .. ولي من جهة أمي واحد .. جميل أن يكون للمرء أخوة كثر !

فقالت زهيرة بسعادة : والثاني على الطريق .. ألم تجدي زوجا في بلادك ؟

ـ عجيب أمرك يا أمي! .. ولماذا لم تلدي من أبي إلا أنا ؟! .. آ .. وهناك طفل قد مات .

ـ الله يريد أن أنجب من هذا الرجل ..

فعادت شمس تجيب عن سؤال أمها الأخير : لم أجد الزوج المناسب .. من أعرفهم يريدون

زواجا غربيا بدون وثائق .. علاقة جنسية وصداقة .. كرهت كل الرجال .. رأيت صديقك هنري .. ذهبت بمهمة للشركة في نيويورك ، وقبل زيارتي إليه .. ودعاني للعشاء معه ومع زوجته الهندية وابنته مادلين وصديقها الأمريكي .. وبارك لي الشقيق الجديد .. فهو على معرفة بأحوالك أكثر مني ..

ـ ما زال يتصل بي بين الفترة والأخرى .. وهو يفكر بزيارتنا كسائح .. لماذا لا تسأليني عن جدتك وعن زوج أمك؟!

ـ شيء لا يهمني يا أمي

ـ إذن لماذا أحدثك عن حياتي الخاصة ؟! لم تسأليني كيف تعيشين ؟ هل تعملين ؟ كيف حياتك؟

قطعت شمس الاتصال ، فلم تكترث زهيرة لذلك التصرف ، فهي بدأت تتعافى من عقدة الهجرة .. ورأت الحياة بمنظار الدين والتقوى.. وهي قد اعتادت على الجفاء من شمس منذ زمن بعيد .. فهي لم تكن تتعامل معها كأم حنون .. إنها هي مجرد امرأة ولدتها .. ولا يربط بينهم رابط عاطفي ..



فعلا وجدت زهيرة نفسها تحمل من جديد ، فما كاد مجدي يقترب من النصف سنة حتى شعرت بالحمل الثاني ، فحمدت الله وشكرته .. فهي خاضت علاجات كثيرة في كندا ، وكانت نتائجها أن لا أمل لها بالحمل السليم .. فهي قد حملت أكثر من مرة بعد وفاة ابنها من سامر ، وكانت خلال شهر أو شهر ونصف تسقط الحمل .. حتى أيقنت بأنها أمست عاقرا .

وزاد ارتباطها بالله والتسليم له استسلاما كاملا ، وأن دعاء زوجها لها خير كبير .. ورأت أثر الاستغفار بتحقيق الشهوة للولد والأمومة .. وأحبت حميدا حبا كبيرا ، وليس أنه مجرد زوج لها فهو إنسان طيب وسهل .. وكله حنان وعطف عليها وعلى أمها التي تكاد أن تطير من الفرح

لميلاد مجدي الصغير ، وتعتقد أنها هي التي ولدته .. وزهيرة تعلم رغبة أمها الشديدة بالولادة ، وتذكر الحرب التي خاضتها من أجل الولادة .. وتكرر زواجها .. فكانت أمها لا تفارق مجديا إلا عند النوم في الليل ، وعند الرضاعة من صدر أمه..

وكانت هناء تظن أن زهيرة ضعيفة الحمل مثلها ، وظنت أن الوراثة سبب ذلك .. فبان لها هذا الوهم.. ومشت الأيام ، وجاء المولود الثاني حسب المقدر له بميعاده ، وولدت زهيرة في مستشفى خاص كالمرة الأولى.. وسمته محمدا على اسم الرسول ﷺ ولقب بمحمد الأصغر ..

فكانت تقول لحميد بوله ومنة : جزاك الله خير الجزاء.. فقد أعدتني للحياة من جديد .. ظننت أن دور الأمومة انتهى في حياتي ..

ـ هذا فضل من الله وحده ..

ـ للأطفال حلاوة يا أبا محمد وشعور بالحياة من جديد

ـ الشكر لله أولا وأخرا .. والأولاد هبة ربانية .. وبتقدير من الله كما جاء في آية سورة الشورى

(للهَّ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ(٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ(٥٠))

ـ الشكر لله، نعم ، الشكر لله .. أنا كان أحد أسباب انفصالي عدم قدرتي على الحمل .. كان عندي مشاكل في الدم .. فزعموا أنها تؤثر على عدم ثبوت الحمل وتؤدي للإجهاض المتكرر .. وأنا راجعت تحاليلي بنفسي ، واقتنعت بما كتب في تلك التقارير .. فلما أخذ زوجي الأول يحن للأولاد والعودة والغرب .. وافقت على الطلاق بسهولة ، وتمنيت له السعادة

ـ قصص الحمل والولادة من أعاجيب القدر .. فمنها يا أم مجدي كان رجل متزوجا من امرأة ، وقضيا سوية عشرين عاما بدون إنجاب .. وتعالج في القدس عند اليهود .. وعند العرب .. وبعد عشرين سنة من الزواج أقنعها بالفراق .. بعد أن رفضت كل هذه السنوات .. وتزوج هو وتزوجت هي .. وولد له وولد لها .. هذا مصداق الآية .. يهب لمن يشاء .. وقتما يشاء .. ولا يعني هذا أن لا يطلب الناس العلاج والطب والأنابيب

ـ فحتى الصديق هنري عبد الصمد الذي تعرفه أخصائي نساء وجراحة نسائية .. أكد لي أن الحمل صعب بسبب مشاكل الدم .. وقد طلبني للزواج قبل إسلامه ، ولكنه لما أسلم طمع بالذرية والولد الصالح ، وذكر حديث أني مباه بكم الأمم

ـ حديث كثرة المواليد تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم .. وشرع التعدد في الإسلام لغايات وحكم كثيرة .. ومنها حتى لا تبقى المرأة العاقر بغير زوج وحياة أسرية والعرجاء تتزوج والعمياء كذلك.. ونساء المسلمين المتعلمات المثقفات يجاهرن بالعداء للتعدد فزادت الفاحشة زادت العوانس .. صرنا نسمع بزواج عرفي وسري وسياحي .. وندوات ومؤتمرات تعقد لتحريم التعدد .. وإباحة الإجهاض والزنا .. وانتشرت دور الدعارة في بلاد المسلمين سرا وعلنا فيقال لنا الإباحية في الغرب منتشرة بصورة فظيعة ، والانحرافات الجنسية لا حد لها .. وبعضهم يبيح زواج المثلين والسماح بالشذوذ قانونيا .. ونسمع أن رجلا وامرأة يلتقيان كأنهم زوجان وليس بينهم رابط قانوني ..

فعقبت زهيرة : من ناحية الجنس، فهو مباح عندهم بأكثر من طريقة .. فالمرأة تعاشر الرجل عشر سنوات قبل كتابة العقد بينهم .. وربما أكثر ، وممكن أن تنجب ، ولا يعترف به ابنا شرعيا التحرش الجنسي حدث عنه ولا حرج .. زواج الرجل لرجل مباح في بعض المناطق محرم في غيرها .. ويناقش هذا في برلماناتهم وأثناء حملاتهم الانتخابية .. في مونتريال حيث كنت كانت هناك قرية للشاذين .. يجتمعون فيها لممارسة الشذوذ في شقق وأبنية خاصة بهم .. عندهم فساد ولكن عندهم احترام خصوصية الناس .. والحكومات والأنظمة قوية .. فالدولة هي الأسرة والأم والأب .

ـ ونحن عندنا حرية .. حريتهم مزيفة .. ماذا صنعت حريتهم بالعراق وأفغانستان وفلسطين حرية مزعومة ؟

دخلت أم محمد المستشفى من جديد ، ولم تلبث أن فاضت روحها لبارئيها ، وفاضت الدموع

على روحها من أحبابها ، وتقبل الرجل العزاء فيها من أهله وأهلها .. وترحم الجميع عليها ، وتصدق حميد عنها بالمال والطعام ، وفعلت زهيرة نحوه ، وكانت أم محمد توصي زهيرة على أولادها ، وخاصة الشاب وأخته اللذان ما زالا يعيشان معها ، فوعدتها خيرا .

لذلك بعد انتهاء العزاء نقلت زهيرة البنت والشاب للحياة في بيتها معها ، وكان ذلك بعد تردد ورفض ، ثم رضخا لضغط أبيهم وزوجة أبيهم .. وإنها تفعل ذلك عن وصية لأمهم .. وكانت تقول فأنتم في عيوني وقلبي ، ووالدكم أغلى إنسان عندي

وظل محمد وحده في البيت مع أسرته ، وقال محمد : نحن نعتز بك يا أم مجدي ، وفضلك على رؤوسنا ، وأولادك في قلوبنا ، وهم أخوتنا .. وصدقي أن أمنا كانت سعيدة بزواج أبي .. بل كلنا أصابتنا الدهشة لهذا الزواج منك .. فكانت تراك أما لنا

ـ إني أفخر بكم ، وأنتم كفلذات كبدي حقيقة ، وعاطفتي تسعكم جميعا .. وأحببتكم قبل زواجي من أبيكم ، وكنتم أقول لنفسي وربما لأبيكم أنك ربيتهم تربية عظيمة يا حميد ، ولم تدرس في جامعة ولا تربية وعلم نفس .. وأرجو أن تسعد حليمة ومالك بالحياة معي ، وتدرك أنني أم لها مثل أمها .

وكانت زهيرة قد جهزت غرفة للبنت بما يلزمها من سرير وخزانة ومكتب ومكتبة صغيرة ، وفعلت مثل ذلك للشاب ، وكانت قد أخذت هي وحميد بالاستعداد لتشييد طابق ثاني للفيلا رغم سعتها ، وأبت أن يساهم حميد بشراء أي أثاث للأولاد ، وقبل حميد تلك الهدايا ممنونا وشاكرا لله ثم لها .. نحن نعلم أن زهيرة جمعت ثروة كبيرة من خلال وجودها في كندا ، وهي تحصل على راتب جيد من مؤسسة الضمان الكندية ، فمنذ أن يهبط الإنسان الوافد كندا يحصل على اشتراك في مؤسسة الضمان الاجتماعي .. وقضت زهيرة أكثر من عشرين عاما كما يعرف قارئنا العزيز في كندا ؛ لذلك قالت لحميد عندما رأى سخاء زهيرة : نحن أهل يا حميد .. وأعلم أن الله أعطاك ووسع عليك .. إنما أريد أن أشعر أنني قدمت شيئا ماديا لإخوة أولادي يا أبا محمد .

ـ أنت بركة حلت علينا .. ما كنت أحلم في يوم من الأيام أن ألمس يدك !.. لذلك صعقت لما تكلمت امرأة عمي عن زواجنا من بعض .. فاعتقدت كما يقال إن ليلة القدر فتحت عليّ .. وتعجبت من قدر الله تعالى

ـ النصيب يا ابن العم .. وأنا مثلك عجبت لاقتراح أمي .. فأمي بعد موت أبي كرهت كل عائلتكم .. إلا أمك وزوجتك .. ورغم الأيام ظلت العلاقات بينهم طيبة لم تتأثر بأحداث العم عادل والمرحوم ميلاد .. وأنا كما تعلم لم يكن لدي اعتراض على الزواج ثانية أصلا ؛ لكن لم يحصل ذلك إلا من الصديق هنري .. عندما خطبني ، واعترضت باختلاف الدين ، وقال سوف أعلن إسلامي في العاصمة وأطلق زوجتي .. فطلبت منه أن يتعرف على الإسلام بحق وليس فقط مجرد تلفظ بالشهادتين والحصول على وثيقة إسلام .. ولما عرف الإسلام لم يراجعني بالزواج أبدا .. قضى حياته في مدينة نيويورك .. وقد تزوج فتاة هندية ، وأخبرني أنها أنجبت له ثلاثة مواليد ، وهو يعيش حياة سعيدة معها ومع أطفاله .. وهؤلاء الأجانب ذوي الأصول الأوروبية يكتفون بولد واحد أو طفلين ..

ـ جزاك الله خيرا .. والأولاد كما تعلمين يعتبرونك أما وأختا لهم .



انتهوا من العشاء في غرفة الطعام ، وانتقلوا لصالون الفيلا حيث الدفء والأرائك الوثيرة يتسامرون ، وبعد قليل انصرفت البنت حليمة وأخوها مالك فهما طالبان في الجامعة ، وحليمة في السنة الأخيرة من الجامعة ، ومالك في كلية الهندسة الإلكترونية ، فهو الوحيد الذي تابع دراسته من أبناء حميد الذكور الأربعة .. وكانت هناء تحتضن محمدا ، ومجدي يجلس بجوار أمه فهو قد أصبح يمشي بشكل جيد ، فقد تجاوز السنة من العمر .. وبينما هم يتسامرون ويشربون

القهوة قال حميد لزوجته : ألا تريدين تزويج شمس ؟

تطلعت فيه وقالت بدهشة : كيف لا أريد ؟! وهل تكتمل سعادة الأم يا أبا محمد إلا بزواج ابنتها وابنها ؟.. هناك الزواج مدني .. يسجل في السجل المدني .. ثم يوثقه المرء حسب دينه وطائفته .. والطلاق مدني ، ويوثقه الإنسان حسب دينه ومذهبه .. ويحتاج الطلاق لمحامي الأسرة .. والزواج المدني سهل الانفكاك منه .. وقد لا يترتب على الزوج التزامات مالية .. الفتاة تتخذ صديقا لها يعاشرها معاشرة الأزواج دون الالتزام بنفقة لها ودون الالتزام بالأبناء وعندما يجد فتاة جديدة يترك تلك ، فالكثير يبعد عن الزواج الرسمي خاصة في فترة الشباب فالزواج الرسمي يترتب عليه عند الانفصال أخذ الزوجة نصف ثروة الرجل ليتم الطلاق .. أو أي مبلغ يتراضيان عليه .. لذلك اخترع الزواج المدني للتخلص من التبعات المالية وعدم الطلاق .. زواج شكلي صوري صورته زواج

ـ ربما لو أتت هنا تيسر زواجها التقليدي

ـ شمس كما تخبر يا أبا محمد ولدت في كندا ، بعد وصولنا إليها اكتشفت أنني حامل .. فهي ابنة كندا ، واندمجت في الحياة الكندية اندماجا كاملا ، فليس عندها اعتبارات لعاداتنا وتقاليدنا ..

رن جرس الهاتف فقامت زهيرة إليه ، فلما تكلمت وسمعت قالت : سبحان الله إنها شمس .. الخلوي في غرفتي ، كنا نتناول العشاء وكنا في سيرتك الآن

ضحك حميد وقال لامرأة عمه وزوجته معا : سأدخل أتوضأ وأمشي للمسجد هل يلزمنا شيء فتممت هناء بلا أدري ، وهزت زهيرة رأسها بنعم ، فدخل المرحاض ، وكانت شمس تقول بعد التحية : هناك مشروع زواج جديد ، والعم هنري طلب مني الحديث معك ، وأتشاور معك وها أنا أفعل .

ـ حياتك هذه وليست حياتي .. بارك الله في العم هنري .. قبل لحظات كان عمك حميد يتحدث عن زواجك

ـ هذا أنا مهمة .. هل لديكم عريس ؟

ـ عندما تأتين يتوفر العريس

ـ وهل يقبل عريسكم بفتاة تعرضت لاغتصاب من ثلاثة شبان وشوهوا صدرها ؟!

ـ المطلقات يتزوجن وكذلك الأرامل

ـ نعم ، ليست كل النساء أبكارا .. كيف صحة إخواني مجدي ومحمد ؟

ـ الحمد لله ، مشتاقون لأختهم الكبيرة

ـ معقول هذا ! هل يعرفون أني أختهم الكبيرة يا أمي ؟ هل يتكلمون؟

ـ مجدي يقول بعض الكلمات

ـ مجدي .. هذا اسم جدي أبوك

ـ رحمه الله

وكان حميد قد توضأ فقالت له : سأتصل بك عندما تغادر المسجد

فحياها وغادر فتابعت زهيرة الحديث مع شمس فقالت : آيا شمس ما حكاية العريس ؟ عريس العم هنري .

ـ العم هنري صديقنا الوفي ما زال يهتم بي أكثر منكم .. على كل حال كما تعلمين أن مادلين تعمل معه في نفس المشفى .. فهناك طلب صديق له ابنته لابنه ، ومادلين لا تريد الزواج من مسلم تريد زوجا ملحدا كما قال لي ، فذكر له بنت صديقة له في كندا مسلمة وصارحه بمأساتي والجريمة التي تعرضت لها ، والرجل يسعى للزواج من فتاة تحمل جنسية أمريكية أو كندية ليحصل على جنسيتها والمواطنة الأمريكية أو الكندية.. فالرجل إندونيسي مهاجر .. أخبرني بذلك وطلب مني الحديث معك في هذا الموضوع .. فالعم هنري ما زال صديقا للعائلة

ـ هل رأيت الرجل ؟

ـ أنا ما زلت في كندا لم أر أحدا .

ـ حسنا ، رأيي أن تتوكلي على الله .. ليس للزواج الإسلامي مثيل في العالم .. فالبيت هو السكن الحقيقي للإنسان

ـ شكرا أمي



اتصلت زهيرة بهنري على رقمه الدولي فبعد الاطمئنان على الصحة والحياة والأولاد والشيخ حميد وابن ميلاد رفاعة قالت : ما حكاية الزواج يا دكتور عبد الصمد ؟

ـ جميل ! إذن تحدثت معك شمس، كنت أظنها لا تفعل فهي غاضبة عليك بشدة ، وتزعم أنك تركتيها للذئاب .. كيف أطفالك ؟

ـ الحياة عجيبة يا دكتور! كنا على وشك الزواج كما تعلم ، ولولا كلمات تفوهت بها أخذتها بحمل الجد والصدق ، فهاجرت لمعرفة الإسلام في بلاد الإسلام خاصة مصر .. وأنت تزوجت وخلفت ، وأنا تزوجت وخلفت .. وأكرمني الله بزوج رغم كهولته كأنه شاب .. صحة وعافية بفضل الله الحاج أبي محمد صديق صاحبك ميلاد ..

ـ هل حج زوجك حقيقة يا دكتورة ؟

ـ نعم ، حج مع والدته وزوجته قديما .. ذهب محرما لأمه ، فأبوه كان ميتا .. وأنا أفكر بالحج مع أمي إن شاء الله .. عندنا ترتيب معين للحج في بلادنا .. رحلة بالطائرة

ـ تستطيعين الحج عن طريق كندا .. فأعداد الحجاج ضئيلة فيتاح لكل من يتقدم بالحج

ـ حدثني الآن عن الإندونيسيين الذين خطبت لهم شمس

ـ هذا إندونيسي جاء للعلاج هو وزوجته ، ورافقهما ابن لهما ، فلما عرفا أنني كندي مسلم سرهما ذلك ، ورأيا مادلين معي ذات نهار ، ووقعت عين الشاب عليها فاستحسنها رغم أني بينت لهم أنها مسيحية .. فقال العجوز ديننا يا دكتور يبيح الزواج من الملل الأخرى، ويحدث ذلك عندنا في إندونيسيا ، ولكنه قليل .. فهم يريدون تزويج ابنهم فتاة أمريكية أو كندية ليستقر في أمريكا أو كندا للحصول على الجنسية الأمريكية والاستقرار في هذه البلاد .. رفضت مادلين الزواج

من مسلم وقالت سأتزوج في يوم ما ملحدا .. لا أحب الأديان كلها .. فتذكرت شمسا ، وشرحت لها القصة ، وطلبت منها الحديث معك .. فالشاب يريد الزواج للبقاء هنا وهو أستاذ في بلده .. وهو رافق والده سعيا للبقاء هنا .. ما رأيك بهذا الزواج ؟

ـ أنا لا مانع لدي من زواجها .. إنما الرأي المهم لشمس .. ماذا ردت عليك ؟

ـ لم ترد عليّ بعد .. عندما أنهي مكالمتي معك سأتكلم معها .. إنها فرصة لا تفوت بالنسبة لفتاة مسلمة ولو شكليا يا دكتورة .. شمس كما تعلمين وأعلم ليس لها من الإسلام .. إلا أن أباها وأمها مسلمان .. لا صلاة .. حتى العربية ثقيلة عليها ..

ـ استفادت من عربيتنا عندما كانت صغيرة ، وعندما كنا أنا وأباها

زوجين ، ففي داخل البيت كنا نتكلم العربية .. وفي الخارج الفرنسية والإنجليزية وحتى الخلط بينهما .. وأرجو أن توافق يا دكتور ؛ لعلها تتخلص من عقدة الاغتصاب .. فهي من ذلك اليوم وهي تتحدث عن الرجال ببغض وقرف

ـ أحسست بذلك من حديثي معها عدة مرات .. أرجو أن تسلمي على الشيخ حميد .. واهتموا بابن الشيخ ميلاد

ـ أبو محمد ما زال يتواصل مع أمه ويتفقدها ، ويعطيها ما فيه النصيب باستمرار مع أن الطفل خاضع لمؤسسة رعاية الأيتام ، وهي مؤسسة جيدة وترعى الأيتام وأموالهم خاصة .. حتى أن أحدهم عرض عليها الزواج ، فرفضت حتى يكبر أولادها من الزوجين ، ثم قد تفكر بالزواج من جديد .

قد لا تعلم شمس أن أمها ستكون أسعد امرأة بزواجها من ذلك المسلم الإندونيسي .. لقد راودها كثيرا من الأفكار الرديئة أن شمسا قد تتزوج نصرانيا أو يهوديا أو ملحدا ، فشمس لا تعرف الإسلام كعمل وعبادة .. وهذا شأن عدد كثير من المسلمين أو ذوي الأصول الإسلامية هؤلاء يحملون أسماء ذات صبغة إسلامية .. وكأي أم لديها معرفة بالإسلام أو تربت على شيء منه ، ترى ذاك مزعجا ومرعبا مع أنها تدرك تماما أنها في بلد غربي ، ولا تستطيع منع هذا الزواج

أو تلك العلاقة .. لأن القانون الوضعي يمنعها من التدخل في حياة ابنها أو ابنتها .. وزهيرة نشأت في بيئة محافظة إلى حد ما .. وكانت تمارس الصلاة والصوم .. منذ نعومة أظفارها .. وتهتم بالمظاهر والشعائر الإسلامية حتى وهي أثناء الغربة كانت تهتم باللباس المتوافق مع الإسلام بدون تشدد أو تساهل .. اللباس المحتشم .. وتحتفي بمناسبة العيد الأول والثاني كسائر المسلمين .. فهي كما مر في ثنايا الكتاب كانت تشك في عذرية ابنتها .. فهي كانت منفلتة ولا تطيع توجيهات ونصائح أمها .. فترافق الشباب والشابات وتدخن الماريجوانا الحشيش والدخان ، وتشرب الكحول .. ولا تعرف الصوم الإسلامي ، ولا الصلاة خاصة بعد دخولها ما يسمى بسن المراهقة .. وأغلب رفيقاتها من النصارى واليهود .. لذلك فكرة زواجها من مسلم بس مسلم وجد لديها ارتياحا نفسيا وقبولا طيبا .. فابنتها لا يهمها الدين والعبادة .. الحياة للحياة .. وهذا مقبول عند أولئك .. فهم لا يرون الدين شيئا مهما في حياة الفرد ، إنما هو أمر شخصي .. ذهبت للمعبد لم تذهب فهو سيان .. فالبيت في بلادهم شركة .. فالزوجة تنفق على البيت كما ينفق الزوج .. لا يحق لها أن تمنعه من الزنا خارج البيت ، وهو لا يمنعها من ذلك خارج البيت .. لذلك فشى بينهم زواج المثلين .. فدعاة الشذوذ ينشطون في بلاد الغرب وأستراليا .. لقد انحرفوا عن الفطرة السليمة .

دخل حميد البيت عصر يوم للمشاركة في تناول الغداء ، وزهيرة منذ اقتربت ولادة مجدي تركت العمل في المستشفى ، وقد طلب مدير المستشفى منها الاستمرار في العمل ولو لساعات محدودة أو حالات طارئة ، فكانت ترى السعادة بالحياة مع ولديها وأن لهما حقا عليها .. خاصة أنها ليست بحاجة للمال ، إنما العمل لطرد الملل ولخدمة الناس .. فلما قاموا عن المائدة ، وانتقلوا لغرفة الجلوس حيث جهاز التلفزيون وجهاز نقل الفضائيات التي ملئت الكون في هذا الزمن

قال حميد : أتكلمت معك حليمة حول زواجها ؟

ـ نعم ، قالت إن صديقا لك يطلبها لابنه

ـ نعم ، ابن الشيخ إدريس نوح ، صداقة قديمة قائمة بيننا ، خدم موظفا سائقا في الحكومة ، ولما

تقاعد عمل كسائق في إحدى الشركات الخاصة لقريب له .. وحدثني عن ابنه كزوج لحليمة ، وأجلته حتى تنتهي من الجامعة ، ولما علم بتخرجها حدثني سريعا بذلك فقلت له على بركة الله وتحدثت مع حليمة بشأنه وطلبت منها أن تتشاور معك ليعد الصالون لاستقبال الضيوف بعد صلاة العشاء .. لنجتمع هنا لنتفق ما دام حليمة وافقت على الزواج

ـ هل رأى حليمة ورأته ؟

ـ فهي قد رأته ، وتعرفه فهم جيران لنا في حيينا القديم .. وهو يعرفها حق المعرفة بحكم الجيرة وبحكم الدراسة في جامعة واحدة أيضا .. فصبر حتى تنتهي من الجامعة .. قد حضر عرسنا على ما أذكر .. وكان يأتي مع أبيه للمباركة بمجدي ومحمد .

ـ لم أصدقه .. وكلمتني حليمة باختصار بالموضوع .. فقلت عندما نجتمع على مائدة الغداء نتحدث ..

ـ سيأتي والده يا عمتي ـ مشيرا لأم زهيرة التي تجلس معهم ، ولا تتكلم كثيرا عادة ، تسمع وتتطلع إلى التلفزيون وتقلب الجهاز بين المحطات الكثيرة ، ويكون محمد على حضنها أو مجدي يجلس في حجرها ـ وعمه وأمه وامرأة عمه وبعض عماته وخالته .. خالد شاب محترم يا دكتورة زهيرة خبرته منذ صغره وهو متخرج من نفس الجامعة التي درست فيها حليمة يعني متعلما ، ويعمل في شركة كبيرة شركة صناعية في المعادن وأنابيب المياه

قالت زهيرة : أنا قلت لحليمة وها هي تسمع .. يا سيدي ما دامت تراه أهلا لها فعلى بركة الله وهذه سنة الحياة .. وها هي شمس أيضا على وشك الزواج . واختصرت له قصة هنري وزواج شمس .

ـ الله يستر عليها وعلى بنات المسلمين .. ألف مبارك يا حضرة الدكتورة

وهنأتها أمها هناء وحليمة .. وأما مالك فقد كان في معرض السيارات يعمل مكان أخيه الذي ذهب في معاملة قانونية .

ـ شكرا لكم جميعا .. مبارك يا حليمة ونهضت تعانقها مهنئة ، وتقدمت حليمة من أم زهيرة ،

وعانقتها وتقبلت مباركتها بابتسامة صافية .

وقالت زهيرة : ربما أسافر وإياك لحضور زواج شمس .

ـ جميل أن أرى كندا ! .. على الرحب والسعة .. وربما قابلت الشيخ عبد الصمد .. صديقكم هنري .. فمن كلامك عنه أعجبت به .. وكذلك المرحوم ميلاد كان كثير الكلام عنه .. ويكثر من مدحه والثناء عليه .. والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدا .

ـ رجل شهم منذ عرفناه حتى وهو على دين آبائه ، وعملت مساعدة له في المستشفى كان يحترمني ويحترم أني مسلمة .. رغم ما عرف عنه من شهوات وقصص قبل إسلامه .. لم يحاول أن يتحرش بي جنسيا .. وكان يطيب له مناقشتنا والدكتور سامر حول الإسلام والإرهاب عندما يزورنا في البيت أو نترافق في رحلة .. لكن سامرا كان يغار منه ، وربما شك بأن بيني وبينه شيئا سيئا ؛ لكثرة قصصه مع الموظفات والمراجعات .. ولم يمزح معي مزحة سيئة حول الجنس والعري .. مع أنه كان يفعل ذلك مع غيري .. وكان يحدث عن مشاكله مع زوجته الكندية جنفياف ومغامراتها مع الأطباء وخيانتها الزوجة

ـ واحدة بواحدة .

ـ هكذا هم ! من أراد الانتقام يفعل ما يفعله الطرف الآخر .. معاندة .. والحمد لله لما أسلم تغير كليا واستقر في البيت ، وأصبح داعية كما تعرف ، وأصبح مترجما لهم في دعوتهم في أمريكا الشمالية والجنوبية .

ـ أتمنى له الثبات على هذا الدين ، وأن يموت عليه إن شاء الله ..

ـ هل يلزم شيء لهذه الليلة من طعام فواكه قهوة مرة ؟

ـ تحدثت مع محمد ليحضر الفاكهة معه من البرتقال والموز والتفاح .. وبعض صناديق العصير وسيحضر خالد العصير أيضا ، والكنافة العربية للاحتفال بهذه المناسبة يا حليمة.. فنحن أهل وجيران .. فسيحضر أشقاء حليمة مع نسائهم وبعض أعمامي وإخواني ، وأعتقد أن صالة الاستقبال ستسع كل هؤلاء الأحباب والأعزاء .

حضر أبناء حميد جميعهم في هذا اللقاء الاجتماعي الخاص ، وشارك شقيقه الأكبر سالم وباقي إخوته وأحد أعمامه من الذين ما زالوا أحياء ، واستقبلهم حميد وزوجته خير ترحيب ، وأعربوا عن سرورهم بوجودهم معهم ، وبعد صلاة العشاء أقبل الضيوف والعريس ، ومعهم بعض أقاربهم ، واجتمعت العائلتان ، جلس الرجال في صالة الفيلا ، وجلست النساء في غرفة الجلوس التي يجلسون فيها بعد تناول الطعام عادة .. وكان حميد يستقبلهم أمام مدخل الفيلا ، وبعضهم استقبلهم على مدخل بوابة الفيلا الخارجي قرب الرصيف .. وكان حميد يحيي النساء مشيرا بيده ، فهو لا يصافح النساء ، وزهيرة بعد زواجها كفت عن مصافحة الرجال .. وكانت زهيرة تفعل كزوجها تستقبل النساء وترد على تحية الرجال الذين يشكرونها ، ويأسفون لإزعاجها ، فتنظر لهم نظرة تعبر على أنها تتضايق من هذه المداعبة ، وأن البيت لها ولحميد .. وقد تفاجأت زهيرة وهي تستقبل الناس مع أبي محمد برؤية الرجل الذي عرفته شابا أيام دراستها في الجامعة السيد أحمد فذكرت مطعم كلية الطب ، فتذكرته ، وحدقت به طويلا مما لفت نظر حميد ، فابتسم وهو يعانق أحمد ، وأدرك أحمد أن زهيرة عرفته وتذكرته ؛ فلذلك قال باسما : كيف حالك يا دكتورة زهيرة ؟

ابتسمت له وقالت : أهلا وسهلا .. أين رأيت هذا الوجه من قبل ؟!

فاقترب منها أكثر وقال : وكيف لا تعرفينني وقد قضيت فصلا جامعيا وأنا أتردد على مطعم كلية الطب .. كيف أنت يا دكتورة عساك بخير ؟

ـ أهلا وسهلا .. أنت عم العريس ؟!

ـ نعم ، دنيا يا دكتورة .. لكنني لم أسيء إليك يوما والأخ حميد يعلم ذلك

ضحكت وقالت : أهلا وسهلا ، وقد تصالحت مع الشيخ ميلاد قبل وفاته ونسينا الماضي .

ـ بارك الله فيك ، وبارك الله في أبي محمد .. صدقي أننا نصحناه بترك عناده

ـ عندما جئت زائرة قبل سنوات التقينا وتسامحنا

ـ أخبرنا أبو محمد أنك جئت لتسامحيه

فقال حميد : أبو عيسى مدير قسم التمريض في مستشفى ...

تبسمت زهيرة وقالت : نعم ، كنت طالب كلية التمريض حياك الله

فقال حميد : تفضل فأغلقنا الطريق على الآخرين

نظر خلفه وقال باسما : كلهم يستمعون . . كم تعجبنا لهذه الدنيا أنا وحميد عندما سمعنا بهذا الزواج الرائع ! .. سامحيني يا أخت أم مجدي .

ـ هذا من لطفك .. مرحبا بكم في بيت أبي محمد ..

ـ عقبال ما تفرحين بمجدي ومحمد .. فأولادك معجزة كما يحدثنا أبو محمد

ضحكت وقالت : فعلا إنها معجزة بالنسبة لي أنا !

ـ زواجكم معجزة وأولادك معجزة .

قال حميد : مشيئة الله وقدرته

لا تخلو حياة الإنسان من المنغصات ، من مشاكل اجتماعية، من فساد ، من أمراض عارضة أو دائمة .. الزكام والأنفلونزا بأنواعها تستمر أياما ثم تذهب ، والشيخوخة لها أمراضها ، من مرض السكري والضغط والكولسترول وضعف البصر وهشاشة العظام والروماتزم والمفاصل ، وهناك أدوية تعالج وتخفف من آلام تلك الأمراض ، وتشيع أمراض مؤلمة كأمراض القلب والأورام والكبد .. ومع تلك الأسقام الكثيرة ، فالحياة بيد الله والصحة من الله تعالى .. وكما مر بنا فأم زهيرة كانت تعاني من أمراض مختلفة كالسكري والضغط ارتفاعا وتصاب بغيبوبة السكري ، وتنقل للمستشفى للعلاج والمراقبة ، وربما تقضي ليلة أو أكثر ، ثم تنكشف الغمة وترجع للبيت .

وكانت زهيرة تفكر حقا بأخذ أمها وزوجها في رحلة حج بواسطة الطائرة والذي أجل ذلك في أحد المواسم ولادة محمد .. وها هو مشروع زواج شمس من الشاب الإندونيسي الذي رافق والديه في رحلة علاجها يتطور إلى الأمام .. فقد ذهبت شمس لنيويورك لمقابلة الشاب ،

والتقت به على مائدة هنري ورافقتهم مادلين على ذلك العشاء ، وأبدى الشاب قبوله واستحسانه للعروس الكندية ، وأنها راقت له ولأهله ، وقبلته شمس وقنعت بالزواج منه ، وترتب على هذا اللقاء أن تسافر أسرة بايك إلى مونتريال لإبرام الزواج وعقد القران ، ليتحدد وقت الزفاف بأسرع وقت ممكن ، ليبدأ عبد رحيم بتقديم أوراق الهجرة لكندا ، ويطلب الجنسية الكندية لزواجه من فتاة تحمل جنسية كندية.

أخبرت شمس أمها بكل ما جرى لها من ذهاب للعم هنري ، ومقابلة سيد عبد رحيم وأسرته وقالت : شاب جميل آسيوي ، وقبل بي زوجة له .. شكله مقبول .. عمره خمس وثلاثون سنة يا أمي .. والزواج لابد منه .. ولكني لا أدري هل أكون معه سعيدة أم شقية ؟!

ـ هذا من الغيب يا شمس سلمي أمرك لله .. ويسرني أن أبارك لك هذا الزواج

ـ قبلت تهنئتك ، هل ستأتين أنا وحيدة يا أمي في هذه الدنيا . وغصت باكية وفعلت أمها مثلها وقالت : طبعا سآتي ومعي عمك حميد

وصاحت : ولماذا حميد ؟!

ـ ألا تحبين أن يشارك في زواجك ؟ متى سيكون الزواج ؟

ـ خلال أيام .. سنذهب لتسجيل الزواج ، ثم نحدد يوم الزفاف

ـ هل يعلم والدك بهذا الزواج ؟

ـ أخبرته ، ووعد مثلك بالحضور يوم الاحتفال به

ـ ألا يريد شهود العقد ؟

ـ لا ، ويقول إن هذا التسجيل لا يهم المهم ما يكتب عند القاضي ووعد بالسفر هل ستأتين ؟

ـ نعم ، متى تحبين أن أكون عندك ؟

ـ لو سافرتم اليوم لا بأس

ـ حسنا

راجعت زهيرة السفارة الكندية ، وقابلت السفير لأنها تعتبر أحد الرعايا الكنديين في البلد ..

فالبلد يسمح بازدواجية الجنسية .. فسهل السفير سفرها بصحبة زوجها وابنته حليمة وابنها الصغير محمد ، لما علم الغاية من هذه السفرة ، واشترت التذاكر لها ولزوجها ولحليمة ومحمد الصغير ، وكانت شمس والعم هنري وقرينته الهندية في استقبالهم بمطار مدينة مونتريال الدولي وعانقت شمس أمها بحرارة وبكاء وفرح وصافحت زوج أمها ، وقبلها بدوره من خديها ، وأحبته من أول نظرة ، وخاصة لما رأت عناق هنري له وترحيبه الحار به .. وسلمت على حليمة وقبلتها ، وأخذت أخاها الصغير وقبلته من وجهه قبلا لا عدد له ، وهي تقول : من الرائع عم هنري أن يكون للإنسان أخ .. وسلموا على زوجة هنري ، وتعرفوا عليها ..

ورحب بعضهم ببعض ، وعاد حميد يرحب بشمس ويقول : أهلا بك يا ابنتي الغالية ، فأرادت أن تقبل يده على عادة الشرقيين ، فسحبها وقال باسما : هذه عادة حسنة يا شمس ونوع من البر للآباء .. وأنا سعيد برؤيتك .

والتفت لهنري وصافحه من جديد : تحياتي لك يا شيخ عبد الصمد وجزاك الله خير الجزاء بما قمت به نحو الشيخ ميلاد والعزيزة زهيرة

وقبل أن يرد هنري ، قالت شمس وقد عادت لحمل محمد الرضيع : هذا أخي يا عم هنري .. أرأيت صار لي أخوة .. رائع هذا الطفل يا أمي ! .. ما رأيك أن تهبيه لي .. إنني أحبه .. ما أروع ابتسامته !

وعادت لتحضنه وتأخذ بعناقه ثم التفت لأمها وقالت : كم أحبك يا أمي !

بارك هنري لحميد وزهيرة بحياتهم ، وركب هنري وزوجه بسيارته ، وحميد بسيارة أجرة مع أسرته ومعهم شمس إلى الفندق الذي ينزل فيه هنري وقرينته .

وتناولوا العشاء في الفندق .. وانطلقت شمس بأمها وأخيها وحليمة إلى سكنها لترتيب أموره والذهاب لشراء ثياب خاصة بالزواج وحفلة العرس .. لأنها ستبقى تعيش مع زوجها بنفس الشقة حتى يتيسر له العمل ، وبعدها يفكران بتغيير الشقة .

وسألتها زهيرة عن والدها وموعد حضوره ، فقالت بغضب : لا يريد أن يحضر فهو مريض ،

وهو في المستشفى .

فقالت : كأننا سمعنا بذلك .. قال ذلك أحمد عم خطيبك يا حليمة

فقالت شمس لحليمة : كيف أنت وأمي ؟

ـ عل خير ما يرام

ـ أنت وأمي على خير ما يرام ؟!

ـ ما الغريب في نظرك ؟! .. أمك إنسانة طيبة وعظيمة، ولم نر منها إلا كل خير .. صدقي هذا وهي كأمي معنا .

ـ أنت التي خطبت قبل مجيئك ؟

ـ نعم ، وقريبا سنتزوج

حليمة تحسن الكلام بالإنجليزية ، فقالت شمس لحليمة: ما رأيك بالهجرة لهذا الدنيا ؟ فالشيخ هنري يستطيع تدبير أمر هجرتكم إلى هنا فله أصدقاء في وزارة الخارجية .

ـ ليس كل الناس يحبون الهجرة يا أخت شمس .. الحياة في الغربة صعبة ومرة كما يقال عندنا الغربة مرة .. والناس يحتاجونها مضطرين بسب السياسة أو الحاجة الاقتصادية .. فها هي أمي زهيرة تغربت عشرين سنة وأكثر ، ولم ترتاح في الغربة .. أليس كذلك يا أمي ؟

قالت زهيرة : من ناحية الراحة النفسية الإنسان مع أهله وأحبائه أفضل خاصة عند الملمات والشدائد .. وأما من الناحية المادية فالمال والثروة هنا أفضل .. البلاد جميلة ، والقانون على الجميع ، والجميع يحسب حسابه .

وساق هنري حميدا إلى وسط مونتريال ليتفرج على المدينة ، ويسمعان أخبار بعضهم ، وكان جل حديثهم عن ميلاد ولقائه في ربوع رايوند ودكا ومدن أخرى من تلك البلاد .. وقال : الإنسان يصنع حياته .. ونحن نرى الجهل الكبير في مدن العالم ، كلهم يركضون حول الشهوات .. المال والفاحشة .. والناس بسطاء لكن الجهل كما قلت يركبهم ، لا يفكرون بجنة ونار ويوم قيامة وحساب .. وفريق في الجنة وفريق في السعير .

قاما بجولة بسيارة هنري المستأجرة في شوارع المدينة وساقه إلى أحياء شرقية وأماكن عربية ولبنانية .. ومصرية وصينية .. وأراه بعض مساجد كندية ، ولكنها كانت مغلقة لانتهاء صلاة العشاء من وقت طويل .. ورأى الحدائق الكثيرة والجميلة .

قالت زهيرة لما دخلوا شقة شمس الشقة التي ستتزوج فيها : هذا يا أبا محمد بيتي قبل عودتي للوطن .. أنا لم أدرس الجامعة الأولى في مونتريال .. درست في مقاطعة أخرى اسمها نوفا سكوشا .. سكنت هنا عند العمل ، ثم تركتها لشمس عروسنا الجميلة .

فقالت شمس : آه يا أمي! أتمنى أن أعيش السعادة وأحس بها

احتضنت الأم ابنتها وقالت البنت : ليتني سافرت معك .

ـ يا حبيبتي يا شمس وأنا رغبتي أن تعودي معي ؛ ولكن الحال قد تغير اليوم كيف عبد رحيم

ـ طيب ، وقليل الكلام وهو غامض

فقال هنري وهم يستريحون على المقاعد في غرفة الاستقبال : لي سنوات لم أجلس هنا يا أم محمد منذ انفصالك عن الرجل .. كانت لا تسمح لأحد من الرجال بزيارتها لما حدث الانفصال يا أبا محمد .

رد أبو محمد باسما : الدكتورة تعرف الأصول وحرمة البيوت ..

وقال هنري لشمس : وأما غموض عبد الرحيم يا شمس فهكذا الناس الذين يأتون بلادنا يحيطهم الغموض حتى يحتكوا في المجتمع ، فتذهب عنهم الريبة والخوف من المجهول .. والزواج في النهاية تجربة .. قد تنجح وقد تفشل .. فلا تقلقي إذا لم ترتاحي معه .. فالطلاق بالنسبة لكم أنتم المسلمون أسهل من كاثوليكيتنا التي كنت عليها .. توكلي على الله يا شمس .. أنا سأنصرف أيها الأصدقاء .. وغدا سيكون الغداء بدعوة مني ، فقد حجزت للجميع في مطعم نحن أخوة في الدين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ .. الدكتورة زهيرة تعرف المطعم في وسط المدينة ..

وسيكون الاحتفال بالزواج مساء الخميس ، وهو احتفال صغير دعونا له الأحباب والأصدقاء وفيه بعض رفيقات شمس .. لم ندعو ذكرا واحدا من معارفها سواء في العمل أو في الجامعة .. شكر الجميع جهود هنري معهم ، وهنري كان يخدم العائلتين ، واعتبر نفسه مسؤولا عن العروس والعريس ، وغادرهم هنري باسما .

قال حميد بعد مغادرة هنري الشقة : سنصلي أيها الناس الطيبون ، ثم نجلس مع عروسنا بعض الوقت ، ثم تذهبون للسوق أو الأسواق لشراء ما يلزم العروس الجميلة شمس

قالت زهيرة : ليلة أمس اشترينا بعض الأشياء

قالت شمس : أنا لم ابتاع شيئا قلت حتى تحضري .. وأنا أقدر حضورك يا أمي لمشاركتي هذا الزواج ..

ـ هذا واجب عليّ يا شمس .. فأنا أكون سعيدة بسعادتك .. وسترافقنا طبيبة صديقتنا .. تعرفينها نوسي فهي ماهرة بالمشتريات، والتنقل بين المتاجر

هتفت شمس بفرح : رائع !! .. لقد ابتاعت لي الكثير من الأشياء .. لي عهد لم أرها يا أمي ؟

ـ ذهبت المكسيك منذ سنوات للعمل في مستشفى هناك .. وعلمت أني هنا وأنا أتحدث مع زميلة لي في العمل .. وأخذت رقمها وتحدثت معها فرحبت ..

ـ صديقتي ليزا ستنتظرنا في شارع ... ومعها سيارتها

ـ لا بأس يا شمس.. سترافقينها وأما سيارتي التي استأجرتها فستقل حليمة ونوسي .. وأبو محمد سيعود للفندق .

بعد العصر خرج الجميع من الشقة بعد تناولهم الغداء ، وترك حميد أمام الفندق فجلس في صالة الاستقبال وطلب فنجان قهوة .. ثم صعد لغرفته وغرق في النوم ولم يستيقظ إلى على رنين جرس الموبايل ، وكانت المتصلة زهيرة لتخبره أنها ما زالت تتسوق ، وربما تتأخر في السوق لنصف الليل .. فعجب من حب النساء للسوق والشراء، فدعا لها بالتوفيق والعودة سالمة ، وأعلنته أنها ربما تقضي ليلتها هي وحليمة في شقة شمس .

نهض عن السرير ، وصلى المغرب ، وتلقى اتصالا من هنري الذي ينزل في نفس الفندق مع زوجته وأطفاله ، واتفقا على اللقاء في فناء الفندق ليصليا العشاء في أحد مساجد المدينة ، فرحب حميد بذلك وأخذ يستعد للنزول لمدخل الفندق .

وقضيا ساعات طيبة في شوارع المدينة ، وصليا العشاء في مسجد وتعشيا في مطعم وجبات سريعة ، ثم قفلا عائدين للفندق ، وقدم حميد الشكر الجزيل للدكتور ، وتخلل مشوارهما الحديث عن الدعوة وميلاد وحماسه وحبه للخروج ، والإسلام في كندا ونشاط جماعة التبليغ .

فاعلم أن الوجود الإسلامي في كندا مثله مثل الوجود الإسلامي في كل بقعة من بقاع الأرض، فالمسلمون هنا منتشرون في أنحاء كندا ، وإن كانوا يتركزون في تورونتو ومونتريال على الأخص فهم يحاولون أن يحتفظوا بهويتهم ، ويتمسكوا بإسلامهم ، في ظل ظروف صعبة للغاية.

فالمسلمون هنا إما ممن لا ينتمون إلى تجمعات و جماعات (مستقلون) ، وإما من لهم انتماء جماعي سواء لمسجد أو لجماعة إسلامية من الجماعات العاملة في الحقل الإسلامي العالمي ، كـ الإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ والدعوة، و حزب التحرير، و السلفيين، والصوفية. أما الإخوان فلهم وجودهم ولهم نشاط حركي أكثر منه فكري، ليس لهم رأس معروف أو قيادة متميزة ، أما جماعة التبليغ والدعوة فهم منتشرون بشكل كبير ويسيطرون على عدد من المساجد ، ونشاطهم كما هو معروف يتلخص في الخروج في سبيل الله وتبليغ الأمر لأكبر عدد ممكن ، أما عن السلفيين فهؤلاء يعملون فرادى بشكل عام ومن خلال مساجد معينة معروفة ، وينشطون أكثر ما ينشطون بين الشباب وبين الملونين من الكنديين والأمريكيين. وهناك عدد من التجمعات الضخمة لجمعيات إسلامية مثل جمعيتي (ISNA) و (ICNA) وهي جمعيات إسلامية ضخمة لها مراكز ومدارس إسلامية ومكتبات ومؤتمرات ، مما لا وجود لمثله في شرقكم العربي .

وهناك تجمع إسلامي ضخم في الجامعات يعرف بـ (MSA) ، وهو تجمع شبابيّ في أمريكا الشمالية ، والإخوان لهم نشاط فيه، وكذلك بقية الاتجاهات ، كذلك تجد في كندا الصوفية وتجمعهم من أكثر الجماعات انتشارا هنا، ولهم مراكز عديدة ومؤتمرات مشهورة.

موقف الدولة منهم يتوقف على الجماعة ذاتها ، وإن كان هناك الآن قاسم مشترك من العداء مع الدولة لهم جميعاً إلا الصوفية، فالدولة تشجعهم وتعاونهم ، خاصة في أمريكا، أبرز هذه الأنشطة هو العمل من خلال المدارس الإسلامية ، التي تتبع عادة مقررات كندا ، ثم تضيف اللغة العربية والقرآن ، ثم المؤتمرات التي تكون بمثابة نشاط اجتماعي أكثر منه إسلامي.

هناك مساجد تخضع بشكل كامل لجماعة التبليغ والدعوة، وهناك مساجد تخضع لأهل السنة وغيرهم ، وهناك مساجد معروفة لجمعيات - **(ISNA)** أكبر جمعية إسلامية في أمريكا الشمالية- و(**ICNA**) ، وهي جمعيات مسئولوها عادة من المسلمين الباكستانيين.

لما التقى بزوجته وابنته وشمس ، وسألته زهيرة كيف قضى ليلة أمس ؟ حدثها عن تجواله برفقة هنري في الشوارع القريبة من الفندق ، حيث صليا في أحد مساجد المدينة ، وقال معقبا : شيخ طيب هذا الطبيب.. الحمد لله الذي هداه لدين الإسلام ـ ما شاء الله ـ لحيته الحمراء جميلة !

فقالت شمس: أنتم لماذا لا تحلقون لحاكم ؟

فرد حميد باسما : تشبها بالنبي محمد ﷺ ، فقد كان ذا لحية كثة يا شمس ، ومن أحب شخصا حاكاه وشابهه في زيه وأخلاقه وسيرته ، وأمك عندما تلبس العباءة تلبسها تأسيا بنساء المؤمنين في زمن الصحابة رضي الله عنهم .. فالإسلام بين تفاصيل اللباس الشرعي والأكل والشرب .

ـ عبد رحيم بغير لحية ؟!

زادت ابتسامته وقال: كثير من المسلمين بغير لحية.. هناك بعض المشايخ والعلماء في هذا الزمان يشوشون على الناس بفتاوى تجيز حلق اللحية .. ورغم كلامهم فالذي يلتزم بهدي النبي ﷺ يطلق لحيته .. فكما يجب أن ينام على سنة النبي ﷺ ، ويأكل على سنة النبي ﷺ ، ويلبس على هدي النبي ﷺ ، فليعف لحيته على هديه ﷺ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

فتمتمت شمس : قوى الله إيمانك يا عم حميد

ـ وإيمانك يا ابنتي ، وإن شاء الله بعد زواجك نراك في بلادنا ضيفة علينا ؛ لتري أخاك مجديا وأهل أمك .

فهزت رأسها وقالت : سأفعل إن شاء الله .. أليس هكذا تقولون ؟

ضحكوا ورد حميد : بلى ، دائما على المرء أن يقول إن شاء الله

فأكدت وكررت من جديد : سأفعل إن شاء الله .. وسيأتي عبد رحيم الليلة للشقة للتعرف عليكم يا أمي

فقالت زهيرة : أهلا وسهلا به ..

جرى حفل زواج شمس على خير ما يرام ، حضره أمها وزوجها وحليمة ، والدكتور هنري وقرينته وأطفاله ، ونوسي وليزا ، وبعض صديقات شمس في العمل والجامعة أيام الدراسة .. وبعض زملاء هنري وزهيرة في مستشفى مونتريال العام ، ومادلين وأمها جنفياف ، كان حفلا بهيجا متواضعا بغير رقص وخمر، قدمت فيه الحلوى العربية والإندونيسية الشائعة هناك ، وعلب العصير ، واستمر الحفل ساعة ونصف ، فقد قدمت فرقة أناشيد ذات أصول آسيوية أناشيد بإحدى لهجات جنوب شرق آسيا ، ورتب هذا هنري مع شاب شرقي متخصص في تنسيق مثل هذه الحفلات ذات الطابع الإسلامي والشرقي .. ويوجد في كندا نوادي عربية تستطيع تقديم حفلات عربية وموسيقى عربية ورقص عربي .

عند انتهاء الحفل اصطحب عبد رحيم زوجته شمس بسيارة زينت حسب التقاليد الإندونيسية إلى المطار حيث سيذهبون إلى منطقة سياحية في كندا لقضاء ثلاث ليال فقط ، ثم سيعودون لشقة شمس التي هيئت لتكون مخدع زواج العروسين وعشا لهما .

وودع هنري العروسين قبل سفرهما ، وبارك لهما ، وتمنى لهما السعادة ، وودع حميدا وزهيرة ووعدهما بزيارة خاصة لهما ، وفي الصباح غادر المدينة بصحبة زوجته وأطفاله ومادلين ابنته .

ووالد ووالدة عبد رحيم سينتظران عودة ابنهما وعروسه من الليالي الثلاثة ، ثم ينصرفان لنيويورك ومتابعة العلاج .

وحميد وزهيرة وحليمة سينتظران أيضا عودة العروس ، وسيذهبون في رحلة لمدة يومين إلى مدينة الدببة في تشرشل .. وهذه فرصة ربما لا تتاح لحميد ثانية في بلاد المحيطات الثلاثة.. وبعد

عودة العروس سيقضون يومين أو ثلاثة معهم ، ثم يعودون لبلادهم العربية .

أخذتهم زهيرة برحلة بحرية بعد عودتهم من مشاهدة الدببة القطبية في موطنها الأصلي رحلة لمشاهدة الحيتان من مونتريال إلى نهر (ريفيير ردي لوب) رحلة تستغرق ثلاث ساعات على الأقل لرؤية الحوت والفقمة ، وزاروا الحديقة النباتية وبيت الحشرات ، وبعض المتاحف المتخصصة كقبة مونتريال الفضائية والمركز الكندي للمعمار ، ومتحف التاريخ والآثار ، وسوق جون تالون للتسوق وشراء الهدايا ، وغيرها من معالم المدينة ، وختمت برحلة نهرية إلى (لوي جوبيه) حيث مشاهدة شلالات مونتمورنسي .

وبعد زفاف شمس بأسبوع غادروا بلاد كندا لبلاد العرب والشرق الأوسط بها يحملون من ذكريات وهدايا لأحبابهم ، وقد اشترت زهيرة الكثير من الملابس للعروس حليمة ، فكانت في الواقع تكسي شمسا وحليمة ، ورفضت اعتراض حميد وحليمة ، فسكت حميد وسكتت حليمة وكان الوداع حارا بينهم ، وقد بكت شمس وهم يفارقونها ، واحتضنت أمها طويلا وقالت لها زهيرة : هذه هي الحياة يا شمس لقاء وافتراق ، وأتمنى لك الخير والتوفيق في حياتك الزوجية وزوجك شاب طيب ومحترم فحافظي عليه .

فقالت شمس : كنت أتمنى أن تبقي بعض الوقت هنا ؛ لكن مجدي الصغير بحاجة لك أكثر مني لعلي أراه .

- سترينه إن شاء الله

فقالت شمس : أحس أنها آخر مرة ستأتين لهذه البلاد .

- العلم عند الله ..(وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)

- لو أحس أن الحياة عندكم ممتعة ٥٠٪ لسافرت معك قديما يا أمي .

- الإنسان يصنع حياته ، ويبرمج نفسه للأفضل ، فلنتواصل على الأنترنت والاميل ، ولنبق أصدقاء يا شمس .. ولن أنساك أنت قطعة من كبدي وروحي .

ورغبها حميد بالتعرف على الإسلام والصلاة ؛ لتكون قدوة للمسلمات في بلاد الغرب .

ووعدته خيرا ، ووعدته بتعلم الصلاة والإسلام ، فزوجها يعرف هذه الأشياء ، ولغته الإنجليزية جيدة .

الرحلة الجوية بين كندا والوطن تستغرق وقتا طويلا ، وتهبط الطائرة الكندية في لندن للتزود بالوقود الخاص بالطائرات ، وقد ينزل منها ركاب ، ويصعد آخرون متجهين إلى بلدهم .

ومدينتهم شرق غرينتش الخط الدولي للمواقيت الدولية ، زاعمون أنه وسط الكرة الأرضية طوليا ، وتبعد عنه البلد ساعتين شرقا ، وكندا غربه بخمس ساعات .

بعد رحلة طويلة حطت الطائرة في مطار المدينة العامرة بأهلها ، ووصلوا مع الفجر ، وكان محمد حميد في استقبالهم بسيارة أبيه ، وكانت زهيرة قد لاحظت أن محمدا كاد أن يهم بكلام معها ، فأشار له والده بالصمت وقال : عندما نصل .

نظرت زهيرة لحميد باستغراب وأحست بشيء في قلبها ، وتظاهرت بأنها لم تلتفت لهذه الحركة، ومشت السيارة في شوارع المدينة الخالية من السيارات ومن البشر في هذه الساعة من الفجر ، وعندما نادى المؤذن لصلاة الفجر كانوا قد اقتربوا من فيلا زهيرة ، ولما رأت زهيرة عددا غير معتاد من السيارات يقف أمام الفيلا ازداد خفقان قلبها ، وأحست بحدوث شيء أخفي عنها ، فالتفت لحميد وقالت باضطراب : أولادك هنا ، والوقت مبكر يا حميد !

ـ كل شيء بأجل مسمى يا أم مجدي .. عظم الله أجرك في أمك .

كانت السيارة تقف ، فهتفت بلوعة ودهشة : أمي ماتت ؟!

ـ لله ما أخذ ولله ما أعطى .. رحم الله السيدة هناء أم زهيرة .

بكت وكما تبكي النساء والناس عند الموت .. الموت له هيبة في النفوس .. فتح حميد باب السيارة الخلفي ومسك بيدها وهو يردد كلمات العزاء والمغفرة .. وتقدموا نحو المدخل الداخلي بصمت ودموع تتساقط ، ولما استقرت في جوف البيت كانت نسوة في انتظارها وعانقنها وعزينها بأمها وتقدم أولاد زوجها معزين لها وداعين للميتة بالمغفرة .. فمشت إلى غرفة أمها ، وهي تستنشق الهواء والحزن ، وجلست على السرير باكية ، ورافقتها بعض النسوة وحميد ، ثم تركها جالسة

على سرير أمها تبكي ، وعاد يسلم على أولاده ويعانقهم كعادة العائد من السفر ، وكانت زهيرة تخاطب من معها في الغرفة : متى ؟ وكيف ؟

ـ بعد سفركم تعبت ، ونقلت للمستشفى ، وبعد يومين فارقت روحها بدنها ، ماتت وهي تدعو لك بطول العمر والفرح بمجدي ومحمد كما فرحت هي بك .. رحمها الله .

عاد حميد للغرفة ثانية وكرر العزاء فقالت : هل عرفت يا حميد بموتها ؟

ـ بعد وصولنا بأيام قليلة أخبرني الأولاد ، ولم يكن أمامي إلا الصمت ، فنحن ذاهبون لفرح شمس ، فما وجدت إلا كتمان الخبر حتى نعود .. لتفرحين بشمس وتبتهجين بزواجها .. والأجل قد انتهى .

ـ شكرا أبا محمد .. كلما أتصل يقولون نائمة شربت الدواء ونامت .

ـ علينا أن نستعد للعزاء يا أم مجدي .. هذه عادة الناس .. رغم العزاء الذي أقامه الشباب لأمك عند دفنها .. سيتجدد العزاء من أجل خاطرك .. رحم الله أمنا وتغمدها في رحمته وجنته

وغادر لصالة البيت ليشرف على الترتيبات التقليدية ، فخصصت حجرة وأكثر لاستقبال النساء المعزيات ، وهيئت صالة الفيلا لاستقبال الرجال .. وكان هناك مكان وسط بينهما لمقابلة زهيرة المعزين من الرجال كأخوالها وأبنائهم وسائر الأقارب من الذكور .

وكان حميد عندما أخبر بموت حماته هناء ، طلب من الأولاد أن يكون العزاء في بيته القديم حيث يسكن ابنيه محمد عماد .

وكانت القهوة السادة المرة قد جهزت قبل وصولهم ، وكذلك ما يقدم في العزاء من مشروبات وتمر ، ووصلت الكراسي البلاستكية ، ووزعت على الغرف المناسبة ، وقالت حليمة لزوجة أبيها : أراك متعبة يا أمي .. هل نطلب لك الطبيب ؟

ـ لا ، يا حليمة أنا بخير .. لكن صدمة الموت هزتني رغم أنني فقدت ابنا لي في كندا ؛ ولكنه كان صغيرا .. كنت أدعو أن أبقى معها لآخر لحظة عندما هممت بترك كندا ؛ ولكن الله يريد أمرا آخر .. قدر الله الزواج وولادة مجدي ومحمد .. وكم غمرت أمي السعادة بحياتها ؟! أعلم

شغف أمي بالمواليد .. رحمك الله يا أمي .. والشكر لكم يا أولاد وبنات حميد .. نعم الأهل أنتم

قالت إحدى النسوة : الأمر لله يا أم مجدي .

ـ سأكون جاهزة بعد دقائق ، وأصلي الفجر الذي ذهلت عنه .

بعد شروق الشمس بساعات يسيرة توافد المعزون لبيت زهيرة ، فهي فتاة من العائلة يفتخر بها فقد تعلمت ودرست وكافحت وتغربت ، وهي زوج الشيخ حميد رجل العائلة بعد وفاة أبيه وعمه عادل ، وكان يقوم بكل الواجبات الاجتماعية المهمة للعائلة في الأفراح والأتراح .. تجدد العزاء في بيت زهيرة ، ورحبت بالمعزين بأمها والمهنئين بزواج ابنتها شمس .. وعلمت أن حميدا أمر محمدا بالتصدق بألف دينار عن روح أمها .. وترجاها الرجاء الحار أن تتقبلها بقلب مفتوح فسكتت ، وقدم حميد الطعام لزائريهم على نفقته الخاصة وبإصرار ، وقال لها : هذا واجب يا أعز النساء .. لولا كلمة خرجت من فمها ما تزوجنا يا أم مجدي ..

قالت : صدقت .. لقد أدخل أولادك السرور على قلبي كثيرا بهمتهم

ـ إنهم أولادك يا أم مجدي ..

وكانت ممتنة غاية الامتنان لتصرف حميد بإخفاء موت أمها عنها ، وهي تشارك ابنتها فرحها ، وربما لو علمت لفكرت بالعودة لتر جثة أمها كما يفعل الناس .

لذلك قالت له بعد انتهاء العزاء الثاني : غمرتني بإحسانك يا أبا محمد .. أريد أن أقدم لك شيئا

ـ على ماذا ؟

ـ على ما تقوم به من أجلي !

ـ أولا أنت زوجتي وأم مجدي ومحمد الصغير .. وهذا أحلى شيء تقدمه المرأة لرجلها .. وثانيا أمك صديقة لأمي وزوجتي الأولى وزوجة عمي مجدي .. الذي كان يودنا ويأتينا بالهداية ونحن أطفال .. وثالثا نحن أهل وأولادي أولادك .. ويكفي أنك دكتورة كبيرة وقبلت بالزواج من كهل مثلي لا يحمل ثانوية عامة .. وأزعم أنني أحسنت تربية أولادي وحرصت على إطعامهم الحلال من المال .. ولما اقصر معهم في تعليم وزواج وبناء .. بروا أبنائكم قبل أن يبروكم ورابعا

يا أم مجدي إني أساعد كل العائلة قدر الإمكان بالنصح والمال اليسير .. وها أنت بدأتي تشاركيننا تلك المساعدات التي نسأل الله أن يتقبلها منا .. ونحن نكفل ابن ميلاد وغيره من أيتام العائلة .

ـ أنت رجل شهم ! وصاحب مروءة يا أبا محمد .. مع أنك لست كبير العائلة سنا .. فالكل يحب مشاورتك في شأن العائلة وقضاياها ..

ـ هذا من فضل الله .. ربما عملي في تصليح السيارات أتاح لي اللقاء بعدد كبير من الأقارب والحديث معهم وسماع همومهم ..

ـ النساء يحسدنني عليك

ـ من باب المجاملة .. العائلة فيها المهندسون والمدرسون والأطباء اليوم

ـ يا أبا محمد أرجوك رجاء حارا ألا تجعل وفاة أمي عائقا لزواج حليمة .. أرجوك .. أرجوك لا تقل الأربعون .. السنة .. فهذا أمر الله من قبل ومن بعد هكذا تعلمت منك

ـ هذا من لطفك وكرمك علينا يا أم مجدي .. وأنا من أجل هذا الرجاء سأكلمهم برغبتك بأن يكون الزفاف كما عين له .. فوالد خالد حدثني عن تأجيل يوم الزفاف وترتيبات الحفل ، فقلت اصبر بعض الوقت حتى أستطيع أن أتحدث مع الدكتورة

ـ نفذوا ما اتفقتم عليه .. وهذا سيكون من دواعي سروري .

ـ أصيلة يا ابنة العم .



كل إنسان له قصة تبدأ من قبل ميلاده ، من حين زواج امرأة ورجل ، ثم يولد ليلا أو نهارا صيفا أو شتاء وتولد قصته .. له حكايات ومشاهد يتذكرها أو ينسى أكثرها .. يرى حلو الحياة ومرها يرى الصحة والسقم .. ويعيش سعيدا أو شقيا أو بين بين .

وهذه قصتنا أفلت على الغروب ، ككل شيء له شروق وغروب ليل ونهار .. كانت السعادة

الدنيوية ترفل على بطلة قصتنا الدكتورة الوديعة.. رغم ما رأت من ألم .. وهي صغيرة ذاقت بؤس اليتم .. ورأت صراع أمها مع الحياة من زوج لآخر حتى ترملت ثانية ، فسكنت في حجرة تنتظر الساعة ، ولما جاءت الابنة لتعيش معها ساعاتها الأخيرة أو ترحل هي قبلها للأمر المقدر كانت زهيرة تفرح بابنتها في تلك البلاد التي هجرتها بعد طول سنين في قارة أمريكا الشمالية كانت أمها تموت في الشرق الأوسط للعالم .. هذه حكاية القدر ، خلق الموت والحياة للابتلاء والاختبار .. حياتنا لا تخلو من كدر سواء على الفرد أم المجتمع أم الأمة .

عاشت فتاتنا يتيمة ، وجدت نفسها بدون أب يساعدها ويحبها في هذه الحياة ، لقد رحل في سن مبكر من حياتها .. ومرت عليها لحظات صعبة أثناء مراهقتها عندما غرقت أمها في اللهو واللعب ، ثم تداركتها الرحمة الإلهية على أثر وفاة الجد محمد ، فاستيقظت الأم ، وفطنت أنها في مجتمع يستقبح الاختلاط والمخدرات.. ثم أتى الخطيب يطلب يد ابنتها ، فالتمست الأم العذر بصغر سنها ، وكانت قد حسمت أمرها لا زواج من أقارب زوجها لها ولابنتها .. ثم اعتذرت بدراسة الفتاة في كلية الطب .. وجاء الأجيال الجدد ، وهربت الفتاة لجنة الغرب بزوج يعرف الإسلام دون تعمق ، ودون مذهب يتعصب له ، ودون منهج يلتزم به .. ولما حقق الأماني كلا الفريقين ، فكان الفراق من أجل الذرية .. وقد ولد لهما مولود واحد ، وبعد حين تغيرت الجنة في نظر بطلة قصتنا ، ونضجت الفتاة فعادت إلى الحضن الوحيد لها في هذه الدنيا حضن الأم ، لا زوج ولا أولاد ولا أب ولا أم .. وجاء الرجل البسيط المحدود الثقافة في مقياس الشهادات العليا ؛ ليكون هو الزوج اللائق بها ، الزوج الذي وجدت سكينة الزواج عنده والرحمة والعطف والمودة ، ثم الأمومة بعد يأس وانقطاع أمل .. كان الشيخ حميد نعم الفارس ونعم القرين .. الحياة إن كان لها منتصف .. أو نهاية .. لا ندري بالضبط .. كانت حائرة للغاية كيف ترد الجميل لحميد الذي قام برعاية وخدمة أمها سنوات وسنوات ؟ .. ثم تزوجته بدون تردد رغم أن له زوجة ، وخشيت العودة مع سامر ؛ لأنها تعلم وتدرك أنه يريد الزواج والأولاد .. وتزوجته وله أولاد .. لم يكرهها أولاده ، ولا نظروا أنها ضرة لأمهم وخصم وسارقة لأبيهم .. كانت أما لهم

وقبل بعضهم العيش في بيتها كأبناء لها.. اعتبروا الأمر طبيعيا ، بل بعضهم اعتبرها منقذة لأمهم وأبيهم ، فأمهم كانت مريضة عاجزة عن تحقيق رغبة أبيهم الشرعية والإنسانية .. إنها الحياة الأبيض والأسود.. الليل والنهار.. الفرح والحزن



الفصل الماضي من هذه الحكاية مع أنه مؤلم كان فيه الخير والسعد للدكتورة زهيرة مجدي أخصائية الولادة والأمراض النسائية .. بل زاد إيمانها وفهمها لمسألة القضاء والقدر .. ولتدبير الله لهذا الكون العظيم .. عندما سافرت زهيرة لكندا لحضور زواج شمس حدثت زوجها أثناء الرحلة عن الجريمة الكبيرة التي تعرضت لها شمس أثناء رحلة لها لمدينة نيويورك .. ومقتل صاحبتها وكيف تعقدت نظرتها للرجال والمعاشرة الزوجية؟ فتألم حميد لما سمع .. وسالت دمعات على خده حزنا وأسفا .. وساءت حالة الفتاة النفسية نحو الرجال والزواج .. لذلك هي مسرورة جدا لزواجها وزوال تلك العقدة النفسية .. لأنها تأمل أن تكون أسرة فتاتها طيبة وهادئة .. وعطف حميد بطبعه الذي عرفناه على الأم والفتاة .. وكانت شمس بعد الحادث تعتبر الرجال وحوشا ومجرمين ليس لهم هم إلا قضاء شهواتهم الحيوانية من الفتيات وصدمت بإباحية حضارة الغرب .. وقد علمت من العم هنري أن الشباب تعرضوا لحكم قاس من القضاة .. لكن ما الذي استفادته هي من هذا الحكم القاسي .

وسر السيد حميد لما علم ذلك التفصيل من هذا الزواج ، وعبر لزهيرة عن هذا الشعور والعطف.. وحمد الله أنها ستتزوج رجلا من المسلمين ولو كان أعجميا ، وسعد لسعادة زوجته التي كانت تخشى أن تتخذ ابنتها صديقا بدون زواج وبدون رباط ، كما هو شائع في تلك البلاد حياة حيوانية فقط .. وكانت تقول لحميد لو فعلت ذلك لا أحد يمنعها لا أم ولا أب .. ستعيش

هي وإياه في أي مكان ، ولا تتحدث مع أبيها ولا أمها
والأسر المسلمة المتحررة تفرط كثيرا في مثل هذا الاجتماع ، وتقف عاجزة حياله وصامتة ..
لذلك تجد بعض العائلات وهم قلة لما تشب بناتهم يرسلونهم لبلدانهم الأصلية للحياة مع الجدات العمات الخالات خشية الحياة مثل هؤلاء ، حياة بهيمية .

قدم عبد رحيم أوراقه لدائرة الهجرة الكندية للحصول على الجنسية الكندية حسب ترتيبات الهجرة الكندية .. والقانون يسمح بالحصول على الجنسية قبل مرور السنوات الثلاث لمن يتزوج امرأة تحمل الجنسية الكندية .. فكندا بلد يستقبل عددا كبيرا من الوافدين والمهاجرين فهي بلد كبير وأرض شاسعة تحتاج لبشر كثير ، وتقدم كسائر الوافدين للفحص الطبي الخاص بدائرة الهجرة .. وكذلك لدائرة الأمن .. ووجدت صحته جيدة وخالية من الأمراض السارية والمعدية وليس له انتماءات حزبية وسياسية في بلده إندونيسيا جزيرة سومطرة ، وإنما تكشف لهم أنه متزوج في بلده ، وله زوجة وأطفال ، وما زالت امرأته وهي ابنة عمه على ذمته أي لم يطلقها ، ولا يستطيع الحصول على الجنسية حتى يطلقها قانونيا .. لأنهم يرفضون التعدد في الزواج ، ولما تصل الأوراق رسميا من وطنه الأول .. فاضطر لما صدم بهذا العائق أن يكشف الأمر لشمس التي صدمت بداية وقالت بحدة معروفة فيها : أنت أخبرت الدكتور هنري أنك تزوجت وطلقت ولا أولاد عندك .. ورد سفارة بلادك اليوم يخالف ما صارحتنا به وقد تتعرض للسجن بسب الجمع بين الزوجات ، فالقانون هنا يمنع ذلك .. لماذا لم تكن صادقا منذ البداية ؟!

قال بصوت خفيض معتاد منه : آسف يا شمس .. لم أكن أدرك أن التعدد ممنوع هنا .. ولم أستطع قول ذلك .. لي خمسة أطفال منها .

ـ آسف آسف .. ماذا تفيد آسف اليوم .. لابد من الطلاق ، إما أنا وإما هي ؟

ـ ألا يسمح ديننا بالزواج من أكثر من واحدة في آن واحد؟

ـ هذا في بلادك وبلاد أمي .. وهل أنت متدين ؟ أحيانا أراك تصلي .. وأحيانا لا تصلي .. وثانيا قانون هذا البلاد يعتبر الجمع بين امرأتين بعقدين زواج باطل وجريمة .. عليك أن تختار بيننا

إذا اخترتني ستقطع صلتك في بلدك للأبد .. هل سمعت ما قلت ؟

ـ ألا يوجد حل آخر ؟.. أن أتظاهر بطلاقها وتمشي حياتنا حتى أحصل على الجنسية وأطلقك كما تحبين وتشائين.

ضحكت شمس وقالت : أنت سخيف .. كما تشائين .. لا أدري ما أقول .. فهمت كل حيلتك من هذا الزواج .. اسمع مع أن زواجنا كان واضحا الغاية منه وهو حصولك على الجنسية الكندية .. فأنا كنت آمل أن يستمر على الأقل بضع سنين .. سأعمل فحوصا طبية لبراءة الرحم من الحمل ويكون الانفصال .. لن أبقى على ذمتك ، ولن تحصل على الجنسية التي تسعى إليها إلا بطلاق امرأتك الإندونيسية أو قضاء ثلاث سنوات هنا ، وبما أنك وصلت فستحصل عليها بدون شمس.

وقضيا أكثر من شهر يتجادلان حول بقاء الزواج ، وكان ينام خارج الشقة ، وأمام إصرار السلطات على وضوح موقفه طلق شمسا ، وغادر البلاد بعد أن حجز بضعة أيام لدى الشرطة علمت زهيرة بهذه الحكاية من الدكتور هنري الذي تحدث معها ، وهو اطلع على حكاية عبد رحيم ؛ لأن والده اتصل بهنري طالبا المساعدة ..

وقال لها هنري : لا تحزني ما قدر الله يحصل .

صدمت زهيرة وتألمت وبكت لما علمت بطلاق شمس بعد زواج لم يكمل السنة .. ووافق القاضي على الانفصال سريعا ؛ لأن الرجل ثبت لدى دائرة الهجرة أنه متزوج امرأة في بلده وعلى ذمته ولم تكن مطلقة .. اتصلت زهيرة بشمس وواستها ، ودعتها لقضاء شهر زمان عندها في المدينة .. لتزول آثار صدمتها بزوجها الإندونيسي ، والتعرف كذلك على بلاد الآباء والأجداد فبعد تفكير عميق رتبت أمورها في زيارة للشرق الأوسط .



أرسل حميد ابنه محمدا وزوجته أم مجدي لاستقبال شمس ، وكانت شمس قد أخبرتهم أنها ستقضي أياما في مصر .. لزيارة الأماكن التي كانت تسمع عنها من الذاهبين للسياحة في مصر العربية كالأقصر والجيزة ، وكانت قد رافقت حملة سياحية كندية إلى القاهرة مباشرة .. فقضت عشرة أيام مع الرحلة .. التي ستتوجه لفلسطين بعد مصر ، وهي ستتوجه لموطن والديها ، وكانت هي قد اتفقت مع الشركة السياحية أن تكون رحلتها لمصر فقط .

استقبلت زهيرة ابنتها في المطار بالدموع زاعمة أنها دموع الفرح واللقاء .. ورحبت بمحمد وتعرفا على بعض .. وكانت شمس متعبة ويظهر عليها إرهاق ونسبته لرحلتها في جنوب مصر وتعب السفر .

فقالت وهما في السيارة : أبعيد البيت ؟

ـ أقل من ساعة .. أنذهب بك للمستشفى ؟

ـ إرهاق يا أمي .

استقبل حميد شمسا بالحنان والعطف والمواساة ، وانصرف محمد وهو يقول : سنمر عليكم ليلا أنا وأم حسن .. الحمد لله على سلامة شمس يا أم مجدي .

ـ الشكر لك يا محمد .. مرحبا بكم في أي وقت .

أحنت له شمس رأسها محيية ، ودخلوا الفيلا ، ولما جلسوا يرحبون بها ، حدثتهم بخداع عبد رحيم لها ، وأخذت تبكي حزنا وخيبة ، وشاركتها أمها بالدموع والأسف ، وجهزت لها الخادمة الحمام كما طلبت أمها .. وقال حميد : الحمد لله على السلامة .. وقبل أن تذهب بها أمها لحجرة جهزت لها ، قدمت لها الخادمة القهوة العربية فقالت وهي تنظر في الفنجان في قاعه قليل من القهوة : ماذا هذا يا أمي ؟

ابتسمت الأم وقالت : قهوة تقدم في استقبال الضيوف .. فهم يرحبون بالضيوف بالقهوة العربية والتمر .. عادة عربية .

تناولت الفنجان وشربته وهي تبتسم وقالت زهيرة : تعالي لتشاهدي غرفة نومك وحمامك ..

وسيأتي الغداء من المطعم اليوم احتفالا بك .. مع أن لدينا طاهية رائعة يا شمس

ولما خرجت من الحمام عادت للجلوس معهم وقالت : رفض أن يطلق زوجته لبقاء زواجنا ، واعتقل بضعة أيام ، ثم غادر البلاد رغم أنه يجوز له البقاء بعد طلاقنا .

وتحدثوا عن القدر ، وعن الغدر والخداع ، ومواقف من حياتهم حتى استطاعوا التخفيف من الهم والحزن المخزن في قلب شمس ، ثم طلبت النوم بعض الوقت ، فرافقتها زهيرة للغرفة التي أعدت لها ، وهما يسيران إليها اقبل محمد الصغير الذي استيقظ من سباته ، فأخذته شمس من الخادمة وقالت وهي تعانقه : هذا أخي محمد .. أين مجدي يا أمي نسيته ؟

ـ نائم ، عندما خرجت للمجيء بك كأنه نام ..

ـ دعيني اقبله

أخذتها أمها، تتبعهم الخادمة إلى حجرة الأطفال .. وتقدمت شمس إلى سرير مجدي الذي أخذ يستيقظ على صوتهم ، ففتح عيناه ، وكان ينظر إليها في شمس باستغراب .. فأخذت أمها محمدا من يديها وهمست : صباح الخير يا مجدي .. هذه شمس أختك التي حدثتك عنها .

انتشلته شمس من سريره وراحت تقبله بقوة وحنان وهي تهتف : هل ستحبني يا مجدي أنا أختك الكبيرة ؟.. محمد يحبني أكثر .. ماله مكشر

ـ صاحي من النوم .



توافد أبناء وبنات حميد ليلا للسلام على شمس والترحيب بها ، وشمس كما نعلم تتكلم العربية وإن كان في لسانها ثقل ، فكانت زهيرة تكلمها بالعربية أثناء وجودهم في البيت معا .. فلديها مفردات تحسن فهمها.. ورحبت بحرارة بأولاد حميد وزوجاتهم وأطفالهم وتعرفت عليهم ،

ورددت أسماءهم رويدا رويدا .. حتى حفظتها ، وقضوا سهرة ممتعة ، سرت منهم شمس ، كما صرحت بذلك في نهاية السهرة .

وكانت شمس تلعب مع الطفلين فقد أحبتهما ، وأحست بالعطف نحوهما ، والطفلان تعلقا بها فورا خاصة مجدي ، فقد اقترب عمره حينئذ لثلاث سنوات ، وكان قادرا على المشي بسهولة ونطق الكلمات .

وفي اليوم التالي اتصلت بأبيها بعد ضغط من أمها وزوجها حميد مخبرة له بوصولها لبلده ، وأنها في بيت أمها وزوجها أبي محمد ، فرحب بها ، وأعلمها أنه سيرسل لها ابن أخيه ليحضرها ليراها لأنه طريح الفراش .. فالدكتور تعرض لحادث سير قبل زواج شمس بأيام ، وأصبح عاجزا عن المشي ، فقد أصاب حوضه كسر ، وبعض عظمات العنق كسرت ؛ ولكنها التئمت فكان يعاني من ذلك الحادث .. وكانت أمها قد شرحت لها وضعه الصحي ، فدعت له بالشفاء وقالت له : سأطلب من ابن زوج أمي بتوصيلي إليك .. شفاك الله يا أبي ..

ـ أنا قصرت معك يا شمس

ـ لا وقت للعتاب يا أبي عندما نلتقي نتكلم .. أنا بشوق لرؤيتك والاطمئنان عليك .. رغم الجفاء أنت أبي.. لي سنوات لم أرك .

عند العصر قام حميد بنفسه بتوصيلها لمنزل أبيها ، فهو عندما تزوج سكن في بيت خاص به ، ثم عاد للحياة مع والدته لمرض أقعدها الدار ، فأحب أن يبقى بقربها ليقدم لها الإسعاف الفوري فقبلت الأم بهذه الحجة .. وبعد أن دخل وسلم على الطبيب سامر قال لها وهو يغادر : عندما تريدين العودة اتصلي بي أو بأمك ..

وتلقى الشكر من الجميع وغادر ، وكانت شمس تقبل وجنتي أبيها وتعانق زوجة أبيها وتعرفت على إخوتها الثلاث البنت والولدان .. وبعدما انتهى الترحيب والمجاملات ، ذهب بها أحد أخواتها وزوجة أبيها للسلام على أم أبيها التي ترقد في حجرة خاصة بها ، قال سامر المطروح على سرير طبي بعد عودتهم إليه : قصة زواج فاشلة .. وحدثته عن أسباب الطلاق ،

وإنها جاءت لإلحاح أمها ، وطلبها منها تغيير الجو ، والخروج من العالم البارد الثلجي ، فلبت الدعوة ، وقضت عشرة أيام في ظلال مصر والقاهرة والصعيد مع شركة سياحية

وشاركت العائلة العشاء الجاهز ، ولما فكرت بالعودة لبيت حميد وزهيرة أقسم سامر على مبيتها الليلة عندهم ، ووافقت على مضض ، وتحدثت مع أمها حول ذلك ، فتمنت لها ليلة سعيدة ، وخلال السهرة رغبها أبوها وزوجته بالبقاء في ربوع الوطن والشمس الساطعة فقالت : لابد من العودة يا أبي .. طاب لي العيش هناك .. هل يستطيع السمك أن يعيش خارج الماء وأنا كذلك فلي عمل ووظيفة هناك



ـ الناس هنا يعملون .. وأهلك هنا أمك وأبوك .. وإخوانك .. وحتى لا تخدعي بزوج آخر .

ـ الحياة تجارب .. وأنا قبلت الزواج منه ، وقد صارحني أنه يسعى لأخذ جنسية بسرعة .. ودائرة الهجرة هي التي فضحته ، ورفضت منحه الجنسية قبل طلاقه لامرأته الآسيوية .. فاختار امرأته أم أولاده .. هو دخل الأراضي الأمريكية مرافقا لوالديه في رحلة علاج بمستشفى أمريكي .

الوطن

رافق محمد حميد وزوجته أم حسن شمسا في جولة في سيارة أمها في شوارع العاصمة تنفيذا لرغبة والده وزوجة أبيه .. وذهبوا بها في جولات سياحية .

ولما اقترب سفرها بانتهاء إجازتها قالت لها أمها : كيف رأيت بلاد أمك وأبيك ؟

ـ جبال وزحمة سيارات ووجوه بائسة .

ضحكت زهيرة وقالت : أتصور أن جبال كندا أكبر من جبالنا .. وزحمة السيارات عند الغروب سيئة في وسط مونتريال .. والبرد والثلج على مدار السنة .. ولعلك أنت البائسة ، فظننت أن كل الناس بائسون .. تفاءلي بالخير تجدينه .. لماذا لا تبقين عند أمك ؟

ـ وعند أبي .

ـ هل طلب منك البقاء يا شمس ؟

ـ مجاملة لا أكثر

ـ أنا لا أقولها مجاملة ورفع عتب .. فعلا ومن عمق قلبي أريدك أن تبقي

ـ وماذا سأفعل هنا ؟ هل أترك عملي لأكون عالة عليك وعلى أبي ؟

ـ حقك أن ننفق عليك حتى تقترني برجل ينفق عليك .. المرأة هنا لا تنفق على البيت إلا تطوعا وتعاونا .. وسنبحث لك عن زوج صالح ؛ لعل الله أن يهبك طفلا .. فأنت تحبين الأطفال كما بدأ لي .

فقالت بتمن : والله إني أحلم بأن يكون لديّ أطفال ألعب معهم .. ليتني أصير أما مثلك يا أمي وأنا قبلت بعبد رحيم طمعا بالولد لا طمعا به .. ولكني حمدت الله أنني لم أحمل منه .

ـ إذن ابقي هنا ، وسأدبر لك زوجا طيبا مثل عمك حميد .. فعمك يساعد بتزويج الشباب من بنات العائلة أو من بنات جيرانه قبل أن ينتقل لهذا الحي .

ـ والعمل ؟

ـ المال كثير يا ابنتي .. وهذه الفيلا أبني لك فوقها دورا كاملا .. مرة كنا نريد فعل ذلك وأجلناه

لعدم لحاجتنا لذلك رغم حماسي يومئذ .. وستجدين عملا أنت تحملين شهادة كندية والدول الغربية شهادتها شبه عالمية .. والشركات الأجنبية لها فروع يا شمس في بلادنا .

ـ حسنا ، كم اصبر يا أمي ؟

ـ الليلة سأتحدث مع زوجي الغالي ، وهو الذي يقدر الوقت اللازم .. وأنت عدة طلاقك حسب شرع الله لم تنته بعد .

ـ سوف تنتهي يا أمي .

ـ الليلة سأفاتح أبا محمد .. إن شاء الله سنفرح بك هنا هذه المرة وتستقرين بيننا ونسعد بك معنا

فاتحت زهيرة حميدا بما دار بينها وبين شمس عصر هذا اليوم ورغبة شمس بالزواج طمعا بالذرية فقال حميد مسرورا ومشجعا : لا بأس ، ونعم الزواج سترة للبنت .

وللمقدر كان حميد مشغولا بما صارحه به ابنه محمد من رغبته بالزواج مرة أخرى ، فأخذ يفكر بما طلبته منه زهيرة ، وهناك مالك سيقبل بشمس ؛ لكنه يصغرها بسنوات ، وكان حميد يصبر محمدا بالصبر ، وإن قيادة الزوجتين ليس هينا رغم اقتناع المجتمع بصحة هذا الزواج .. وهذا الكلام تحدث به حميد ومحمد منذ سنة .. وعند صلاة الفجر كاشف حميد زوجته برغبة محمد بالزواج على امرأته ، وكشف لها أن زوجته تسعى له بذلك ، فقالت دهشة : أنتم عائلة عجيبة يا أبا محمد .. ولكن امرأتك رحمها الله كانت مريضة لتسمح لك بالزواج ..

قال حميد : امرأة محمد في غاية الصحة .. أمام شمس الآن محمد الأكبر منها سنا ، ومالك الأصغر منها سنا .. ولسوف يقبل بها إذا وافقت .. ولو طاعة لأبيه اذا لم ترغب بالتعدد .. تشاوري معها وإذا لم تحب الزواج من أحدهم .. فاستعين بمعارفنا الكرام لكن ذلك سيأخذ وقتا .

ـ أنت ما رأيك ؟

ـ محمد جيد وطيب مثل أبيه .. وعمله في شركة خاله جيد وراتبه معقول .. وما دام أن شمسا ستسكن معنا فلن يتكلف إيجار بيت .. وربما إذا رأينا من المناسب نتشارك في الوجبات ..

ومالك سيتخرج من كلية الهندسة قريبا .. وسنه قريب من سن شمس .. لكن المشكلة أنه قد لا يقبل ، ربما لرغبته بالزواج من فتاة بكر .. ومع ذلك يمكن إقناعه بقليل من الضغط .. فشمس غالية عليّ ، وأنا أتعاطف معها ، ومن حقها أن تصبح أما.

ـ عندما تستيقظ سأتناقش وإياها.. وأنت جس نبض أبنائك .. ويسعدني أن تنكح أحد أولادك فسنبقى عائلة واحدة وأسرة واحدة .

ـ سنجد إن شاء الله الزوج الصالح لها .. ضعي حملك عليّ

ـ أنت تاج على رأسي يا أبا محمد .. يبدو أن في أحشائي طفلا آخر

صاح دهشة : يا الهي ..!!

لما رجع من المسجد بعد الصلاة اتصل بمحمد الذي كان مثله قد عاد من الصلاة في الجامع القريب من بيته ، وطلب منه التبكير إليه ؛ ليتحدثا في موضوع هام وخطير ، فدهش محمد ، فهو قد كان معه ليلة أمس في ضيافة عم لحميد .

فلما حضر خلا به هو وزهيرة في غرفة المكتبة ، وشرح له والده سبب هذا الاجتماع ، وأنهما يسعيان لتزويجها للبقاء بينهم ومعهم ، ولما رأى محمد أن الكلام أمام زهيرة فهذا يعني أنها مؤيدة لهذا الزواج .. وختم قائلا : اذهب الآن وشاور أم حسن ، واتصل بي بعد ذلك .. كنت اليوم سأذهب لمساعدة عماد، وقد أجلت ذلك .. فقد طلب مني أمس المرور عليه .

عماد درس في التدريب المهني ، وتعلم التصليح في كراج أبيه ، واستلم الشغل عن والده ، فرد محمد فقال : أم حسن لا ترفض ، وأنت تعرف ذلك يا أبي منذ أن تزوجت أنت ، وهي ترغب لي ذلك حتى اقتنعت وتحمست للفكرة ، ولولا تأجيلك لي فلربما تزوجت منذ أكثر من عام وقد سعت لخطب قريبة لها لي ..

ابتسم حميد وقال : ذكرت ذلك لأم مجدي عند صلاة الفجر .. اذهب وتحدث معها بشكل جدي حتى نفاتح شمسا بالموضوع .. وشمس مازالت في عدة الطلاق .. أنت موافق طبعا .

ضحك محمد وقال : المهم أن تقبل شمس .. أنا لا أرفض

قالت زهيرة : بارك الله فيك يا محمد .. ابن أبيك .. ستسكن هنا

ـ هنا ؟!

ـ سنشيد دورا لشمس

ـ السلام عليكم .



وعندما خرج محمد من المكتبة فوجئ بشمس تجلس في صالة البيت بثوب النوم وفوجئت به

فهتفت : محمد نمت هنا ؟!

ابتسم وقال : معذرة .. لم أنم إنما جئت مبكرا .. إلى اللقاء ، وتابع خروجه .

وكانت زهيرة وحميد يخرجان من المكتبة بدورهما ، فرأيا شمسا مستيقظة مبكرا فقالت لهما :

ماذا هناك يا أمي ؟! محمد خرج من المكتبة منذ ثوان !

ـ لا شيء ، محمد جاء مبكرا .. وكلفه والده بمهمة صغيرة .. هيا نشرب القهوة .

فانتقلوا لغرفة الجلوس ، وقدمت لهم الخادمة قهوة الصباح وقال حميد وهم يرتشفونها : هل تعلمت الصلاة يا شمس ؟ أذكر أننا قبل شهر تحدثنا عن أهمية الصلاة في حياة المسلم الحقيقي

ضحكت شمس وقالت : أذكر تلك الليلة الحامية في بيان أهمية الصلاة في حياة المسلم .. ووعدتك بتعلم الصلاة وأن أمي ستفصلها لي

فقالت زهيرة : ونفذت ما عليّ يا شمس .. أنا حدثت عمك أبا محمد في الموضوع

ـ أي موضوع ؟ .. المواضيع كثيرة يا أم مجدي

ـ موضوع زواجك

ـ نعم ، تحدثنا حول هذا الأمر ..

ـ وهذا الصباح سنعرف النتيجة

ـ بهذه السرعة ..

ـ يقولون خير البر عاجله .. كم بقي لعدة الطلاق ؟

ـ أنا لم أحسب .. لأنني لم أفكر بالزواج سريعا .. ولا أفهم في هذه العدة يا أمي

ـ أعرف أنك لا تفهمين في مثل هذه القضية لأن ثقافتك الدينية ضحلة صفر .. في الإسلام هناك شيء اسمه العدة .. من العدد الإحصاء ، وتعني مكث المرأة زمنا بدون زواج ومعاشرة حتى ينقضي هذا الزمن .. يبدأ العد منذ إعلان الطلاق عند القاضي أو نائبه

قالت شمس ضاحكة : أذكر تاريخ جلسة إعلان الطلاق .، وأذكر أنني سمعت هذا الكلام عند طلاقك من أبي .. من سيكون العريس؟ .. أنا راغب بالاستقرار معكم ؛ لعل الزواج يهيئ لي الفرصة يا عم حميد .

قال حميد : إن شاء الله .. ساعات ويحضر العريس ؛ لأن الكلام الفصل لك .. القبول والرفض منك أنت .

ـ هل أعرفه ؟

ضحكت زهيرة وقالت : ظننتك عرفتيه .. وأبو محمد لن يخبئ عليك .. عرض الأمر على محمد

قالت باستغراب : محمد حميد يتزوجني وله زوجة .. هل يجوز ذلك ؟

ـ يجوز ، لست محرمة عليه يا شمس .. وزوجته لا تمانع ؛ لأنها سعت قبل ذلك في زواجه لولا اعتراض عمك حميد .. فالأمر لك .. ومحمد دخله المادي ممتاز جدا .. اشتغل فترة مع خاله في البحر ، ثم فتح سوقا تجاريا خاصا به ومعه ابن عم له شريك .. وبالإمكان تكبير المتجر بمزيد من المال .. وأنا سأبني لك دورا فوق هذه الفيلا كما حدثتك سابقا .. وإذا وافقت سيكون هناك شقتان لك واحدة ولأم حسن واحدة ..

نظرت شمس لعم حميد وقالت : ماذا رأيت يا عم حميد ؟

ـ كما قالت أمك .. وقد ذهب أبو حسن محمد ليتشاور مع حليلته ، ولا أظنها ترفض .. القول الفصل لك أنت .. فكري انظري .. شاوري أباك .. فنحن نحب بقاءك بيننا بدل تلك البلاد

البعيدة والبقاء مع أمك الحبيبة الغالية .. وستجدين عملا تتسلين به .. وبالنسبة للتعدد قوانين بلادنا لا تمنعه .. المهم أنت تقبلين .. وسنسعى لحصولك على جنسية بلدنا لأن هذا حق لك ولأن والديك يحملان هذه الجنسية .. وقوانيننا تسمح بازدواجية الجنسية خاصة الغربية .. والإنسان يخضع لقوانين البلد التي يعيش فيها .. وإذا لم يطب لك الزواج والحياة بيننا فالأمر سهل .. الطلاق والسفر بالمعروف ، كما الزواج يكون بالمعروف .

رن جرس الخلوي رفعه حميد وقال : محمد .. وقال : آ ، يا محمد هل وفقت بمهمتك ؟رحبت بذلك جميل .. أكيد دون ضغط عليها .. على بركة الله .. ها نحن نتحدث مع شمس بالقضية بعد انتهاء العدة الشرعية لشمس حضر كاتب عقد الزواج ، وذلك بعد مراجعة المحكمة الشرعية ، وأحضر معه الأوراق اللازمة لكتب العقد ، وكانت زهيرة قد شرعت بالبناء عندما وافقت شمس على الاقتران بمحمد ، وأن تكون زوجة ثانية ، ولما كمل البناء رحلت أم حسن للسكن الجديد ، وكان الزواج بحفل بهيج حضره الأهل والأصدقاء ، وفي العام التالي كانت شمس تحمل بين يديها مولودها الأول ، وكانت تضمه لصدرها بحب وقوة ، وتعانقه بين الفينة والأخرى ، وتقول لأمها التي تقف معها في الغرفة وهي في غاية الحبور : هل هو جميل يا أمي

ـ أجمل شيء للمرأة فلذة كبدها حتى لو كان دميما .. مبارك يا محمد ابنك الجديد .

ـ مبارك على الجميع .. ماذا تريدين أن نسميه يا أم مجدي ؟

ـ هل تسمحون لي بتسميته ؟

قالت شمس بسعادة ذهبت معها آلام الوضع والولادة : نعم ، يا أمي .. أخيرا عرفت السعادة الصادقة .. عرفت الحب الصادق ..!!

{ تمت بحمد الله }

جمال شاهين

١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيتام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الشقق السوداء	١٠	حياتي قبل الحياة
١١	الحفل بالقط الأسود	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	


غربتي وابنتي
الحمد لله ولدتني أمي بعد جهد جهيد
ثم ترملت فقد مات أبي
فنكحت زوجا آخر ولم تلد مرة أخرى
فكادت تسقط في هاوية الدنيا والفاحشة
ورحلت وحيدتها إلى كندا كارهة وطنها وبلدها وأهلها
وبعد عشرين حولا من الاغتراب عدت لأتزوج
من ابن عمي الأمي البسيط
وكنت أرفل معه بسعادة الدنيا
هل نحن نكتب قدرنا أم كتب لنا ؟!
فهذه قصة غربتي وابنتي
زهيرة مجدي
٢٠١٢